جامعة الأزهر
AL-AZHAR UNIVERSITY

كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

قسم: التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات الإمام ابن جزي في تفسيره المسمى "التسهيل لعلوم التنزيل"

دراسة وتقويم

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية " الدكتوراه"

في أصول الدين " التفسير وعلوم القرآن"

الباحث

أحمد محمد علي أبو سيف

إشراف

أ.د/ شكري شفيق الأخضر
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين (طنطا)

أ.د/ صلاح الدين يوسف شلبي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين (طنطا)

١٤٤٩ هـ — ٢٠٠٨ م

جامعة الأزهر

كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

قسم: التفسير وعلوم القرآن

ترجيحات الإمام ابن جزي في تفسيره

المسمى "التسهيل لعلوم التنزيل"

دراسة وتقويم

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية "الدكتوراه"

في أصول الدين "التفسير وعلوم القرآن"

الباحث

أحمد محمد على أبوسيف

إشراف

أ.د/ شكري شفيق الأخضر — أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين (طنطا)

أ.د/ صلاح الدين يوسف شلبي — أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين (طنطا)

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

— الإهداء —

إهداء

إلى ابنتيّ الحبيبتين آلاء وأروى

أهدي هذا البحث

راجيًا الله تعالى أن ينفعهما بالقرآن الكريم وأن يجعلهما وجميع ذريتنا من أهله.

وإني في ذلك أقتفي أثر شيخي الإمام ابن جزي حين قال في سبب تأليف كتابه تقريب الوصول إلى علم الأصول:

"وإني أحببت أن يضرب ابني محمد أسعده الله في هذا العلم - يعني علم أصول الفقه - بسهمه، فصنفت هذا الكتاب برسمه ووسمته باسمه، لينشط لدرسه، وفهمه، وعولت فيه على الاختصار والتقريب مع حسن الترتيب والتهذيب"(١)

فأسأل الله أن أترك لهما خير إرث وعظيم زاد بأن أحفظهما كتاب ربهما وحديث نبيهما وفقه دينهما - اللهم آمين.

---

(١) تحقيق الدكتور/ محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، تقريب الوصول إلى علم الأصول، ص٨٨.

أحمد محمد علي أبوسيف — «ترجيحات الإمام ابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل» (رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع بالعلم درجات أهله، وأجزل ثوابهم على اكتسابه وعلى نقله، كما أنعم عليهم بالتوفيق لدرسه وفهمه.

وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمدٍ خاتم أنبيائه ورسله، هدى الله به كافة الخلق إلى منهاج الحق وسبله، وبالغ - صلى الله عليه وسلم - في تبليغ الرسالة بقوله وفعله، وبذل جهده في إقامة دين الله وبيان فرعه وأصله، حتى ظهر مصداق قول الملك جل جلاله: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله(١).

ورضي الله عن أهل بيته الطاهرين وأصحابه الأكرمين، وحشرنا معهم تحت ظلال عرشه يوم لا ظل غير ظله.

وبعد....

فإن الله - عز وجل - أنزل كتابه على رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم... تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين(٢)، وجعله بين يديه المعجزة الخالدة، والآية العظمى، ولم يكل أمره إلى أحد من البشر، وإنما حفظه سبحانه بحفظه(٣)، ولم يكن هذا الحفظ للفظه فقط، بل كان حفظًا للفظ وما يتعلق به من علوم.

وإنجازًا لما وعد به - عز وجل - من حفظه للقرآن الكريم، فقد سخّر أناسًا وهبوا حياتهم لحفظه، ومدارسة علومه، وذلك من وقت نزوله إلى يومنا هذا. وقد اتخذت هذه العناية أشكالًا مختلفة، فتارة ترجع إلى لفظه وأدائه، وأخرى إلى أسلوبه وإعجازه، وثالثة إلى كتابته ورسمه، ورابعة إلى تفسيره وشرحه،

---

(١) سورة التوبة من الآية (٣٣).
(٢) النحل آية: ٨٩.
(٣) قال تعالى: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون الحجر آية: ٩.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ولقد أفرد العلماء كل ناحية من هذه النواحي بالبحث والتأليف، ووضعوا من أجلها العلوم، ودونوا الكتب، وتباروا في هذا الميدان حتى زخرت المكتبة الإسلامية بنتاج مجيد عن آثار سلفنا الصالح، وعلمائنا الأعلام(١).

ولما كان من تعريفات علم التفسير: أنه علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية(٢)، كان من الطبيعي أن تختلف وجهات نظر كل من تعرض لتفسير كتاب الله عز وجل، طالما أنها محاولات بشرية.

وكان من نتيجة هذا الاختلاف أن كثرت الأقوال التفسيرية في كتاب الله عز وجل، فكلٌ يحاول أن يصل إلى مراد الله من كلامه حسب اجتهاده، مما يجعل الناظر في كتب التفسير يقف في حيرة مرة بين هذه الأقوال، ويتساءل أيها أصوب وأيها أرجح.

من هنا نجد من المفسرين - نظرًا لتعدد الأقوال في تفسير الآية - من أخذ في ترجيح قول على آخر، مبينًا الصواب والخطأ منها.

لكن دارت الدائرة مرة أخرى حيث رأينا القول الذي رجحه مفسر، قد ضعفه آخر، وربما قوّى ما ضعفه غيره، وكل ينتصر لما ذهب إليه معتمدًا على ما لديه من قوة وعلم.

ومن هنا ظهرت الحاجة إلى دراسة (ترجيحات أئمة التفسير)، ووضعها في ميزان الكتاب والسنة، وقياسها بقوانين القواعد التفسيرية والترجيحية، وذلك لمعرفة أوجه الصواب والخطأ فيها واختيار الأمثل من هذه الأقوال.

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ: محمد عبد العظيم الزرقاني ١١/١، ١٢، ط: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ه - ١٩٩٦م، تحقيق: أحمد شمس الدين.
(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ: الزرقاني ٤/٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ولما كنت بصدد التسجيل لدرجة العالمية "الدكتوراه" استخرت الله - عز وجل -، فهداني إلى اختيار موضوع "ترجيحات الإمام ابن جزي في تفسيره المسمى التسهيل لعلوم التنزيل" دراسة ونقد.

أسباب اختيار الموضوع:

أسباب عامة:

١- من أهم أسباب اختياري لهذا الموضوع أنه لم يزل من الموضوعات الجديدة على ساحة الرسائل العلمية بجامعة الأزهر.

٢- هذا اللون من البحث يربط الباحثين بتراثهم، ودراسة كتب التراث والنظر فيها عُدّة بناء الباحث وتقويمه، لما فيها من أصالة ورسوخ. وينمي عنده روح التحقيق والتدقيق، والتصحيح والتضعيف، والجمع والترجيح، والجرح والتعديل، كما يكوّن لدى الباحث شخصية ناقدة بصيرة، غير قاصرة على النقل والجمع، فأردت أن أفيد من هذه الفوائد قدر الطاقة - مستعينًا بالله على ذلك -.

٣- أن اجتماع كلمة المفسرين على قول واحد في كل مسألة وسيلة مهمة لجمع شمل الأمة وإعادة وحدتها كالبنيان المرصوص، وإن ذلك من أهم الأسباب التي تعيد إلى الأمة مجدها وترفع بين الحضارات الأرضية رأسها، وترد شبه المشككين في القرآن من خلال التناقض الظاهر بين أقوال المفسرين.

أسباب خاصة:

١- أن الإمام ابن جزي من الأئمة المجتهدين، والمفسرين المحققين.

٢- أنه جمع في تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

٣- أنه جمع في تفسيره بين علوم كثيرة، فذكر العقيدة والفقه واللغة والقراءات والتفسير.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٤- أنه لا يكاد يمر بمسألة في أي مجال إلا ويجلي للقارئ فيها مراده، ويدلل في الغالب على ما يذهب إليه.

وأما عن أهمية الموضوع:

فإن الإمام ابن جزي مفسر له مكانته العلمية الخاصة وشخصيته المستقلة التي تجمع بين الأصالة والتجديد وتؤهله لأن يناقش كبار المفسرين ويزاحمهم بآرائه لما يمتلك من معارف نقلية وعقلية ومن قواعد الترجيح، فقد يورد أقوال المفسرين ويتعقبها بالنقد والمناقشة كابن جرير الطبري، وابن عطية والزمخشري وغيرهم، مما يكشف لنا جانبًا من الشخصية التفسيرية المستقلة له.

ولهذا فإن كتابه هذا على صغر حجمه يعتبر كنزًا ثمينًا جمع من الفوائد والنكات العلمية ما تكل عنه الكتب الكبيرة، فهو عصارة لأقوال المفسرين، وفيه من فنون العلم ما تقر به أعين القارئين والمطالعين، وقد تميز بسمات تدل على التعمق والتفنن والتمكن من المعارف المختلفة، فهو يهتم بالقراءات، وبأسباب النزول، وباللغة، وبالأحكام الفقهية، وبالتفسير بالأثر، وبالاجتهاد الشخصي، إلى غير ذلك.

وعلى كل حال ففي التسهيل إضافات تفسيرية كثيرة يدركها من لازم الكتاب وقارنه بكتب التفسير الأخرى.

ولما كان من الصعب على المرء أن ينجز أي عمل من الأعمال دون أن يضع لنفسه خطة منهجية للوصول إلى الهدف المنشود فقد كان لهذا البحث منهجًا وخطة

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أما المنهج فهو: المنهج الاستقرائي النقدي(١).

وقد اتبعت في البحث الطريقة الآتية:

١- استخراج المسائل التي ذكر فيها الإمام ابن جزي أقوالًا ثم رجح بينها بصيغة ترجيح ظاهرة مثل قوله "الأظهر، الأولى، الأشهر، الأصح، والأقوى، الأروع، والأحسن" أو بصيغة تضعيف مثل قوله "وهذا خطأ أو باطل أو بعيد أو ضعيف..".

٢- عرض نص الإمام ابن جزي - رحمه الله - مع توثيق الأقوال الواردة فيه.

٣- عند دراسة النص أوضّح ما اعتمد عليه الإمام من أدلة وقواعد، وإذا لم يذكر دليلًا على ترجيحه أحاول أن ألتمس له الأدلة، ثم أذكر الأقوال

---

(١) معنى الاستقراء: الاستقراء لغة: من قرأ الأمر أي تتبعه. ونظر في حاله، وهناك من يرى أنه من قرأت الشيء بمعنى جمعته وضممت بعضه إلى بعض ليرى توافقه واختلافه، وكلا الأمرين يعني التتبع لمعرفة أحوال شيء ما. واصطلاحًا: الاستقراء عند المنطقيين هو الحكم على كلي بما يوجد في جزئياته الكثيرة. ويعرفه الإمام الغزالي بقوله: «هو أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكمًا في تلك الجزئيات حكم على ذلك الكلي به». ويعرفه الدكتور عبد الرحمن بدوي بقوله: «تعميم من حالات جزئية تتصف بصفة مشتركة». المنهج الاستقرائي عند الإمام الشاطبي، بقلم عبد العالي المتقي، من موقع: http://www.diwanalarab.com/spip.php?article9326
ويراجع: الألفاظ المستعملة في المنطق اسم المؤلف: أبو نصر محمد بن محمد الفارابي (المتوفى: ٣٣٩هـ) ٢١/١.
مفاتيح العلوم اسم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي ٩١/١، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
التقريب لحد المنطق اسم المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ١٥٢/١، دار النشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت/لبنان - ١٩٨٧م، ط: الثانية، تحقيق: د. إحسان عباس.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

المقابلة لرأيه عندما يكون لذلك حاجة في بيان علة الترجيح، وأذكر ما اعتمدت عليه من أدلة وقواعد، وبعد الانتهاء من عرض الآراء مع أدلتها، أحاول أن أكون في صف المذهب الأقوى دليلًا.

٤- رجعت إلى المصادر التفسيرية وغيرها، لمعرفة آراء المتقدمين في المسألة وأدلتهم.

٥- عزوت الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآية واسم السورة.

٦- قمت بتخريج الأحاديث والآثار الواردة في الرسالة، فما كان في البخاري ومسلم اكتفيت بتخريجه منهما، وما كان خارج البخاري ومسلم قمت بتخريجه من كتب السنة الأخرى، مع ذكر حكم الحديث قدر الطاقة.

٧- قمت بوضع ترجمة للفرق الإسلامية الواردة في الرسالة، وذلك من خلال الكتب الخاصة بذلك.

٨- قمت بعمل فهرس مبسط تناولت فيه المراجع التي اعتمدت عليها في الرسالة والموضوعات الرئيسية.

خطة البحث:

وفي ضوء هذا المنهج قسمت الموضوع إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهرس.

المقدمة: تشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: يشتمل على تعريف موجز بالإمام ابن جزي.

الفصل الأول: القواعد الترجيحية عند الإمام ابن جزي. ويشتمل على خمسة أبحاث:

البحث الأول: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني.

البحث الثاني: قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة.

البحث الثالث: قواعد الترجيح المتعلقة بالآثار.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الرابع: قواعد الترجيح المتعلقة باستعمال العرب للألفاظ والمباني.

البحث الخامس: تقويم لقواعد الترجيح عند الإمام ابن جزي.

الفصل الثاني: ترجيحات الإمام ابن جزي في المسائل العقدية والفقهية واللغوية.

ويشتمل على أربعة أبحاث:

البحث الأول: ترجيحاته في المسائل العقدية.

البحث الثاني: ترجيحاته في المسائل الفقهية.

البحث الثالث: ترجيحاته في المسائل اللغوية.

البحث الرابع: تقويم لترجيحات الإمام ابن جزي في المسائل العقدية والفقهية واللغوية.

الفصل الثالث: ترجيحات الإمام ابن جزي في مسائل التفسير وعلوم القرآن.

ويشتمل على أربعة أبحاث:

البحث الأول: ترجيحاته في الأقوال التفسيرية.

البحث الثاني: ترجيحاته في القراءات.

البحث الثالث: ترجيحاته في المسائل المتعلقة بعلوم القرآن.

البحث الرابع: تقويم لترجيحات الإمام ابن جزي في مسائل التفسير وعلوم القرآن، ثم الخاتمة والفهرس.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة عن الإمام ابن جزي ما يلي:

١- "ابن جزي الكلبي وأثره في الفقه" للدكتور/ محمد إسماعيل أبو الريش، وهي رسالة دكتوراه بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- الإمام ابن جزي وجهوده في التفسير للباحث عبد الحميد محمد ندا، وهي رسالة ماجستير بقسم التفسير بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالقاهرة.

٣- ابن جزي ومنهجه في التفسير للدكتور علي الزبيري، دراسة تحليلية لابن جزي وكتابه التسهيل، وهي رسالة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

هذا ولا توجد دراسات سابقة حول ترجيحات الإمام ابن جزي رحمه الله، ولعل هذا العمل يعد سبقًا في تناول الكتاب من هذه الجهة.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

التمهيد

في التعريف بالإمام ابن جزي

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أولًا: التعريف بالإمام ابن جزي:

اسمه وكنيته:

اسمه: محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف ابن جزي الكلبي الغرناطي، وكنيته: أبو القاسم(١).

ولادته ونشأته:

ولد ابن جزي سنة ثلاث وتسعين وستمائة هجرية ٦٩٣ه بغرناطة التي كانت حاضرة الأندلس، وقبلة علماء المغرب، وتعلم العلم منذ صغره؛ لأنه كان من بيت عريق في العلم والأصالة، والنبل والمجد، يقول صاحب نفح الطيب: وبيت بني جزي بيت كبير، مشهور بالمغرب والأندلس. فكانت لهذه البيئة العلمية الأصيلة أثر في عكوفه على طلب العلم

---

(١) تنظر ترجمته في المراجع التالية:
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني ٢٨/٨.
- الإحاطة في أخبار غرناطة لأبي عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني (لسان الدين ابن الخطيب) ٢٠/٣.
- وطبقات القراء لابن الجزري ٨٣/٢.
- وطبقات المفسرين للداودي ٨١/٢.
- والدرر الكامنة لابن حجر ٣١٥/٣.
- والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ١٣٩/٢.
- والفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد الحسن الحجوي الفاسي ٢٤٠/٢.
- وابن جزي ومنهجه في التفسير للدكتور علي الزبيري ١٣٩/١ وما بعدها.
- ومعجم المؤلفين لرضا كحالة ١١/٩.
- وفهرس الفهارس للكتاني ٢٢٤/١.
- وابن جزي وأثره في الفقه الإسلامي، الدكتور: محمد اسماعيل أبو الريش.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

منذ صباه، وتشير المصادر إلى أنه كان يملك مكتبة ضخمة متنوعة، وأنه كان عاكفًا عليها مستفيدًا منها؛ حيث تضلع من المعارف المختلفة كالقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والأصول، وأصول الدين.

وقد كان - إضافة إلى ذلك - شاعرًا أديبًا.

تولى الخطابة في ريعان شبابه بالجامع الأعظم بغرناطة، فوفق في استمالة القلوب، وتوجيه الناس بالأسلوب الحسن، والبراعة والمنطق.

وكان مشتغلًا بالعلم - تحصيلًا وتأليفًا - وبالعمل، حتى بلغ الغاية القصوى في العلم والعمل.

نسبه:

أما نسبه: فاتفق جميع المترجمين له على أنه من أقحاح(١) العرب؛ حيث إنه كلبي، نسبة إلى قبيلة بني كلب، التي يرجع نسبها إلى حمير.

أولاده: كان لابن جزي ثلاثة أبناء كلهم على درجة كبيرة من العلم والأدب. وقد قال المقري عنهم: ظاهرين بين القضاء والكتابة(٢)، وسوف نتعرض لهم عند الكلام على تلاميذه بشيء من التفصيل.

مكانته العلمية وأخلاقه:

كان رحمه الله نابغة زمانه في مختلف العلوم الإسلامية حيث كان إمامًا في التفسير والقراءات والحديث والفقه والأصول واللغة والكلام، وكان أديبًا، فاضلًا، عذب الشمائل، متواضعًا، عاكفًا على العلم، والاشتغال بالنظر، والتقييد والتدوين، والإفتاء، والجهاد، والقيام على التدريس، والمشاركة في جميع الفنون على صغر سنه.

---

(١) القح: الخالص من اللؤم (لسان العرب ٥٥٣/٢).
(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأحمد بن محمد المقري التلمساني ٥١٥/٥، دار النشر: دار صادر - بيروت - ١٣٨٨ه، تحقيق: د. إحسان عباس.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

شيوخه:

لقد أخذ ابن جزي عن جملة من العلماء، منهم:

١- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الجياني الغرناطي [ت: ٧٠٨ه] خاتمة المحدثين ورأس العلماء المقرئين(١) قال عنه ابن جزي في تفسيره هذا: ثم خُتم علم القرآن بالأندلس وسائر المغرب بشيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير، فلقد قطع عمره في خدمة القرآن وآتاه الله بسطةً في علمه، وقوة في فهمه، وله فيه تحقيق، ونظر دقيق(٢).

٢- محمد بن أحمد بن داود بن موسى اللخمي، الكماد [ت: ٧١٢ه]، من جلة الفقهاء فائقًا في الزهد والقناعة ودماثة الخلق ولين الجانب، انتهت إليه الرحلة في القراءات، محدث حافظ ثبت، من تصانيفه: الممتع في القراءات وغيره(٣).

٣- هبة الله أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد الفهري الغرناطي [ت: ٧٢١ه]، كان بحرًا في علوم الإسناد والرواية مع التمكن في الدراية، حافظ نظار رحالة متحل بالوقار متضلع من العربية واللغة والأخبار،

---

(١) انظر ترجمته في الكتب التالية: الإحاطة في أخبار غرناطة لأبي عبد الله بن سعد بن أحمد السلماني (لسان الدين ابن الخطيب) ١٨٨/١، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/بيروت - ٢٠٠٣م - ١٤٢٤ه، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. يوسف علي طويل، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ٨٩/١، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد/الهند - ١٣٩٢ه/١٩٧٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق: مراقبة/ محمد عبد المعيد ضان.

(٢) مقدمة هذا الكتاب، التسهيل لعلوم التنزيل ٢٩/١.

(٣) انظر ترجمته في: الديباج ٢٧٩/٢، غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ه)، ٦٣/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

عرف بجمع الكتب وحسن الخلق والتواضع والوقار، من مصنفاته: ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة، وترجمان التراجم، ومؤلفات أخرى(١).

٤- أبو القاسم قاسم بن عبد الله بن محمد بن الشاط الأنصاري [ت: ٧٢٣ه] مؤلف "إدرار الشروق على أنواء الفروق"، تعليق على الفروق للقرافي، وله كتب أخرى.

قيل عنه: "الإمام العالم الجليل وحيد دهره وفريد عصره الحافظ النظار، المؤلف المعروف بجودة الفكر والاختصار، والتحلي بالوقار"(٢).

٥- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الهاشمي الطنجالي المالكي [ت: ٧٢٤ه] خطيب متفق على صلاحه ورفقه بالناس وعطفه عليهم، آخذًا بسنن السلف سمتًا وهديًا وغضًا للبصر، لا يتكلم إلا بذكر الله والعلم النافع، وكان خطيبًا، مجاب الدعوة، واستسقى ذات يوم، فلم يبرحوا حتى سقوا، وتذكر عنه كرامات كثيرة(٣).

٦- أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن علي بن برطال [ت: ٧٠٩ه] قال عنه لسان الدين بن الخطيب: شيخ القضاة وبقية المجتهدين(٤).

٧- أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن الربيع القرطبي [ت: ٧١٧ه](٥).

---

(١) تنظر ترجمته في: الإحاطة لابن الخطيب ٦٠/٣.
(٢) تنظر ترجمته في: الإحاطة ٢٥٩/٤، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي ١٥٢/٢: دار الكتب العلمية - بيروت.
(٣) تنظر ترجمته في: الإحاطة ٢٤٥/٣، ونفح الطيب ٢٤٥/٣.
(٤) تنظر ترجمته في: الإحاطة ١٧٩/١ ونفح الطيب ٤٤٩/٣.
(٥) تنظر ترجمته في: الإحاطة ٢٤٥/٣ والدرر الكامنة ٤٦٢/٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٨- أبو المجد يوسف بن الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوط [ت: ٧٠٩هـ].

وسمع من مشايخ آخرين غير هؤلاء، منهم:

- أبو محمد عبد الله بن أحمد بن المؤذن، وأبو زكريا البرشاني، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري.

تلاميذه:

أما تلاميذه فأهمهم أولاده الثلاثة:

١- أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن جزي الكلبي(١)، الشاعر الفقيه القاضي الكاتب الخطيب [ت ٧٨٥هـ]، من مؤلفاته: شرح على ألفية ابن مالك، وتقييدات على القوانين الفقهية، ولما حفظ القرآن الكريم ألف له والده كتابًا في الحديث ليحفظه، وسيأتي الحديث عن الكتاب ضمن مؤلفات ابن جزي.

٢- أبو عبد الله محمد بن جزي [ت ٧٥٧هـ] الفقيه الأصولي الكاتب الأديب الشاعر والعالم بالتاريخ والحساب واللغة والنحو والبيان(٢)، نشأ بغرناطة في كنف والده، وكان يعيره العناية التامة من حيث التربية والتعليم، فقد ألف كتابه "تقريب الوصول" من أجله، قال في المقدمة: - ولذا أحببت أن يضرب ابني محمد - أسعده الله - في هذا العلم بسهمه، فصنفت هذا الكتاب برسمه، ووسمته باسمه، لينشط لدرسه وفهمه، وعولت فيه على الاختصار والتقريب، مع حسن الترتيب والتهذيب، وأبو عبد الله هذا هو الذي دون رحلة ابن بطوطة الشهيرة، وله تقييدات في الحديث، وفوائد لطيفة، وأشعار رقيقة.

٣- القاضي أبو محمد عبد الله بن جزي، إمام في اللغة والشعر، بحر في البيان والقراءات، ولم نعثر على تاريخ وفاته(٣).

---

(١) تنظر ترجمته في: الإحاطة ١٥٧/١ ونفح الطيب ٣١/٨.
(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة ٢٥٧/٢ والدرر الكامنة ٢٨٣/٤ ونفح الطيب ٤٠/٨.
(٣) انظر الإحاطة ٣٩٢/٣ ونفح الطيب ٥٤/٨.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٤- ذو الوزارتين - لسان الدين بن الخطيب [ت: ٧٧٦هـ] ألف فيه المقري كتابه نفح الطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب(١).

٥- أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن الخدامي النباهي، من أهل مالقة القاضي الفقيه الحسيب، الخطيب الكاتب [ت: ٧٩٣هـ](٢).

٦- ابن عطية المحاربي عبد الحق بن محمد الفقيه القاضي الخطيب، من كبار أعيان الأندلس وسليل بيت العلماء(٣).

٧- أبو القاسم بن الخشاب [ت ٧٧٤هـ] علامة عالم بالفقه والقراءات(٤).

٨- أبو عبد الله محمد بن قاسم بن أحمد الشديد [ت: ٧٧٦هـ](٥) تقريبًا.

وتلاميذ الإمام ابن جزي غير هؤلاء كثيرون.

مصنفاته:

١- النور المبين، في قواعد عقائد الدين(٦).

٢- المختصر البارع، في قراءة نافع(٧).

٣- أصول القراءات الستة غير نافع(٨).

---

(١) انظر الدرر الكامنة ٤٦٩/٣، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للعلامة محمد بن علي الشوكاني ٩١/٢.
(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ٥/٢ (المتوفى: ١٠٤١هـ).
(٣) انظر الإحاطة ٥٣٩/٣.
(٤) طبقات القراء لابن الجزري ٨٣/٢.
(٥) الإحاطة ١٩٦/٣ وابن جزي ومنهجه في التفسير ٢١١/١.
(٦) الديباج ٢٧٥/٢.
(٧) شجرة النور ص/٢١٣.
(٨) الديباج ٢٧٥/٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٤- الأنوار السنية في الألفاظ السنية، ألفه ابن جزي من أجل تسهيل حفظ بعض الأحاديث على ابنه أبي بكر كما قال في المقدمة: ولما يسر الله على ابني أحمد المكني أبا بكر.. حفظ القرآن الكريم أحببت أن يفوز بحظ من حفظ حديث المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فجمعت له في هذا الكتاب جملة صالحة من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم(١).

٥- التسهيل في علوم التنزيل(٢).

٦- وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم(٣).

٧- الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار(٤).

٨- تقريب الوصول إلى علم الأصول(٥).

٩- الفوائد العامة في لحن العامة(٦).

١٠- الصلاة: كتاب في الفقه والترغيب(٧).

١١- الضروري من علوم الدين(٨).

١٢- فهرسة كبيرة اشتملت على كثير من أهل المشرق والمغرب(٩).

١٢- القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية طبع عدة مرات(٩).

---

(١) الإحاطة ٢١/٣ والأعلام ٣٤٥/٣.
(٢) وهو الكتاب الذي يدور حوله هذا العمل.
(٣) الديباج ٢٧٥/٢.
(٤) الشجرة ص/٢١٣.
(٥) الديباج ٢٧٥/٢ والشجرة ص/٢١٣.
(٦) الديباج ٢٧٥/٢.
(٧) الإحاطة ٣٩٣/٣.
(٨) ابن جزي ومنهجه في التفسير ٢١٨/١.
(٩) الديباج ٢٧٥/٢ [وفي النسخة الثانية: الديباج المذهب ٢٧٥/٢ وشجرة النور الزكية ص/٢١٣].

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

شعره:

كان الإمام ابن جزي شاعرًا مجيدًا، حسن الشعر، قوي الأسلوب، وكان ينمق الشعر في الأغراض النبيلة.

له في الجناب النبوي من شعره في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم -:

أرومُ امتداحَ المصطفى ويردُّني *** قصوري عن إدراكِ تلك المناقبِ

ومن لي بحصرِ البحرِ والبحرُ زاخرٌ *** ومن لي بإحصاءِ الحصى والكواكبِ

ولو أنّ أعضائي غدت ألسنًا *** إذًا لما بلغتْ في المدحِ بعضَ مآربي

ولو أنّ كلَّ العالمين تسابقوا *** إلى مدحِه لم يبلغوا بعضَ واجبِ

فأمسكتُ عنه هيبةً وتأدبًا *** وعجزًا وإعظامًا لأرفعِ جانبِ

وربَّ سكوتٍ كان فيه بلاغةٌ *** وربَّ كلامٍ فيه عتبٌ لعاتبِ

وله في مناجاة العزيز الغفار:

يا ربِّ إنّ ذنوبيَ اليومَ قد كثُرتْ *** فما أُطيقُ لها حصرًا ولا عددا

وليس لي بعذابِ النارِ من قِبَلٍ *** ولا أُطيقُ لها صبرًا ولا جَلَدا

فانظرْ إلهي إلى ضعفي ومسكنتي *** ولا تُذقني حرَّ الجحيمِ غدا

ومن شعره أيضًا قوله:

وكم من صفحةٍ كالشمسِ تبدو *** فيُسلي حسنُها قلبَ الحزينِ

غضضتُ الطرفَ عن نظري إليها *** محافظةً على عرضي وديني

ومن نظمه أيضًا:

أيا من كففتُ النفسَ عنه تعففًا *** وفي النفسِ من شوقي إليه لهيبُ

ألا إنما صبري كصبرٍ وإنما *** على النفسِ من تقوى الإلهِ رقيبُ(١)

وكذا قوله:

لكلِّ بني الدنيا مُرادٌ ومقصدٌ *** وإنّ مُرادي صحةٌ وفراغُ

لأبلغَ في علمِ الشريعةِ مبلغًا *** يكونُ به لي في الجِنانِ بلاغُ

---

(١) نفح الطيب ٥١٧/٥.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ففي مثلِ هذا فلْينافسْ أولو النُّهى *** وحسبي من الدنيا الغرورِ بلاغُ

فما الفوزُ إلا في نعيمٍ مؤبدٍ *** به العيشُ رغدٌ والشرابُ يُساغُ

وفاته:

توفي - رحمه الله تعالى - يوم الاثنين، السابع من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ٧٤١ه في موقعة (طريف)(١) مع النصارى، حيث فُقد وهو يُحرّض المؤمنين ويشحذ هممهم، وقد حقق الله له أمنية طالما تمناها، وهي الشهادة في سبيل الله، وقد عاش المؤلف ٤٨ سنة فقط، ولكن الله جعل له البركة في عمره، فعمل أعمال المعمرين، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة(٢).

ثناء العلماء عليه:

ولقد أثنى كثير من العلماء على ابن جزي، فقد قال فيه ابن فرحون في الديباج المذهب: من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباهة فيها، كان - رحمه الله تعالى - على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاشتغال بالنظر، والتقييد والتدوين، فقيهًا قائمًا على التدريس، مشاركًا في فنون شتى، من عربية

---

(١) موقعة شهيرة وقعت بين المسلمين والنصارى، وطريف تقع في جنوب إسبانيا في المثلث الذي في رأسه جبل طارق، سميت باسم طريف بن مالك أول قائد مسلم عبر البحر إلى إسبانيا أرسله موسى بن نصير قبل طارق بن زياد - ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ٣٥/١.

(٢) أفدت في هذه الترجمة بشكل مباشر من مقدمة كتاب "التسهيل لعلوم التنزيل للإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي المولود سنة: ٦٩٣ه، ت: ٧٤١ه رحمه الله. تحقيق ودراسة الدكتور/ محمد بن سيدي محمد بن مولاي أستاذ بالمعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية - موريتانيا" (حصلت عليها من موقع www.ahlalhdeeth.com/vb/attachment.php على شبكة الإنترنت). وقد تأكدت من المعلومات التي جاءت بها من خلال الرجوع إلى المصادر الأصلية، والمقارنة بين ما ذكره في هذه الترجمة وما ذكر غيره.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وأصول وقراءات، وحديث وأدب، حافظًا للتفسير، مستوعبًا للأقوال، جماعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس ممتع المحاضرة صحيح الباطن، خطيبًا مفوهًا في المسجد الأعظم بغرناطة، تولى الخطابة في سن مبكرة من عمره، فاتفق على فضله جرى على سنن أصالته(١).

وقال فيه الحضرمي: كان رجلًا ذا مروءة كاملة، حافظًا متقنًا، ذا أخلاق فاضلة، وديانة وعفة وطهارة، وشهرته دينًا وعلمًا أغنت عن التعريف به(٢).

وقال عنه محمد مخلوف في شجرة النور الزكية: من ذوي الأصالة والوجاهة والنباهة، والعدالة، الإمام الحافظ العمدة المتفنن(٣).

وقد جرت عادة بعض الباحثين بالتعرض لعصر المؤلف صاحب العمل بما في ذلك: الحالة السياسية، والاجتماعية، والعلمية.

ونظرًا لكون الإمام ابن جزي قد كتب عنه الدكتور الزبيري في هذا الموضوع ما يكفي، فإنني اقتصرت على هذا القدر(٤) سائلًا الله تعالى أن يجمعنا به في الجنة.

---

(١) الديباج المذهب ٢/٢٧٤.
(٢) نيل الابتهاج، أحمد بابا التنبكتي ص/٢٣٩.
(٣) شجرة النور الزكية ص/٢١٣.
(٤) وللمزيد ينظر: ابن جزي ومنهجه في التفسير للدكتور علي الزبيري، ففيه دراسة مستفيضة عن هذا العلم المتميز وعن حالة عصره السياسية والاجتماعية والعلمية إلى غير ذلك، والإمام ابن جزي الكلبي وجهوده في التفسير من خلال التسهيل لعلوم التنزيل للأستاذ/ عبد الحميد محمد ندا.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

منهجه في التفسير:

لقد أوضح ابن جزي منهجه في مقدمة كتابه التسهيل، وحاول أن يرسم صورة لعمله في التأليف المبارك فقال(١):

قصدت به أربع مقاصد، تتضمن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلًا على الطالبين وتقريبًا على الراغبين..

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة وفوائد غريبة.....

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات إما بحل العقد المقفلات...

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين ثم بين مراتبهم.....إلخ

وقد نجح ابن جزي إلى حد كبير في تطبيق منهجه في الكتاب على هذا النحو، فهو ملتزم بما ألزم به نفسه من الإيجاز وعدم التطويل.

غير أنه في بعض الحالات النادرة القليلة يأتي بما يعتبر إخلالًا بهذا المنهج.

فمن ذلك مثلًا: أنه أطال الكلام في بعض الحالات بشكل كبير، فعند تفسيره لقول الله تعالى في سورة الأعراف: الذين يتبعون الرسول النبي الأمي(٢)، أطال جدًا(٣).

وكذا عند تفسيره لقوله تعالى: وشاهد ومشهود(٤)، حيث ذكر ستة عشر قولًا، لا داعي لذكر أكثرها(٥).

---

(١) ينظر التسهيل ١/٣٠.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧.
(٣) التسهيل ٢/٤٧-٥٠.
(٤) البروج الآية: ٣.
(٥) التسهيل ٤/١٨٧.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وعند تفسيره لقوله تعالى: وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب(١) ذكر عندها قصصًا واهية، مع أنه صدرها بقوله: ونحن نذكر من ذلك ما هو أشهر وأقرب إلى تنزيه داود عليه السلام(٢).

ومما يؤخذ عليه أيضًا مروره ببعض الموضوعات التي كثر فيها الجدل وتشعب الخلاف واختلط فيها الخطأ بالصواب ولم يبد رأيه فيها وذلك مثل تعيين الذبيح في قوله تعالى: فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين(٣)،(٤).

وفي أسباب النزول ذكر الصحيح، وقد يذكر غير الصحيح.

الطريقة التي اتبعها في التفسير:

أما الطريقة التي اتبعها في التفسير فهي كالتالي:

لم يفسر القرآن كله وإنما يختار الكلمات التي تحتاج إلى تفسير ويترك الباقي إما لأنه قد فسر آيات شبيهة بها، أو لأنه يرى أنها من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى تفسير، ويميل إلى الاختصار بقدر الإمكان مع التلخيص والجمع للأقوال، لهذا هو يبتعد عن الاسترسال في القصص ويشير إليها إشارة، ولم يستطرد في الشواهد النحوية ولم يستوف القراءات، ولم يستطرد في فروع الفقه، ولم يسر على طريقة واحدة في التفسير، فنجده مرة يقدم تفسير المفردات وقد يقدم سبب النزول ومرة يقدم المعنى العام ومرة يبدأ بذكر الإعراب ومرة يذكر الاشتقاق وهكذا.

---

(١) سورة ص الآية: ٢١.
(٢) التسهيل ٣/١٨١.
(٣) الصافات الآية: ١٠١، ١٠٢.
(٤) التسهيل ٣/١٧٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ومما هو جدير بالذكر كثرة ورود السؤال والجواب في تفسير ابن جزي، وغالبًا ما يكون ذلك دفعًا لإشكال، أو إيضاحًا لغموض، أو إبرازًا لنكتة في السياق، أو لطيفة في المعنى(١).

وقد استهل ابن جزي كتابه بمقدمة أوضح فيها منهجه بشكل لا لبس فيه، ثم أتبعها بمقدمتين مفيدتين:

إحداهما: تضمنت أبوابًا متنوعة متعلقة بالقرآن.

والثانية: في تفسير معاني اللغات.

وبالعموم فإن منهج ابن جزي في جميع كتبه التي بأيدينا؛ كالقوانين الفقهية، والتسهيل، منهج فريد في الجمع والعرض والتنسيق والتبويب، والوضوح؛ فهذه الكتب صالحة لأن توضع كمناهج دراسية(٢).

مصادره:

لقد أورد ابن جزي في مقدمته بابًا خاصًا بذكر المفسرين وطبقاتهم ابتداء بعهد الصحابة وانتهاء بشيخه أبي جعفر بن الزبير.

ويظهر للمتتبع أنه اعتمد بشكل أكبر على تفسيرين، هما:

المحرر الوجيز لابن عطية، والكشاف للزمخشري، وأرى أن تفسير ابن عطية هو أهم مرجع له، فقد قال عنه: كتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسنُ العبارة مسددُ النظر محافظٌ على السنة(٣)، وقد تأثر به كثيرًا من بداية الكتاب إلى

---

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير ٣٤٧/١ - بتصرف يسير -، ولقد رأيته موفقًا في هذا العرض ومستقصيًا للجوانب المتعلقة بهذا المنهج من غير إخلال - وأرى أن كل زيادة على ما ذكر إسهاب بلا داع - والله أعلم.
(٢) ينظر ابن جزي ومنهجه في التفسير، للزبيري ٢٦٩/١.
(٣) التسهيل ١/١٠.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

نهايته، وربما يتكرر ذكره في الصفحة الواحدة، وذلك التأثر ظاهر في مجالات عدة؛ كالتفسير بالمأثور واللغة والعقائد...

كما تأثر بالكشاف للزمخشري، ونقل عنه نقولات كثيرة واستفاد منه واصطحبه من بداية الكتاب إلى نهايته، وخاصة في الإعراب واللغة والبلاغة، كما تأثر به في طريقة العرض وإيراد السؤال والجواب، وقد يقارن بين الاثنين ويرجح بينهما في بعض الأحيان مع رده عليه أحيانًا والخروج عن رأيه إلى آخر(١).

وقد استفاد من السهيلي كثيرًا في مبهمات القرآن، وذلك في كتابه: (التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام).

وقد اعتمد على مراجع أخرى من كتب التفسير، كتفسير مجاهد، والطبري، والنقاش، والماوردي، ومكي بن أبي طالب. وذكر في مقدمته تفسير الرازي والغزنوي، واستفاد من كتب القراءات؛ ككتب الداني، ومكي بن أبي طالب، والمهدوي، وغيرهم. واستفاد من كتب السنة، والفقه، وكتب السيرة، وغير ذلك(٢).

وأختم بما لمسته من منهجه الدعوي في تفسيره حيث كان لقدرته العالية على الخطابة واستمالة قلوب الناس ما ترك بصمة هامة في تفسيره.

وأكتفي للاستشهاد على ذلك بمثالين:

أولهما: ما قاله رحمه الله عند تفسير قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم

---

(١) ومن ذلك قوله: وقال الزمخشري: لم يكن ابنه ولكنه خانته أمه وكان لغير رشده وهذا ضعيف لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم ولقوله ونادى نوح ابنه (التسهيل ٢/١٠٥).
(٢) انظر ابن جزي ومنهجه في التفسير، للزبيري ٢٦٩/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين(١).

واعلم أن الناس في التوكل على ثلاثة مراتب:

الأولى: أن يعتمد العبد على ربه كاعتماد الإنسان على وكيله المأمون عنده الذي لا يشك في نصيحته له وقيامه بمصالحه.

والثانية: أن يكون العبد مع ربه كالطفل مع أمه فإنه لا يعرف سواها ولا يلجأ إلا إليها.

والثالثة: أن يكون العبد مع ربه كالميت بين يدي الغاسل قد أسلم نفسه إليه بالكلية.

فصاحب الدرجة الأولى له حظ من النظر لنفسه بخلاف صاحب الثانية، وصاحب الثانية له حظ من المراد والاختيار بخلاف صاحب الثالثة، وهذه الدرجات مبنية على التوحيد الخالص(٢).

ثانيهما: ما قاله رحمه الله عند تفسير قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(٣):

درجات التقوى خمس:

أن يتقي العبد الكفر وذلك مقام الإسلام.

وأن يتقي المعاصي والحرمات وهو مقام التوبة.

وأن يتقي الشبهات وهو مقام الورع.

وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد.

وأن يتقي حضور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة(٤).

وأمثلة ذلك في التفسير كثيرة.

---

(١) سورة آل عمران الآية (١٥٩).
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٢١.
(٣) سورة البقرة الآية (٢).
(٤) التسهيل ١/٣٥.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الفصل الأول: قواعد الترجيح عند الإمام ابن جزي

ويشتمل على ما يلي:

تمهيد.

البحث الأول: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني.

البحث الثاني: قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة النبوية.

البحث الثالث: قواعد الترجيح المتعلقة بالآثار.

البحث الرابع: قواعد الترجيح المتعلقة باستعمال العرب للألفاظ والمباني.

البحث الخامس: تقويم لقواعد الترجيح عند الإمام ابن جزي.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

التعريف بمصطلحات أساسية في موضوع قواعد الترجيح(١):

أولًا: تعريف القاعدة:

القاعدة لغة: (أصل الأُسّ)، وجمعها قواعد، وهي الأساس، وقواعد البيت أساسه، وفي التنزيل: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل(٢)، وفيه أيضًا: فأتى الله بنيانهم من القواعد(٣) والقواعد أساطين البناء التي تعمده.

قال أبو عبيد في بيانه لغريب قوله - صلى الله عليه وسلم - حين سأل عن سحائب مرت فقال: "كيف ترون قواعدها"(٤): القواعد هي أصولها المعترضة في آفاق السماء

---

(١) هذا المطلب مستفاد من كتاب (قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية) للدكتور/ حسين بن علي الحربي، راجعه وقدم له الشيخ مناع القطان.

(٢) سورة البقرة (آية ١٢٧).

(٣) سورة النحل (آية ٢٦).

(٤) ونص الحديث بتمامه: عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن جده قال: (بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أصحابه، إذ نشأت سحابة فقيل: هذه سحابة ناشئة، فقال كيف ترون قواعدها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد تمكنها، قال: كيف ترون رحاها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد استدارتها، فقال: كيف ترون جونها؟ قالوا: ما أحسنه وأشد سواده، فقال: فكيف ترون بواسقها؟ قالوا: ما أحسنها وأشد استقامتها، قال: فكيف ترون برقها؟ أوميضًا، أم خفيًا، أم يشق شقًا؟ قالوا: بل يشق شقًا، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: هذا الحيا، فقالوا: يا نبي الله ما رأينا الذي هو أفصح منك، فقال: وما يمنعني؟ وإنما أنزل القرآن بلساني - لسان عربي مبين - وإني من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر).

أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٢٨١٨) تحقيق/ أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الرياض، ١٤١٧ه، الأولى - ١٩٩٧م.

وأورده السيوطي في جامع الأحاديث ١٨/٤١٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وأحسبها مشبهة بقواعد البيت، وهي حيطانه، والواحد منها: قاعدة(١).

وقال ابن الأثير: أراد بالقواعد ما اعترض منها وسفل تشبيهًا بقواعد البناء(٢).

ويقال للفسيلة إذا صار لها جذع: قد قعدت، وفي أرض فلان من القاعد كذا وكذا أصلًا(٣).

"القاعدة اصطلاحًا": عرفت بتعاريف كثيرة:

فقيل: الأمر الكلي الذي ينطبق على جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منه(٤).

يقول الدكتور/ الحربي (فقيل أمر كلي..، ولم يقل أغلبي، لأن شأن القواعد أن تكون كلية، وإن الفرع أو الفروع المخرجة منها ليست داخلة فيها، إذ هي كلية بالنسبة إلى غير تلك الفروع المخرجة منها، فالدليل الذي أخرج هذا الفرع أو الفروع منها، خصصها بما وراءه من فروع)(٥).

وعلى ذلك (فالجزئيات المتخلفة قد يكون تخلفها لحكم خارجة عن مقتضى الكلي فلا تكون داخلة تحته أصلًا)(٦).

وعرفت القاعدة - أيضًا - بأنها: حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته(٧).

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣/١٠٤).
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين بن الأثير الجزري (٤/٧٦).
(٣) ينظر لسان العرب (٥/٣٦٨٩)، وتهذيب اللغة (٣/٣٠٠٤)، ومعجم مقاييس اللغة (٥/١٠٩).
(٤) ينظر: شرح الكوكب المنير (١/٣٠).
(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣٧).
(٦) ينظر: الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي (٢/٥٣)، تعليق: د/ عبد الله دراز.
(٧) ينظر: المدخل الفقهي العام للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا (٢/٩٤٦).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والفارق بين كون القاعدة أمرًا كليًا أو أغلبيًا - كما يقول الدكتور الحربي - (فارق صوري، إذ كل منهما يقرر أن لكل قاعدة مستثنيات لا تدخل تحت حكم القاعدة.

فمن جعل حكم القاعدة كليًا، نظر إلى الجزئيات المخرجة من القاعدة على أنها لا تدخل تحت القاعدة أصلًا، فجعل حكمها كليًا باعتبار ما بقي تحت حكمها من جزئيات.

ومن جعل حكمها أغلبيًا اعتبر الجزئيات المخرجة على أنها تحت صورة القاعدة أصلًا، وإنما أخرجت بدليل، فصار حكم القاعدة منتفيًا عنها، مع كونها كانت من جزئيات القاعدة وبما أن هذه الجزئيات المخرجة قليلة بالنسبة لما يندرج تحت القاعدة من جزئيات صار حكم القاعدة أغلبيًا.

ولعل التعريف الثاني - حكم أغلبي ينطبق على معظم الجزئيات - أقرب إلى الناحية الواقعية في الصورة المختلف عليها، وهي الجزئيات المستثناه، فهي في الأصل تدخل تحت القاعدة وإنما خرجت لاعتبار معين) (١).

ثانيًا: تعريف الترجيح: الترجيح في اللغة، مصدر رجح، ويدل على الرزانة والزيادة، يقال: رجح الشيء وهو راجح إذا رزن، كما يدل على الثقل، يقال: وأرجح الميزان أي أثقله حتى مال(٢).

وفي الاصطلاح الأصولي عرف بتعاريف كثيرة، أنقل أوجزها عبارة

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣٨).
(٢) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٢/٤٨٩)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الجيل - بيروت - الأولى ١٤١١ه - ١٩٩١م. ولسان العرب (٣/١٥٨٦)، وتهذيب اللغة (٢/١٣٦٤).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وهو: "تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى لدليل"(١).

هذا فيما يتعلق بالخلاف الأصولي، أما الخلاف التفسيري فللترجيح فيه تعريف خاص، يقول الدكتور حسين الحربي "وفي موضوعي هذا: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقوية، أو لتضعيف أو رد ما سواه فقولي "لتضعيف أو رد ما سواه" لأنه إذا ضعف غيره من الأقوال صار ذلك حصرًا للصواب فيه، وهذا من أوجه الترجيح(٢).

ثالثًا: تعريف المركب الإضافي "قواعد الترجيح":

قواعد الترجيح عند المفسرين هي:

(ضوابط وأمور أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله - عز وجل -)

قال د/ الحربي في رسالته قواعد الترجيح عند المفسرين:

قلت: (ضوابط وأمور) باعتبار عدم التفريق بين القاعدة والضابط.

وقلت (أغلبية) باعتبار أن القاعدة أغلبية لا كلية.

وقلت: (يتوصل بها إلى معرفة الراجح) خرج به القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام، وغيرها، فالترجيح لا استنباط فيه من الآية، وإنما هو نظر في الأقوال المستنبطة من الآية، للترجيح بينها من خلال هذه القواعد.

وقولي: (من الأقوال المختلفة) خرج به ما كان موضع وفاق بين العلماء، فلا مجال للترجيح فيه، وهو ما يعرف بالإجماع. وقولي: (في

---

(١) شرح الكوكب المنير (٤/٦١٦) لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار. والتعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الإسلامي للدكتور محمد ابراهيم الحفناوي (ص ٢٧٩).
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (١/٣٥).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

تفسير كتاب الله) خرج به الترجيح في غيره من العلوم، كالفقه والنحو وغيرها)(١).

رابعًا: موضوع القواعد الترجيحية:

موضوعها: أقوال المفسرين المختلفة في كتاب الله تعالى.

خامسًا: غايتها: غاية العلم بقواعد الترجيح هي:

معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير القرآن الكريم، ويتبع ذلك العمل بها اعتقادًا بالجنان، وعملًا بالجوارح، وسلوكًا وأدبًا في المعاملة.

كما أن غاية هذا العلم تمتد إلى تصفية التراث التفسيري من الدخيل فيه، من أقوال شاذة، أو ضعيفة، أو مستمدة من عقيدة مبتدعة كالرفض أو الاعتزال.

سادسًا: استمدادها: من أصول الدين، ومن لغة العرب، وأصول الفقه، والقواعد الفقهية، وعلوم الحديث وعلوم القرآن، واستقراء ترجيحات أئمة التفسير)(٢).

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح للدكتور الحربي (١/٣٩).
(٢) ينظر: قواعد الترجيح (١/٤٠).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الأول: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني.

القاعدة الأولى: (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك):

توضيحها: إذا تنازع المفسرون في معنى آية من كتاب الله عز وجل، فأولى الأقوال بالصحة والرجحان ما تأيد بآية أخرى، وذلك لأن القرآن يفسر بعضه بعضًا، فما شهد له القرآن فهو الأولى والأرجح، وما ضعف بآيات أخرى فهو المرجوح.

فإن تأيد كل قول بآية أو آيات خرج الترجيح بينها عن هذه القاعدة ويطلب من قواعد أخرى.

وذلك مثل نزاع العلماء في قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء(١)، حيث اختلفوا في المراد بالقرء، هل هي الحيضات أو الأطهار؟ فالذين قالوا أيدوا تفسيرهم هذا بقول الله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن(٢)، قالوا فترتيب العدة بالأشهر على عدم الحيض يدل على أن أصل العدة بالحيض، والأشهر بدل من الحيضات عند عدمها. وبقوله ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن(٣)، والذي خلق الله في أرحامهن الولد أو الحيض.

---

(١) سورة البقرة (آية/٢٢٨).
(٢) سورة الطلاق (آية/٤).
(٣) سورة البقرة (آية/٢٢٨).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وأما الذين قالوا هي الأطهار فأيدوا تفسيرهم هذا بقول الله تعالى: فطلقوهن لعدتهن(١)، قالوا: عدتهن المأمور بطلاقهن لها، الطهر لا الحيض كما هو صريح الآية(٢).

من ذلك نعلم أن القول الذي تأيد بآية أو آيات أخرى مقدم - عند الترجيح - على ما عدم ذلك، وإذا تأيد كل قول بآية أو آيات فإن الترجيح بين هذه الأقوال يطلب من قواعد أخرى غير هذه القاعدة.

وأول من فسر القرآن بالقرآن المصطفى - صلى الله عليه وسلم -، حيث فسر الظلم المذكور في قوله تعالى: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم(٣) بالشرك اعتمادًا على قوله تعالى: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم(٤).

وهذا مروي في الصحيحين أنه: لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم(٥)، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم(٦)

---

(١) سورة الطلاق (آية/١).
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي (١/٢١٢)، وقواعد الترجيح (١/٣١٢).
(٣) سورة الأنعام (آية/٨٢).
(٤) سورة لقمان (آية/١٣).
(٥) سورة الأنعام (آية/٨٢).
(٦) سورة لقمان (آية/١٣)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه - ك: التفسير، باب قول الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله إلى قوله إن الله لا يحب كل مختال فخور (٣/١٢٦٢) برقم ٣٢٤٦، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه - (١/١١٤) برقم (١٢٤).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بالقرآن، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله ومراده من الله تبارك وتعالى(١).

ولقد اعتمد الإمام ابن جزي رحمه الله على هذه القاعدة في كثير من ترجيحاته، فإذا تأيد قول بآية من كتاب الله كان هو الأولى والأرجح عنده.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسيره قول الله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدًا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين(٢)

قال رحمه الله: اختلفوا في أكل آدم من الشجرة، فالأظهر: أنه كان على وجه النسيان لقوله تعالى: ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا(٣)

وقيل: سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر.

وقيل: أكل عمدًا وهي معصية صغرى وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر.

وقيل: تأول آدم أن النهي كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها وقيل لما حلف له إبليس صدقه لأنه ظن أنه لا يحلف أحد كذبًا(٤).

ومن أمثلته أيضًا قوله رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله

---

(١) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي (١/٦٧)، وأصول التفسير وقواعده لخالد بن عبد الرحمن العك (ص ٧٩).
(٢) سورة البقرة آية: (٣٥).
(٣) سورة طه آية: (١١٥).
(٤) التسهيل ١/٤٤، ٤٥.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

إن كنتم صادقين(١).

قال رحمه الله: إن الضمير في قوله (من مثله.....) عائد على ما أنزلنا وهو القرآن ومن لبيان الجنس وقيل: يعود على النبي صلى الله عليه وسلم فمن على هذا لابتداء الغاية من بشر مثله والأول أرجح لتعيينه في يونس وهود وبمعنى مثله في فصاحته وفيما تضمنه من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة(٢).

القاعدة الثانية: "يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة".

توضيح القاعدة: الأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة، ولا ينقل إلى المجاز إلا إذا امتنع حمله على الحقيقة، ودلت على ذلك الأدلة والقرائن.

تعريف الحقيقة والمجاز:

الحقيقة في اللغة مأخوذة من قولهم: حق الشيء إذا وجب، واشتقاقه من الشيء المحقق وهو المحكم، نقول ثوب محقق النسج: أي محكمه(٣).

وفي اصطلاح الأصوليين هي: كل لفظ بقي على موضعه ولم ينقل إلى غيره(٤).

أما المجاز فهو: استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة بينهما مع قرينة صارفة عن المعنى الحقيقي(٥).

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٣).
(٢) التسهيل ١/٤١.
(٣) ينظر: لسان العرب (٢/٩٤٢)، وتهذيب اللغة (١/٨٧٧).
(٤) ينظر شرح الكوكب المنير (١/١٤٩).
(٥) ينظر مذكرة في أصول الفقه للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ص ٢١٠).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وعلى ذلك فإذا تنازع المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى، فمنهم من يحمل ألفاظها على حقائقها، ومنهم من يدعي عليها المجاز، ويحملها على معان مخالفة لما تدل عليه حقائقها.

فقول من حملها على الحقيقة أولى وأصوب ممن حملها على المجاز.

أما من ادعى صرف شيء من ألفاظها عن حقيقته إلى مجازه لم يستدل ذلك إلا بعد أربع مقدمات:

أحدها: بيان امتناع إرادة الحقيقة، وصحة ذلك.

الثاني: بيان صلاحية اللفظ لذلك المعنى الذي عينه وإلا كان مفترىًا على اللغة.

الثالث: الجواب عن الدليل الموجب لإرادة الحقيقة.

الرابع: أن تكون القرينة تصلح لنقلها عن حقيقتها إلى مجازها(١).

ولقد اعتمد الإمام ابن جزي هذه القاعدة ضمن القواعد التي اعتمد عليها في ترجيحاته فقال رحمه الله: تقديم الحقيقة على المجاز فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين(٢).

القاعدة الثالثة: (يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص)

توضيح القاعدة: يجب حمل نصوص الوحي إذا كانت عامة على عموم ألفاظها، ولا يجوز قصرها على بعض أفراد العموم، وإذا اختلفت أنظار المفسرين في تفسير آية كريمة، فمنهم من يحملها على العموم، ومنهم من يخصصها بشيء دون شيء، فالأرجح في هذه الحالة هو حملها على العموم، ما لم يرد نص بالتخصيص، ومتى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها، ولا معارض له، وتشهد

---

(١) ينظر قواعد الترجيح للحربي (٢/٣٨٧).
(٢) التسهيل ١/٩.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأدلة لصحته، فهو الأولى بتفسير الآية حملًا لها على عموم ألفاظها، ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في تفسيرها عن السلف أو غيرهم، ولا داعي لقصرها على أفراد نزلت فيهم الآية مثلًا، إلا إذا قامت الأدلة القاطعة على تخصيصها حتمًا(١).

وهذه القاعدة الجليلة قد اعتمدها الإمام ابن جزي منهجًا وجعلها ضمن القواعد التي اعتمدها في تفسيره فقال: "تقديم العمومي على الخصوصي فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص"(٢)، ورجح كثيرًا من آرائه بناء عليها.

القاعدة الرابعة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب):

توضيحها: قد تنزل الآية الكريمة بألفاظ عامة في سبب خاص، وهنا ينجم الخلاف، هل الآية خاصة فيمن نزلت فيهم؟ أم أنها على عموم ألفاظها فتشمل كل من صدقت عليه؟ القول الأصوب أن الآية تحمل على عموم ألفاظها ولا تقتصر على سبب نزولها، بل تتعداه إلى غيره مما ينطبق عليه لفظ الآية، ما لم يدل دليل على تخصيص عموم اللفظ، وما لم تكن هناك قرينة تدل على التعميم، فإن كانت، فالقول بالتعميم ظاهر كل الظهور، بل لا ينبغي أن يكون في التعميم خلاف(٣).

وهذه القاعدة أخذ بها العلماء من جيل الصحابة والتابعين، فها هو حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما يقول في معرض تفسيره

---

(١) ينظر قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل (ص ٥٩) للأستاذ/ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، وقواعد الترجيح عند المفسرين للدكتور/ حسين بن علي الحربي (٢/٥٢٧).
(٢) التسهيل ١/٩.
(٣) ينظر البحر المحيط في أصول الفقه: لبدر الدين الزركشي (٣/١٩٨) تحقيق/ عبد القادر عبد الله العاني وآخرون، وقواعد الترجيح (٢/٥٤٥).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين(١): يعني المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم(٢).

وكذلك الصحابي الجليل كعب بن عجرة(٣) رضي الله عنه أنه سئل عن الفدية، فقال: نزلت فيّ خاصة، وهي لكم عامة..(٤).

وتابع العلماء الصحابة رضي الله عنهم على الأخذ بهذه القاعدة، وهي قاعدة أصولية مشهورة أخذ بها جمهور الأصوليين.

ولقد علق الشوكاني رحمه الله على مذهب الجمهور فيها قائلًا: "وهذا هو الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، لأن التعبد للعباد إنما هو باللفظ الوارد عن الشارع، وهو عام، وورود على سؤال خاص لا يصلح قرينة لقصره على ذلك السبب، ومن ادعى أنه يصلح لذلك فليأت بدليل تقوم به الحجة، ولم يأت أحد من القائلين بالقصر على السبب بشيء يصلح لذلك، وإذا ورد في بعض المواطن ما يقتضي قصر ذلك العام الوارد فيه على سببه لم يجاوز به محله بل يقصر عليه، ولا جامع بين الذي ورد فيه بدليل يخصه، وبين سائر العمومات الواردة على أسباب خاصة حتى يكون ذلك الدليل في ذلك الموطن شاملًا لها"(٥).

---

(١) سورة البقرة (آية/٨).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري (١/١٤٩).

(٣) هو كعب بن عجرة بن أمية بن عدي، حليف الأنصار، روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعن عمر، وشهد عمرة الحديبية، نزلت فيه قصة الفدية، وقطعت يده في بعض المغازي، توفي سنة ٥١ه بالمدينة. (ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٢٩٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب المحصر، باب الإطعام في الفدية نصف صاع (١/٣١٢)، وأخرجه مسلم في الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، ووجوب الفدية لحلقه، وبيان قدرها (٢/٨٥٩) رقم (١٢٠١).

(٥) ينظر إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام الشوكاني (١/٤٨٦)، تحقيق = د/ شعبان محمد إسماعيل.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وهذا ما قرره الإمام ابن جزي واعتمده في تفسيره فقدم عموم اللفظ على خصوص السبب، في كثير من المواطن في تفسيره التسهيل ومن ذلك:

قوله رحمه الله عند تفسيره صدر سورة محمد "الذين كفروا يعني كفار قريش وعموم اللفظ يعم كل كافر كما أن قوله بعد هذا والذين آمنوا يعني الصحابة وعموم اللفظ يصلح لكل مؤمن"(١).

القاعدة الخامسة: (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه)

توضيح القاعدة: الأصل في نصوص الوحي - القرآن والسنة - أن تحمل على ظواهرها اللائقة بالسياق والأحوال، فيجب تفسيرها على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ بحسب السياق والقرائن والأحوال، ولا يجوز أن يعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا إذا دل الدليل على وجوب العدول عنه.

والمراد ب(الظاهر) ما تبادر إلى الأذهان من المعاني، وأنه ليس لها معنى باطن يخالف ظاهرها، وهذا يختلف باختلاف السياق، فالكلمة في سياق تؤدي معنى، وفي سياق آخر يكون لها معنى آخر(٢).

يقول الشافعي رحمه الله في معرض حديثه عن السنة مقررًا هذه القاعدة: "فكل كلام كان عامًا ظاهرًا في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم -، فهو على ظهوره وعمومه حتى يعلم حديث ثابت عن رسول الله - بأبي هو وأمي - يدل على أنه إنما أريد بالجملة العامة في الظاهر بعض الجملة دون بعض"(٣).

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٤٥.
(٢) ينظر مجموع الفتاوى للإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦/٣٥٦).
(٣) ينظر الرسالة (ص ٣٤١).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وعلى ذلك فلا يجوز - بحال - العدول عما دل عليه ظاهر القرآن الكريم إلى غيره إلا بدليل يجب الرجوع إليه، وهذا الدليل إما أن يكون عقليًا أو نقليًا(١).

أما الدليل العقلي: فهو الذي يعلم به كل أحد المراد، وأن الظاهر غير المراد، وذلك كقوله تعالى: وأوتيت من كل شيء(٢) فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها(٣).

وكذلك قوله تعالى: تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم(٤)

فإن العاقل يعلم أنها ما دمرت إلا ما أمرت بتدميره، بدليل أنها لم تدمر أشياء كثيرة، مثل السموات والأرض والجبال، والصالحين الذين نجاهم الله تعالى مع نبي الله هود عليه السلام.

والدليل النقلي (الكتاب والسنة) قد يدلنا على أن المراد من الآية غير ما يتبادر إلى الأذهان:

مثال ما صرفت فيه الآية عن ظاهرها بدليل قرآني:

قوله تعالى: الطلاق مرتان(٥) فإن ظاهره المتبادر منه أن الطلاق كله محصور في المرتين، ولكنه تعالى بيّن أن المراد بالمحصور هو

---

(١) لا أقصد بتقديم ذكر الدليل العقلي على النقلي هنا أنني أومن بأن النقلي الثابت قد يرد إذا لم يستساغ عقلًا، وإنما قصدت بذلك أن العقل وسيلة تلقي النقل وفهمه وتطبيقه، فهو من باب تقديم الوسيلة على الغاية - والله أعلم -.
(٢) سورة النمل (آية/٢٣).
(٣) قواعد الترجيح للدكتور الحربي (١/١٣٩).
(٤) سورة الأحقاف (آية/٢٥).
(٥) سورة البقرة (آية/٢٢٩).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

المرتين خصوص الطلاق الذي تملك بعده الرجعة بقوله تعالى: فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره(١)

كذلك قوله تعالى: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده(٢)

فإن المتبادر من مفهوم الغاية أنه إذا بلغ أشده، فلا مانع من قربان ماله بغير التي هي أحسن، ولكنه تعالى بيّن أن المراد بالغاية أنه إن بلغها لا يدفع إليه، إن أونس منه الرشد، وذلك في قوله تعالى: حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدًا فادفعوا إليهم أموالهم(٣)

مثال ما صرفت فيه الآية عن ظاهرها بدليل من السنة:

قوله تعالى بعد ذكر المحرمات وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين(٤)

أخبر سبحانه في هذه الآية أن ما وراء المحرمات المذكورات في الآية السابقة حلال، وظاهره العموم، ويدخل تحت هذا العموم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها، والجمع بينهما، ولكن النبي - صلى الله عليه وسلم - بيّن أن الظاهر المتبادر من هذه الآية غير مراد في نكاح المرأة على عمتها أو خالتها بقوله - صلى الله عليه وسلم - "لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها"(٥)

---

(١) سورة البقرة (آية/٢٣٠)، وينظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (١/٧٥)، وقواعد الترجيح للدكتور/ حسين الحربي (١/١٦٩).
(٢) سورة الأنعام (آية/١٥٢)، وسورة الإسراء (آية/٣٤).
(٣) سورة النساء (آية/٦)، وينظر أضواء البيان (١/٧٥)، وقواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٧٠).
(٤) سورة النساء (آية/٢٤).
(٥) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها (٣/٢٤٥)، وأخرجه... [تتمة التخريج في الصفحة التالية للنطاق المصوَّر].
ملاحظات التفريغ:
١- هذا تفريغ للمادة المطبوعة فقط من الصفحات (١-٤٠) ومعها صفحة العنوان والإهداء؛ ولم تُفرَّغ التعليقات والتصويبات المكتوبة بخط اليد على الهوامش.
٢- وردت صفحة (١٦) في الأصل المصوَّر مرتين بنسختين متقاربتين، وقد أُثبت الاختلاف بينهما في موضعه.
٣- أرقام الإحالات في المتن والهوامش أُثبتت كما وردت في كل صفحة على حدة.
تفريغ صفحات ٤١-٨٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

من ذلك نعلم أن الواجب على المفسر أن يفسر القرآن بما دل عليه ظاهر اللفظ، ما لم يدل دليل قاطع من عقل أو سمع على استحالة الظاهر أو عدم إرادته.

ولقد اعتمد الإمام ابن جزي هذه القاعدة في كثير من ترجيحاته.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى "قوله تعالى وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ(١)

قال رحمه الله: "الفاعل ضمير القارعة والمعنى إما أن تصيبهم وإما أن تقرب منهم وقيل التاء للخطاب والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي والأول أظهر"(٢)

ونرى أنه رحمه الله رجح في هذه المسألة أن الفاعل في "تحل" ضمير القارعة والمعنى إما أن تصيبهم وإما أن تقرب منهم، وهذا الترجيح يتفق مع ظاهر النص القرآني حيث عود الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر(٣)، وهذا ظاهر النص أن الضمير للقارعة والقاعدة تقول "لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل سليم"(٤)، وغير ذلك من الأمثلة كثير

= مسلم في النكاح - باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح (٢ / ١٠٢٨) - رقم (١٤٠٨).
[تتمة هامش من الصفحة السابقة]

---

(١) سورة الرعد الآية ٣١.
(٢) التسهيل ٢ / ١٣٤
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٩٣).
(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١ / ١٢٥).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الثاني: القواعد المتعلقة بالسنة النبوية

القاعدة الأولى: (إذا ثبت الحديث وكان نصًا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره)

توضيح القاعدة:

النبي - صلى الله عليه وسلم - أعلم الناس بتفسير وبيان كلام الله، وهذا من مهام رسالته كما قال تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ(١)، ومن ثم فلا قول لأحد بعد قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -(٢). ولكن في كثير من الأحيان نجد تفسيرا للآية قد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومع ورود هذا التفسير عنه - صلى الله عليه وسلم - إلا أننا نجد أقوالًا أخرى في تفسير الآية، فإذا وجد ذلك، وثبت الحديث، وورد مورد التفسير والبيان للآية، فيجب المصير إليه، وحمل الآية عليه، وتلك قاعدة بديهية، وذلك لأن الحديث النبوي وحي من الله تعالى، فكيف نصير في تفسير القرآن الكريم إلى غيره؟ وهل هناك أعلم من الله ورسوله بالقرآن الكريم؟

ولقد كان إمامنا ابن جزي رحمه الله من أشد العلماء تمسكًا بالتفسير النبوي، فنجده دائمًا يقدمه على غيره من التفاسير والأقوال، وقد تبين ذلك جليًا في القاعدة التي ذكرها في مقدمة تفسيره فقال رحمه الله: حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح(٣)

القاعدة الثانية: (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه)

---

(١) سورة النحل (آية / ٤٤).
(٢) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين للدكتور حسين الحربي (١ / ١٩١).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٩.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

توضيحها: إذا ورد الخلاف بين المفسرين في تفسير آية من كتاب الله تعالى، وتعددت أقوالهم فيها، فالقول الذي يؤيده خبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - هو المقدم على غيره، وذلك لأن ورود معنى هذا القول في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - يدل على صحته، وينبغي أن نعلم أن الحديث الوارد في هذه القاعدة لم يرد مورد التفسير لألفاظ الآية، بل وروده لأي سبب آخر في أي باب من أبواب العلم، لكن معناه يوافق معنى أحد الأقوال المقولة في الآية(١).

يقول أبو جعفر النحاس، بعد أن حكى الأقوال في قوله تعالى: قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى(٢) معلقًا على أحدها: فهذا قول حسن، ويدل على صحته الحديث المسند عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -(٣).

وهكذا يجب أن يكون التعامل مع كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فهما من معين واحد، ولا يمكن أن يتعارضا، لذلك كان ترجيح أحد الأقوال اعتمادًا على ورود معناه في حديث نبوي شريف - وإن لم يرد مورد التفسير - أولى من الأخذ برأي آخر عار عن هذا المُرجح.

وقد اعتمد الإمام ابن جزي رحمه الله هذه القاعدة في كثير من مواطن التفسير عنده ومن ذلك ما ورد في تفسيره لقول الله تعالى "فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا(٤).

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: فمرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضيء الصورة فاقتلع الخضر رأسه، وقيل: ذبحه

---

(١) ينظر قواعد الترجيح للدكتور / حسين الحربي (١ / ٢٠٦).
(٢) سورة الشورى (آية / ٢٣).
(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (٢ / ٦٢٠)، ط: مؤسسة الرسالة - بيروت - الأولى ١٤١٢ ه.
(٤) سورة الكهف آية: (٧٤).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه والأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح(١) "(٢)

وهذا نص صريح في أنه رحمه الله اعتمد الحديث الصحيح مرجحا بين أقوال العلماء في تفسير الآية الكريمة.

---

(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير، باب وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين - ٤ / ١٧٥٣، صحيح مسلم - كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام - ٤ / ١٨٤٩

(٢) التسهيل ٢ / ١٩٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الثالث: القواعد الترجيحية المتعلقة بالآثار

القاعدة الأولى: (إذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير)

توضيحها: إذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى، فالقول الموافق لتاريخ نزول الآية هو القول الراجح، والقول الذي يخالف تاريخ نزولها، ولا يتفق معه فهو قول ضعيف أو مردود.

وتاريخ نزول الآية لا يخلو إما أن يكون متفقًا عليه أو مختلفًا فيه، فإن كان متفقًا عليه، فالقول الذي يخالفه ولا يتفق معه مردود؛ لأجل مخالفته أمرًا مجمعًا عليه.

وإن كان تاريخ نزولها مختلفًا فيه، غير أنه تبين الصحيح والراجح بأدلته، فالقول الذي يوافق الصحيح والراجح هو الراجح، والقول الذي يخالفه ويوافق القول الضعيف في تاريخ نزولها، هو ضعيف مرجوح(١).

وهذه القاعدة اعتمدها كثير من المفسرين، فمن السلف عن مسروق بن الأجدع(٢) رحمه الله، قال في قوله تعالى: وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ... الآية(٣): "والله ما نزلت في عبد الله بن سلام(٤)، ما نزلت إلا بمكة، وما أسلم عبد الله إلا بالمدينة، ولكنها خصومة

---

(١) ينظر قواعد الترجيح للدكتور / الحربي (١ / ٢٥٨).

(٢) هو: التابعي الجليل مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي، الإمام القدوة العلم، حدث عن جمع من الصحابة كأُبَي وعمر ومعاذ وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم، كان عالمًا بالفتوى، توفي سنة ٦٣ ه (ينظر: سير أعلام النبلاء (٤ / ٦٣)).

(٣) سورة الأحقاف (آية / ١٠).

(٤) هو: عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف الإسرائيلي الأنصاري، الإمام الحبر، المشهود له بالجنة، من خواص أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، أسلم أول ما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة، وقيل تأخر، توفي سنة ثلاث وأربعين (ينظر: سير أعلام النبلاء (٢ / ٤١٣))

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

خاصم محمد - صلى الله عليه وسلم - بها قومه، قال: فنزلت: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ(١).

قال: فالتوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد - صلى الله عليه وسلم -، فآمنوا بالتوراة وبرسولهم، وكفرتم"(٢).

من ذلك نعلم أن معرفة تاريخ نزول الآية أو السورة من أعظم الوسائل التي تنير الطريق أمام المفسر، فلا يغتر بقول ربما ظهر أن له علاقة بالآية، ويعرف كيف يميز بين الصحيح والضعيف معتمدًا على هذه القاعدة الجليلة.

وقد اعتمد الإمام ابن جزي هذه القاعدة في كثير من أقواله التفسيرية، ومن ذلك ما ذكره الإمام ابن جزي عند تفسيره لقول الله تعالى "كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ(٣)

قال رحمه الله: (وهم يكفرون بالرحمن) قيل: إنها نزلت في أبي جهل.

وقيل: نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عام الحديبية فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن، وهذا ضعيف لأن الآية نزلت قبل ذلك(٤) فتبين اعتماده على تاريخ النزول سببا في ترجيحه للمراد من النص الكريم

القاعدة الثانية: (إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير)

---

(١) سورة الأحقاف (الآية / ١٠).
(٢) ينظر: جامع البيان للطبري (١١ / ٢٧٨).
(٣) سورة الرعد الآية ٣٠
(٤) التسهيل ٢ / ١٣٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

توضيح القاعدة: قال أئمة العلم إن من أعظم فوائد معرفة أسباب النزول، أنها تعين على فهم الآية على وجه صحيح(١).

يقول الدكتور صبحي الصالح موضحًا ذلك: "ولئن كانت معرفة جو القصيدة، والظروف التي نظمت خلالها تعين على الفهم السديد، وتسعف بالذوق السليم، وتواكب الشرح الأدبي جنبًا إلى جنب، لَتُكَوِّنَّ معرفة قصة الآية والأسباب التي اقتضت نزولها أعون على دقة الفهم، وأدنى إلى استلهام أرجح التأويل وأصح التفسير"(٢).

فإذا اختلف العلماء في تفسير آية من كتاب الله تعالى وتعددت أقوالهم فيها، فأرجح الأقوال ما وافق سبب النزول الصحيح الصريح في السببية.

ومن الملاحظ أنه لابد من توافر الصحة والصراحة في السببية، أما إذا كان السبب ضعيفًا من جهة النقل والرواية فلا يعول عليه، وذلك لأنه "لا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح"(٣).

كذلك إذا كان السبب غير صريح في السببية فلا يعول عليه.

وتكون صيغة سبب النزول صريحة في السببية في ثلاثة أحوال:

١ - إذا نص الراوي على السببية كأن يقول "سبب نزول هذه الآية كذا وكذا..".

٢ - إذا أتى بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال.

---

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص ٤٧)، تحقيق: الدكتور / عدنان زرزور. والمدخل لدراسة القرآن الكريم: للدكتور / محمد محمد أبو شهبة (ص ١٢٥).
(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن للدكتور / صبحي الصالح (ص ١٢٩).
(٣) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (١ / ١١٤).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٣ - إذا سأل سائل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن شيء، فينزل الوحي بالجواب عن السؤال، حاكيًا السؤال مع الجواب، كالسؤال عن الروح، أو الأهلة، أو غير ذلك.

وتكون الصيغة غير صريحة في السببية في حالتين:

١ - إذا قال الراوي "نزلت هذه الآية في كذا" فهذا يراد به تارة سبب النزول، ويراد به تارة أخرى أن هذا المذكور داخل تحت معنى الآية، وإن لم يكن السبب

٢ - إذا قال الراوي "أحسب هذه الآية نزلت في كذا" أو "ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا"(١).

القاعدة الثالثة: (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم)

توضيح القاعدة: السلف الصالح هم صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - والتابعون وتابعوهم بإحسان، وهذا اللقب قاصر على القرون الثلاثة الفاضلة، ومن اقتدى بهم ينال هذا اللقب مجازًا - لسيره على هديهم - لا حقيقة، ومضمون هذه القاعدة أن فهم وتفسير السلف مقدم على كل فهم وتفسير، وبخاصة على تفسير أهل البدع والأهواء الذين قدموا أهواءهم وعقولهم على النصوص المحكمة، وأولوها وحرفوها حتى توافق مذاهبهم الضالة.

يقول حبر الأمة رضي الله عنه للخوارج(٢) حين ناظرهم: "جئتكم من عند أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -،

---

(١) ينظر: مناهل العرفان (١ / ١١٤)، ومباحث في علوم القرآن للدكتور الصالح ص ١٤٢.
(٢) هم فرقة ضالة أجمعت على إكفار علي كرم الله وجهه أن حكّم، وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، وصاحبها مخلد في النار، ثم أطلق لقب الخوارج على كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، (ينظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للإمام أبي الحسن الأشعري (١ / ١٦٧) تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله"(١).

فهذا الأثر شهادة من حبر الأمة وترجمان القرآن - وهو من هو - لصحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - أنهم الأعلم بتأويل القرآن، وأن الخوارج ليس فيهم أحد من الصحابة، فمن تابع الصحابة في العلم والعمل صار أعلم بتأويل القرآن من جميع الفرق الضالة.

لذلك يجب على كل من تصدى للتفسير أو المناظرة في الدليل الشرعي "مراعاة فهم الأولين وما كانوا عليه في العمل فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل"(٢).

أقول: وليس في هذا حجر على العقول، والممتنع على الخلف هو إحداث قول مخالف لما كان عليه السلف، أما إحداث قول موافق، فلا بأس بذلك، فإذا ورد عن السلف مثلًا - تفسير لآية لألفاظها عامة ببعض جزئياتها ثم جاء مفسر من الخلف فحمل الآية على عمومها فلا منافاة، لأن القول بالعموم يدخل تحته القول بالخصوص، وإنما يفسر بعض السلف الآية العامة ببعض الجزئيات على سبيل التمثيل والبيان، لا على سبيل القصر والتخصيص، والله أعلم.

وقد صاغ الإمام ابن جزي هذه القاعدة بلفظه في قواعد الترجيح عنده فقال: أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس، لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل (٣) "(٤)

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله، باب إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة (ص ١٢٦، ١٢٧).
(٢) ينظر الموافقات للشاطبي (٣ / ٧٧).
(٣) صحيح البخاري - كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء - ١ / ٦٦، برقم ١٤٣.
(٤) التسهيل لعلم التنزيل ١ / ٩.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الرابع: قواعد الترجيح المتعلقة باستعمال العرب للألفاظ والمباني.

القاعدة الأولى (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر).

توضيحها: القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبرى نزل بلسان عربي مبين، وفي أعلى درجات الفصاحة، فيجب أن يفسر كذلك بأفصح الوجوه، ويحمل على أفضل المحامل وأحسنها، أما أن يفسر بأوجه شاذة، أو ضعيفة، أو منكرة، فلا يجوز، والمراد بالمعروف من كلام العرب: المستعمل في كلامهم، سواء أكان ذلك الاستعمال مطردًا، وهو: الذي لا يتخلف أبدًا، ولا تعرف العرب غيره(١)، أو غالبًا وهو: أكثر الاستعمال عليه، لكنه يتخلف أحيانًا قليلة(٢)

فالواجب على المفسر حمل كلام الله تعالى على المعروف من الكلام العربي مما اطرد استعماله أو أكثر.

أما الشاذ: فهو الذي لا يجئ على القياس ويكون وجوده قليلًا(٣)

والضعيف: ما انحط عن درجة الفصيح، ويكون في ثبوته كلام(٤)

---

(١) ينظر: الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني (١ / ٩٦)، تحقيق: محمد علي النجار، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي (١ / ٢٦٦)، صححه: محمد أبو الفضل وآخرون.
(٢) ينظر الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ص ٥٢٩)، تحقيق: د / عدنان درويش، ومحمد المصري.
(٣) المرجع السابق (ص ٥٢٨).
(٤) ينظر: المزهر (١ / ٢١٤)، والأشباه والنظائر في النحو لجلال الدين السيوطي (١ / ٢٦٣)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والمنكر: هو أضعف من الضعيف، وأقل استعمالًا بحيث أنكره بعض أئمة اللغة، ولم يعرفه(١).

وإذا كان حمل كلام الله تعالى على الشاذ والضعيف والمنكر من كلام العرب غير جائز، فحمله على ما لم تستعمله العرب البتة، ولم يرد في لسانها وقت نزول القرآن يدخل تحت هذه القاعدة دخولًا أوليًا، فهو أمعن في عدم جواز تفسير القرآن به.

فيجب أن يفسر القرآن وتفهم نصوصه بحسب مدلولاتها الشرعية والعرفية واللغوية في عصر نزول القرآن(٢)

وقد صاغ الإمام ابن جزي هذه القاعدة بلفظه وجعلها أساسًا للترجيح عنده ضمن القواعد التي اعتمدها للترجيح فقال: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب، أو التصريف أو الاشتقاق(٣).

وكثرت الأمثلة على ذلك في تفسيره ومنها ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ(٤)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قوله تعالى (مجرميها) إعرابه مضاف إليه عند الفارسي وغيره. وقال ابن عطية وغيره: إنه مفعول أول بجعلنا وأكابر مفعول ثان مقدم، وهذا جيد المعنى ضعيف في العربية؛ لأن أكابر جمع أكبر وهو من أفعل فلا يستعمل إلا بمن أو بالإضافة(٥)،

وهو مثال واضح في أنه رد القول مع جودة معناه لكونه مخالفا للغة.

---

(١) ينظر المزهر (١ / ٢١٤)، والكليات (ص ٥٧٥).
(٢) ينظر قواعد الترجيح للدكتور الحربي (٢ / ٣٧١).
(٣) التسهيل ١ / ٩.
(٤) سورة الأنعام الآية ١٢٣.
(٥) التسهيل ٢ / ١٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

القاعدة الثانية: (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها)

توضيح القاعدة: يقول الدكتور حسين الحربي: إذا جاءت ضمائر متعددة في سياق واحد، واحتملت في مرجعها أقوالًا متعددة فتوحيد مرجعها وإعادتها إلى شيء واحد، أولى وأحسن، لانسجام النظم، واتساق السياق، وقوة الإعجاز، ما دام الأمر محتملًا، ولا حجة توجب تفريقها، وتأبى توحيدها.

فإن وردت آيات قرآنية لم يختلف المفسرون في تفريق ضمائرها، أو قامت حجة ظاهرة على تفريقها، فهي غير داخلة تحت هذه القاعدة، فلا يذهبن أحد إلى إلزام المعتمد لهذه القاعدة بنصوص قرآنية يوجب عليها توحيد مرجع ضمائرها، بعد إذ لم يكن فيها خلاف؛ لأن هذه القاعدة ترجيحية بين الأقوال المختلفة، فما لم يقع فيه خلاف بين المفسرين فلا يدخل تحت هذه القاعدة أصلًا(١)

وقد مثل الدكتور الحربي لما اتفق المفسرون على تفريق مرجع الضمائر فيه بقوله تعالى: وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا(٢)، فقال: فإن ضمير (فيهم) يعود لأصحاب الكهف، (ومنهم) "لأهل الكتاب من يهود أو نصارى، فهذا التفريق بين ضمائر هذه الآية هو الذي جرى عليه أهل التفسير قاطبة، ولم يذكر أحد منهم القول بتوحيد مرجعها، فمثل هذه الآية غير داخلة تحت هذه القاعدة(٣)

وقد اعتمد الإمام ابن جزي هذه القاعدة في غير ما موطن من تفسيره ومن ذلك ما أورده عند تفسيره لقول الله تعالى "قوله تعالى يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢ / ٦١٣).
(٢) سورة الكهف الآية ٢٢.
(٣) قواعد الترجيح (٢ / ٦١٣).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ(١)

قال الإمام ابن جزي في قوله تعالى (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم....)

يعني في شأنهم سورة على النبي والضمائر في عليهم وتنبئهم وقلوبهم تعود على المنافقين، وقال الزمخشري(٢) إن الضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين والأول أظهر(٣)

وتبين أنه أراد توحيد مرجع الضمير في الضمائر الثلاثة الواردة في الآية الكريمة

القاعدة الثالثة: (الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه)

هذه القاعدة تقرر أن الأصل في اللغة العربية أن يعود الضمير إلى أقرب مذكور، فلذلك إذا اختلف العلماء في عائد أحد الضمائر في القرآن، فأرجح الأقوال في هذا الخلاف، القول الذي يعيد الضمير إلى أقرب مذكور، فإعادته إلى القريب أولى من إعادته إلى البعيد، إلا إذا دل الدليل على عود الضمير إلى البعيد دون القريب(٤)

ومن هذه الأدلة:

أ - القرينة في سياق الكلام، فإذا دلت القرينة على رجوع الضمير إلى الأبعد دون الأقرب صير إليها، وعمل بمقتضى ما دلت عليه (إذ عليها وحدها المعول، وهي القول الفصل في الإيضاح هنا)(٥)

---

(١) سورة التوبة الآية: ٦٤.
(٢) الكشاف ٢ / ٢٧٢.
(٣) التسهيل ٢ / ٧٨.
(٤) ينظر: قواعد الترجيح (٢ / ٦٢١).
(٥) المرجع السابق (٢ / ٦٢٢).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ب - سياق الجمل قبل الضمير المختلف فيه وبعده، فهي تدل على تعيين أو ترجيح مرجع الضمير، فإذا كان سياق الجمل قبل وبعد الضمير يتحدث عن شيئ واحد، واحتمل الضمير رجوعه إليه - وكان بعيدًا - ورجوعه إلى القريب، فرجوعه إلى البعيد في هذه الحالة أرجح، وهذا الدليل هو مضمون قاعدة: إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره، وقاعدة: "توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى"، هذه القواعد الثلاث، (قاعدة المحدث عنه)، و(قاعدة توحيد مرجع الضمائر)، و(قاعدة أقرب مذكور)، إذا تنازعت، فقاعدة (المحدث عنه) هي المقدمة، لأجل ارتكازها على المعنى وموارد الكلام، أما قاعدة (توحيد مرجع الضمائر) وقاعدة (إعادة الضمير إلى الأقرب) فملحوظ فيهما جانب النظم والأسلوب، وتقديم المعنى أولى.

ثم يأتي بعد قاعدة: (المحدث عنه) قاعدة (توحيد مرجع الضمائر) لأنها أكمل من قاعدة (إعادة الضمير إلى أقرب مذكور) في جانب تناسق النظم وبيان وجوه الإعجاز فيه(١)

وعلى ذلك فالأصل إعادة الضمير إلى الأقرب ما لم يرد دليل بخلاف ذلك.

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح للدكتور / الحربي (١ / ٦٦).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الخامس: تقويم لقواعد الترجيح عند الإمام ابن جزي

فيما سبق تم عرض قواعد الترجيح عند الإمام ابن جزي في موضوعات متفرقة، وأود في هذا البحث أن أستعرض قواعد الترجيح عند الإمام بجملتها كما ذكرها هو، ونصها كما يلي:

وأما وجوه الترجيح فهي اثني عشر

الأول: تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال

الثاني: حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا ورد عنه عليه السلام تفسير شيء من القرآن عولنا عليه لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح

الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه

الرابع: أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل

الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق

السادس: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده

السابع: أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه

الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالًا من الحقيقة ويسمى مجازًا راجحًا والحقيقة مرجوحة وقد اختلف العلماء أيهما

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يقدم فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة لأنها الأصل ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح لرجحانه وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح

التاسع: تقديم العمومي على الخصوصي فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص

العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد إلا أن يدل دليل على التقييد

الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار

الثاني عشر: حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير(١)

وكل هذ القواعد مما اتفق عليه أهل العلم، وأرى ان الإمام ابن جزي كان من السابقين إلى بيان مثل هذا الفن من العلوم وهو علم قواعد الترجيح ولعل تصنيفه هذا وإن كان قليلًا في ألفاظه إلا أنه يعد من الكلمات الجامعة في هذا الميدان من العلوم، وذلك يدل على سعة علمه واتساع أفقه ونظرته الصائبة إلى أهمية تحرير مناط الاختلاف بين أهل العلم وعمق النظرة في أهمية وضع الضوابط التي يرجعون إليها عند اختلاف نظرتهم إلى مسألة أو قضية، فالقواعد بمثابة المرجعيات التي تضبط حركة الفتوى مع اختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص.

وهي في جملتها تتفق مع القواعد المبينة سلفًا، ولا تخرج عن إجماع أهل العلم، بل إني أراها تعد سبقًا في تدوين قواعد الترجيح بهذه الهيئة وذلك الترتيب.

ويدل هذا عمليًا على ما شهد به العلماء للإمام ابن جزي رحمه الله من غزارة علمه وقدرته على الصياغة - والله أعلم -.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٩.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الفصل الثاني

ترجيحات الإمام ابن جزي في المسائل العقدية والفقهية واللغوية

أحمد محمد علي أبوسيف — «ترجيحات الإمام ابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل» (رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الأول

ترجيحات الإمام ابن جزي في المسائل العقدية

أحمد محمد علي أبوسيف — «ترجيحات الإمام ابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل» (رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

عصمة نبي الله آدم عليه السلام.

يقول الله تعالى: وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

اختلفوا في أكل آدم من الشجرة، فالأظهر: أنه كان على وجه النسيان لقوله تعالى: وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(٢)

وقيل: سكر من خمر الجنة فحينئذ أكل منها وهذا باطل لأن خمر الجنة لا تسكر

وقيل: أكل عمدا وهي معصية صغرى وهذا عند من أجاز على الأنبياء الصغائر

وقيل: تأول آدم أن النهي كان عن شجرة معينة فأكل من غيرها من جنسها وقيل لما حلف له إبليس صدقه لأنه ظن أنه لا يحلف أحد كذبا(٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١ - أنه أكل من الشجرة ناسيا

٢ - أسكره خمر الجنة فأكل من الشجرة وهو قول سعيد بن المسيب

٣ - أكل منها متعمدا مخالفة الأمر الإلهي

٤ - تأول أن النهي عن شجرة مفردة لا عن جنس الشجرة (٤)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة ناسيا عن غير قصد، واستدل عليه بما أخبر به سبحانه بقوله "وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ

---

(١) سورة البقرة آية: (٣٥).
(٢) سورة طه آية: (١١٥).
(٣) التسهيل ١ / ٤٤، ٤٥.
(٤) تحفة الأحوذي للمباركفوري ٣٦٤/٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وأرى: أن هذا القول هو الراجح حيث إن الأصح في تفسير القرآن الكريم أن يفسر بالقرآن(١) وظاهر النص القرآني يبين أن السبب في أكل آدم عليه السلام من الشجرة إنما هو النسيان، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه (٢) ولم يرد دليل صحيح يفيد غير ما ثبت بالنص القرآني الكريم.

قال البغوي رحمه الله تعالى: هذا الخلاف في كيفية وسبب أكل آدم من الشجرة المنهي عنها، والذي أكثر المفسرون من القصص حوله، لم يثبت فيه خبر صحيح، وهو من علم الغيب الذي يحتاج إلى نقل ثابت بشأنه، ولعل هذه القصص مأخوذة من الإسرائيليات، وكون آدم شرب الخمر فكان في غير عقله، غير صحيح؛ لأن خمر الجنة لا غول فيها، والصحيح أنه نسي وأكل كما أخبر الله تعالى عنه (٣)

وأما وجه العتاب من الله تعالى لآدم وتسميته بالعصيان مع أنه أكل ناسيًا فالجواب عنه: أن الأنبياء يلزمهم التحفظ والتيقظ لكثرة معارفهم وعُلُوّ منازلهم ما لا يلزم غيرهم، فيكون اشتغاله عن تذكُّر النهي تضييعًا صار به عاصيًا.

ومن ادعى أن آدم عليه السلام سكر من خمر الجنة فقوله مردود بأن خمر الجنة لا تسكر ولا يذهب معها العقل قال تعالى: لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ(٤)

---

(١) مقدمة تفسير ابن كثير ١/ ٤.
(٢) أضواء البيان ٤٩٨/٥.
(٣) معالم التنزيل [أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ ه] حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، أحكام القرآن لابن العربي: ١ / ١٩، والمحرر الوجيز لابن عطية: ١ / ٢٥٤-٤٥٦، والبحر المحيط لأبي حبان: ١ / ١٦١
(٤) سورة الصافات آية: (٤٧).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ومن ادعى أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة متعمدا بدليل قوله: فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ(١) فذلك الغرور ليس بمعلوم نصًا، ويمكن حمله على شغل الشيطان لآدم عليه السلام بما أنساه الأمر فيصير السبب هو ما جاء به صريح النص من نسيان آدم

وبهذا يتبين بما لا يدع مجالًا للشك أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة ناسيا، وأن ترجيح الإمام ابن جزي في هذه المسألة هو الأقوى، والله تعالى أعلم

لماذا قال إبراهيم عليه السلام عندما "رأى كوكبا": "هذا ربي"؟

قوله تعالى: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: "قال هذا ربي" يحتمل: أن يكون هذا الذي جرى لإبراهيم في الكوكب والقمر والشمس، أن يكون قبل البلوغ والتكليف، وقد روي أن أمه ولدته في غار خوفا من نمروذ إذ كان يقتل الأطفال؛ لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبي (٣).

ويحتمل: أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه وأنه قال ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم، وهذا أرجح؛ لقوله بعد ذلك "إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(٤)"، ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد في الغار لأن ذلك يقتضي محاجة وردا على قومه، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبين لهم الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء

---

(١) سورة الأعراف آية: (٢٢)
(٢) سورة الأنعام آية: (٧٦)
(٣) تفسير الطبري ٢٤٩/٧، تفسير الثعالبي ١٦٣/٤.
(٤) سورة الأنعام آية: (٧٨)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لا يصح أن يكون واحدا منها إلهًا لقيام الدليل على حدوثها وأن الذي أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأفولها هو الإله الحق وحده(١)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

١- أن قول إبراهيم عليه السلام "هذا ربي" في الكوكب والقمر والشمس كان قبل البلوغ والتكليف (٢)

٢- أنه عليه السلام قال ذلك لقومه بعد البلوغ والتكليف بالرسالة ولكن على سبيل المحاجة لهم وتوبيخ معتقدهم في غير الله تعالى. (٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله القول بأن سيدنا إبراهيم عليه السلام قال ذلك بعد بلوغه وتكليفه وأنه قاله لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم ودلل على رجحان ذلك القول بما يلي:

١- قوله تعالى بعد ذلك "إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ" فلا يتصور أن يقول عليه السلام ذلك وهو منفرد في الغار، لأن ذلك يقتضي محاجة وردا على قومه

وقد أيد ابن كثير هذا فقال:

والحق أن إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، كان في هذا المقام مناظرًا لقومه، مبينًا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام.

فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع، قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ أي: أنا بريء من عبادتهن وموالاتهن، فإن كانت آلهة، فكيدوني بها جميعا ثم لا تنظرون، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ أي: إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها

---

(١) التسهيل ٢ / ١٣

(٢) حكاه ابن عطية في تفسيره، وعزاه لابن عباس ٣١٢/٢.

(٣) تفسير الطبري ٢٥٠/٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، كما قال تعالى: إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(١). (٢)

٢- أنه غير جائز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحد وبه عارف، ومن كل معبود سواه برئ؛ فكيف يصح أن يتوهم هذا على من عصمه الله وآتاه رشده من قبل، وأراه ملكوته ليكون من الموقنين، أفتراه أراه الملكوت ليوقن فلما أيقن رأى كوكبا قال: هذا ربي معتقدا؟ فهذا ما لا يكون أبدا.

٣- أن الله تعالى أخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: "وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ"(٣)

٤- وأخبر سبحانه عن إبراهيم عليه السلام بقوله "إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"(٤) أي لم يشرك به قط.

٥- أن لهذا التأويل - لقول إبراهيم عليه السلام - في القرآن الكريم نظائر كقوله تعالى: "أَيْنَ شُرَكَائِيَ"(٥) وهو جل وعلا واحد لا شريك له، والمعنى: أين شركائي على قولكم. (٦)

---

(١) سورة الأعراف آية: [٥٤].
(٢) تفسير ابن كثير ١٥٢/٢.
(٣) من الآية ٣٥ سورة إبراهيم.
(٤) سورة الصافات آية ٨٤.
(٥) قوله تعالى "ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ" (سورة الأعراف الآية ٢٧)
(٦) تفسير القرطبي ٢٦/٧ بتصرف.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٦- قال البغوي: أنه قاله على وجه الاستفهام وتقديره: أهذا ربي؟ كقوله تعالى: أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (١) أي: أفهم الخالدون؟ وذكره على وجه التوبيخ منكرا لفعلهم، يعني: أهذا يكون ربا، أي: ليس هذا ربي.

وقال البغوي أيضا: إنه على وجه الاحتجاج عليهم، يقول: هذا ربي بزعمكم؟ فلما غاب قال: لو كان إلها لما غاب، كما قال: إِذْ قَالَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ(٢) أي: عند نفسك وبزعمك، وكما أخبر عن موسى أنه قال: قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٣) يريد: إلهك بزعمك.(٤)

مكانة إبراهيم عليه السلام:

وكيف يجوز أن يكون إبراهيم [الخليل] ناظرا في هذا المقام، وهو الذي قال الله في حقه: وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥)، وقال تعالى: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦)، وقال

---

(١) سورة الأنبياء آية: (٣٤)
(٢) سورة الدخان آية: (٤٩)
(٣) سورة طه آية: (٩٧)
(٤) تفسير البغوي ١١٠/٢.
(٥) سورة الأنبياء آية: (٥١، ٥٢).
(٦) سورة النحل آية: (١٢٠-١٢٣)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

تعالى: قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١)

وقد ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "كل مولود يولد على الفطرة" (٢) وفي صحيح مسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "قال الله: إني خلقت عبادي حنفاء" (٣) وقال الله في كتابه العزيز: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ (٤)، وقال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى (٥) ومعناه على أحد القولين، كقوله: فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا كما سيأتي بيانه.

فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة، فكيف يكون إبراهيم الخليل -الذي جعله الله أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦) ناظرا في هذا المقام؟! بل هو أولى الناس بالفطرة السليمة، والسجية المستقيمة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلا شك ولا ريب.

والحق أن ما ذهب إليه إمامنا ابن جزي رحمه الله هو الراجح من الآراء وما تؤيده دلالة السياق القرآني وما يتفق مع تعظيم مقام النبوة، والله أعلم.

---

(١) [سورة الأنعام آية: [١٦١].

(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز -باب - ما قيل في أولاد المشركين ٤٦٥/١ رقم ١٣١٩)، صحيح مسلم كتاب القدر -باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ٤/ ٢٠٤٧ رقم: (٢٦٥٨)

(٣) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها - باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار. ٤/ ٢١٩٧ برقم: ٢٨٦٥)، صحيح بن حبان - باب الخوف ٤٢٦/٢-

(٤) سورة الروم آية: ٣٠

(٥) سورة الأعراف آية: ١٧٢

(٦) سورة النحل الآية ١٢٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حكم رؤية الله تعالى في الدنيا.

قال تعالى: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) لما سمع موسى كلام الله طمع في رؤيته فسألها.....

واستدلت الأشعرية(٢) بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلا وأنها لو كانت محالا لم يسألها موسى، فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل، وتأول الزمخشري طلب موسى الرؤية بوجهين:

أحدهما: أنه إنما سأل ذلك تبكيتا لمن خرج معه من بني إسرائيل الذين طلبوا الرؤية فقالوا أرنا الله جهرة فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع فيتأولوا

والآخر: أن معنى أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا وكلا الوجهين بعيد والثاني أبعد وأضعف فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له: انظر إلى الجبل الآية (٣)

---

(١) سورة الأعراف آية: (١٤٣)

(٢) هم: أصحاب الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وإليه ينتسبون، مذهبهم في الصفات إثبات سبع صفات فقط لدلالة العقل عليها وهي: السمع والبصر والعلم والقدرة والكلام والحياة والإرادة. ولهم مقالات أخري خالفوا بها أهل السنة في أبواب مختلفة في الكلام، وفي الإيمان والكسب وغيرها، وقد رجع الإمام أبو الحسن عن مذهبه ولم يرجع أتباعه. الملل والنحل (١/٦٤) (١٠٦/١).

(٣) التسهيل ٢ / ٤٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الإمام ابن جزي في موطن آخر من تفسيره: "إلى ربها ناظرة" (١) هذا من النظر بالعين وهو نص في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة وهو مذهب أهل السنة، وأنكره المعتزلة وتأولوا ناظرة بأن معناها: منتظرة، وهذا باطل، لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر تقول: نظرتك أي: انتظرتك وأما المتعدي بإلى فهو من نظر العين ومنه قوله ومنهم من ينظر إليك وقال بعضهم: إلى هنا ليست بحرف جر وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النعم، وهذا تكلف في غاية البعد، وتأوله الزمخشري بأن معناه كقول الناس: فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به وهذا بعيد وقد جاء عن النبي في النظر إلى الله أحاديث صحيحة مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل فهي تفسير للآية (٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أن رؤية الله تعالى ممكنة عقلا في الدنيا وحاصلة في الآخرة وهو مذهب أهل السنة، فهو قول مجاهد (٣) ومقاتل بن سليمان (٤)، والطبري (٥)، والسمرقندي (٦)، وابن زمنين (٧)، والثعلبي (٨)

---

(١) سورة القيامة الآية ٢٣.
(٢) التسهيل ٤ / ١٦٤
(٣) تفسير مجاهد ٢ / ٧٠٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ٤٢٣.
(٥) تفسير الطبري ٧ / ٢٩٩.
(٦) تفسير السمرقندي ٣ / ٥٠٠.
(٧) تفسير ابن زمنين ٥ / ٦٥.
(٨) تفسير الثعلبي ٥ / ١٣٠.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والقشيري (١)، والواحدي (٢)، والسمعاني (٣)، ونسبه البغوي إلى أكثر الناس (٤).

٢- أن رؤية الله تعالى غير ممكنة وهو مذهب المعتزلة (٥)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة أن رؤية الله تعالى ممكنة عقلا في الدنيا والآخرة لكنها ممتنعة في الدنيا واقعة في الآخرة وهو قول أهل السنة جميعا، مؤيدا بنصوص القرآن والسنة.

فأما دلالة القرآن الكريم فمنها:

الأول: الآية التي نحن بصدد الحديث عنها: قول موسى - عليه السلام -: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ)، ودلالتها من وجوه:

١- النص صريح في أن موسى عليه السلام سأل ربه "أرني أنظر إليك" ولا يجوز أن يكون موسى صلوات الله عليه وسلامه، وقد ألبسه الله جلباب النبيين وعصمه بما عصم به المرسلين قد سأل ربه ما يستحيل عليه، فإذا لم يجز ذلك على موسى - عليه السلام - علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلا، وأن الرؤية جائزة على ربنا تعالى، ولو كانت رؤية الله مستحيلة كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى - عليه السلام - وعلموه هم لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى - عليه السلام -، وهذا مما لا يدعيه مسلم (٦)

---

(١) تفسير القشيري ٣ / ٣٧٠.
(٢) تفسير الواحدي ٢ / ١١٥٥.
(٣) تفسير السمعاني ٢ / ١٣٣.
(٤) تفسير البغوي ٤ / ٤٢٤.
(٥) المعتزلة: أصحاب واصل بن عطاء، اعتزل عن مجلس الحسن البصري. (التعريفات للجرجاني ٢٨٢/١)
(٦) الإبانة عن أصول الديانة ص ٣٨ وما بعدها بتصرف-، اسم المؤلف: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، أبو الحسن

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- ومما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قوله تعالى لموسى - عليه السلام -: (فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) فلما قرن الرؤية بأمر مقدور جائز علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة ولو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الرؤية بما يستحيل وقوعه ولم يقرنها بما يجوز وقوعه فلما قرنه باستقرار الجبل وذلك أمر مقدور لله سبحانه وتعالى دل ذلك على أن رؤيته سبحانه جائزة

الثاني: قوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة (١): يعني مشرقة "إلى ربها ناظرة" (٢) يعني رائية، والمراد بالنظر هنا نظر الرؤية، ولا يقال:

١- إن المراد بالنظر في الآية الكريمة: الاعتبار والتفكر، كما في قوله تعالى: أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (٣)؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار وتفكر وإنما هي دار جزاء.

٢- أو المراد به نظر التعطف والإكرام كما في قوله تعالى: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤)؛ لأن قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٥) لا يحتمل معها أن ينظر الخلق إلى الخلق نظر التعطف والرحمة؛ لأن الخلق لا يجوز أن ينظر أن يتعطفوا على خالقهم.

٣- أو المراد به نظر الانتظار لأن نظر الانتظار لا يكون مقرونا بقوله "إلى"؛ لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر الانتظار إلى، ألا ترى أن الله

---

(١) سورة القيامة آية ٢٢
(٢) سورة القيامة آية ٢٣
(٣) سورة الغاشية: آية: (١٧).
(٤) سورة آل عمران آية: (٧٧).
(٥) سورة القيامة آية: (٢٢)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

تعالى لما قال "ما ينظرون إلا صيحة واحدة" (١) لم يقل "إلى" إذ كان معناه الانتظار، وقال عز وجل مخبرا عن بلقيس "فناظرة بم يرجع المرسلون" (٢) فلما أرادت الانتظار لم تقل إلى،

وأيضا: فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير وأهل الجنة في ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من العيش السليم والنعيم المقيم وإذا كان هذا لم يجز أن يكونوا منتظرين لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم (٣)

ودلالة الآية أيضا من خلال اقتران النظر في الآية الكريمة بالوجوه: فإن الله تعالى لما قرن النظر بذكر الوجة أراد نظر العينين اللتين في الوجه كما قال" قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها" (٤) فذكر الوجه وأراد تقلب عينيه - صلى الله عليه وسلم - نحو السماء ينظر نزول الملك عليه ليصرف الله تعالى له عن قبلة بيت المقدس إلى القبلة.

ولا يحتمل أن يقال إن المراد هنا نظر الوجه إلى ثواب الله تعالى فالأصل في النص القرآني أن يحمل على ظاهره ولا شك أن الثواب أمر يختلف تماما في دلالته ومسماه عن ذات الله تعالى المعبر عنها في الآية الكريمة بقوله "إلى ربها" فلا يحمل النص على غير ظاهره إلا بدليل، ولا دليل هنا

الثالث: قوله تعالى "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" (٥) قال أهل التأويل:

---

(١) سورة يس آية: (٤٩)
(٢) سورة النمل آية: (٣٥).
(٣) الإبانة عن أصول الديانة ص ٤٠ - بتصرف -
(٤) سورة البقرة آية: (١٤٤)
(٥) سورة يونس آية: (١٦)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

النظر إلى الله عز وجل ولا يمنع الله تعالى عن أهل الجنة بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له وقال تعالى "ولدينا مزيد" (١) قيل: النظر إلى الله عز وجل

الرابع: قوله تعالى "تحيتهم يوم يلقونه سلام" (٢)، وإذا لقيه المؤمنون رأوه.

الخامس: قوله تعالى "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون" (٣) فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنه المؤمنين (٤)

وأما الدليل من السنة:

فما ورد عن جرير بن عبد الله قال: كنا جلوسا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: "إنكم راءون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب" (٥) (٦)، والرؤية إذا أطلقت إطلاقا ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان

ولا إشكال بين هذا الحديث وقوله - صلى الله عليه وسلم - "نور أنى أراه" (٧) فالعين لا تدرك في الدنيا الأنوار المخلوقة على حقائقها فأنى لها أن ترى الله في الدنيا، ومثال ذلك

---

(١) الآية ٣٥ سورة ق
(٢) سورة الأحزاب آية: (٤٤)
(٣) سورة المطففين آية: (١٥)
(٤) الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري علي بن إسماعيل بن أبي بشر ١ / ٤٦، تحقيق: د. فوقية حسين محمود
(٥) سورة طه آية: (٣٠)
(٦) صحيح البخاري - ك مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر - ١ / ٢٠٣ برقم ٥٢٩
(٧) صحيح مسلم -ك الإيمان، باب في قوله - صلى الله عليه وسلم - نور أنى أراه، وفي قوله - صلى الله عليه وسلم - رأيت نورا- ١ / ١٦١ برقم ١٧٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أن الإنسان لو حدق ينظر إلى عين الشمس فأدام النظر إلى عينها لذهب أكثر نور بصره فإذا كان الله سبحانه حكم في الدنيا بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشمس فأحرى أن لا يثبت البصر للنظر إلى الله تعالى في الدنيا إلا أن يقويه الله تعالى

وعلى ما سبق فالصواب من القول في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل يوم القيامة هو أن أهل الجنة يرونه على ما ثبت في القرآن الكريم والأخبار الصحيحة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.(١)(٢)

وأختم هذه المسألة بقول الإمام أحمد بن حنبل في كتابه الورع: قال: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ" "تفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهو كما قال ومعناه على ما أراد الله ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه الا من سلم لله عز وجل ولرسوله عليه الصلاه والسلام ورد ما اشتبه عليه إلى عالمه ولا يثبت قدم الاسلام إلا على ظهر التسليم ومن رام ما حظر عنه علمه ولم يقنع بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الايمان فيتذبذب بين الكفر والايمان والتصديق والتكذيب والانكار موسوسا تائها شاكا زائغا لا مؤمنا مصدقا ولا جاحدا مكذبا ولا يصح الايمان بالرؤية(٣)

---

(١) صريح السنة، اسم المؤلف: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر الوفاة: ٣١٠، تحقيق: بدر يوسف المعتوق
(٢) ويراجع في المسألة أيضا:
١- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج ١ ص ١٥٧، للإمام أبو الحسن الأشعري. ٢- و الإبانة عن أصول الديانة، اسم المؤلف: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن الوفاة: ٣٢٤، تحقيق: د. فوقية حسين محمود
(٣) الورع لابن حنبل ج ١ ص ١٩٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ولد نوح لم يكن من أهله نسبا أم دينا؟

قال الله تعالى: قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ...) أي: ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم لأنه كافر.

وقال الزمخشري (٢): لم يكن ابنه ولكنه خانته أمه وكان لغير رشده (٣) وهذا ضعيف لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم ولقوله: وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ..... (٤)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي رحمه الله:

١- دلالة قوله تعالى "ليس من أهلك" أي الذين وعدتك بنجاتهم، وهو قول جمهور المفسرين (٥).

٢- "ليس من أهلك" ليس بابنك، وهو قول الحسن ومجاهد والضحاك وابن سيرين.

---

(١) سورة هود آية: (٤٦).
(٢) الكشاف ٣٧٧/٢
(٣) لغير رشده أي: ليس بثابت النسب من أبيه الذي ينتمي إليه. ينظر تهذيب اللغة ج ٣ ص ٥٨، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الوفاة: ٣٧٠ه.
(٤) التسهيل ٢ / ١٠٥
(٥) هو قول جمهور المفسرين ذكره مقاتل في تفسيره ٢ / ١٢٠، الصنعاني في تفسيره ٢/٣٠٦، والواحدي في تفسيره ٥٢٢/١، و سعيد بن منصور في سننه ٣٤٧/٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وابن جريج وعبيد بن عمير (١)، وهو قول الزمخشري (٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن معنى قوله تعالى: "إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ" أي: ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم، وهذا الرأي هو قول جمهور المفسرين، وبه قال الشافعي رحمه الله قال: والذي نذهب إليه في معنى هذه الآية أن قول الله عز وجل: (إنه ليس من أهلك) يعني: الذين أمرناك بحملهم معك، فإن قال قائل: ما دل على ما وصفت؟ قيل: قال الله عز وجل: وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ (٣) فأعلمه أنه أمره بأن يحمل من أهله من لم يسبق عليه القول أنه من أهل معصية (٤)

وقد رجحه الطبري أيضًا فقال: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم لأنه كان لدينك مخالفًا وبي كافرًا.

وكان ابنه لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمدًا أنه ابنه فقال (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر.

وليس في قوله: (إنه ليس من أهلك) دلالة على أنه ليس بابنه من صلبه، إذ كان قوله: (ليس من أهلك) محتملًا من المعنى ما ذكرنا، ومحتملًا أنه

---

(١) النكت والعيون للماوردي ٤٧٦/٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ٣/ ١٧٦ وعزاه للحسن والضحاك وابن سيرين وعبيد بن عمير وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١١٣/٤ وعزاه للحسن ومجاهد وابن جريج ونقله القرطبي في تفسيره ٤٦/٩ وعزاه للحسن ومجاهد.

(٢) الكشاف ٣٧٧/٢

(٣) سورة هود آية: (٤٠).

(٤) أحكام القرآن للإمام الشافعي ٧٤/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ليس من أهل دينك ثم يحذف الدين فيقال: إنه ليس من أهلك كما قيل وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا (١)، أي واسأل أهل القرية التي كنا فيها.

والذي أراه أن قول ابن جزي هو الراجح في هذه المسألة حيث إنه يتفق مع السياق القرآني وهو رأي جمهور المفسرين والله أعلم.

(قصة الغرانيق) (٢)

يقول الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٣).

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: اختلف في كيفية إلقاء الشيطان

فقيل: إن الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي هو المتكلم به لأنه قرب صوته من صوت النبي حتى التبس الأمر على المشركين.

وقيل: إن النبي هو الذي تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو لأن الشيطان ألقاه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد

والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة والقول الأول أرجح لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - معصوم في التبليغ فمعنى الآية أن كل نبي وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان (٤)

---

(١) تفسير الطبري ٥٢/١٢

(٢) والغرنيق: طائر أبيض من طير الماء، سمي غرنيقا: لبياضه، وقال يعقوب في الشباب: الغرنوق وهو الأبيض الجميل الغض، تلك الغرانيق العلا قال ابن الأعرابي: الغرانيق: الذكور من الطيور واحدها غرنوق وغرنيق، وكانوا يدعون أن الأصنام تشفع لهم فشبهت بالطيور التي ترتفع إلى السماء. غريب الحديث لأبي الفرج بن الجوزى ١٥٥/٢، الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٦٥/٣

(٣) سورة الحج آية / ٥٢

(٤) التسهيل ٣ / ٤٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

الأول: أن الشيطان قال ذلك وأشاعه، والرسول عليه السلام لم ينطق به.

وهذا الرأي هو ما اختاره الإمام ابن جزي وقال به جماعة من المفسرين قديمًا وحديثًا، منهم: ابن عطية (١) وابن العربي (٢)، والقرطبي (٣)

الثاني: أن ذلك كان بنغمة مقاربة لنغمة صوت النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى يفتتن السامعون، ويظنوا أنه من القرآن، وليس في ذلك تسلط شيطان على الوحي؛ لأن النبي لم يتكلم بشيء من ذلك.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن الشيطان هو الذي تكلم بنغمة مقاربة لصوت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأشكل ذلك على المشركين فظنوه من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وأقول: إن هذا الرأي وإن كان قد نفي تسلط الشيطان بالإلقاء على النبي - صلى الله عليه وسلم - ونزّه النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتكلم بشيء من وحي الشيطان أثناء تبليغه رسالة رب العالمين.

لكنه جوز تمثل الشيطان بنغمة صوت النبي - صلى الله عليه وسلم - بحيث يعتقد السامع أنه من كلامه، ولا شك أن في ذلك تشويشا وتلبيسا عظيما على المدعوين.

ولقد استوفى الرازي الرد على هذا القول:

فقال -رحمه الله: "إذا جُوِّز أن يتكلم الشيطان في أثناء كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - بما يشتبه على كل السامعين كونه كلامًا للرسول بقى هذا الاحتمال في كل ما

---

(١) - المحرر الوجيز لابن عطية ١٢٩/٤
(٢) - أحكام القرآن لابن العربي ١٦٣/٤
(٣) - الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٩٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يتكلم به الرسول فيفضي إلى ارتفاع الوثوق عن كل الشرع "(١)، وبهذا الرد أجاب البيضاوي. (٢)

وإذا كان هذا من إلقاء شياطين الإنس- كما قال بعضهم - فقد أجاب الرازي على ذلك بقوله: "وهذا أيضا ضعيف لوجهين:

أحدهما: أنه لو كان كذلك لكان يجب على الرسول - صلى الله عليه وسلم - إزالة الشبهة، وتصريح الحق، وتبكيت ذلك القائل، وإظهار أن هذه الكلمة منه صدرت.

ثانيهما: لو فعل ذلك لكان ذلك أولى بالنقل.

فإن قيل: إنما لم يفعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذلك لأنه كان قد أدى السورة بكمالها إلى الأمة من دون هذه الزيادة، فلم يكن ذلك مؤديا إلى التلبيس

قلنا: إن القرآن لم يكن مستقرًا على حالة واحدة في زمان حياته - صلى الله عليه وسلم -، لأنه كان تأتيه الآيات فيلحقها بالسورة، فلم يكن تأدية تلك السورة بدون هذه الزيادة سببا لزوال اللبس.

وأيضًا: فلو كان كذلك لما استحق العتاب من الله تعالى على ما رواه القوم (٣)

أقول: إذا كان الله تعالى قد عصم نبيه - صلى الله عليه وسلم - من أن يتمثل به الشيطان الرجيم في المنام (٤)، فكيف يليق القول بجواز أن يتمثل الشيطان بنغمة صوت النبي - صلى الله عليه وسلم - أثناء تبليغه الوحي. هذا من المحال، وإنما مال إليه بعض العلماء لأنه ليس فيه

---

(١) - مفاتيح الغيب ٢٠٣/٢١

(٢) - أنوار التنزيل ١٧/٤

(٣) مفاتيح الغيب ٢٠٣/٢١

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب- إثم من كذب على النبي ٥٢/١ رقم (١١٠) ولفظ البخاري: (تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي ومن رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

نسبة هذا الكلام "تلك الغرانيق العلا" إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، وإنما نسبتها إلى الشيطان، ألقاها - على سبيل التلبيس - في مسامع المشركين.

يقول ابن عطية: "إلقاء الشيطان إنما هو لألفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة". (١)

والذي أراه: أن الإمام ابن جزي قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه من أن الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي هو المتكلم بصوت قريب من صوت النبي والتبس الأمر على المشركين ومعنى الآية: أن كل نبي قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان.

والذي أرجحه: أن إلقاء الشيطان هو وقوفه للدعوة بالمرصاد، وإلقاء الشبهات في طريقها، ووصف القرآن الكريم بأنه شعر أو سحر، فيلقي الشيطان هذه الشبهات وتلك الوساوس في نفوس أوليائه فيشيعونها بين الناس، قال تعالى: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ (٢)، وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (٣)

وعلى تفسير - إلقاء الشيطان - بإلقائه الشبهات والوساوس سار المحققون من أئمة التفسير (٤)

وأضيف بأن هذه القصة مردودة لما يلي:

---

(١) المحرر الوجيز ١٢٩/٤

(٢) - سورة الأنعام من الآية: (١٢١)

(٣) -سورة الأنعام، آية: (١١٢)

(٤) - النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥٠٤/٢-ط- مؤسسة الكتب الثقافية - دار الجنان - لبنان- بيروت- الأولى- (١٤٠٧ه-١٩٨٧م)، وروح المعاني ١٧٣/١٧، وتفسير المراغي للأستاذ الشيخ /أحمد مصطفى المراغي ١٢٨/١٧- ط- مصطفى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الخامسة (١٣٩٤ه-١٩٧٤م)، التحرير والتنوير ٢٩٩/١٧، الأساس في التفسير للأستاذ /سعيد حوى ٣٥٨١/٧-دار السلام بالقاهرة - الأولى (١٤٠٥ه-١٩٨٥م)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١- لأنها تطعن في عصمة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وفيها نسبة الكذب على الله تعالى، وللنبي - صلى الله عليه وسلم - فيما طريقه البلاغ، فهذا القول في حقيقة الأمر هدم للدين كله أصوله وفروعه، وعليه فهو مردود بما ثبت لأنبياء الله -لا سيما خاتمهم - صلى الله عليه وسلم - - من العصمة من الكذب في التبليغ وغيره من الذنوب.

٢- سياق الآيات:

قال تعالى: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (١) هذه الآيات المباركات تدل دلالة قاطعة على ذم الأصنام والطعن فيها، وفي عابديها، فهل يعقل أن تقحم كلمة مدح في سياق كله ذم ولعن وتسفيه؟، لو كان ذلك، لوصف هذا الكلام بالتفكك والعبث والخلط، وهذا من المحال أن يقع في كلام آحاد العقلاء، فضلًا عن كلام رب الأرض والسماء - تعالى الله علوًا كبيرًا.

يقول صاحب أضواء البيان: "وليس من المعقول أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يسب آلهتهم هذا السب العظيم متأخرًا عن ذكره لها بخير مزعوم، إلا وغضبوا، ولم يسجدوا لأن العبرة بالكلام الأخير". (٢)

فحاشا لكلام الله تعالى أن يدخله اختلاف أو تناقض، قال سبحانه: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٣)

٣- مخالفتها للكتاب والسنة والمعقول:

أ - أنها مخالفة للقرآن الكريم:

---

(١) - سورة النجم، آية: (١٩: ٢٣)
(٢) - أضواء البيان ٧٢٩/٥
(٣) - سورة النساء، آية: (٨٢)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١- قال سبحانه: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (١)

٢- وقال سبحانه: قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢)

٣- وقال عز من قائل: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٣)

والآيتان الأخيرتان في مطلع سورة النجم، فلو أنه قرأ في أثنائها (تلك الغرانيق العلى)، لكان قد ظهر كذب الله- تعالى مولانا علوًا كبيرًا - في الحال، وذلك لا يقوله مسلم.

وقصة الغرانيق المزعومة تخالف آيات من الكثرة بمكان أكتفي بما سبق منها طلبًا للاختصار.

ب - أنها مخالفة للسنة: فقد روى البخاري في صحيحه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - (قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن. (٤)، وليس فيه حديث الغرانيق.

فلو كانت هذه القصة صحيحة أو حسنة لأخرجها أئمة السنة في مصنفاتهم، لكن الواقع أنهم أبطلوها وحكموا بوضعها.

ج - أنها مخالفة للعقل: من وجوه

١- من جوز على الرسول - صلى الله عليه وسلم - تعظيم الأوثان فقد كفر، لأنه من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان.

---

(١) - سورة الحاقة، الآيات (٤٤-٤٦)
(٢) - سورة يونس، آية: (١٥)
(٣) - سورة النجم، الآيتان: (٣،٤)
(٤) - أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - باب تفسير سورة النجم ١٨٤٢/٤ رقم (٤٥٨١)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- إن معاداتهم للرسول - صلى الله عليه وسلم - كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر، فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجدًا مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم

٣- وهو أقوى الوجوه: أنا لو جوّزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك، ويبطل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (١)

مما سبق نستطيع أن نجزم ببطلان قصة الغرانيق المزعومة لمخالفتها للأدلة القطعية، أما ما قاله حافظ السنة "ابن حجر" لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلًا وأن رجال بعض هذه الطرق على شرط الصحيحين". (٢) فغير مقبول، لأنه قول يعتمد على أدلة ظنية يدور الشك في بعض أسانيدها، وتفوح رائحة الكذب والوضع من متونها، فهو لا يقوي على معارضة الأدلة القطعية العقلية والنقلية القاضية ببطلانها، ومن وضع المتن لا يعجزه وضع السند.

والله أعلم

---

(١) سورة المائدة، آية: (٦٧)
(٢) فتح الباري ٢٩٣/٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هل جنة المأوى هي التي عند سدرة المنتهى أم جنة أخرى؟

قال تعالى" عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: "عندها جنة المأوى" يعني: أن الجنة التي وعدها الله عباده هي عند سدرة المنتهى.

وقيل: هي جنة أخرى تأوى إليها أرواح الشهداء والأول أظهر وأشهر (٢)

الأقوال كما عرضها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- جنة المأوى هي الجنة التي وعدها الله عباده في الآخرة عزاه الزمخشري (٣) وابن الجوزي (٤)، والقرطبي (٥) وأبو حيان إلى الحسن (٦)، وكذا النيسابوري (٧) و ذكره ابن عادل في اللباب (٨). وعزاه الماوردي إلى الجمهور (٩).

---

(١) سورة النجم آية: (١٥)
(٢) التسهيل ٤ / ٧٥
(٣) تفسير الكشاف ٤ / ٤٢٢
(٤) زاد المسير ٨ / ٦٩
(٥) تفسير القرطبي ١٧ / ٩٦
(٦) تفسير البحر المحيط ٨ / ١٥٧
(٧) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦ / ٢٠٣.
(٨) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ١٧٣
(٩) النكت والعيون ٥ / ٣٩٦.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

واختاره ابن عطية (١) والبيضاوي (٢) وأبو السعود (٣) والآلوسي (٤)

٢- جنة المأوى هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء، عزاه الماوردي إلى ابن عباس (٥) وعزاه ابن الجوزي إلى مقاتل (٦) وأبو حيان إلى قتادة (٧)، ذكره الشوكاني (٨) والنيسابوري في تفسيره (٩) وابن عادل في اللباب (١٠)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بقوله تعالى "جنة المأوى" الجنة التي أعدها الله تعالى لعباده المتقين وهو الترجيح الذي يؤيده السياق العام لآيات القرآن الكريم حيث عبر الله تعالى بلفظ المأوى عن الجنة عموما فقال تعالى: أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ"(١١)

فجعل جنات المأوى جزاء للذين آمنوا، وجعل في مقابلها النار جزاء للذين كفروا.

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٥ / ١٩٩.
(٢) تفسير البيضاوي ٥ / ٢٥٥.
(٣) تفسير أبي السعود ٨ / ١٥٧
(٤) روح المعاني ٢٧ / ٥٠
(٥) النكت والعيون ٥ / ٣٩٦
(٦) زاد المسير ٨ / ٦٩
(٧) البحر المحيط ٨ / ١٥٧
(٨) فتح القدير ٥ / ١٠٧
(٩) تفسير غرائب الفرقان ورغائب الفرقان ٦ / ٢٠٣.
(١٠) اللباب في علوم الكتاب ١٨ / ١٧٣
(١١) سورة السجدة الآيتان (١٩، ٢٠)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فدل هذا على أنه كما كان لفظ النار هنا على العموم، فإن لفظ الجنة أيضا على العموم.

ويدل لذلك أيضا لفظ الجمع في قوله تعالى "جنات" والذي يفيد أن جنات المأوى لفظ عام يشمل الفردوس والنعيم وعدن.... إلخ

وكذا في سورة النازعات يقول الله تعالى "فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (١)

فدل هذا على أن المراد بالمأوى هو ما يأوي إليه العباد جزاء أعمالهم فيأوي أهل الطاعات إلى الجنة جزاء طاعتهم ويأوي أهل العصيان إلى الجحيم جزاء عصيانهم

فيكون المراد هنا هو "الجنة التي وعد الرحمن عباده بالغيب" كما في قوله تعالى: "دار المقامة" (٢) فالمراد بالدار هنا الجنة عموما وليس موطنا خاصا في الجنة.

قال ابن عطية في تفسيره: وقوله تعالى: عندها جنة المأوى قال الجمهور: أراد أن يعظم مكان السدرة ويشرفه بأن جنة المأوى عندها. قال الحسن: وهي الجنة التي وعد بها العالم المؤمن.

وقال قتادة وابن عباس: هي جنة يأوي إليها أرواح الشهداء والمؤمنين، وليست بالجنة التي وعد بها المؤمنون جنة النعيم، وهذا يحتاج إلى سند وما أراه يصح عن ابن عباس (٣).

---

(١) سورة النازعات الآيات (من ٣٧- ٤١)
(٢) في قوله تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) (سورة فاطر الآيتان ٣٤، ٣٥)
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٥ / ١٩٩.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الآلوسي: جَنَّةُ الْمَأْوَى التي يأوي إليها المتقون يوم القيامة كما روي عن الحسن، واستدل به على أن الجنة في السماء، وقال ابن عباس بخلاف عنه: هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء وليست بالتي وعد المتقون، وقيل: هي جنة تأوي إليها الملائكة عليهم السلام والأول أظهر" (١)

ما المراد بقوله تعالى: "من كل شيء موزون"؟

يقول الله تعالى: وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) أي: مقدر بقدر، فالوزن على هذا استعارة.

وقيل: المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والأطعمة والأول أعم وأحسن (٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- معنى موزون أي مقدر بقدر والوزن على ذلك استعارة (٤).

٢- معنى موزون: ما يوزن حقيقة كالذهب والفضة والأطعمة (٥).

---

(١) روح المعاني ٢٧ / ٥٠

(٢) سورة الحجر آية: (١٩).

(٣) التسهيل ٢ / ١٤٤

(٤) تفسير مجاهد ٣٤٠/١، الطبري في تفسيره ١٥/١٤ وعزاه لعكرمة وابن عروة وأبي مالك،، تفسير ابن ابي زمنين ٣٨٢/٢.

(٥) تفسير الطبري ١٧/١٤ وعزاه لابن زيد، تفسير الماوردي ١٥٤/٣ وعزاه للحسن وابن زيد، والثعلبي عن ابن زيد ٣٣٥/٥، والواحدي ٥٩٠/١، تفسير السمرقندي ٢٥٣/٢، وتفسير السمعاني ١٣٤/٣، زاد المسير لابن الجوزي ٣٩١/٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن معنى موزون أي: مقدر بقدر وهو رأي جمهور المفسرين وهو الأنسب في تفسير الآية إذ هو يفيد العموم وليس في تخصيص اللفظ بالموزون نص ثابت أو علة راجحة.

وبمثل هذا رجح الطبري فقال:

قوله: (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) وأنبتنا في الأرض من كل شيء يقول من كل شيء مقدر بحد معلوم.

وأولى القولين عندنا بالصواب هذا القول لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه (١)

وقد حكى الزمخشري الرأي الثاني بصيغة التضعيف ولم يصدر به كلامه فقال: (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) أي: وزن بميزان الحكمة، وقدّر بمقدار تقتضيه، لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان، أو له وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة.

وقيل: ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها (٢)

وقد حكى ابن عطية أن الرأي الأول قول الجمهور فقال: قال الجمهور: معناه: مقدر محرر بقصد وإرادة، فالوزن على هذا مستعار وهو أولى وأحسن (٣)

ومما سبق يتضح أن أولى القولين بالصواب القول الأول لإجماع أهل العلم عليه ولمطابقتها القواعد الترجيحية التالية:

(١- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص (٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (٥)

وهذا ما رجحه الإمام ابن جزي رحمه الله وهو ما أميل إليه، والله أعلم.

كيف لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان والله عز وجل قال: فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٦)؟

قال تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٧)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المعرفة إذ لا يحتاج إلى ذلك؛ لأن المجرمين يعرفون بسيماهم، ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صحائفهم.

وأما السؤال الثابت في قوله: فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ وغيره فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ فلا تعارض بين المنفي والمثبت.

وقيل: إن ذلك باختلاف المواطن والأول أحسن (٨)

---

(١) تفسير الطبري ١٧/١٤.
(٢) الكشاف للزمخشري ٥٣٧/٢
(٣) المحرر الوجيز ٣٥٥/٣.
(٤) قواعد الترجيح ١ / ٧٢٥.
(٥) قواعد الترجيح ٢ / ٥٤٥، إرشاد الفحول ص ١٣٣
(٦) سورة الحجر آية: (٩٢)
(٧) سورة الرحمن آية: (٣٩)
(٨) التسهيل ٤ / ٨٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أنه لا تعارض بين النصين حيث السؤال في قوله "لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان" سؤال المعرفة والاستخبار، والسؤال في قوله "فوربك لنسألنهم أجمعين" سؤال الحساب التقرير والتوبيخ، وهو قول علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (١) واعتمده قطرب (٢) ورجحه الرازي (٣)

٢- أنه لا تعارض بين النصين لاختلاف المواقف في يوم القيامة وهو مروي أيضا عن ابن عباس (٤)، وعكرمة (٥) السمرقندي (٦) ذكره الرازي (٧)، القرطبي (٨) ابن عاشور (٩)

الترجيح في الميزان:

يرى الإمام ابن جزي أن الجمع بين قوله تعالى "فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان" وقوله تعالى: "فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون" بأحد أمرين:

---

(١) تفسير الطبري ١٤ / ٦٧، تفسير الثعلبي ٩ / ١٨٨، النكت والعيون للماوردي ٥ / ٤٣٦، تفسير البغوي ٤ / ٢٧٢، زاد المسير لابن الجوزي ٤ / ٤٢٠، تفسير الخازن ٧ / ٨، تفسير ابن كثير ٢ / ٥٦٠، تفسير الثعالبي ٩ / ١٨٨، تفسير السيوطي ٧ / ٧٠٣، تفسير الشوكاني ٥ / ١٣٩

(٢) تفسير البغوي ٣ / ٥٨، تفسير القرطبي ١٠ / ٦١، تفسير الخازن ٤ / ٧٦

(٣) تفسير الرازي ٢٩ / ١٠٥.

(٤) تفسير الخازن ٤ / ٧٦

(٥) تفسير القرطبي ١٠ / ٦١.

(٦) بحر العلوم للسمرقندي ٣ / ١٧٧.

(٧) تفسير الرازي ٢٩ / ١٠٥

(٨) تفسير القرطبي ١٠ / ٦١.

(٩) التحرير والتنوير ٢٧ / ٢٦٢

تفريغ الصفحات ٨٩–١٣٣ (الملف 89-133.pdf)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأول: أن في القيامة مواطن يسألون في بعضها ولا يسألون في بعضها

الثاني: أنه يسألهم سؤال محاسبة وتبكيت وتوبيخ ولا يسألهم سؤال استعلام واستخبار، وهذا ما ذهب إليه هو ورجحه

وأرى والله أعلم: أن كلا الأمرين محتمل حيث لم يرد نص يرجح أحد القولين علي الآخر فيكون الجمع بينهما أولي من ترجيح أحدهما علي الآخر وقد ورد من الأقوال في الجمع بين الآيتين الكثير منها ما ذكره الماوردي بقوله رحمه الله: " فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ " فيه خمسة أقاويل:

أحدها: كانت المسألة قبل، ثم ختم علي أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون , قاله قتادة.

الثاني: أنه لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا، قاله ابن عباس.

الثالث: لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم قد رفعوا أعمالهم في الدنيا , قاله مجاهد

الرابع: أنه لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله لشغل كل واحد منهم بنفسه , وهذا مروي عن ابن عباس أيضاً.

الخامس: أنهم في يوم تبيض فيه وجوه وتسود فيه وجوه فهم معروفون بألوانهم فلم يسأل عنهم، قاله الفراء.{١}

ويحتمل أيضا: أن يكون المراد من قوله تعالي: (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) أي: لا يسأل عن ذنبه أحد غيره من إنس أو جن.

ويحتمل أيضاً: أن يكون السؤال علي درجات.

فالسؤال عن الإيمان والكفر لا يكون لأحد من الإنس والجن، فالملائكة تعرف المؤمنين والكافرين كلا بسيماهم " وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ

---

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي ٥ /٤٣٦، ٤٣٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ "{١}

وقد عبر الله تعالي في غير ما آية في كتابه العزيز عن ذلك التمايز الحاصل بين الفريقين ومن ذلك قوله تعالي " يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ "{٢}

وقوله تعالي " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ "{٣}

وقوله تعالي " وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ "{٤}

فإذا تمايز كلا الفريقين كان السؤال بعد ذلك للعباد لما عملوه لم عملوه لا كيف عملوه فهو ليس سؤال استخبار ولكن سؤال تقرير، كما في القول السابق لابن عباس رضي الله عنهما

فيحصل انتفاء السؤال عن الجميع عن إيمانهم أو شركهم، ويحصل تحقق السؤال لكل من الفريقين عن أعمالهم لم عملوها وقد هداهم الله السبيل وأرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب كما في حديث البخاري عن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهُ أَحَدُكُمْ يوم يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ له فيقولن أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ فيقول بَلَى فيقول أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَولَدًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ فيقول بَلَى فَيَنْظُرُ عن يَمِينِهِ فلا يَرَى إلا جَهَنَّمَ وَيَنْظُرُ عن يَسَارِهِ فلا يَرَى إلا جَهَنَّمَ قال عَدِيٌّ سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: " اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ

---

(١) الأعراف آية: (٤٦).
(٢) سورة آل عمران آية: (١٠٦، ١٠٧)
(٣) سورة القيامة آية: (٢٢- ٢٥)
(٤) سورة عبس آية: (٣٨- ٤١)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فَمَنْ لم يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ قال عديٌّ فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ من الْحِيرَةِ حتى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إلا اللَّهَ "{١}

أو يكون الأمر علي الترتيب الذي ذكره ابن قتيبة، قال رحمه الله: فأما ما نحلوه من التناقض في مثل قوله تعالي: (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) وهو يقول في موضع آخر " فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون "

فالجواب في ذلك أن يوم القيامة يكون كما قال الله تعالي: (... مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ){٢} ففي مثل هذا اليوم يسألون، وفيه لا يسألون؛ لأنهم حين يعرضون يوقفون علي الذنوب ويحاسبون فإذا انتهت المسألة ووجبت الحجة "(.. انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ){٣}، وانقطع الكلام وذهب الخصام واسودت وجوه قوم وابيضت وجوه آخرين وعرف الفريقان بسيماهم وتطايرت الصحف من الأيدي: فأخذ ذات اليمين إلي الجنة، وأخذ ذات الشمال إلي النار.

وكذلك قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله: (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) قال: هو موطن لا يسألون فيه. ومثله: (.... وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) {٤}" {٥}

[سطر نجمي فاصل]

---

(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام - ٣ / ١٣١٦ برقم ٣٤٠٠.
(٢) سورة المعارج آية: (٤).
(٣) سورة الرحمن آية: (٣٧)
(٤) سورة القصص آية: (٧٨)
(٥) تأويل مشكل القرآن للإمام ابن قتيبة ص ١١٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حكم مرتكب الكبيرة:

يقول الله تعالي: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا) (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالي: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ....) هذه الآية هي الحاكمة في مسئلة الوعيد وهي المبينة لما تعارض فيها من الآيات، وهي الحجة لأهل السنة والقاطعة بالخوارج والمعتزلة والمرجئة.

وذلك أن مذهب أهل السنة: أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم وحجتهم هذه الآية فإنها نص في هذا المعني.

ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر.

ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون علي الكبائر ولا بد/ويرد علي الطائفتين قوله: (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ) ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم ولا بد وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان ويرد عليهم قوله: (لِمَنْ يَشَاءُ) فإنه تخصيص لبعض العصاة.

وقد تأولت المعتزلة الآية علي مذهبهم فقالوا: (لِمَنْ يَشَاءُ) وهو التائب لا خلاف أنه لا يعذب

وهذا التأويل بعيد لأن قوله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) في غير التائب من الشرك وكذلك قوله (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) في غير التائب من العصيان ليكون أول الآية وآخرها علي نسق واحد.

وتأولتها المرجئة علي مذهبهم فقالوا: (لِمَنْ يَشَاءُ) معناه: لمن يشاء أن يؤمن وهذا أيضا بعيد لا يقتضيه اللفظ.

وقد ورد في القرآن آيات كثيرة في الوعيد فحملها المعتزلة علي العصاة، وحملها المرجئة علي الكفار، وحملها أهل السنة علي الكفار وعلي من لا يغفر

---

(١) سورة النساء آية: (٤٨).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الله له من العصاة كما حملوا آية الوعد علي المؤمنين الذين لم يذنبوا وعلي المذنبين التائبين وعلي من يغفر الله له من العصاة غير التائبين

فعلي مذهب أهل السنة لا يبقى تعارض بين آية الوعد وآية الوعيد بل يجمع بين معانيها بخلاف قول غيرهم فإن الآيات فيه تتعارض وتخليص المذاهب أن الكافر إذا تاب من كفره غفر له بإجماع وإن مات علي كفره لم يغفر له وخلد في النار بإجماع وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه{١}

وقد تقدم قول ابن جزي عند تفسير قوله تعالي " بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {٢} " من كسب سيئة الآية في الكفار لأنها رد علي اليهود ولقوله بعدها والذين آمنوا فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة في النار{٣}

وكذا قوله عند تفسيره: " الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " {٤}

قال " ومن عاد الآية " يعني من عاد إلي فعل الربا وإلي القول إنما البيع مثل الربا ولذلك حكم عليه بالخلود في النار لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر فلا حجة فيها لمن قال بتخليد العصاة لكونها في الكفار

---

(١) التسهيل ١ / ١٤٣، ١٤٤
(٢) الآية ٨١ من سورة البقرة.
(٣) التسهيل ١ / ٥٢.
(٤) الآية ٢٧٥ من سورة البقرة.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- مذهب أهل السنة أن العصاة من المؤمنين في مشيئة الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم

٢- ومذهب الخوارج أن العصاة يعذبون في النار ولا بد سواء كانت ذنوبهم صغائر أو كبائر.

٣- ومذهب المعتزلة أنهم يعذبون علي الكبائر

٤- ومذهب المرجئة أن العصاة كلهم يغفر لهم وأنه لا يضر ذنب مع الإيمان

الترجيح في الميزان:

هذه المسألة متفرعة عن مسألة الإيمان، وذلك أن من أخرج مرتكب الكبيرة عن الإيمان حكم بخلوده في النار، ومن أدخله في الإيمان لم يحكم بخلوده في النار، بل جعله في المشيئة إن شاء عفا الله — عنه ابتداءً، وإن شاء أدخله النار ثم أخرجه منها بعد ذلك، ومن حكم بأنه خرج عن دائرة الإيمان ولم يدخل حيز الكفر حكم بخلوده في النار، لذلك كان اختلاف فرق المسلمين في مرتكب الكبيرة علي النحو التالي:

أولاً: ذهب المعتزلة والخوارج إلي أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار(١)، مع افتراقهم في الحكم بكفره — كما تقدم —.

ثانياً: ذهب المرجئة (٢)، إلي أنه لا وعيد لهم(٣)، حيث قالوا لا تضر مع

---

(١) مقالات الإسلاميين ١٦٧/١

(٢) فرقة من الفرق الإسلامية، وهي ثلاثة أصناف، صنف قال بالإرجاء في الإيمان وبالقدر علي مذهب المعتزلة، وصنف قال بالإرجاء في الإيمان وبالجبر علي مذهب الجهمية، وصنف منهم خارجون عن الجبر والقدر، والإرجاء عندهم معنيان، الأول: التأخير لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية، والثاني إعطاء الرجاء، لأنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. ينظر الفرق بين الفرق ص:٤٤، ٤٥، الملل والنحل ١٣٩/١

(٣) مفاتيح الغيب ١٩٩/٢، اللباب ٢١٨/٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة (١).

ثالثاً: ذهب أكثر الصحابة والتابعين، وأهل السنة والجماعة،

وأكثر الإمامية (٢) إلي القطع بأنه - سبحانه - يعفو عن بعض العصاة، ولكنا نتوقف في حق كل أحد علي التعيين، ونقطع بأنه إذا عذب أحداً منهم فإنه لا يعذبه أبداً بل يقطع عذابه(٣).

أدلة القائلين بتخليد مرتكب الكبيرة في النار:

الدليل الأول: عمومات الوعيد بالخلود، مثل قوله - عز وجل - بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٤) لذلك فسر صاحب الكشاف السيئة بالكبيرة، وجعل الخلود لمن لم يتب منها، حيث قال مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً من السيئات، يعني الكبائر، وأحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط بالعدو، ولم ينقض عنها بالتوبة(٥)، ومثل قوله - عز وجل - وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ(٦) وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا(٧) والخلود حقيقة في الدوام(٨).

---

(١) الملل والنحل ١ / ١٣٩.

(٢) فرقة من فرق الرافضة من الشيعة، فانقسموا إلي خمس عشرة فرقة، يجمعهم القول بإمامة سيدنا علي - رضي الله عنه - بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، من غير تعريض بالوصف بل إشارة بالعين - الفرق بين الفرق ص:٤٣، الملل والنحل ١٦٢/١

(٣) مقالات الإسلاميين ١٦٧/١، مفاتيح الغيب ١٩٩/٢، اللباب ٢١٩/٢، الفقه الأكبر وشرحه ص:٧٧

(٤) سورة البقرة: ٨١.

(٥) الكشاف ٢٩٢/١

(٦) سورة النساء آية: (١٤) ٠

(٧) سورة النساء آية: (٩٣)

(٨) كتاب المواقف اسم المؤلف: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ٣٣٣/٨، تحقيق: عبد الرحمن عميرة

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ثم قرر أن صيغة "من" تفيد العموم بأدلة كثيرة لا داعي لذكرها.

الدليل الثاني: أن الفاسق لو دخل الجنة لكان باستحقاق، وقد انتفي بالإحباط.

الدليل الثالث: لو انقطع عذاب الفاسق لانقطع عذاب الكافر بجامع تناهي المعصية.

الدليل الرابع: أن الوعيد بدوام العذاب لطف لكونه أزجر، فيجب، ثم لا يزول{١}.

الدليل الخامس: النصوص الدالة علي أنه - سبحانه وتعالى - لابد وأن يفعل ما توعدهم به، مثل قوله - سبحانه وتعالى - قال لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ{٢} صريح في أنه لابد وأن يفعل ما دل اللفظ عليه{٣} مع أحاديث كثيرة.

أدلة القائلين بأنه لا تضر مع الإيمان معصية:

أما المرجئة ومن ذهب من مذهبهم فإنهم تمسكوا بالآيات الدالة علي اختصاص العذاب بالكفار، مثل قوله - سبحانه وتعالى -: إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى {٤}

وقوله - سبحانه وتعالى: إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ {٥}

وقوله: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...)}{٦}

---

(١) شرح المقاصد في علم الكلام اسم المؤلف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني ١٣٣/٥، ١٣٤

(٢) سورة ق آية: (٢٨، ٢٩) ٠

(٣) مفاتيح الغيب ٢٠٦/٢، اللباب ٢٢١/٢

(٤) سورة طه آية: (٤٨)

(٥) سورة النحل آية: (٢٧)، ينظر شرح المقاصد ١٣٥/٥

(٦) من الآية ٥٣ من سورة الزمر.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقوله: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ..)(١} وكلمة علي تفيد الحال، وتمسكوا أيضا: بأن صاحب الكبيرة لا يخزي لأنه مؤمن، والمؤمن لا يخزي، وكل من أدخل النار فقد أخزي، أما أن المؤمن لا يخزي فلقوله - عز وجل - {إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ}{٢} وقوله "يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ"{٣} وأما أن من أدخل النار فقد أخزي فلقوله - عز وجل - {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}{٤}

فثبت بمجموع هاتين المقدمتين أن صاحب الكبيرة لا يدخل النار، وتمسكوا رابعاً بالعمومات الكثيرة الواردة في الوعد مثل قوله - عز وجل - {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا}{٥}{٦}

أدلة القائلين بأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار:

الدليل الأول: الآيات والأحاديث الدالة علي أن المؤمنين يدخلون الجنة البتة لقوله - عز وجل - {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}{٧} وقوله - صلى الله عليه وسلم - (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة){٨} ولا يصح أن يدخل الجنة ثم يدخل النار، لأن من دخل الجنة

---

(١) سورة الرعد آية: ٦ ٠
(٢) سورة النحل آية: ٢٧
(٣) سورة التحريم آية: ٨ ٠
(٤) سورة آل عمران آية: ١٩٢ ٠
(٥) سورة النساء آية: ١٢٤ ٠
(٦) مفاتيح الغيب ٢١٢/٢: ٢١٤ ٠
(٧) سورة الزلزلة آية: ٧
(٨) أخرجه مسلم ك/ الإيمان ب/ من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ٩٢/٢،٩٣ ٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لا يخرج منها لقوله - عز وجل - {وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} {١}

فتعين أن يكون دخول الجنة بدون دخول النار بالمدة، وهذا هو العفو التام أو بعد دخول النار بقدر ذنبه، وهذا هو عدم الخلود في النار{٢}.

الدليل الثاني: النصوص الدالة علي خروجهم من النار،مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - (ما منكم من أحد بأشد منا شدة له في استقصاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم علي النار، فيخرجون خلقاً كثيراً...){٣} الحديث.

الدليل الثالث: أن المعصية متناهية زماناً وقدراً، فجزاؤها كذلك، تحقيقاً للعدل.

الدليل الرابع: أن استحقاق الثواب وعداً أو عقلاً لا يزول بالكبيرة{٤}.

دراسة الآراء:

بالنظر في الآراء وأدلتها نجد أن أهل السنة أهدي سبيلاً، وأقوم قيلاً، وأقوي برهاناً، وأفصح بياناً، وذلك أنهم لكتاب ربهم متبعون، ومن هدي نبيهم مقتبسون، لذلك كانت حجتهم أسلم حجة، وأبعد عن الشبهة.

أما أدلة الآخرين فلم تسلم من الاعتراض ولم تنج من الردود، وأقلها خطباً، وأعلاها شأواً ما تطرق إليه الاحتمال فسقط به الاستدلال، أو ما عورض بمثله فلم يستطع الخصم به إثبات أمره.

---

(١) سورة الحجر آية: ٤٨ ٠
(٢) تحفة المريد علي جوهرة التوحيد ص١٢٩
(٣) أخرجه مسلم ك/ الإيمان ب/ إخراج عصاة المؤمنين من النار ٣٠/٣ ٠
(٤) شرح المقاصد ١٣٢/٥، الفقه الأكبر وشرحه ص:٧٧، ٧٨

© جميع الحقوق محفوظة ٠ drahmedabouseif.com

أما ما استدل به المعتزلة من آيات تشعر بالخلود فقوله - عز وجل - {وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ}(١) فلم يسلم لهم أن من له حسنات من الإيمان والطاعات فقد أحاطت به خطيئته، وأما قوله: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا}(٢)

فلا تسلم أن من اكتسب كبيرة تعدي حدوده بل تعدي بعض حدوده، وأما قوله: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا}(٣) فالمراد من قتل مؤمناً لأنه مؤمن، ولا يكون ذلك القاتل إلا كافراً، واستحقاق العذاب لا يوجب وقوعه، فالأولي أن تحمل آيات الخلود بالنسبة للكفار علي الدوام وبالنسبة لعصاة المؤمنين علي المكث الطويل، جمعاً بين الأدلة (٥).

أما الخامس: فقال، عمومات الوعيد معارضة بعمومات الوعد وهو معنا من وجوه:

الوجه الأول: أن الوفاء بالوعد أدخل في الكرم من الوفاء بالوعيد.

الوجه الثاني: أنه اشتهر في الأخبار أن رحمة الله سابقة علي غضبه وغالبة عليه فكان ترجيح عمومات الوعد أولي ٠

الوجه الثالث: الوعيد حق الله - عز وجل - والوعد حق العبد، وحق العبد أولي

---

(١) سورة البقرة آية: ٨١ ٠
(٢) سورة النساء آية: ١٤ ٠
(٣) سورة النساء آية: ٩٣ ٠
(٥) شرح المقاصد ١٣٣/٥ ٠

© جميع الحقوق محفوظة ٠ drahmedabouseif.com

بالتحصيل من حق الله{١}

أما من قال: إن عصاة المؤمنين لا يعذبون أصلاً معتمداً علي الآيات التي تحصر العذاب علي الكفار، فتخصص هذه الآيات بعذاب لا يكون علي سبيل الخلود، أما باقي الأدلة فكلها معارضة بآيات الوعيد{٢} ٠

وإننا إذا نظرنا في أدلة الفريقين، فإننا نجدها أدلة صحيحة موثوقاً بها، لا يتطرق إليها شك في ثبوتها، فتمسك كل فريق بما يتفق ووجهته، والقرآن الكريم لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، وكذلك السنة النبوية المطهرة، وبالنظر وجدنا عدة قواعد تؤيد ما ذهب إليه أهل السنة وهو رأي الإمام ابن جزي رحمه الله منها:

أولاً: إعمال الكلام أولي من إهماله{٣}

ثانياً: الجمع بين الأدلة مقدم علي الترجيح. علي مذهب الجمهور{٤} ٠ثالثاً: لا قياس مع النص{٥}، فمذهبهم أولي، وأيضاً مما يؤيد مذهبهم أحاديث الشفاعة الكثيرة الثابتة في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة، والتي تؤيد أن هناك أناساً يدخلون النار ثم يخرجون منها بشفاعة نبينا - صلى الله عليه وسلم - وآخرين بشفاعة صلحاء الأمة، وآخرين بفضل الله سبحانه وتعالي

والإمام ابن جزي رحمه الله اختار رأي أهل السنة ورجحه من بين الآراء وهو أن من مات علي كفره لم يغفر له وخلد في النار، وأن العاصي من المؤمنين إن تاب غفر له وإن مات دون توبة فهو الذي اختلف الناس فيه والله أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب ٢١١/٢، اللباب٢٢٢/٢، ٢٢٣.
(٢) مفاتيح الغيب ٢١٤/١ ٠
(٣) الأشباه والنظائر علي مذهب أبي حنيفة النعمان، للشيخ: زين العابدين بن إبراهيم نجم ص:١٤٣ تحقيق: عادل سعد، الأشباه، والنظائر للإمام: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، المتوفي(٧٧١ه) ١٧١/١.
(٤) إرشاد الفحول ص:١٦٤ ٠، التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية ١٦٦/١، ١٦٧ ٠
(٥) الرسالة، للإمام: محمد بن إدريس الشافعي المتوفي(٢٠٤ه) ص:٥٩٩ تحقيق: الأستاذ أحمد شاكر.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هل زلزلة الساعة قبل القيامة أم بعدها؟

قال تعالي: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) {١}

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالي:

واختلف هل الزلزلة والشدائد المذكورة بعد ذلك في الدنيا بين يدي القيامة، أو بعد أن تقوم القيامة، والأرجح أنه قبل القيامة؛ لأن في ذلك الوقت يكون ذهول المرضعة ووضع الحامل لا بعد القيامة {٢}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله تعالي:

أن الزلزلة التي في الآية تكون في الدنيا بين يدي القيامة وهو قول علقمة{٣} والشعبي{٤} وعطاء عن عامر وابن جريج{٥}، ونسبه الإمام ابن عطية إلى الجمهور{٦}، ذكره الماوردي{٧}، والواحدي{٨}، وكذا القرطبي{٩}.

---

(١) سورة الحج آية (١)
(٢) التسهيل ٣ / ٣٣
(٣) تفسير الطبري ١٧ / ١٠٩، تفسير السمعاني ٣ / ٤١٦، تفسير البغوي ٣ / ٢٧٣، اللباب لابن عادل ١٤ / ١٣
(٤) تفسير السمعاني ٣ / ٤١٦، تفسير البغوي ٣ / ٢٧٣، اللباب لابن عادل ١٤ / ١٣
(٥) الطبري ١٧ / ١٠٩
(٦) تفسير ابن عطية ٤ / ١٠٦
(٧) تفسير الماوردي ٤ / ٥
(٨) تفسير الواحدي ٧٢٧ / ٢
(٩) تفسير القرطبي ١٢ / ٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أن الزلزلة التي في الآية تكون بعد القيامة وهو الوارد في الأثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - {١}

، وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة والسدي {٢}

ورجحه الطبري {٣}، وابن أبي حاتم {٤}، وابن أبي زمنين {٥}، ذكره الماوردي {٦}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن الزلزلة المذكورة في الآية كائنة قبل يوم القيامة بدلالة سياق الآيات وهو القول الذي رجحه ابن عطية ودلل عليه بقوله قال الله تعالي " يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ "{٧}

فقال الجمهور: هي في الدنيا والضمير في { ترونها } عائد عندهم على الزلزلة وقوي قولهم أن الرضاع والحمل إنما هو في الدنيا

وقالت فرقة: «الزلزلة» في القيامة، واحتجت بحديث أنس المذكور آنفاً إذ قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الآية ثم قال «إنه اليوم الذي يقول الله تعالي لآدم أخرج بعث

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الرقاق- باب قوله عز وجل (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) ٢٣٩٢/٥ رقم ٦١٦٥
(٢) تفسير ابن عباس ١ / ٢٧٦، تفسير السمعاني ٣ / ٤١٦، تفسير البغوي ٣ / ٢٧٣، زاد المسير ٥/ ٤٠٣
(٣) تفسير الطبري ١٧ / ١٠٩ ٠
(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٣٠
(٥) تفسير ابن أبي زمنين ٣ / ١٦٦
(٦) تفسير الماوردي ٤ / ٥
(٧) سورة الحج آية: (٢)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

النار» وهذا الحديث لا حجة فيه لأنه يحتمل أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ الآية المتضمنة ابتداء أمر الساعة ثم قصد في تذكيره وتخويفه إلي فصل من فصول يوم القيامة فنص ذكره وهذا من الفصاحة{١}

وهذا القول من حيث المعني له وجه من النظر، ولكنه لم يثبت ما يؤيده من النقل، بل الثابت يؤيد خلافه. وهو القول الآخر، وأدلته:

١- السياق القرآني

قال أبو جعفر بن الزبير: لما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالي: { اقترب للناس حسابهم } وكان وارداً في معرض التهديد، وتكرر في مواضع منها كقوله تعالي: { إلينا ترجعون } (١) { سأريكم آياتي فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد } (٢) { لو يعلم الذين كفروا حين يكفون عن وجوههم النار } (٣) {ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك } (٤) { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة } (٥) { وهم من الساعة مشفقون } (٦) { كل إلينا راجعون } (٧) { واقترب وعد الحق } (٨) { إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم } (٩) { يوم نطوي السماء كطي

---

(١) تفسير ابن عطية ٤ / ١٠٦
(٢) [الأنبياء: ٣٥]
(٣) [الأنبياء: ٣٧]
(٤) [الأنبياء: ٣٩]
(٥) [الأنبياء: ٤٦]
(٦) [الأنبياء: ٤٧]
(٧) [الأنبياء: ٤٩]
(٨) [الأنبياء: ٩٣]
(٩) [الأنبياء: ٩٧]
(١٠) [الأنبياء: ٩٨]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

السجل للكتاب } (١) إلي ما تخلل هذه الآي من التهديد، وشديد الوعيد، حتى لا تكاد تجد أمثال هذه الآي في الوعيد والإنذار بما في الساعة وما بعدها وما بين يديها في نظائر هذه السورة، وقد ختمت من ذلك بمثل ما به ابتدئت، اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول الساعة وعظيم أمرها، فقال تعالي: { يا أيها الناس اتقوا ربكم - إلي قوله -: { ولكن عذاب الله شديد } ثم اتبع بسط الدلالات علي البعث الأخير وإقامة البرهان { يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث } الآيات

٢- الخبر الوارد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن ذلك ما ثبت في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: قال البخاري رحمه الله في صحيحه في التفسير في باب قوله (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى) حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - (يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدمُ، فيقول: لبيك ربَّنا وسعديك، فيُنادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلي النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف أراه قال تسعمائه وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، وتري الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. فشق ذلك علي الناس حتى تغيرت وجوههم، فقال النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد، وأنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبرنا ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبرنا) {٢}.

وفيه تصريح النَّبِي - صلى الله عليه وسلم - بأن الوقت الذي تضع فيه الحامل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى: هو يوم القيامة لا آخر الدنيا.

---

(١) [الأنبياء: ١٠٤]

(٢) صحيح البخاري - كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحج - ٤ / ١٧٦٧ برقم ٤٤٦٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال البخاري في صحيحه أيضاً في كتاب الرقاق، باب (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) عن أبي سعيد قال: (يقول الله يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، قال يقول: أخرج بعث النار قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذلك حين يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى. ولكن عذاب الله شديد. فاشتد ذلك عليهم فقالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل، قال: (أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفاً، ومنكم رجل، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة، فحمدنا الله وكبرنا. ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالرقمة في ذراع الحمار) {١}.

وبهذا يتضح أن دلالة السياق والأثر ظاهرة في بيان أن الزلزلة كائنة في الآخرة لا في الدنيا وأن القول علي خلاف ما ذهب إليه الإمام ابن جزي رحمه الله

- وسبحان من يعلم الغيب وعنده علم الساعة-

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الرقاق، باب إن زلزلة الساعة شيء عظيم - ج ٥/ ٢٣٩٢ برقم ٦١٦٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

من القائل " هل من مزيد " وهل تتكلم جهنم حقيقة وتقول هل من مزيد

قال تعالي " يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ "{١}

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالي:

الفعل مسند إلي جهنم، وقيل: إلي خزنتها من الملائكة والأول أظهر. واختلف هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازاً بلسان الحال؟ والأظهر أنه حقيقة وذلك علي الله يسير {٢}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أن قوله تعالي " هل من مزيد " هو قول جهنم حقيقة وهو قول أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ورجحه ابن الجوزي {٣} ابن عطية {٤}

أن قوله تعالي " هل من مزيد " هو قول جهنم مجازا وقد ذكره السمعاني في تفسيره {٥}

أن قوله تعالي " هل من مزيد " هو قول خزنتها من الملائكة وقد ذكره الماوردي في تفسيره {٦}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن قوله تعالي " هل من مزيد " هو قول جهنم حقيقة وهو القول الوارد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وشاهده ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: " لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ " هل من

---

(١) سورة ق الآية (٣٠)
(٢) التسهيل ٤ / ٦٤
(٣) زاد المسير ٨ / ٢٠
(٤) المحرر الوجيز ٥ / ١٦٥
(٥) تفسير السمعاني ٥ / ٢٤٥ ٠
(٦) النكت والعيون ٥ / ٣٥٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

مزيد " حتى يضع ربُّ العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها إلي بعض "{١}

وعن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال احْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا فَقَالَتِ الْجَنَّةُ يا رب ما لها لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ضُعَفَاءُ الناس وَسَقَطُهُمْ وَقَالَتِ النَّارُ يَعْنِي أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ فقال الله تَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي وقال لِلنَّارِ أَنْتِ عَذَابِي أُصِيبُ بِكِ من أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا قال فَأَمَّا الْجَنَّةُ فإن اللَّهَ لَا يَظْلِمُ من خَلْقِهِ أَحَدًا وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّارِ من يَشَاءُ فَيُلْقَوْنَ فيها وتقول هل من مزيدٍ حتى يضع فيها قَدَمَهُ فَتَمْتَلِئُ وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ قَطْ قَطْ قَطْ {٢}

قال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان:

اعلم أن التحقيق أن النار تبصر الكفار يوم القيامة، كما صرح الله بذلك في قوله هنا: (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) (ورؤيتها إياهم من مكان بعيد، تدل علي حدة بصرها كما لا يخفى، كما أن النار تتكلم كما صرح الله به في قوله: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) والأحاديث الدالة على ذلك كثيرة، كحديث محاجة النار مع الجنة{٣}، وكحديث اشتكائها إلي ربها، فأذن لها في نفسين{٤}، ونحو ذلك، ويكفي في ذلك أن الله جل وعلا صرح أنها ترى الكفار وأن لها عليهم تغيظاً، وأنها تقول: هل من مزيد.

---

(١) صحيح البخاري ٦ / ٢٤٥٣ — ك الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته — برقم ٦٢٨٥

(٢) صحيح البخاري ٦ / ٢٧١١ — كتاب التوحيد - باب ما جاء في قول الله تعالي " إن رحمة الله قريب من المحسنين " برقم ٧٠١١

(٣) سبق تخريجه بصحيح البخاري ٦ / ٢٧١١ — كتاب التوحيد، باب ما جاء في قول الله تعالي " إن رحمة الله قريب من المحسنين " برقم ٧٠١١

(٤) أراد حديث أبي هريرة قال: قال رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - اِشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فقالت رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا فَأَذِنَ لها بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ في الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ في الصَّيْفِ فَأَشَدُّ ما تَجِدُونَ من الْحَرِّ وَأَشَدُّ ما تَجِدُونَ من الزَّمْهَرِيرِ أ. ه " صحيح البخاري ٣ / ١١٩٠ - باب الإبراد بالظهر، كتاب مواقيت الصلاة -

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

واعلم أن ما يزعمه كثير من المفسرين وغيرهم، من المنتسبين للعلم من أن النار لا تبصر، ولا تتكلم، ولا تغتاظ. وأن ذلك كله من قبيل المجاز، أو أن الذي يفعل ذلك خزنتها كله باطل ولا معول عليه لمخالفته نصوص الوحي الصحيحة بلا مستند، والحق هو ما ذكرنا.

وقد أجمع من يعتد به من أهل العلم علي أن النصوص من الكتاب والسنة، لا يجوز صرفها عن ظاهرها إلا لدليل يجب الرجوع إليه، كما هو معلوم في محله. وقد دلت الاحاديث علي تحقق الحقيقة فلا وجه للعدول الي المجاز كما روى من زفرتها وهجومها عل الناس يوم الحشر {١}

وقال ابن الجوزي: وجعل الله فيها أن تميز وتخاطب كما جعل في النملة أن قالت أدخلوا مساكنكم وفي المخلوقات أن تسبح بحمده {٢}

ومن خلال ما سبق يتبن أن رجحان ما ذهب إليه الإمام ابن جزي في هذه المسألة أن قول جهنم " هل من مزيد " علي حقيقته، والله أعلم

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٦/ ٦١
(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٨ / ٢٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هل الإيمان يزيد وينقص؟

يقول الله تعالي: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

والصحيح أن الإيمان يزيد وينقص فمعناه هنا قوة يقينهم وثقتهم بالله{٢}

الآراء الواردة في المسألة:

١- أن الإيمان يزيد وينقص وهو مذهب أهل السنة والجماعة ورجحه الإمام ابن جزي رحمه الله.

٢- أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وهو قول المرجئة والمعتزلة والخوارج وهو قول عن أبي حنيفة رضي الله تعالي عنه (٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن الإيمان يزيد وينقص، وهو القول الذي تؤيده نصوص الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم

فأما الكتاب العزيز فمنها: قوله تعالي: (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) (٤)، وقوله تعالي: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (٥)

---

(١) سورة آل عمران آية: (١٧٣).
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ١٢٤
(٣) أصول الدين لجمال الدين أحمد بن محمد الغزنوي ٢٥٤/١-ط- دار البشائر الإسلامية بيروت- لبنان الأولي ١٤١٩ ه - ١٩٩٨م، ٠ شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد خليل هراس ١/ ٣١٦ -ط-الأولي - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١٣ه - ١٩٩٢م
(٤) سورة الأنفال آية: (٢)
(٥) سور التوبة آية: (١٢٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقوله - تعالي -: { وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا } {١}

وقوله - تعالي -: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } {٢}

وقوله تعالي: (لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا..) {٣}.

وأما السنة فمنها:

ما روى عن ابن عمر رضي الله تعالي عنهما قال: «قلنا يا رسول الله إن الايمان يزيد وينقص قال: نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار».

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان) (٢) زاد مسلم في رواية «فأفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» (٤).

وأما قول السلف والإجماع فشاهده

قول البخاري: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الايمان قول وعمل ويزيد وينقص.،

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: (فزادهم إيمانا) قال: الإيمان يزيد وينقص (٥)

---

(١) سورة الأحزاب آية: (٢٢)
(٢) سورة الفتح آية: (٤)
(٣) سورة المدثر آية: (٣١) ٠
(٢) أخرجه البخاري ك/ الإيمان ب/ أمور الإيمان ٦٧/١ حديث رقم(٩) واللفظ له ٠
(٤) مسلم ك/ الإيمان ب/ عدد شعب الإيمان ٣/٢ ٠
(٥) الدر المنثور ٣٨٩/٢

© جميع الحقوق محفوظة ٠ drahmedabouseif.com

وأخرج ابن أبي شيبة عن علقمة {١} أنه قال لأصحابه:" امشوا بنا نزداد إيماناً) {٢}

وقال الشنقيطي: والحق الذي لا شك فيه أن الإيمان يزيد وينقص كما عليه أهل السنة والجماعة وقد دل عليه الوحي من الكتاب والسنة (٣)

وبعد، فإني أرى أنه لا يلتفت إلي أقوال غير التي ثبتت عن أهل السنة والجماعة فيما تضافرت عليه النصوص الشرعية من قرآن وسنة وأقوال السلف والخلف.

---

(١) هو: علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي، ثقة ثبت فقيه عابد، روي عن أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، روي عنه عبد الرحمن بن يزيد، وإبراهيم النخعي وغيرهما، مات سنة اثنين وستين ٠ الكاشف ٢٧٧/٢، تقريب التهذيب ٢٥/٢ رقم(٤٦٧٢)

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص:٤١ ٠

(٣) أضواء البيان ٣٩٤/٧

© جميع الحقوق محفوظة ٠ drahmedabouseif.com

كيف كان الوحي إلي أم موسى عليه السلام؟

يقول الله تعالي: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالي: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى....اختلف هل كان هذا الوحي بإلهام أو منام أو كلام بواسطة الملك؟ وهذا أظهر لثقتها بما أوحى إليها وامتثالها ما أمرت به{٢}

الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١-الوحي إلي أم موسى كان إلهاماً وهو قول ابن عباس {٣} والحسن {٤} عبد الرزاق عن معمر عن قتادة{٥} في قوله (وأوحينا إلي أم موسى وحياً جاءها من

---

(١) سورة القصص آية: (٧) ٠
(٢) التسهيل ٣ / ١٠١
(٣) تفسير ابن عباس ١ / ٣٢٣، تفسير ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٤١، النكت والعيون ٤ / ٢٣٥، زاد المسير ٦ / ٢٠١، تفسير البحر المحيط ٧ / ١٠٠
(٤) تفسير ابن أبي حاتم ٩ / ٢٩٤١
(٥) تفسير الطبري ٢٠ / ٢٩، معاني القرآن للنحاس ٥ / ١٥٧، تفسير الثعلبي ٧ / ٢٣٣، النكت والعيون ٤ / ٢٣٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الله فقذف في قلبها وليس بوحي نبوة {١}، وابن أبي زمنين {٢}، والسلمي{٣} والبغوي {٤}، والخازن {٥} والآلوسي {٦}

٢- الوحي إلي أم موسى كان مناماً حكاه الماوردي {٧} والزمخشري {٨} وابن الجوزي {٩}، والقرطبي {١٠}، البيضاوي {١١}، وأبو حيان {١٢}

٣- الوحي إلي أم موسى كان بواسطة الملك وهو قول قطرب {١٣} ومقاتل بن سليمان {١٤}{١٥}

الترجيح في الميزان

---

(١) تفسير الصنعاني ٣ / ٨٧
(٢) تفسير ابن أبي زمنين ٣ / ٣١٧
(٣) تفسير السلمي المسمي حقائق التفسير ج ٢ ص ١٠٠، للإمام أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي المتوفي سنة ٤١٢ه، ط،: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢١ه - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولي، تحقيق: سيد عمران.
(٤) تفسير البغوي ٣ / ٤٣٤
(٥) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ٥ / ١٦٢
(٦) تفسير الألوسي ١ / ٣٢
(٧) النكت والعيون ٤ / ٢٣٥، زاد المسير ٦ / ٢٠٢
(٨) تفسير الكشاف ٣ / ٦٣
(٩) زاد المسير ٦ / ٢٠١
(١٠) تفسير القرطبي ١٣ / ٢٥٠
(١١) تفسير البيضاوي ٤ / ٢٨٣
(١٢) البحر المحيط ٧ / ١٠٠
(١٣) النكت والعيون ٤ / ٢٣٥
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان ٢ / ٤٨٩، زاد المسير ٦ / ٢٠٢ ٠
(١٥) النكت والعيون للماوردي وعزاه لقطرب ٢٣٥/٤ زاد المسير ٢٠١/٦ وعزاه لمقاتل.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن الوحي إلي أم موسى كان كلاماً بواسطة الملك

وذهب إلي ذلك معه فريق من أهل التأويل منهم:

أبو حيان قال في تفسيره: إيحاء الله إلي أم موسى: إلهام وقذف في القلب، قاله ابن عباس وقتادة؛ أو منام، قاله قوم؛ أو إرسال ملك، قاله قطرب وقوم، وهذا هو الظاهر لقوله: (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) فإن كان الوحي بإرسال ملك، كما هو الظاهر، فهو كإرساله للأقرع والأبرص والأعمى (١)

والشوكاني قال في تفسيره: وقد أجمع العلماء علي أنها لم تكن نبية وإنما كان إرسال الملك إليها علي نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما وقد سلمت علي عمران بن حصين الملائكة كما في الحديث الثابت في الصحيح فلم يكن بذلك نبيا (٢)

والآلوسي قال في تفسيره: والظاهر أن الإيحاء إليها كان بإرسال ملك، ولا ينافي حكاية أبي حيان الإجماع علي عدم نبوتها، لما أن الملائكة عليهم السلام قد ترسل إلي غير الأنبياء وتكلمهم، وإلي هذا ذهب قطرب وجماعة. وقال مقاتل منهم: إن الملك المرسل إليها هو جبريل عليه السلام {٣}.

وإن صح ذلك فليس المراد هنا بوحي الملك هو وحي النبوة فقد أجمع الكل علي أنها لم تكن نبية وإنما إرسال الملك إليها علي نحو تكليم الملك للأقرع والأبرص والأعمى في الحديث المشهور خرجه البخاري{٤}

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ١٠٠/٧

(٢) فتح القدير للشوكاني ١٥٩/٤.

(٣) تفسير الألوسي ١ / ٣٣

(٤) ولفظه عند البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه حدثه أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يقول «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الْأَبْرَصَ فقال أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قال لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قد قَذِرَنِي النَّاسُ قال فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عنه

(يتبع في الصفحة التالية)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وأرى أنه لم يرد نص صريح يفيد كيفية الوحي إلي أم موسى عليه السلام فيبقى الأمر علي احتمالية ذلك بطرقه المختلفة أو الجمع بين هذه الآراء أن ألقى الله ذلك في نفسها فرأت الملك في منامها، وليس ذلك ببعيد.

[تتمة هامش الصفحة السابقة (٤):] وأُعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً فقال أيُّ المال أحبّ إليك قال الإبل، أو قال البقر هو شك في ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر فأُعطي ناقة عشراء فقال يُبارك لك فيها وأتى الأقرع فقال أيُّ شيء أحب إليك قال شعرٌ حسنٌ ويذهب عني هذا قد قذرني الناس قال فمسحه فذهب وأُعطي شعراً حسناً قال فأيُّ المال أحبّ إليك قال البقر قال فأعطاه بقرة حاملاً وقال يُبارك لك فيها وأتى الأعمى فقال أيّ شيء أحب إليك قال يردّ الله إليّ بصري فأُبصرَ به الناس قال فمسحه فردّ الله إليه بصره قال فأيُّ المال أحب إليك قال الغنم فأعطاه شاة والداً فأُنتج هذان وولّد هذا فكان لهذا واد من إبل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رجل مسكين تقطّعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلّغ عليه في سفري فقال له إن الحقوق كثيرة فقال له كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله وقال ورثت كابراً عن كابر فقال له إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلي ما كنت وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له (مثل ما قال لهذا) فردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا فقال إن كنت كاذباً فصيّرك الله إلي ما كنت وأتى الأعمى في صورته فقال رجلٌ مسكينٌ وابن سبيل وتقطّعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلّغ بها في سفري فقال قد كنت أعمى فردّ الله بصري وفقيراً فقد أغناني فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله فقال أمسك مالك فإنّما ابتُلِيتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك " صحيح البخاري - ك أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع - ج ٣ ص ١٢٧٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هل كلم الله تعالي أحداً من البشر غير موسى عليه السلام؟

يقول الله تعالي: (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قوله تعالي: (اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي " اختلف هل كلم الله غيره من الرسل أم لا؟، والصحيح أنه كلم نبينا محمدا ليلة الإسراء {٢}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أن الله تعالي لم يكلم من الرسل غير موسى عليه السلام وهو قول الإمام ابن عباس رضي الله عنهما {٣} والطبري{٤} وابن الجوزي {٥} والزمخشري {٦} وأبو السعود {٧} وابن عطية {٨} ومقاتل بن سليمان {٩}، والبغوي {١٠}

---

(١) سورة الأعراف آية: (١٤٤) ٠
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ٤٣
(٣) تفسير ابن عباس ١ / ٣٦
(٤) تفسير الطبري ٩ / ٥٦
(٥) زاد المسير ١ / ٣٠١.
(٦) تفسير الكشاف ١ / ٣٢٤.
(٧) تفسير أبي السعود ١ / ٢٤٦
(٨) المحرر الوجيز ١ / ٣٣٨
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان ١ / ١٣٥
(١٠) تفسير البغوي ١ / ٢٣٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أن الله تعالي كلم من الرسل غير موسى محمداً - صلى الله عليه وسلم - وهو قول ابن عجيبة {١} وابن كثير {٢} والآلوسي {٣} والشوكاني {٤} وأبو حيان {٥} والواحدي {٦} وذكره البيضاوي {٧} وابن عاشور {٨}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن الله تعالي كلم نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - كما كلم نبيه موسى عليه السلام

وقد أضاف الإمام ابن جزي في موطن آخر من تفسيره أن الله تعالي كلم رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء {٩}

والدليل علي ما ذهب إليه الإمام ابن جزي في هذه المسألة هو حديث البخاري عن مالك بن صعصعة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "..... ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً فَأَقْبَلْتُ حتى جِئْتُ مُوسَى فقال ما صَنَعْتَ قلت فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً قال أنا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ وَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ فَارْجِعْ إلي رَبِّكَ فَسَلْهُ فَرَجَعْتُ فَسَأَلْتُهُ فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ ثُمَّ مثله ثُمَّ ثَلَاثِينَ ثُمَّ مثله فَجَعَلَ عِشْرِينَ ثُمَّ مثله فَجَعَلَ عَشْرًا فَأَتَيْتُ مُوسَى فقال مثله فَجَعَلَهَا

---

(١) (منهم من كلّم الله)، وهو موسى عليه السلام في جبل الطور، وسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - حين كان قاب قوسين أو أدنى

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٠٥

(٣) تفسير الألوسي ٢ / ٢٨٢

(٤) فتح القدير ١ / ٢٦٩.

(٥) البحر المحيط ٢ / ٢٨٢

(٦) تفسير الواحدي ١ / ١٨٢

(٧) تفسير البيضاوي ١ / ٥٤٩

(٨) التحرير والتنوير ٣ / ٦

(٩) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٤ ص ٢٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

خَمْسًا فَأَتَيْتُ مُوسَى فقال ما صَنَعْتَ قلت جَعَلَهَا خَمْسًا فقال مثله قلت سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ فَنُودِيَ إِنِّي قد أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عن عِبَادِي وَأَجْزِي الْحَسَنَةَ عَشْرًا "....{١}

وأرى / أنه ليس في الحديث دليل صريح علي تكليم الله تعالي نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - ليلة المعراج، وليس المقام هنا مقام تفضيل فشتان بين من يرفعه الله تعالي إلي هذا المقام الرفيع ليوحي إليه ما يشاء وبين من شرفه الله تعالي بمحض الكلام دون الرفعة إلي قاب قوسين أو أدنى.

قال الماتريدي رحمه الله: " اصطفيتك علي الناس برسالاتي وبكلامي " كان مصطفى ومفضلاً بالكلام علي الناس كافة الأنبياء وغيرهم، لأن الله لم يكلم أحداً من الرسل إلا بسفير سوى موسى فإنه كلمه ولم يكن بينهما سفير {٢}

قال الرازي رحمه الله: { وإنما قال: { اصطفيتك عَلَى الناس } ولم يقل علي الخلق؛ لأن الملائكة قد تسمع كلام الله من غير واسطة كما سمعه موسى عليه السلام

فإن قيل: كيف اصطفاه علي الناس برسالاته مع أن كثيراً من الناس قد ساواه في الرسالة؟

قلنا: إنه تعالي بين أنه خصه من دون الناس بمجموع الأمرين، وهو الرسالة مع الكلام بغير واسطة، وهذا المجموع ما حصل لغيره، فثبت أنه إنما حصل التخصيص هاهنا لأنه سمع ذلك الكلام بغير واسطة، وإنما كان الكلام بغير واسطة سبباً لمزيد الشرف بناء علي العرف الظاهر، لأن من سمع كلام الملك العظيم من فلق فيه كان أعلى حالاً وأشرف مرتبة ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب " {٣}

---

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٧٣ برقم ٣٠ ٣٥ - كتاب المناقب، باب المعراج -
(٢) تفسير الإمام الماتريدي ٥ / ٣٥
(٣) تفسير الرازي ١٤/ ١٩٢، تفسير غرائب القرآن ٣ / ٣١٦، تفسير اللباب لابن عادل ٩ / ٣٠٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال القرطبي رحمه الله: الأصطفاء: الإجتباء أي فضلتك ولم يقل على الخلق لأن من هذا الأصطفاء أنه كلمه وقد كلم الملائكة وأرسل وأرسل غيره فالمراد علي الناس المرسل إليهم{١}

قال أبو حيان: وتضافرت نصوص المفسرين هنا علي أن المراد بالمكلم هنا هو موسى علي نبينا وعليه الصلاة والسلام {٢}

وخلاصة القول في المسألة أن ظاهر النص يفيد التكليم من الله تعالي لموسى عليه السلام وهو علي الأرض دون غيره من الأنبياء، والله تعالي أعلم

---

(١) تفسير القرطبي ٧ / ٢٨٠
(٢) البحر المحيط ٢ / ٢٨٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

عصمة نبي الله يوسف عليه السلام.

يقول الله تعالي: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالي: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا....) أكثر الناس الكلام في هذه الأية حتى ألفوا فيها التآليف فمنهم مفرط ومفرط.

وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف من حيث الفعل الذي أرادته وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها وحله التكة وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله.

ومنهم: من جعل أنها همت به لتضربه علي امتناعه وهم بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها وهو بعيد يرده قوله لولا أن رأى برهان ربه.

ومنهم: من جعل همها به من حيث مرادها وهمه بها من حيث ليدفعها وهذا أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام.

والصواب إن شاء الله: أنها همت به من حيث مرادها وهم بها كذلك لكنه لم يعزم علي ذلك ولم يبلغ إلي ما ذكر من حل التكة وغيرها؛ بل كان همه خطرة خطرت علي قلبه لم يطعها ولم يتابعها، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه، ولا يقدح هذا في عصمة الأنبياء لأن الهم بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه في ذلك فإنه من هم بذنب ثم تركه كتبت له حسنة {٢}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- هم المرأة وهم يوسف من حيث الفعل الذي أرادته

---

(١) سورة يوسف آية: (٢٤).
(٢) التسهيل ٢ / ١١٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- همت به لتضربه علي امتناعه وهم بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها

٣- همت به من حيث مرادها وهم بها كذلك لكنه لم يعزم علي ذلك ولم يبلغ إلي ما ذكر من حل التكة وغيرها.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة أن المراد بقوله تعالي " وهم بها لولا أن رأى برهان ربه " خطرةٌ خطرت علي قلبه عليه السلام فلم يطعها ولم يتابعها، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه، مستدلاً بأن ذلك لا يقدح في عصمة الأنبياء؛ لأن الهم بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه في ذلك، فإنه من هم بذنب ثم تركه كتبت له حسنة (؟)

وأرى أن شيئاً من ذلك لم يكن فنبي الله تعالي يوسف عليه السلام لم يقع منه همٌ أصلا

ودلالة ذلك من وجوه:

١- أن ذكر القصة ورد بعد قوله تعالي " ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين " فدل ذلك علي أن المراودة من المرأة إنما كانت بعد بلوغ يوسف عليه السلام والهم بالمرأة ولو كان بالخاطر يتعارض مع الحكم والعلم اللذين منحهما الله تعالي إياهما

٢- قوله تعالي " وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {١}، فذكر الله تعالي مراودتها إياه وتغليقها الأبواب وقولها هيت لك، وأن جواب يوسف علي ذلك كله إنما كان بقوله " معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون " وكأنه رد علي المراودة بقوله معاذ الله، ورد علي تغليقها الأبواب بتذكيرها بمن يجب عليها وعليه حفظ غيبته " إنه ربي أحسن مثواي ". وأجاب علي قولها هيت لك بتذكيرها ان هذا ظلم ولا يفلح الظالمون.

---

(١) سورة يوسف آية: (٢٣)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وظاهر القول يفيد بأن قوله عليه السلام كان مصحوباً بعزم أكيد علي علمه بأن ما تريده امرأة العزيز إثم وخيانة لا تليق بمقام من أوتي الحكم والعلم،

٣- أن قوله تعالي " وهم بها لولا أن رأى برهان ربه " يماثله قوله تعالي " إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا علي قلبها " فإن كانت أم موسى عليه السلام لم تفصح عن ولدها لأن الله تعالي ربط علي قلبها، فإن يوسف عليه السلام لم يهم بالمرأة لأنه رأى برهان ربه

٤- قوله " هي راودتني عن نفسي "، ولو كانت منه الإرادة والمراودة لم يكن ليقول ذلك لها ويبرئ نفسه منها، وقد علمنا أن الأنبياء عليهم السلام إذا كان من أحدهم ما يحتمل منه الخطأ استغفر لذلك، فقد ذكر الله تعالي لنا قول نبيه موسى عليه السلام " قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ " {١}، وذكر لنا ما كان من نبيه داود " قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥)"{٢}، وكذا ما كان من نبيه سليمان عليه السلام: " وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥)"{٣}

وليس قوله " وما أبرئ نفسي " يفيد أن يوسف عليه السلام استغفر عن خطأٍ وقع منه، وإنما قاله علي سبيل التواضع والاعتراف بفضل الله عليه.

---

(١) سورة القصص آية: (١٦)
(٢) سورة ص (الآيتان ٢٤، ٢٥)
(٣) سورة ص (الآيات ٣٠ - ٣٥)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٥- قوله " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء " ولو كان شيء مما ذكروا لم يكن السوء مصروفا عنه

٦- قول امرأة العزيز " فاستعصم " ففيه دلالة علي أنها لم تر منه أي مبادرة لإجابتها

٧- قوله " ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب " {١}، ولو كان منه ما ذكروا لقد خانه بالغيب

٨- قول النسوة:" ما علمنا عليه من سوء " {٢}،

٩- قول امرأة العزيز: " الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه " {٣}،

"هذا كله يدل أن ما قاله أهل التأويل فاسد لا يحل أن يلحق فيه بشيء من ذلك وليس في ظاهر الآية شيء مما قالوا، لا قليل ولا كثير {٤}.

وخلاصة القول في هذه المسألة ما ذهب إليه أبو حيان بقوله " والذي أختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله، ولا تقول: إن جواب لولا متقدم عليها وإن كان لا يقوم دليل علي امتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلي ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري، وأبو العباس المبرد. بل نقول: إن جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما تقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، فيقدرونه إن فعلت فأنت ظالم، ولا يدل قوله: أنت ظالم علي ثبوت الظلم، بل هو مثبت على تقدير وجود الفعل. وكذلك هنا التقدير لولا أن رأى برهان ربه لهم بها{٥}

---

(١) سورة يوسف آية: (٥٢)
(٢) سورة يوسف آية: (٥١)
(٣) سورة يوسف آية: (٥١)
(٤) تأويلات أهل السنة للإمام أبي منصور الماتريدي ت ٣٣٣ ه - ٢٢٦ / ٦، تحقيق د مجدي باسلوم
(٥) تفسير البحر المحيط ٢٩٥/٥ ط- دار الكتب العلمية - بيروت -الأولي- ١٤٢٢ه /٢٠٠١م.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هل تبطل أعمال المؤمنين بالكفر أم بالمعاصي أم بالرياء والعجب؟

قال تعالي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) (١)

قال الإمام ابن جزي: " ولا تبطلوا أعمالكم " يحتمل أربعة معان:

أحدها: لاتبطلوا أعمالكم بالكفر بعد الإيمان

والثاني: لا تبطلوا حسناتكم بفعل السيئات ذكره الزمخشري وهذا على مذهب المعتزلة خلافا للأشعرية فإن مذهبهم أن السيئات لاتبطل الحسنات.

والثالث: لا تبطلوا أعمالكم بالرياء والعجب.

والرابع: لا تبطلوا أعمالكم بأن تقطعوها قبل تمامها وعلى هذا أخذ الفقهاء الآية وبهذا يستدلون على أن من ابتدأ نافلة لم يجز له قطعها{٢} وهذا أبعد هذه المعاني.

---

(١) سورة محمد آية: (٣٣)

(٢) وهو مذهب الأحناف، قال: قال أصحابنا: إذا شرع في التطوّع يلزمه المضيّ فيه، وإذا أفسده يلزمه القضاء، وقال الشافعيّ: لا يلزمه المضيّ في التطوّع ولا القضاء بالإفساد، وجه قوله: أنّ التطوّع تبرّع وأنّه ينافي الوجوب، وإذا لم يجب المضيّ فيه لا يجب القضاء بالإفساد؛ لأنّ القضاء تسليم مثل الواجب، ولنا أنّ المؤدى عبادة، وإبطال العبادة حرام لقوله تعالي (وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) فيجب صيانتها عن الإبطال، وذا بلزوم المضيّ فيها، وإذا أفسدها فقد أفسد عبادة واجبة الأداء فيلزمه القضاء جبراً للفائت كما في المنذور والمفروض _ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني /٢٩٠ ط- دار الكتاب العربي -بيروت- الثانية ١٩٨٢م

وجاء في تبيين الحقائق للزيلعي قال رحمة الله (ولزم النفل بالشروع ولو عند الغروب والطلوع) وقال الشافعيّ لا يَلزمه؛ لأنّه متبرّع ولا لزوم على المتبرّع ولنا أنّ المؤدى قربة فتجب صيانتها عن البطلان لقوله تعالي (وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) ولا يمكن ذلك إلا بلزوم المضيّ فيه فصار كالحج والعمرة فإذا لزمه القضاء وجب عليه القضاء بالإفساد، علي ما يأتي تمامه في كتاب الصوم إن شاء الله تعالي ينظر الحقائق شرح كنوز الدقائق للإمام (فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي) ١/ ١٤٧ ط- دار الكتاب الإسلامي القاهرة ١٣١٣ه

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والأول أظهر لقوله قبل ذلك في الكفار أو المنافقين " وسيحبط أعمالهم " فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدهم عن سبيل الله ومشاقتهم الرسول {١}

الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي:

ذكر الإمام ابن جزي أن مبطلات الأعمال أربعة أنواع:

بالكفر بعد الإيمان وهو قول الطبري {٢} والرازي {٣} والبيضاوي {٤} وابن كثير {٥} ونسبه ابن الجوزي إلي عطاء {٦}

بالمعاصي والكبائر وهو قول الزمخشري{٧} ونسبه الماوردي إلي الحسن{٨}

الرياء والسمعة والعجب بعد الإخلاص وهو قول ابن عباس {٩} وابن عبد البر {١٠}، والقشيري {١١}، ونسبه ابن الجوزي في زاد المسير إلي ابن

---

(١) التسهيل ٤ / ٤٩
(٢) تفسير الطبري ٢٦ / ٦٢
(٣) تفسير الرازي ٢٨ / ٦٢ وقوله).
(٤) تفسير البيضاوي ٥ / ١٩٦
(٥) تفسير ابن كثير ٤ / ١٨٢
(٦) زاد المسير ٧ / ٤١٢
(٧) الكشاف ٤ / ٣٣١
(٨) تفسير الماوردي ٥ / ٣٠٦، تفسير البغوي ٤ / ١٨٦، زاد المسير ٧ / ٤١٢
(٩) تفسير ابن عباس ١ / ٤٣٠، تفسير البحر المحيط ٨ / ٨٤
(١٠) الاستذكار لابن عبد البر ٣ / ٣٥٨ فقول أكثر أهل السنة لا تبطلوها بالرياء أخلصوها لله وقال آخرون (ولا تبطلوا أعمالكم) [محمد ٣٠] بارتكاب الكبائر وممن روي عنه ذلك أبو العالية
(١١) تفسير القشيري ٣ / ٢٠٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

السائب{١} القرطبي {٢} النسفي {٣} ونسبه أبو حيان الأندلسي في تفسيره إلي الإمام ابن عباس رضي الله عنهما {٤} وذكره السلمي {٥} والثعلبي {٦}

عدم إتمام الطاعة بعد الشروع فيها الجصاص {٧}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله " ولا تبطلوا أعمالكم " هو الشرك كما يفهم من سياق الآيات وهو قول راجح، فالآية التي قبلها قوله تعالي " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ "{٨}

والآية التي تليها قوله تعالي: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ "{٩}

فدل على أن المراد من قوله " ولا تبطلوا أعمالكم " الشرك

ويحتمل أن يراد به أيضا الرياء إذ هو نوع من الشرك قال النبي - صلى الله عليه وسلم - " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ قَالُوا وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ الرِّيَاءُ

---

(١) زاد المسير ٧ / ٤١٢
(٢) تفسير القرطبي ١٦ / ٢٥٤
(٣) تفسير النسفي ٤ / ١٥٠
(٤) تفسير البحر المحيط ٨ / ٨٤
(٥) تفسير السلمي ٢ / ٢٥٢
(٦) تفسير الثعلبي ٩ / ٣٨
(٧) أحكام القرآن للجصاص ١ / ٢٩٢
(٨) سورة محمد آية: (٣٢)
(٩) سورة محمد آية: (٣٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً "{١}

ويحتمل أيضا فعل الكبائر حيث ورد النص الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ "{٢}

وفيه دلالة اقتران هذه الأنواع من الكبائر بالشرك من حيث إبطال ثواب الأعمال غير أن الشرك يترتب عليه الخلود في النار لمن مات عليه أما الكبائر فإن مات عليها دون توبة فأمره إلي الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه

ويحتمل أن يكون في النص دلالة لاستحباب استكمال الطاعة بعد الشروع فيها ويترتب علي عدم إتمامها بطلانها في ذاتها لا بطلان غيرها من الطاعات

ففي الحديث عن عبادة بن نسي، قال: دخلت علي شداد بن أوس رضي الله عنه في مصلاه وهو يبكي، فقلت: يا أبا عبد الرحمن ما الذي أبكاك؟ قال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: وما هو؟ قال: بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ رأيت بوجهه أمرا ساءني، فقلت:

---

(١) مسند الإمام أحمد حديث محمود بن لبيد ٥ -/٤٢٨
(٢) صحيح البخاري - كتاب الوصايا، باب قوله تعالي " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما " ٣ / ١٠١٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بأبي وأمي يا رسول الله ما الذي أرى بوجهك؟ قال: «أمر أتخوفه على أمتي من بعدي» قلت: وما هو؟ قال: «الشرك وشهوة خفية» قال: قلت: يا رسول الله أيشرك أمتك من بعدك؟ قال: «يا شداد، أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولا حجرا ولكن يراءون الناس بأعمالهم» قلت: يا رسول الله، الرياء شرك هو؟ قال: «نعم» قلت: فما الشهوة الخفية؟ قال: «يصبح أحدكم صائما فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر» «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»{١}

وبعد ما سبق أرى أن الأولى في الجمع بين هذه الأقوال على ما سبق والله أعلم

قال الرازي رحمه الله: " لَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ " يحتمل وجوها:

أحدها: دوموا علي ما أنتم عليه ولا تشركوا فتبطل أعمالكم، قال تعالي: (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) {٢}

الوجه الثاني: (لَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) بترك طاعة الرسول كما أبطل أهل الكتاب أعمالهم بتكذيب الرسول وعصيانه، ويؤيده قوله تعالي: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ..... أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) {٣}

الثالث: (.. لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى){٤} كما قال تعالي: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ.....){٥} وذلك أن من يمن بالطاعة على الرسول كأنه يقول هذا فعلته لأجل قلبك، ولولا رضاك به ولما فعلت، وهو مناف للإخلاص، والله لا يقبل إلا العمل الخالص{٦}

وقال البيضاوي قوله تعالي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) (٧) أي: بما أبطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى ونحوها، وليس فيه دليل علي إحباط الطاعات بالكبائر{٨}.

---

(١) المستدرك على الصحيحين - كتاب الرقاق، باب أمر أتخوفه على أمتي من بعدي - ١٨ / ٥٥٨، ٥(؟)
(٢) سورة الزمر آية: ٦٥
(٣) سورة الحجرات آية: ٢
(٤) سورة البقرة آية: ٢٦٤
(٥) سورة الحجرات آية: ١٧
(٦) تفسير الرازي ٢٨ / ٦٢
(٧) سورة محمد آية: (٣٣)
(٨) تفسير البيضاوي ٥ / ١٩٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الثاني

ترجيحات الإمام ابن جزي في مسائل الفقه:

أحمد محمد علي أبوسيف — «ترجيحات الإمام ابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل» (رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حكم السعي بين الصفا والمروة

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالي:

" ثم إن السعي بينهما للسنة قالت عائشة رضي الله عنها: " سن رسول الله صلى الله عليه وسلم السعي بين الصفا والمروة وليس لأحد تركه وقيل: إن الوجوب يؤخذ من قوله "شعائر الله " وهذا ضعيف لأن شعائر الله منها واجبة ومنها مندوبة، وقد قيل: إن السعي مندوب {١}

الأقوال كما عرضها الإمام ابن جزي:

١- القول بأنه سنة استناداً إلى ما ورد في الأثر عن عائشة رضي الله تعالي عنها، والحديث عند البخاري {٢}

---

(١) التسهيل ١ / ٦٥، ٦٦

(٢) أورده الإمام البخاري كتاب الحج باب وجوب الصفا والمروة وجُعل من شعائر الله برقم ١٥٦١ قال: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال عروة سألت عائشة رضي الله عنها فقلت لها أرأيت قول الله تعالي (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) (فوالله ما علَي أحد جناح أن لا يطوف بالصفا والمروة قالت بئسما قلت يا ابن أختي إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يتطوف بهما ولكنها أنزلت في الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل فكان من أهلّ يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة فلما أسلموا سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ذلك قالوا يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله تعالي (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) الآية قالت عائشة رضي الله عنها وقد سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال إن هذا لعلم ما كنت سمعته ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم يذكرون إن الناس إلا من ذكرت عائشة ممن كان يهل بمناة كانوا يطوفون كلهم بالصفا والمروة فلما ذكر الله تعالي الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة في القرآن قالوا يا رسول الله كنا نطوف بالصفا والمروة وإن الله أنزل الطواف بالبيت فلم يذكر الصفا فهل علينا من حرج أن نطوف بالصفا والمروة فأنزل الله تعالي (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) الآية قال أبو بكر فأسمع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما في الذين كانوا يتحرجون أن يطوفوا بالجاهلية بالصفا والمروة والذين يطوفون ثم تحرجوا أن يطوفوا بهما في الإسلام من أجل أن الله تعالي أمر بالطواف بالبيت ولم يذكر الصفا حتى ذكر ذلك بعد ما ذكر الطواف بالبيت.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- القول بوجوبه استناداً إلي قوله تعالي " من شعائر الله " وهو عنده ضعيف

٣- القول بأنه مندوب أو تطوع ليس بركن ولا واجب ولا دم في تركه، وهو قول ابن مسعود وأبي بن كعب وابن الزبير وأنس وابن سيرين{١}

الترجيح في الميزان:

قول الإمام ابن جزي " إن السعي بينهما للسنة " لعله أراد أنه مفروض بالسنة وليس السعي في ذاته عنده سنة، وذلك أنه - رحمه الله - أورده ضمن جملة أركان الحج في كتابه " القوانين الفقهية " حيث قال رحمه الله: الأركان التي لا يجبرها الدم خمسة: النية والإحرام والوقوف بعرفة وطواف الإفاضة والسعي بين الصفا والمروة {٢}

وذكره بلفظ الوجوب عند تفسيره قول الله تعالي " إن الصفا والمروة قال رحمه الله: والسعي بينهما واجب عند مالك والشافعي

وعليه فقوله - رحمه الله -: - " وهذا ضعيف " ليس للقول بوجوب السعي وإنما ضعف هنا وجه الاستشهاد بأن الفرضية مأخوذة من الآية الكريمة " من شعائر الله " واستدل علي رأيه بأن شعائر الله منها الواجب والمندوب وهذا صواب فالأضحية مثلا لم يقل أحد بفرضيتها لكونها من شعائر الله

والقول بأن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج لا ينوب عنه الدم هو

---

(١) المجموع للنووي ٨ / ٨١، المغني لابن قدامة ٣ / ١٩٤، وجاء في زاد المسير ١ / ١٦٤ ونقل أبو طالب أنه لا شيء في تركه عمدا أو سهوا ولا ينبغي أن يتركه ونقل الميموني أنه تطوع، وجاء في أحكام القرآن للجصاص ١ / ١١٨: وروى عاصم الأحول عن أنس قال كنا نكره الطواف بين الصفا والمروة حتى نزلت هذه الآية والطواف بينهما تطوع وروي عن عطاء عن ابن الزبير قال من شاء لم يطف بين الصفا والمروة وروي عن عطاء ومجاهد أن من تركه فلا شيء عليه.
(٢) القوانين الفقهية للإمام ابن جزي ص ٨٧ ط المكتبة الثقافية بيروت

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

مذهب السادة المالكية والشافعية والحنابلة، وخالف في ذلك الأحناف حيث قالوا: إن السعي واجب يجبر بدم عند تركه {١}

وأرى أن القول بأن السعي ركن من أركان الحج رأي راجح وذلك لحديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - والذي ورد بروايات متعددة تفيد في مجملها وجوب السعي وذلك من خلال ظاهر الرواية، وتعليقات العلماء على الروايات المختلفة للحديث.

ومن الروايات قولها رضي الله عنها: وقد سَنَّ رسول اللَّهِ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا{٢}

ومنها قولها رضي الله عنها: ما أَتَمَّ اللَّهُ حَجَّ امْرِئٍ ولا عُمْرَتَهُ ما لم يَطُفْ بين الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ {٣}،

---

(١) قال الإمام ابن عبد البر في التمهيد " اختلف الفقهاء في السعي بين الصفا والمروة علي الهيئة المذكورة فيه هل هو من فروض الحج أو من سننه فالذي ذهب إليه مالك والشافعي ومن اتبعهما وقال بقولهما أن ذلك فرض لا ينوب عنه الدم ولا بد من الإتيان به كالطواف بالبيت الطواف الواجب سواء وهو قول أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي ثور وداود وقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري السعي بين الصفا والمروة ليس بواجب فإن تركه أحد من الحجاج حتى يرجع إلي بلاده جبره بالدم لأنه سنة من سنة الحج وسنن الحج تجبر بالدم إذا سقط أحد(؟) الاتيان بها هذا قول الثوري وروى عن قتادة والحسن البصري وأصحابه فقالوا أن ترك أربعة أشواط من السعي بين الصفا والمروة فعليه دم وإن ترك أقل من ذلك كان عليه لكل شوط اطعام مسكين نصف صاع من حنطة قالوا وإن ترك ذلك كله في العمرة أو في الحج ناسيا فعليه دم. وينظر أيضا الاستذكار لابن عبد البر ٤ / ٢٢١، التاج والإكليل ٣ / ٨٤، الثمر الداني شرح رسالة القيرواني ١ / ٣٧٨، الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية ١ / ٢١٥، الفواكه الدواني ١ / ٣٥٩، المدونة الكبرى ٢ / ٤٠٩، كفاية الطالب ٢ / ٥٣٢

(٢) صحيح البخاري - كتاب الحج - باب وجوب الصفا والمروة - ٢ / ٥٩٢

(٣) صحيح البخاري - كتاب الحج - باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج - برقم ١٦٩٨ ٢ / ٦٣٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقولها رضي الله عنها: فلعمري ما أتم الله حج من لم يطف بين الصفا والمروة {١}

فهذا الحديث الصحيح برواياته صريح في أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سنّ الطواف بين الصفا والمروة أي فرضه بالسنة لأنه لو اقتصر الأمر علي كونه سنة لما توقف عليه إتمام الحج وقد ورد الحديث عن أم المؤمنين رضي الله عنها في صيغة الجواب عما يقال إن رفع الجناح في قوله " فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا " ينافي كونه فرضاً بأن ذلك نزل في قوم تحرجوا من السعي بين الصفا والمروة وظنوا ذلك لا يجوز لهم فنزلت الآية مبينة أن ما ظنوه من الحرج في ذلك منفي

وقد تقرر في الأصول أن النص الوارد في جواب سؤال لا مفهوم مخالفة له{٢}

ويؤيد ذلك ما قاله الإمام ابن حجر في فتح الباري في الكلام علي هذا الحديث: قول عائشة رضي الله عنها " سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الطواف بين الصفا والمروة " أي: فرضه بالسنة وليس مرادها نفي فرضيته ويؤيده قولها لم يتم الله حج أحدكم ولا عمرته ما لم يطف بينهما

وقال الإمام محمد مختار الشنقيطي: اعلم أن ما يظنه كثير من أهل العلم من أن حديث عائشة هذا الدال علي أن السعي لا بد منه وأنه لا يتم بدونه حج ولا عمرة أنه موقوف عليها غير صواب بل هو مرفوع ومن أصرح الأدلة في ذلك أنها رتبت بالفاء في الرواية المتفق عليها قولها فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما علي قولها قد سن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الطواف بينهما وهو صريح في أن قولها ليس لأحد أن يترك الطواف بينهما لأجل أنه - صلى الله عليه وسلم - سن الطواف بينهما ودل هذا الترتيب بالفاء علي أن مرادها بأنه سنه أنه فرضه بسنته كما جزم به ابن حجر

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الحج - باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن - برقم ١٢٧٧ ج ٢ / ٩٢٨
(٢) أضواء البيان ٤ / ٤٢٠
تفريغ صفحات ١٣٤-١٨١ من رسالة «ترجيحات الإمام ابن جزي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل - دراسة وتقويم»

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

في الفتح مقتصرًا عليه مستدلًا له بأنها قالت: " ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة "، فقولها: " إن النبي - صلى الله عليه وسلم - سن الطواف بينهما "، وجزمها وترتيبها على ذلك بالفاء قولها " فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما "، بأنه لا يتم حج ولا عمرة إلا بذلك دليل واضح على أنها إنما أخذت ذلك مما سنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا برأي منها كما ترى، وقد تقرر في الأصول في مبحث النص الظاهر من مسالك العلة أن الفاء في الكتاب والسنة تفيد التعليل وكذلك هي في كلام الراوي الفقيه فهو المرتبة الثانية بعد الوحي من كتاب أو سنة ثم يلي ذلك الفاء من الراوي غير الفقيه {١}

ومما يحتج به أيضًا لوجوب السعي بين الصفا والمروة: أن فرض الحج مجمل في كتاب الله لأن الحج في اللغة القصد، ثم نقل في الشرع إلى معان أخر لم يكن اسمًا موضوعًا لها في اللغة وهو مجمل مفتقر إلى البيان فمهما ورد من فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو بيان للمراد بالجملة وفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا ورد مورد البيان فهو على الوجوب فلما سعى بينهما النبي - صلى الله عليه وسلم - كان ذلك دلالة الوجوب حتى تقوم دلالة الندب ومن جهة أخرى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال { خذوا عني مناسككم } وذلك

---

(١) والأمثلة على ذلك ساقها الإمام الشنقيطي استكمالًا للكلام هنا فقال: (ومثاله في الوحي قوله تعالى وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا (أي لعلة سرقتهما) وقوله تعالى قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ (أي لعلة كون الحيض أذى)، ومثاله في كلام الراوي حديث أنس المتفق عليه أن يهوديًا رض رأس جارية بين حجرين فقيل لها من فعل بك هذا فلان أو فلان حتى سمي اليهودي فأومأت برأسها فجيء به فلم يزل حتى اعترف فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - فرض رأسه بالحجارة فقول أنس في هذا الحديث الصحيح فأمر به فرض رأسه بحجرين أي لعلة رضه رأس الجارية المذكورة بين حجرين..... وإلى إفادة الفاء التعليل في كلام الشارع ثم الراوي الفقيه ثم الراوي غير الفقيه أشار في مراقي السعود بقوله في مراتب النص الظاهر من ذلك أي فرضه بسنته (؟) كما تقدم إيضاحه وإلى إفادة الفاء التعليل في كلام الشارع ثم الراوي الفقيه ثم الراوي غير الفقيه أشار في مراقي السعود بقوله في مراتب النص الظاهر فالفاء كالفقيه فغيره يتبع بالشبيه (؟)) أضواء البيان للشنقيطي ٤٢٢/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أمر يقتضي إيجاب الاقتداء به في سائر أفعال المناسك فوجب الاقتداء به في السعي بينهما{١}

ولعل الإمام عبر بلفظ الوجوب دون لفظ الفرضية على قول من لا يفرق بين الواجب والفرض أو الركن{٢}

فالرأي راجح للحديث، ولأنه قول الجمهور عدا الأحناف والله أعلم.

" حكم قتل الحر بالعبد "

يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٣)

يقول الإمام ابن جزي رحمه الله:

وأما قتل الحر بالعبد فهو مذهب أبي حنيفة خلافًا لمالك والشافعي، فعلى هذا لم يأخذ أبو حنيفة بشيء من ظاهر الآية لا في الذكورية ولا في الحرية لأنها عنده منسوخة، وأخذ مالك بظاهرها في الحرية كما في الذكورية وتأويلها عنده أن قوله (الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ) عموم يدخل فيه الذكر بالذكر والأنثى بالأنثى والأنثى بالذكر والذكر بالأنثى ثم كرر قوله الأنثى بالأنثى تأكيدًا للتجديد (؟) لأن بعض العرب إذا قتل منهم أنثى قتلوا بها ذكرًا تكبرًا وعدوانًا وقد يتوجه قول

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ١١٩/١.

(٢) الفرض والواجب مترادفان شرعًا، وعن الإمام أحمد: الفرض آكد واختاره جماعة منهم أبو إسحاق بن شاقلا (٣١٥ - ٣٦٩ ه)، الحلواني (صاحب كفاية المبتدي ٤٣٩ - ٥٠٥ ه)، وقاله (؟) الحنفية وابن الباقلاني. القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية للإمام أبي الحسن علاء الدين بن محمد بن عباس البعلي الحنبلي المعروف بابن اللحام المتوفى سنة ٣٠٨ (؟) ه تحقيق عبد الكريم الفضيلي ط. المكتبة العصرية بيروت.

(٣) سورة البقرة آية: (١٧٨).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

مالك على نسخ جميعها ثم يكون عدم قتل الحر بالعبد من السنة وهو قوله صلى الله عليه وسلم (لا يقتل حر بعبد) والناسخ لها على القول بالنسخ عموم قوله النفس بالنفس على أن هذا ضعيف لأنه إخبار عن حكم بني إسرائيل{١}

وقال الإمام ابن جزي عند تفسير قوله تعالى " وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ "{٢}

ولا يقتل حر بعبد لقوله الحر بالحر والعبد بالعبد وقد تقدم الكلام على ذلك في البقرة{٣}

الآراء كما عرضها الإمام ابن جزي:

١- مذهب الإمام أبي حنيفة أنه يجوز أن يقتل الحر بالعبد

٢- مذهب الإمامين مالك والشافعي {٤} أنه لا يجوز أن يقتل حر بعبد

الترجيح في الميزان:

ذهب الإمام ابن جزي إلى أن الحر لا يقتل بالعبد وهو مذهب جمهور العلماء

---

(١) التسهيل ٧٠/١.
(٢) سورة المائدة الآية ٤٥.
(٣) التسهيل ١٧٧/١.
(٤) (الإمام الشافعي) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين) سنة ١٥٠ ه، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩ فتوفي بها، وقبره معروف في القاهرة. قال المبرد: كان الشافعي أشعر الناس وأدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات. أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة. وكان ذكيًا مفرطًا، توفي سنة ٢٠٤ ه. (صفة الصفوة للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج بن الجوزي [ت٥٩٧ ه] ج٢/ ص٢٤٨، تحقيق/ محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت، الثانية (١٣٩٩ه ١٩٧٩م)، الأعلام ٢٦/٦)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

منهم مالك وإسحاق وأبو ثور والشافعي وأحمد، وممن قال بهذا أبو بكر وعمر وعلي وزيد وابن الزبير رضي الله عنهم وعمر بن عبد العزيز وعطاء والحسن وعكرمة وعمرو بن دينار كما نقله عنهم ابن قدامة في المغني وغيره{١}

وحجتهم في ذلك:

١- ظاهر الآية الكريمة، وحجتهم فيها ما يلي:

أولًا: أن الألف واللام في قوله { الْحُرّ } تفيد العموم، فقوله { الْحُرُّ بِالْحُرِّ } يفيد أن يقتل كل حر بالحر فلو كان قتل حر بعبد مشروعًا لكان ذلك الحر مقتولًا ليس بالحر وذلك ينافي إيجاب أن يكون كل حر مقتولًا بالحر،

ثانيًا: أن الباء من حروف الجر فيكون متعلقًا لا محالة بفعل فيكون التقدير الحر يقتل بالحر والمبتدأ لا يكون أعم من الخبر بل إما أن يكون مساويًا له أو أخص منه وعلى التقديرين فهذا يقتضي أن يكون كل حر مقتولًا بالحر، وذلك ينافي كون حر مقتولًا بالعبد

ثالثًا: وهو أنه تعالى أوجب في أول الآية رعاية المماثلة وهو قوله { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى } فلما ذكر عقيبة قوله { الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ } دل ذلك على أن رعاية التسوية في الحرية والاسترقاق معتبرة لأن قوله { الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ } خرج مخرج التفسير لقوله { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى } وإيجاب القصاص على الحر بقتل العبد إهمال لرعاية التسوية في هذا المعنى فوجب أن لا يكون مشروعًا {٢}،

٢- ومن أدلتهم على أن الحر لا يقتل بعبد ما روي عن عمر بن الخطاب أنه جاءته جارية اتهمها سيدها فأقعدها في النار فاحترق فرجها فقال رضي الله عنه " والذي نفسي بيده لو لم أسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: " لا يقاد مملوك من مالكه ولا

---

(١) المغني لابن قدامة ٢٢١/٨، أضواء البيان ٣٨٢/١، كشاف القناع ٥٢٤/٥.
(٢) تفسير الرازي ٤٣/٥، ٤٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ولد من والده " لأقدناها منك " فبرزه (؟) وضربه مائة سوط وقال للجارية: اذهبي فأنت حرة لوجه الله وأنت مولاة الله ورسوله {١}

٣- ومن أدلتهم أيضًا: ما رواه الدارقطني والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " لا يقتل حر بعبد " {٢}

٤- ومن أدلتهم أيضًا: ما رواه البيهقي وغيره من طريق جابر بن زيد الجعفي {٣} عن علي رضي الله عنه أنه قال: " من السنة ألا يقتل حر بعبد "{٤}

---

(١) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين في كتاب العتق ٢٣٤/٢ وعلق عليه الإمام الذهبي بقوله: عمر بن عيسى منكر الحديث - وتعقبه الإمام ابن حجر في فتح الباري - باب رمي المحصنات أي قذفهن ١٨١/١٢ فقال: ذكره في الميزان فقال: لا يعرف لم يزد على ذلك ولا يلزم من ذلك القدح فيما رواه بل يتوقف فيه -، وفي كتاب الحدود ٤٠٩/٤، وعلق عليه الإمام الذهبي بقوله صحيح ورواه الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد - باب ما جاء في القود والقصاص ومن لا قود عليه - ٢٨٨/٦ وعلق عليه بقوله: قلت: روى الترمذي بعضه، رواه الطبراني في الأوسط وفيه عمر بن عيسى القرشي وقد ذكره الذهبي في الميزان وذكر له هذا الحديث ولم يذكر فيه جرحًا وبيض له، وبقية رجاله وثقوا.

(٢) سنن البيهقي الكبرى - باب ما روي فيمن قتل عبده أو مثل به - ٣٥/٨ وقال البيهقي بعد أن ساق هذا الحديث وفي هذا الإسناد ضعف، وسنن الدارقطني كتاب الحدود والديات ١٣٣/٣، بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام للحافظ ابن القطان الفاسي (٦٢٨ ه) ٧٩/٣، ومحل الضعف في هذا الإسناد هو رواية جويبر عن الضحاك وينظر في ذلك سنن سعيد بن منصور ٨٧٤/٣، الكامل في ضعفاء الرجال - من اسمه جويبر - ١٢٢/٢

(٣) جابر بن زيد الأزدي أبو الشعثاء الجعفي (؟) - بفتح الجيم - البصري، أحد الأئمة، ثقة فقيه، مات سنة ثلاث وتسعين، وقيل: سنة ثلاث ومائة. (خلاصة تذهيب الكمال ٥٩/١، تقريب التهذيب ١٣٦/١، الكاشف ٢٨٧/١)

(٤) سنن البيهقي الكبرى - الروايات فيه عن علي رضي الله عنه - ٣٤/٨، سنن الدارقطني كتاب الحدود والديات - ١٣٤/٣، فيض القدير ٤٥٣/٦، التحقيق في أحاديث الخلاف ٣١٠/٢، وهو حديث تفرد به جابر بن زيد الجعفي وقد ضعفه الأكثر وقال فيه ابن حجر في التقريب ضعيف رافضي لا يحتج به وقال فيه النسائي متروك ووثقه قوم منهم الثوري وذكر البيهقي في السنن الكبرى في باب النهي عن الإمامة جالسًا عن الدارقطني أنه متروك تحفة الأحوذي ٣٠٠/٢، عون المعبود ٢٤٧/٣، علل الحديث ومعرفة الرجال ٥٤/١، الموضوعات ٢٥/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٥- ومن أدلتهم أيضًا ما رواه البيهقي في السنن الكبرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال كان لزنباع عبد يسمى سندرا أو ابن سندر فوجده يقبل جارية له فأخذه فجبه وجدع أذنيه وأنفه فأتى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال من مثل بعبده أو حرقه بالنار فهو حر وهو مولى الله ورسوله فأعتقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يقده منه فقال أوصني يا رسول الله فقال أوصي بك كل مسلم {١}

٦- ومن أدلتهم أيضًا ما أخرجه البيهقي وأحمد عن عمرو بن شعيب {٢} عن أبيه عن جده أن أبا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بالعبد {٣}

وهذه الروايات الكثيرة وإن كانت لا يخلو شيء منها من مقال فإن بعضها يشد بعضًا.

وقال الأحناف {٤}: يقتل الحر بالعبد.

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ٣٦/٨، قال الإمام البيهقي بعد أن ساق هذا الحديث: المثنى بن الصباح ضعيف لا يحتج به.
قال مقيده عفا الله عنه سوار بن أبي حمزة من رجال مسلم وقال فيه ابن حجر في (التقريب) صدوق له أوهام

(٢) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي، أبو إبراهيم المدني، نزيل الطائف، ثقة يحتج به، مات سنة ثماني عشرة ومائة. (خلاصة تهذيب الكمال ٢٩٠/١، والتاريخ الكبير ٣٤٢/٦، وذكر من تكلم فيه وهو موثق ١٤٥/١)

(٣) مصنف ابن أبي شيبة - الحر يقتل عبد غيره - ٤١٣/٥، سنن البيهقي ٣٤/٨، الدارقطني ١٣٤/٣، معرفة السنن والآثار - باب منع قتل الحر بالعبد ١٥٥/٦، تلخيص الحبير لابن حجر - باب ما يجب به القصاص - ١٦/٤

(٤) ينظر في مذهبهم وأدلتهم على ما ذهبوا عليه البحر الرائق - باب ما يوجب القصاص - ٣٣٦/٨، الدر المختار - فصل فيما يوجب القود - ٥٣٣/٦، المبسوط للسرخسي - باب القصاص - ١٢٩/٢٦، الهداية شرح البداية - كتاب الجنايات - ١٦٠/٤، بدائع الصنائع - كتاب الجنايات - ٢٣٨/٧، تحفة الفقهاء - كتاب الديات ١٠١/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وهو مروي عن سعيد بن المسيب والنخعي وقتادة والثوري، واحتج هؤلاء على قتل الحر بالعبد بما يلي:

أولًا: بقوله تعالى: " وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ....."{١} على أنها عموم في الأنفس

وقد أجاب الإمام الرازي عليهم بقوله: فإن احتج الخصم بقوله تعالى { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ } فجوابنا أن الترجيح معنا لوجهين:

أحدهما: أن قوله: { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ } شرع لمن قبلنا والآية التي تمسكنا بها شرع لنا ولا شك أن شرعنا أقوى في الدلالة من شرع من قبلنا.

وثانيهما: أن الآية التي تمسكنا بها مشتملة على أحكام النفوس على التفصيل والتخصيص ولا شك أن الخاص مقدم على العام ثم قال أصحاب هذا القول: مقتضى ظاهر هذه الآية أن لا يقتل العبد إلا بالعبد وأن لا تقتل الأنثى إلا بالأنثى إلا أنا خالفنا هذا الظاهر لدلالة الاجتماع (؟) وللمعنى المستنبط من نسق هذه الآية وذلك المعنى غير موجود في قتل الحر بالعبد فوجب أن يبقى ههنا على ظاهر اللفظ أما الإجماع فظاهر، وأما المعنى المستنبط فهو أنه لما قتل العبد بالعبد فلأن يقتل بالحر وهو فوقه كان أولى بخلاف الحر فإنه لما قتل بالحر لا يلزم أن يقتل بالعبد الذي هو دونه وكذا القول في قتل الأنثى بالذكر، فأما قتل الذكر بالأنثى فليس فيه إلا الإجماع والله أعلم{٢}

ثانيًا: وبقوله - صلى الله عليه وسلم - " من قتل عبده قتلناه ومن جدع عبده جدعناه "{٣} وهذا

---

(١) سورة المائدة آية: (٤٥).

(٢) التفسير الكبير للرازي ٤٤/٥

(٣) سنن الترمذي باب ما جاء في الرجل يقتل عبده ٢٦/٤ وقال: حديث حسن غريب، سنن الدارمي - باب القود بين الولد والوالد ٢٥٠/٢، مصنف عبد الرزاق - باب الحر يقتل العبد - ٤٨٨/٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الحديث رواه الحسن عن سمرة {١}

وقال بعضهم: إن الحسن لم يسمع من سمرة، وقيل لم يسمع منه إلا حديث العقيقة {٢}، وجاء أن الحسن رضي الله عنه كان يفتي بأنه لا يقتل حر بعبد، قال بعضهم لأنه قد نسي الحديث وقال آخرون لم ينس الحديث ولكنه رغب عنه لضعفه {٣}، وقال بعضهم تأوله على غير معنى الإيجاب {٤} وعليه فيمكن إن صحت الرواية أن يكون الحديث قد خرج على وجه التحذير والمبالغة في الزجر. وبناء على ما سبق يتبين أن أدلة الجمهور أقوى دلالة وأكثر رجحانًا في أن الحر لا يقتل بالعبد، والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) المستدرك على الصحيحين - كتاب الحدود ٤٠٨/٤ وقال صحيح على شرط البخاري وله شاهد عن أبي هريرة، سنن الترمذي - ما جاء في الرجل يقتل عبده - ٣٠٤/٥، مسند الإمام أحمد

(٢) نقله ابن حبان في صحيحه ٢٦/١٦، وورد في السنن الصغرى للإمام البيهقي ٢٤/٧: وكان يحيى بن معين ينكر سماع الحسن من سمرة بن جندب، وكان شعبة أيضًا ينكره وزعم بعض الحفاظ أنه لم يسمع من سمرة غير حديث العقيقة

(٣) جاء في السنن الكبرى للبيهقي - باب ما روي فيمن قتل عبده أو مثل به - ٣٥/٨: قال الشيخ يشبه أن يكون الحسن لم ينس الحديث لكن رغب عنه لضعفه وأكثر أهل العلم بالحديث رغبوا عن رواية الحسن عن سمرة أ ه، وقريب منه في معرفة السنن والآثار - باب منع قتل الحر بالعبد - ١٥٧/٦، البدر المنير لابن الملقن (٧٢٣ ه) ٣٧١/٨

(٤) النهاية في غريب الأثر ١٤/٤، عون المعبود ١٥٤/١٢،

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

" حكم صيام المسافر والمريض "

قال الله تعالى: { أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) إباحة للفطر مع المرض والسفر وقد يجب الفطر إذا خاف الهلاك وفي الكلام عند الجمهور محذوف يسمى فحوى الخطاب والتقدير فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فأفطر فعليه عدة من أيام أخر ولم يفعل الظاهرية بهذا المحذوف فرأوا أن صيام المسافر والمريض لا يصح وأوجبوا عليه عدة من أيام أخر وإن صام في رمضان وهذا منهم جهل بكلام العرب {٢}

الآراء كما عرضها الإمام ابن جزي:

١- رأي الجمهور وهو صحة صوم المسافر وعدم وجوب القضاء وهو قَوْلُ عليٍّ وابْنِ عبّاسٍ وَعائشَةَ وَعُثْمَانَ بن أبي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ {٣} رضي اللهُ عَنْهُمْ

٢- رأي الظاهرية وهو عدم صحة صوم المسافر ووجوب القضاء عليه إن صام وهو قول عُمَرَ وَابْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهِ عَنْهُمْ

---

(١) سورة البقرة آية: (١٨٤).

(٢) التسهيل ٧١/١

(٣) عثمان بن أبي العاص الثقفي الطائفي أبو عبد الله صحابي شهير وكانت أمه قد شهدت ولادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استعمله النبي - صلى الله عليه وسلم - على الطائف سكن البصرة وكان قد أخلى بيتًا للحديث وله أحاديث في صحيح مسلم وفي السنن ومات في خلافة معاوية بالبصرة سير أعلام النبلاء ٣٧٤/٢، تقريب التهذيب ٣٨٤/١، الإصابة ٤٥١/٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

ذهب الإمام ابن جزي في هذه المسألة إلى ما ذهب إليه الجمهور أن صوم المسافر والمريض صحيح وأنه لا قضاء عليه مستدلين بما اعتبره العلماء حجة لديهم أن في الآية الكريمة محذوفًا تقديره " فمن كان منكم مريضًا أو على سفر " فأفطر " فعدة من أيام أخر " {١}

واستدلوا أيضًا بفعل النبي (ص) فقد ثبت بالخبر المستفيض الموجب للعلم أنه صام في السفر ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري {٢} رضي الله عنه قال: لقد رَأَيْتُنَا نَصُومُ مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السَّفَرِ {٣}

وثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - الصوم والفطر لمن سأله عن ذلك فقد روت أم المؤمنين عائشَةُ رضي الله عنها زَوْجُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - أن حَمْزَةَ بن عَمْرٍو الأَسْلَمِيَّ {٤} قال للنَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -: أَأَصُومُ في السَّفَرِ وكان كثِيرَ الصِّيَامِ فقال: إن شِئْتَ فَصُمْ وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ {٥}

---

(١) تفسير السمرقندي ١٤٩/١، تفسير الطبري ١٥٤/٢، الواحدي ١٥٠/١، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٢٤٦/١، قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٨٩/٢، المستصفى للإمام الغزالي ٧٧/١، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد - عبد القادر بن بدران الدمشقي ٢٧٢/١، الفروق - القرافي - ٣١٤/٤

(٢) سعد بن مالك بن سنان بن خدرة - بضم المعجمة - أبو سعيد الخدري، بايع تحت الشجرة، وشهد ما بعد أحد، وكان من علماء الصحابة، مات سنة أربع وسبعين (الكاشف ٤٣٠/١، الثقات ١٥٠/٣)

(٣) صحيح مسلم - كتاب الصيام، باب أجر المفطر في السفر إذا تولى العمل، برقم ١١٢٠ - ج٢/ص٧٨٩، الجمع بين الصحيحين - الحميدي ٤٨٨ ه - ٤٦٩/٢،

(٤) حمزة بن عمرو الأسلمي من أسلم بن أقصى بن حارثة بن عمرو بن عامر كنيته أبو صالح، ويقال أبو محمد، له صحبة مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، مات سنة إحدى وستين وهو بن إحدى وسبعين سنة مشاهير علماء الأمصار ١٦/١، الجرح والتعديل ٢١٢/٣، رجال مسلم ١٤٦/١، المقتنى في سرد الكنى ٣١١/١.

(٥) صحيح البخاري - ك الصوم، باب الصوم في السفر والإفطار برقم ١٨٤٢ - ٦٨٦/٢، صحيح مسلم - ك الصوم، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر برقم ١١٢١ - ٧٨٩/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وهو فعل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، فممن كان يصوم في السفر ولا يفطر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقيس بن عباد {١} وابن سيرين وابن عمر وابنه سالم وعمرو بن ميمون {٢} وأبو وائل {٣} رضي الله عنهم، وقال الإمام علي رضي الله تعالى عنه: من أدرك رمضان وهو مقيم ثم سافر فقد لزمه الصوم لأن الله تعالى قال: {فمن شهد منكم الشهر فليصمه}{البقرة ٥٨١ (؟)}{٤} وأنه وإن كان ثمة خلاف بين بعض الصحابة في القول بصوم المسافر أو عدمه فإن التابعين قد أجمعوا عليه بعد ذلك "، والخلاف في العصر الأول لا يمنع انعقاد الإجماع في العصر الثاني بل الإجماع المتأخر يرفع الخلاف المتقدم "{٥} كما هو مقرر في علم الأصول.

والجواب عن أدلة أهل الظاهر فيما يلي:

١- قولهم إن الآية على ظاهرها وأنه لا إضمار على ما سمي بفحوى الخطاب

---

(١) قيس بن عباد اليشكري من ولد قيس بن ثعلبة كنيته أبو المغيرة قدم المدينة في خلافة عمر يروى عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب روى عنه أبو إسحاق والقاسم بن كثير قيس بن السكن الأسدي قال ابن سعد كان ثقة قليل الحديث وقال العجلي كان ثقة من كبار الصالحين وقال النسائي وابن خراش ثقة وكانت له مناقب وحلم وعبادة وتوفي في حدود التسعين للهجرة في ولاية مصعب بن الزبير على العراق - تهذيب التهذيب ٣٥٧/٨، الثقات لابن حبان ٣٠٨/٥، الوافي بالوفيات ٢٦٢/٢

(٢) عمرو بن ميمون بن مهران الجزري أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن سبط سعيد بن جبير ثقة فاضل من السادسة مات سنة سبع وأربعين - تقريب التهذيب ٤٢٧/١، وتهذيب الكمال ٢٥٤/٢٤، سير أعلام النبلاء ٣٤٦/٦

(٣) أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي كان مولده سنة إحدى من الهجرة أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - وليست له صحبة وسمع من الصحابة مات سنة ثلاث وثمانين - الجرح والتعديل ٣٧١/٤، مشاهير علماء الأمصار ٩٩/١، كنى التاريخ الكبير ٨٩/١، طبقات ابن سعد ٩٦/٦، تذكرة الحفاظ ٦٠/١

(٤) عمدة القاري ٤٣/١١

(٥) بدائع الصنائع ٩٥/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

"، فأكثر العلماء على أن فحوى الخطاب أولى بالحكم من المنطوق أو مساويًا له {١}، والمعلوم عند جميع فقهاء الأمصار إضمار الإفطار فيه والتقدير فأفطر فعدة من أيام أخر {٢} وتقرير القول فيه أن الإضمار في كلام الله جائز في الجملة، وبيان الجواز، فكما في قوله تعالى: { فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ } {٣} والتقدير: فضرب " فانفجرت " وكذلك قوله تعالى: { وَلا تَحْلِقُوا } إلى قوله { مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ } (٤) أي: فحلق " فعليه فدية " فثبت أن الإضمار جائز،

وقال الإمام ابن العربي {٥} في أحكام القرآن: وقد عزي إلى قوم إن سافر في رمضان قضاه صامه أو أفطره وهذا لا يقول به إلا ضعفاء الأعاجم فإن جزالة القول وقوة الفصاحة تقتضي فأفطر {٦}

وقال الإمام ابن القيم: وأما احتجاجكم بالآية وأن الله أمر المسافر بعدة من أيام أخر فهي فرضه الذي لا يجوز غيره فاستدلال باطل قطعًا، فإن الذي أنزلت عليه هذه الآية وهو أعلم الخلق بمعناها والمراد منها قد صام بعد نزولها بأعوام في السفر ومحال أن يكون المراد منها ما ذكرتم ولا يعتقده مسلم فعلم أن المراد

---

(١) الإبهاج شرح المنهاج لتقي الدين السبكي ٧٥٦ ه، تاج الدين السبكي ٧٧١ ه ٨/٣، البحر المحيط في أصول الفقه ٩٠/٣، التمهيد للإسنوي ٢٤١/١، روضة الناظر لابن قدامة المقدسي ٢٩٤/١، التحبير شرح التحرير للمرداوي الحنبلي ٨٨٥ ه ٢٦٦٦/٦، طرح التثريب في شرح التقريب ١١٦/٧، أضواء البيان ٢٢٥/١، ٣٢٤/١، ١٧٥/٤،

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٢٧٠/١

(٣) سورة البقرة آية: (٦٠)

(٤) سورة البقرة آية: (٩٦)

(٥) هو: أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري المالكي، أحد علماء المالكية، ولد سنة ٤٦٧ه، له باع طويل في الحديث، والفقه، والنحو، والتفسير، وعلوم القرآن، له مصنفات منها (أحكام القرآن)، و(العواصم من القواصم)، توفي سنة ٥٤٣ ه، {ينظر سير أعلام النبلاء (١٩٧/٢٠)}

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ١١٢/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بها غير ما ذكرتم، فإما أن يكون المعنى فأفطر فعدة من أيام أخر كما قال الأكثرون أو يكون المعنى فعدة من أيام أخر تجزي عنه وتقبل منه ونحو ذلك، فما الذي أوجب تعيين التقدير بأن عليه عدة من أيام أخر أو ففرضه ونحو ذلك وبالجملة ففعل من أنزلت عليه تفسيرها وتبيين المراد منها، وهذا موضع يغلط فيه كثير من قاصري العلم يحتجون بعموم نص على حكم ويغفلون عن عمل صاحب الشريعة وعمل أصحابه الذي يبين مراده ومن تدبر هذا علم ما به مراد النصوص وفهم معانيها {١}

٢- وأما استدلالهم بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم -، عن أسامة بن زيد {٢} عن ابن شهاب {٣} عن أبي سلمة بن عبد الرحمن {٤} عن أبيه عبد الرحمن بن عوف

---

(١) حاشية الإمام ابن القيم على سنن أبي داود ٣٦/٧

(٢) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، أبو محمد وأبو زيد الأمير، حِبُّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن حبه، حاضنته أم أيمن، أَمَّرَهُ النبي على جيش فيهم أبو بكر وعمر، وشهد مؤتة، توفي سنة أربع وخمسين عن خمس وسبعين سنة. (خلاصة تذهيب الكمال ٢٦/١، رجال صحيح البخاري للإمام أحمد بن محمد بن الحسين البخاري أبي نصر الكلاباذي ج١/ص٩٣، تحقيق/ عبد الله الليثي، رجال مسلم ٧٠/١)

(٣) الزهري أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني أحد الأعلام نزل الشام، وروى عن سهل بن سعد وابن عمر وجابر وأنس وغيرهم من الصحابة وخلق من التابعين وعنه أبو حنيفة ومالك وعطاء بن أبي رباح وعمر بن عبد العزيز وهما من شيوخه وابن عيينة والليث والأوزاعي وابن جريج وخلق قال ابن منجويه: رأى عشرة من الصحابة، وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقًا لمتون الأخبار فقيهًا فاضلًا، وقال الليث: ما رأيت عالمًا قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علمًا منه مات سنة أربع وعشرين ومائة- ينظر ترجمته في طبقات الحفاظ ٤٩/١، مولد العلماء ووفياتهم/ لمحمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن زبر الربعي - تحقيق/ عبد الله أحمد سليمان الحمد (٨٩/١)، والكنى والأسماء ١١٥/١، معرفة الثقات ٢٥٣/٢

(٤) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عبد الله كان من أفاضل قريش وعبادهم وفقهاء أهل المدينة وروى عن أبيه وعن عثمان بن عفان، وطلحة وعبادة بن الصامت كان ثقة فقيهًا كثير الحديث مات سنة أربع وتسعين - ينظر تهذيب التهذيب لابن حجر ١٢٧/١٢، مشاهير علماء الأمصار ٦٤/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - { صائم رمضان في السفر كالمفطر في الحضر } فقد تكلم في إسناده أهل الحديث

فقال بعضهم: هذا الحديث ليس بشيء {١}

وقال بعضهم: هو موقوف وفي إسناده انقطاع وروي مرفوعًا وإسناده ضعيف {٢}

وعليه فغاية الاستدلال به أنه قول الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ولعل هذا اجتهاده أو فهمه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من شدة تأكيده عليه السلام على قبول ما من الله تعالى به على عباده من الترخيص لهم بالإفطار في السفر أو المرض

٣- وأما استدلالهم بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أفطر في سفره عام الفتح وأمر الناس أن يفطروا فقد رواه الإمام مسلم عن قزعة {٣} قال: أَتَيْتُ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رضي الله عنه وهو مكْثُورٌ عليه فلما تَفَرَّقَ الناس عنه قلت إني لا أَسْأَلُكَ عَمَّا يَسْأَلُكَ هَؤُلاءِ عنه سَأَلْتَهُ عن الصَّوْمِ في السَّفَرِ فقال سَافَرْنَا مع رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إلى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ قال فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فقال رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - إِنَّكُمْ قد دَنَوْتُمْ من عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ

---

(١) سنن ابن ماجة - باب ما جاء في الإفطار في السفر - ٥٣٢/١

(٢) السنن الكبرى للبيهقي - باب الرخصة في الصوم في السفر ٢٤٤/٤، - وجاء في: (مصباح الزجاجة للإمام أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني (٧٦٢ - ٨٤٠ ه) - باب الصوم في السفر - ٦٤/٢: هذا إسناد ضعيف ومنقطع رواه أسامة بن زيد هو ابن أسامة (؟) ضعيف وأبو سلمة ابن عبد الرحمن لم يسمع من أبيه شيئًا قاله ابن معين والبخاري - وقال الإمام ابن حجر في الفتح: وأما الحديث المشهور الصائم في السفر كالمفطر في الحضر فقد أخرجه بن ماجة مرفوعًا من حديث بن عمر بسند ضعيف وأخرجه الطبري من طريق أبي سلمة عن عائشة مرفوعًا أيضًا وفيه بن لهيعة وهو ضعيف ورواه الأثرم من طريق أبي سلمة عن أبيه مرفوعًا والمحفوظ عن أبي سلمة عن أبيه موقوفًا كذلك أخرجه النسائي وبن المنذر ومع وقفه فهو منقطع لأن أبا سلمة لم يسمع من أبيه (فتح الباري - كتاب الصوم، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن ظلل عليه واشتد الحر ليس من البر الصيام في السفر ١٨٤/٤)

(٣) قزعة بن يحيى ويقال ابن الأسود روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وعنه قتادة وعاصم الأحول وعدة كان ثقة من الثالثة ينظر تقريب التهذيب ٤٥٥/١، الكاشف ١٣٧/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أَقْوَى لَكُمْ فَكَانَتْ رُخْصَةً فَمِنَّا من صَامَ وَمِنَّا من أَفْطَرَ ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلًا آخَرَ فقال إِنَّكُمْ مُصَبِّحُو عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا وَكَانَتْ عَزْمَةً فَأَفْطَرْنَا ثُمَّ قال لقد رَأَيْتُنَا نَصُومُ مع رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بَعْدَ ذلك في السَّفَرِ {١}

وليس لهم فيه حجة فقد ورد فيه:

أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج من المدينة إلى مكة صائمًا وما كان في الصوم في السفر مخالفة لما ابتدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - سفره صائمًا حتى لا يأمر الناس بما لا يفعل هو عليه السلام، ثم قوله عليه السلام " إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم " بيان لعلة أمره لهم بالإفطار وأن في الفطر قوة لهم على عدوهم وقول أبو سعيد رضي الله عنه " فكانت رخصة " بيان لما بلغ إليه فهم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من أمره عليه السلام وهم أقرب الناس إليه وأعرف الخلق بمراده - صلى الله عليه وسلم - فغاية ما عرفوا من الأمر النبوي الشريف أنه رخصة وليس فرضًا ومن ثم صدر عنهم ما يوافق الأمر بالفطر وما يخالفه، وما أنكر النبي عليهم وقتئذ وإنما أمهلهم حتى نزلوا منزلًا آخر ثم كرر عليه السلام بيان العلة فقال: إنكم مصبحوا عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا وكانت عزمة فأفطرنا " فلما صارت عزمة أفطروا وذلك أنهم كانوا بين أمرين أحدهما فرض وهو الجهاد والآخر فضل وهو تعجيل الصوم، ولا عجب بعد أن يصف النبي - صلى الله عليه وسلم - من تخلف عن هذه العزمة بالعصيان فقد تركوا الرخصة ورغبوا عنها، ولم يحسنوا الإعداد للقاء العدو ولو قال أحد بالوجوب في مثل هذا الأمر النبوي لأصحابه بالفطر لوجب أن يكون المأمور بالفطر في مثل حالهم، على أرض المعركة، بلغ به الجهد، يريد أن يتقوى للعدو ولا ينطبق مثل هذا الأمر على سبيل التكليف على كل مسافر أو مريض ولزم حينها أن يحمل على الترغيب في قبول الرخصة والعمل بها

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الصوم، باب التخيير في الصوم والفطر في السفر برقم ١١٢٠ - ج٢/ ٧٨٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وأنى لأحد أن يقول بالوجوب وقد أخبر الصحابي راوي الحديث أن صام بعد ذلك مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سفره.

وبعد فالقول في هذه المسألة هو قول الجمهور والترجيح مع ما ذهب إليه الإمام ابن جزي رحمه الله من أن صوم المرض والمسافر صحيح، والله تعالى أعلم.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هل العمرة واجبة؟

يقول الله تعالى: وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) أي: أكملوها إذا ابتدأتم عملهما، قال ابن عباس: إتمامهما كمال المناسك {٢}، وقال علي: إتمامهما أن تحرم بهما من دارك {٣} ولا حجة فيه لمن أوجب العمرة؛ لأن الأمر إنما هو بالإتمام لا بالابتداء {٤}

الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- القول بأن العمرة واجبة، وبه قال عمر وابن عباس وابن عمر وجابر وطاووس وعطاء وابن المسيب وسعيد بن جبير والحسن البصري وابن سيرين والشعبي ومسروق والثوري وأحمد وإسحاق.

---

(١) سورة البقرة آية: (١٩٦).
(٢) الدر المنثور ج١/ص٥٠٢، تفسير البغوي ١٦٥/١، تفسير الثعالبي ٩٥/٢، زاد المسير ٢٠٤/١
(٣) رواه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الإمام الذهبي ٣٠٣/٢، زاد المسير ٢٠٤/١، الدر المنثور ٥٠٢/١، المحرر الوجيز ٢٦٥/١، أبو السعود ٢٠٦/١، فتح القدير ١٩٨/١، وذكر ابن أبي حاتم في التفسير ٣٣٥/١ قال: وروى عن ابن عباس وطاووس وسعيد بن جبير نحو ذلك.
(٤) التسهيل ٧٤/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- القول بأنها غير واجبة وروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال أبو حنيفة وأصحابه ومالك.{١}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن العمرة غير واجبة مستدلًا بأن الأمر في الآية بالإتمام لا بالابتداء وهو توجيه حسن ويقويه أن الأمر الصريح بالإيجاب كان للحج دون العمرة وذلك في قوله تعالى " وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " (٢)، ولما أمر نبيه إبراهيم عليه السلام أن ينادي في الناس بأداء الفريضة كان النداء للحج دون العمرة فقال تعالى " وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالًا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق " ولم أر أحدًا قال بأن العمرة متضمنة في الحج بنداء واحد على أنهما واجبان

واستدل القائلون بعدم وجوب العمرة بأدلة أخرى منها:

١- النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يعدها من فرائض الإسلام التعبدية حيث قال: عن بن عُمَرَ رضي الله عنهما قال قال رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - بُنِيَ الْإِسْلَامُ على خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضَانَ {٣}،

وحديث عن أَنَسِ بن مالكٍ قال نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - عَنْ شَيْءٍ فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ من أَهْلِ الْبَادِيَةِ الْعَاقِلُ فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فقال يا محمد أَتَانَا رَسُولُكَ فَزَعَمَ لنا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ قال صَدَقَ قال فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ قال الله قال فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ قال الله قال فَمَنْ نَصَبَ هذه الْجِبَالَ وَجَعَلَ فيها ما جَعَلَ قال الله قال فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ هذه الْجِبَالَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ قال نعم قال وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا خَمْسَ

---

(١) عمدة القاري - وجوب العمرة وفضلها - ١٠٧/١٠

(٢) سورة آل عمران آية: (٩٧).

(٣) صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب الإيمان وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - بني الإسلام على خمس ١١/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

صَلَوَاتٍ في يَوْمِنَا وَلَيْلَتِنَا قال صَدَقَ قال فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ بهذا قال نعم قال وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا زَكَاةً في أَمْوَالِنَا قال صَدَقَ قال فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ بهذا قال نعم قال وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ في سَنَتِنَا قال صَدَقَ قال فَبِالَّذِي أَرْسَلَكَ اللَّهُ أَمَرَكَ بهذا قال نعم قال وَزَعَمَ رَسُولُكَ أَنَّ عَلَيْنَا حَجَّ الْبَيْتِ من اسْتَطَاعَ إليه سَبِيلًا قال صَدَقَ قال ثُمَّ وَلَّى قال وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَيْهِنَّ ولا أَنْقُصُ مِنْهُنَّ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ (١)

٢- ما أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال كان الْفَضْلُ رَدِيفَ رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ من خَثْعَمَ فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إليه وَجَعَلَ النبي - صلى الله عليه وسلم - يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إلى الشِّقِّ الْآخَرِ فقالت يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ على عِبَادِهِ في الْحَجِّ أَدْرَكَتْ أبي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَثْبُتُ على الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجُّ عنه قال نعم وَذَلِكَ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ {٢} ففي الحديث دلالة على أن المفروض هو الحج ولو كانت العمرة واجبة لسألت عنها وأمرها النبي - صلى الله عليه وسلم - أن تقضيها عن أبيها، وإن كانت هذه حجة ضعيفة لأن مجرد ترك السؤال لا يدل على عدم الوجوب، ولاحتمال أن يكون أبوها قد اعتمر قبل الحج {٣}

٣- ما روي عن الْحَجَّاجِ عن مُحَمَّدِ بن الْمُنْكَدِرِ {٤} عن جَابِرٍ أَنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - سُئِلَ

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب السؤال عن أركان الإسلام - ٤١/١

(٢) صحيح البخاري كتاب الحج، باب الحج عمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة - ٦٥٧/٢، مسلم كتاب الحج باب جدر الكعبة وبابها - ٩٧٣/٢

(٣) فتح الباري كتاب الحج، باب قوله حج المرأة عن الرجل - ٧٠/٤

(٤) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير بالتصغير التيمي المدني تابعي ثقة رجل صالح فاضل من الثالثة كنيته أبو بكر، وكان المنكدر خال عائشة فشكى إليها حاجة فقالت له أول شيء يأتيني أعطيكه فجاءتها عشرة آلاف درهم فبعثتها إليه فاشترى منها جارية فولدت له محمدًا وإخوته، وكان من سادات قريش وعباد أهل المدينة وقراء التابعين مات سنة ثلاثين ومائة وقد نيف على السبعين - تقريب التهذيب ٥٠٨/١، معرفة الثقات ٢٥٤/٢، تذكرة الحفاظ ١٢٧/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

عن الْعُمْرَةِ أَوَاجِبَةٌ هِيَ قال لَا وَإِنْ تَعْتَمِرُوا هو أَفْضَلُ قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ {١}

وقال الكمال بن الهمام في فتح القدير لا ينزل عن درجة الحسن، وإن كان الحجاج بن أرطأة {٢} فيه {٣}

٤- تحرج بعض الصحابة أن ينطق بوجوبها بعبارة صريحة وقول واضح مثل عبد الله بن مسعود قال: والله لولا التحرج أني لم أسمع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها شيئًا لقلت: {العمرة واجبة مثل الحج {٤} فهي وإن كانت تحتل في نفسه هذه المنزلة إلا أنه خشي أن يتقول على الله ورسوله، وظاهر الأمر أنه حدث بما علم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

أدلة القائلين بوجوب العمرة:

١- قوله تعالى: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) " فالمراد بالإتمام عندهم في الآية هو الإنشاء للحج والعمرة {

والجواب على ذلك: أن الأمر بإتمام فعل من الأفعال ليس أمرًا بأصله ولا مستلزمًا له أصلًا، وإنما يقتضي نفي النقصان عنه إذا فعل لأن ضد التمام هو النقصان لا البطلان، وإذا كان ذلك على ما وصفنا كان تقديره أن لا يفعلها

---

(١) سنن الترمذي - كتاب الحج، باب ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا؟ - ٢٧٠/٣، مختصر الأحكام لأبي علي الحسن بن علي بن نصر الطوسي (٢٢٢- ٣١٢ ه) باب ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا ١٩٢/٤، وقال: حديث حسن.

(٢) الحجاج بن أرطأة بن ثور بن هبيرة بن شراحيل بن كعب بن سلامان بن عامر بن حارثة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج ويكنى الحجاج أبا أرطأة وكان شريفًا مريًا (؟) وكان في صحابة أبي جعفر فضمه إلى المهدي فلم يزل معه حتى توفي بالري مع المهدي في خلافة أبي جعفر وكان ضعيفًا في الحديث سمع عطاء وروى عنه ابن المبارك وحفص بن غياث - طبقات ابن سعد ٣٥٩/٦، الكنى والأسماء ١١١/١، فتح الباب في الكنى والألقاب ٩٦/١.

(٣) شرح الزرقاني - جامع ما جاء في العمرة - ٣٦٢/٢، والحجاج بن أرطأة يحيى بن معين يقول الحجاج بن أرطأة كوفي صدوق ليس بالقوي يدلس (الجرح والتعديل ١٥٦/٣)

(٤) سنن البيهقي الكبرى - باب من قال بوجوب العمرة ٣٥١/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ناقصين ولا يدل ذلك على الوجوب لجواز إطلاقه على النوافل فالحج الواجب فيه كحج التطوع وكالعمرة التطوع وكصلاة النفل، وأيضًا فإن الأظهر من لفظ الإتمام إنما يطلق بعد الدخول فيه قال الله عز وجل: {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل} فأطلق عليه لفظ الإتمام بعد الدخول، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا "{١}

فأطلق لفظ الإتمام عليها بعد الدخول فيها، وعليه فغير جائز إذا ثبت أن المراد لزوم الإتمام بعد الدخول حمله على الابتداء لتضاد المعنيين وادعاء أن الأمر بإتمامهما أمر بإنشائهما تامين كاملين حسبما تقتضيه قراءة " وأقيموا الحج والعمرة "، وأن الأمر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل، فالحق أن تلك القراءة ناطقة بوجوب إقامة أفعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في أنفسهما، وعليه فالمعنى أكملوا أركانهما وشرائطهما وسائر أفعالهما المعروفة شرعًا لوجه الله تعالى من غير إخلال منكم بشيء منها "{٢}

٢- حديث أبي رزين {٣} رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج والعمرة ولا الظعن قال حج عن أبيك واعتمر {٤} والجواب على ذلك: أن صيغة الأمر الواردة بعد المنع أو السؤال أو الاستئذان إنما تقتضي الجواز لا الوجوب لأن وقوعها في جواب السؤال عن الجواز دليل صارف عن الوجوب إلى الجواز{٥}

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الصلاة، باب لا يسعى إلى الصلاة فليأت بالسكينة والوقار وقال ما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا برقم ٦١٠ ج١/ ٢٢٨

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣٢٩/١، ٣٣٠، تفسير أبي السعود ٢٠٥/١

(٣) أبي رزين مسعود مولى أبي وائل الأسدي الكوفي وكان أبو رزين أكبر من أبي وائل وكان عالمًا بالكوفة - التاريخ الأوسط ٢٣٠/١

(٤) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك برقم ١٧٦٨ - أول كتاب المناسك - ٦٥٤/١

(٥) القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام الفرعية لابن اللحام ص ٢٣٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٣- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله هل على النساء من جهاد قال عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة {١} ويجاب عنه بمثل ما أجيب عما قبله أنه أمر بعد استفهام فلا يلزم منه الوجوب وإنما يلزم منه الجواز أو الإباحة، وإن كان الوجوب قد تعين هنا بالقياس على الجهاد فالجهاد ليس فرض عين بل.. هو فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين؛ إلا أن ينزل العدو بساحة الإسلام فهو حينئذ فرض عين {٢} أو يحدد الإمام واحدًا بعينه فيتعين عليه الجهاد {٣}

وبعدما سبق أرجح أن الأولى الجمع بين الأدلة والتي تفيد الوجوب للعمرة بعد الشروع فيها وعدم الوجوب لها قبل الشروع فيها وهذا ما أقره جمع من العلماء ومنهم:

الإمام الشوكاني، قال في فتح القدير: وأجابوا عن الآية وعن الأحاديث المصرحة بأنها فريضة بحمل ذلك على أنه قد وقع الدخول فيها وهي بعد الشروع فيها واجبة بلا خلاف وهذا وإن كان فيه بعد لكنه يجب المصير إليه جمعًا بين الأدلة ولا سيما بعد تصريحه - صلى الله عليه وسلم - بما تقدم في حديث جابر من عدم الوجوب وعلى هذا يحمل ما ورد مما فيه دلالة على وجوبها "{٤}

وقال رحمه الله في نيل الأوطار ما نصه: والحق عدم وجوب العمرة لأن البراءة الأصلية لا ينتقل عنها إلا بدليل يثبت به التكليف ولا دليل يصلح لذلك لا سيما مع اعتضادها بالأحاديث القاضية بعدم الوجوب ويؤيد ذلك اقتصاره - صلى الله عليه وسلم - على

---

(١) صحيح ابن خزيمة - باب الدليل على أن جهاد المرأة الحج والعمرة - برقم ٣٠٧٤ ج٤/ ٣٥٩، سنن البيهقي - باب من قال بوجوب العمرة بدليل قول الله تعالى " وأتموا الحج والعمرة.. " برقم ٨٥٤٠ ج٤/ ٣٥٠، مسند الإمام أحمد بن حنبل - حديث السيدة عائشة - برقم ٢٥٣٦١ ج٦/ ١٦٥

(٢) المحرر الوجيز ٢٨٩/١،

(٣) فتح الباري - باب وجوب النفير - ٣٧/٦

(٤) فتح القدير ١٩٥/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الحج في حديث بني الإسلام على خمس واقتصار اللَّه جل جلاله على الحج في قوله تعالى { وَلِلَّهِ على الناس حِجُّ الْبَيْتِ } {١}

وقال الطبري بعد أن ذكر أدلة القائلين بوجوب العمرة: هذه أخبار لا يثبت بمثلها في الدين حجة لوهي أسانيدها وأنها مع وهي أسانيدها لها في الأخبار أشكال تنبئ عن أن العمرة تطوع لا فرض واجب {٢} وعليه يترجح قول ابن جزي أن العمرة ليست واجبة كالحج والله أعلم.

---

(١) سورة آل عمران آية(٩٧).
(٢) تفسير الطبري ٢١٢/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حكم وطء المرأة بعد الحيض وقبل الاغتسال

يقول الله تعالى: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(١)

يقول الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (إِذَا تَطَهَّرْنَ) أي: اغتسلن بالماء وتعلق الحكم بالآية الأخيرة عند مالك والشافعي فلا يجوز عندهما وطء حتى تغتسل وبالغاية الأولى عند أبي حنيفة فأجاز الوطء عند انقطاع الدم وقبل الغسل وقرىء حتى (يطهرن) بالتشديد ومعنى هذه الآية بالماء فتكون الغايتان بمعنى واحد وذلك حجة لمالك {٢}

الآراء كما عرضها الإمام ابن جزي:

١- يجوز وطء المرأة عقب انقطاع دم الحيض وإن لم تغتسل وهو قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه

٢- لا يجوز وطء المرأة بعد انقضاء حيضتها إلا بعد اغتسالها غسلها من الجنابة وهو قول مالك والزهري، والليث وربيعة، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور {٣}

الترجيح في الميزان:

ذهب الإمام ابن جزي في هذه المسألة إلى ما ذهب إليه الإمام مالك من أن المرأة لا يحل وطؤها بمجرد انقطاع دم الحيض، بل لابد من اغتسالها غسلها من الجنابة وهذا هو مذهب الجمهور عدا الإمام أبي حنيفة ويؤيد هذا الترجيح ما يلي:

---

(١) سورة البقرة آية (٢٢٢).
(٢) التسهيل ٨٠/١
(٣) تفسير القرطبي ٨٨/٣، أحكام القرآن لابن العربي ٢٢٨/١، تفسير آيات الأحكام لفضيلة الشيخ محمد علي السايس ج١ ص ١٣٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١- أن انقطاع الدم ليس بطهر في نفسه وإنما هو إيذان بحل (؟) الطهر {١} كقولهم: إذا انقضت عدتها حلت للرجال، فليس على معنى أن وطئها قد حل لهم، وبه قال - صلى الله عليه وسلم - لفاطمة بنت قيس: إذا حللت فآذنيني "{٢}

٢- أن لفظ صيغة التفعل إنما تطلق على ما يكون من فعل المكلفين لا على ما يكون من فعل غيرهم فيكون قوله تعالى {فإذا تطهرن} أظهر في معنى الغسل بالماء منه في الطهر الذي هو انقطاع الدم والأظهر يجب المصير إليه حتى يدل الدليل على خلافه {٣}

٣- أن الله تعالى علق الحكم في الآية على شرطين، أحدهما: انقطاع الدم وهو قوله تعالى {حتى يطهرن}، والثاني: الاغتسال بالماء وهو قوله تعالى {فإذا تطهرن} أي: يفعلن الغسل بالماء وهذا مثل قوله تعالى {وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح} الآية فعلق الحكم وهو جواز دفع المال على شرطين أحدهما بلوغ المكلف النكاح والثاني إيناس الرشد وكذلك قوله تعالى في المطلقة فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ثم جاءت السنة باشتراط العسيلة{٤} فوقف التحليل على الأمرين جميعًا وهو انعقاد النكاح ووجود الوطء {٥}

٤- أن ما بعد الغاية في الشرط هو المذكور في الغاية قبلها فيكون قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ

---

(١) أحكام القرآن الكريم للإمام الطحاوي ١٢٧/١
(٢) صحيح مسلم - كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها - برقم ١٤٨٠ - ج٢/ ١١١٩
(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الأندلسي ٤٢/١، أحكام القرآن لابن العربي ٢٣١/١
(٤) إشارة إلى حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: أن رجلًا طلّق امرأته ثلاثًا فَتَزَوَّجَتْ فَطُلِّقَ فسُئِلَ النبي - صلى الله عليه وسلم - أَتَحِلُّ لِلْأَوَّلِ قال: لا حتى يذوق عُسَيْلَتَهَا كما ذاق الْأَوَّلُ " صحيح البخاري - كتاب الطلاق، باب من أجاز طلاق الثلاث - برقم ٤٩٦١ ج٥/ ٢٠١٤
(٥) بتصرف ينظر تفسير القرطبي ٨٩/٣، أحكام القرآن للجصاص ٣٦/٢، أحكام القرآن لابن العربي ٢٢٩/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} حتى يطهرن مخففًا وهو معنى قوله يطهرن مشددًا بعينه ولكنه جمع بين اللغتين في الآية كما قال تعالى { فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين } {١}

٥- قراءة {يَطَّهَّرْنَ}{٢} بالتشديد بمعنى يتطهرن متواترة، والقراءة المتواترة حجة بالإجماع، فإذا حصلت قراءتان متواترتان وأمكن الجمع بينهما، وجب الجمع، وإذا ثبت هذا، فقراءة التخفيف عبارة عن انقطاع الدم، وقراءة التثقيل عبارة عن التطهر بالماء، فوجب أن لا تنتهي الحرمة إلا عند حصول الأمرين{٣}

ويضاف (؟) إليه أن القراءتين ليس بينهما تعارض وإن اختلف معناهما، والقاعدة أن القراءتين إذا اختلف معناهما ولم يظهر تعارضهما، وعادتا إلى ذات واحدة كان ذلك من الزيادة في الحكم لهذه الآيات {٤}

٦- أن قوله تعالى: { يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ } علق الإتيان على التطهر بكلمة {إذا} وكلمة {إذا} للشرط في اللغة والمعلق على الشرط عدم عند عدم الشرط فوجب أن لا يجوز الإتيان عند عدم التطهر {٥}

وأقول: أن أدلة المخالفين لا تقوى لمناهضة هذه الأدلة. ويترجح القول بأنه لا يجوز وطء المرأة الحائض إلا بعد أن تغتسل من حيضها ولكن ثمرة الخلاف في قول أبي حنيفة تظهر فيما لو لم تجد الماء فلا حرج في أن يطأها زوجها والله أعلم.

(٢) هي قراءة حمزة والكسائي، ينظر: السبعة ١٨٢/١.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢٢٨/١، ٢٢٩، تفسير الرازي ٥٩/٦.

(٤) قواعد التفسير جمعًا ودراسة - خالد بن عثمان السبت ٨٩/١

(٥) تفسير الرازي ٥٩/٦.

[الهامش (١) غير موجود في أسفل الصفحة رغم وروده في المتن]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

المراد بقوله: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) {١}

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

" أو تسريح " هو تركها حتى تنقضي العدة فتبين منه بإحسان المتعة، وقيل التسريح هنا: الطلقة الثالثة بعد الاثنتين، وروي في ذلك حديث ضعيف، وهو بعيد؛ لأن قوله تعالى بعد ذلك " فإن طلقها " هو الطلقة الثالثة وعلى ذلك يكون تكرارًا والطلقة الرابعة لا معنى لها{٢}

الآراء كما عرضها الإمام ابن جزي:

١- المراد بالتسريح أن يراجعها فيمسكها بمعروف، أو يترك مراجعتها حتى تنقضي عدتها فيسرحها بإحسان، وهو قول الضحاك والسدي وغيرهما.

٢- المراد بالتسريح الطلقة الثالثة فإما أن يمسكها بعد أن يراجعها من الطلقة الثانية بالمعروف، وإما أن يطلقها الثالثة فيفارقها بإحسان، وهو قول عطاء، وقتادة وغيرهما.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بالتسريح ترك المراجعة إلى أن تنقضي العدة معتمدًا في ذلك على السياق القرآني الكريم، وهو عندي ترجيح صحيح فإن القول الذي تؤيده قرائن السياق مرجح علي ما خالفه{٣}

ويؤيد هذا الرأي ما يلي:

١- يرتفع معه التناقض فلو حملنا التسريح على ترك المراجعة كانت الآية متناولة لجميع الأحوال لأنه بعد الطلقة الثانية إما أن يراجعها وهو المراد بقوله { فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ } أو لا يراجعها بل يتركها حتى تنقضي العدة وتحصل البينونة وهو المراد بقوله: (أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) أو يطلقها وهو المراد بقوله (فَإِنْ

---

(١) سورة البقرة آية: (٢٢٩).
(٢) التسهيل ٨٢/١
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين ٢٩٩/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

طلقها) فكانت الآية مشتملة على بيان كل الأقسام أما لو جعلنا التسريح بالإحسان طلاقًا آخر لزم ترك أحد الأقسام الثلاث ولزم التكرير في ذكر الطلاق وأنه غير جائز {١}

واستدل الإمام ابن العربي في أحكام القرآن: بقوله — { فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ } {٢} فقال: يعني: إذا قاربن انقضاء العدة فراجعوهن أو فارقوهن. أو يكون الفراق بإيقاع الطلاق الذي قاله حينئذٍ، أو يكون إذا راجعها وقال (؟) بعد ذلك، أو يكون بالسكوت عن الرجعة حتى تنقضي العدة، وليس في ذلك تناقض{٣}.

٢- تؤيده قواعد اللغة، فالفاء في قوله { فَإِنْ طَلَّقَهَا } {٤} تقتضي وقوع الطلقة متأخرة عن ذلك التسريح فلو كان المراد بالتسريح هو الطلقة الثالثة لكان قوله فإن طلقها طلقة رابعة وأنه لا يجوز{٥}

وعلى هذا القول يكون قوله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا) للتأسيس، " وإذا دار الكلام بين التأسيس والتأكيد، فحمله علي التأسيس أولي "{٦}

٣- الأخذ بظاهر النص، فظاهر التسريح هو الإرسال والإهمال{٧} وعليه فحمل اللفظ على ترك المراجعة أولى من حمله على التطليق {٨}

٥- أنه قال بعد ذكر التسريح { وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا }

---

(١) تفسير الرازي ٨٤/٦
(٢) سورة الطلاق آية: (٢)
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢٦٠/١
(٤) سورة البقرة آية: (١٣٠)
(٥) تفسير الرازي ٨٤/٦
(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين ٤٧٣/٢.
(٧) ينظر بصائر ذوي التمييز - الفيروزابادي ٢١٣/٣ - بصيرة في السرح والسرد والسراط -، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٣٥
(٨) تفسير الرازي ٨٤/٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والمراد به الخلع ومعلوم أنه لا يصح الخلع بعد أن طلقها الثالثة {١}

واستدل المخالفون بما يلي: {٢}

١- ما روي أن رجلًا قال: يا رسول الله قال الله — (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ) فأين الثالثة؟ قال: - صلى الله عليه وسلم - (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) {٣}

والجواب عليه بأن الحديث مرسل{٤}، وعلى فرض صحته فلا مستند لهم فيه، لأنه يحتمل أن يكون المراد بيان أن المراد بالمرتين في الآية الكريمة الرجعي لا كل الطلاق، لأنه لو كان المراد كل الطلاق لما كان له مراجعتها، ولكان قوله — { فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ } لغوًا فاستفيد من قوله (فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) أن المراد الرجعي، أما الثالثة فمذكورة في — (فَإِنْ طَلَّقَهَا) —

٢- أن التسريح من ألفاظ الطلاق، ألا ترى أنه قد قرئ { وإن عزموا السراح } {٥}.{٦}، والجواب أن لفظ التسريح والجواب أنه من كنايات الطلاق

---

(١) تفسير الرازي ٨٤/٦

(٢) ينظر في عرض هذه الأدلة: المحرر الوجيز ٣٠٦/١، تفسير القرطبي ١٢٧/٣، البحر المحيط ٢٠٤/٢

(٣) أخرجه الطبري ٥٦٢/٢، ابن أبي شيبة ك/الطلاق ب/ما قالوا في قوله الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ١٧٥/٤.

(٤) ينظر فتح الباري - كتاب الطلاق، باب من جوز الطلاق الثلاث - ٣٦٦/٩، تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني كتاب الطلاق ٢٠٧/٣، ٢٠٨، تخريج الأحاديث والآثار للإمام الزيلعي - سورة البقرة - ١٤١/١، والحديث المرسل هو: ما سقط منه الصحابي، واختلف في حجيته، والصواب أنه ليس حجة. ينظر الباعث الحثيث ص٣٢، ٣٣، تدريب الراوي ١٧٩/١.

(٥) الدر المنثور ٦٥٠/١، المحرر الوجيز ٣٠٤/١، تفسير القرطبي ١٢٧/٣، البحر المحيط ٢٠٤/٢، الثعلبي ١٦٩/٢، كتاب المصاحف - السجستاني - ١٩٤/١، هي قراءة ابن عباس. ينظر: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع — للإمام: الحسين بن عبد الله ابن خالويه ص:٢١ ط:مكتبة المتنبي.

(٦) المحرر الوجيز ٣٠٦/١، تفسير القرطبي ١٢٧/٣، البحر المحيط ٢٠٤/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لا من صريح لفظه فيفتقر إلى نية ولا يترتب عليه أن المراد بلفظ التسريح هو الطلاق، وليس في هذه القراءة دليل لما ذهبوا إليه إن لم يكن في لفظ التسريح دلالة واضحة على التطليق، فيكون الحمل على ظاهر اللفظ أولى {١}.

وبهذا يتبين أن ترجيح الإمام ابن جزي هو الأولى بالقبول والله تعالى أعلم

المراد بالنكاح في قوله تعالى: { فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ...} (٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قوله تعالى: (حتى تنكح زوجًا غيره) أجمعت الأئمة على أن النكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطء، لقوله - صلى الله عليه وسلم - للمطلقة ثلاثًا حين أرادت الرجوع إلى مطلقها قبل أن يمسها الزوج الآخر " لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك "، وروي عن سعيد بن المسيب: أن العقد يحلها دون وطء، وهو قول مرفوض لمخالفته للحديث وخرقه للإجماع {٣}

الآراء كما عرضها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- المراد بالنكاح هنا هو العقد مع الدخول والوطء وهو قول جمهور العلماء

٢- أن العقد يحلها دون وطء وهو قول سعيد بن المسيب {٤}، وسعيد بن جبير. {٥}

---

(١) تفسير القرطبي ١٣٤/٣، صحيح البخاري كتاب الطلاق، باب إذا قال فارقتك أو سرحتك أ... ٢٠١٥/٥، الكافي في فقه ابن حنبل ١٦٩/٣، الأم للشافعي - الخلاف في الطلاق - ١٢٠/٥

(٢) سورة البقرة آية: (٢٣٠).

(٣) التسهيل ٨٢/١

(٤) فتح القدير ٢٣٩/١، تفسير الرازي ٩٠/٦، الكشاف ٣٠٣/١، أحكام القرآن لابن العربي ٢٦٨/١، تفسير العز بن عبد السلام ٢٢٣/١، تفسير أبي السعود ٢٧٧/١

(٥) تفسير الرازي ٩٠/٦، تفسير السمعاني ٢٣٣/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي هذا القول بأن عقد النكاح لا يحل المرأة البائنة من زوجها ببينونة كبرى بغير دخول بها معتمدًا على قول النبي - صلى الله عليه وسلم - والذي أخرجه البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها جَاءَتْ امْرَأَةُ رِفَاعَةَ الْقُرَظِيِّ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: كنت عِنْدَ رِفَاعَةَ فَطَلَّقَنِي فَأَبَتَّ طَلَاقِي فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرحمن بن الزَّبِيرِ إنما معه مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ فقال: أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إلى رِفَاعَةَ لَا حتى تَذُوقي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ وأبو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَهُ سعيد بن العَاصِ {١} بِالْبَابِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ له فقال: يا أَبَا بَكْرٍ أَلا تَسْمَعُ إلى هذه ما تَجْهَرُ بِهِ عند النبي - صلى الله عليه وسلم - {٢}

وهو قول راجح لأن التفسير إذا عرف من جهة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلا حاجة لقول من بعده {٣} فأَوْلى المَعَاني بكتاب الله ما دلّت عليه سُنّةُ رسول اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم{٤}

وهو ظاهر اللفظ في لغة العرب فالعرب إذا قالوا: نكح فلان فلانة أرادوا أنه عقد عليها، وإذا قالوا: نكح امرأته أو زوجته أرادوا به المجامعة {٥}

---

(١) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي كنيته أبو سعيد كان خامس خمسة في الإسلام ولاه أبو بكر الشام قتل يوم أجنادين وقيل إنه قتل بمرج الصفر في المحرم سنة أربع عشرة واستعمله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على صدقات بني زبيد وقد قيل إنه أسلم قبل أبي بكر الصديق لرؤيا رآها في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الثقات ١٠٣/٣، طبقات ابن سعد ٩٤/٤

(٢) صحيح البخاري - كتاب الشهادات، باب شهادة المختبي - ٩٣٣/٢ برقم ٢٤٩٦، صحيح مسلم - كتاب النكاح، باب لَا تَحِلُّ الْمُطَلَّقَةُ ثَلَاثًا لِمُطَلِّقِهَا حتى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ وَيَطَأَهَا ثُمَّ يُفَارِقَهَا وَتَنْقَضِيَ عِدَّتُهَا - ١٠٥٦/٢ برقم ١٤٣٣

(٣) قواعد التفسير جمعًا ودراسة - خالد بن عثمان السبت - ج١ ص ١٤٩

(٤) الأم ج٥/ص٢٤٨

(٥) البحر المحيط ١٦٥/٢، شرح النووي على صحيح مسلم كتاب النكاح ١٧١/٩، مغني المحتاج للخطيب الشربيني - كتاب النكاح ١٢٣/٣، تحرير ألفاظ التنبيه للإمام النووي ٢٤٦/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الإمام الرازي: وأقول هذا كلام محقق بحسب القوانين العقلية لأن الإضافة الحاصلة بين الشيئين مغايرة لذات كل واحد من المضافين فإذا قيل نكح فلان زوجته فهذا النكاح أمر حاصل بينه وبين زوجته فهذا النكاح مغاير له ولزوجته، والزوجة ليست اسمًا لتلك المرأة بحسب ذاتها بل اسمًا لتلك الذات بشرط كونها موصوفة بالزوجية، فإذن الزوجة ماهية مركبة من الذات ومن الزوجية والمفرد مقدم لا محالة على المركب.

إذا ثبت هذا أقول: إذا قلنا نكح فلان زوجته فالنكاح متأخر عن الزوجية والزوجية متقدمة على الزوجة من حيث إنها يجب تقدم المفرد على المركب وإذا كان كذلك لزم القطع بأن ذلك النكاح غير الزوجية إذا ثبت هذا كان قوله: (حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) يقتضي أن يكون ذلك النكاح غير الزوجية فكل من قال بذلك قال: إنه الوطء فثبت أن الآية دالة على أنه لا بد من الوطء فقوله (تَنْكِحَ) يدل على الوطء وقوله: (زَوْجًا) يدل على العقد {١}

وكذا قال أهل اللغة في هذه الآية الكريمة.

قال أهل العلم: وليْسَ في الكِتَابِ لفْظُ النِّكَاح بِمَعْنَى الوَطْءِ إلَّا قوْله تَعَالَى (حتى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) على المَشْهُورِ {٢}

وأرى في إجماع أهل العلم على هذا غنية عن الإطالة في هذه المسألة، ولا يسلم لأصحاب غير هذا الرأي الاستناد إلى ظاهر اللفظ فإن لفظ القرآن الكريم إذا احتمل معنيين فأثبتت السنة أن المراد أحدهما فلا يقال إن القرآن اقتضى أحدهما وزادت السنة الثاني، إنما يقال إن السنة أثبتت المراد منهما والعدول عن هذا جهل بالدليل، أو مراغمة وعناد في التأويل {٣}

---

(١) التفسير الكبير ج٦/ص٩٠

(٢) الإنصاف للمرداوي ج٨/ص٤، مطالب أولي النهى ٣/٥، المبدع لأبي إسحاق بن عبد الله بن مفلح الحنبلي (٨١٦ - ٨٨٤) ٣/٧، كشف القناع ٥/٥ شرح الزركشي ٣١٧/٢.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ج١/ص٢٦٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وإني لأتفق مع الإمام الشنقيطي فيما ذهب إليه {١} من أنه لا عبرة بما يروى من المخالفة عن سعيد بن المسيب لوضوح النص الصريح الصحيح في عين المسألة فالحق ما ذهب إليه إمامنا ابن جزي من أن المراد بقوله: (حتى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) هو العقد مع الدخول والوطء وهو قول جمهور العلماء وما يؤيده الأدلة الصحيحة والله أعلم

---

(١) أضواء البيان ٢٣٠/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ما المراد بقوله: (مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)"؟

يقول الله تعالى: وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قال قوم: " لا يعبأ بقولهم إنه يجوز الجمع بين تسع لأن مثنى وثلاث ورباع يجمع فيه تسع وهذا خطأ لأن المراد التخيير بين تلك الأعداد لا الجمع ولو أراد الجمع لقال تسع ولم يعدل عن ذلك إلى ما هو أطول منه وأقل بيانًا{٢}

الأقوال كما عرضها الإمام ابن جزي:

الأول: القول بجواز التزوج من تسع نسوة، وقد نسبه الإمام القرطبي إلى الروافض وبعض أهل الظاهر {٣} وأيده في أنه قول الروافض الإمام السمرقندي {٤}، والإمام العيني {٥}.

الثاني: لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع نسوة وهو قول جمهور المسلمين

الترجيح في الميزان:

ذهب الإمام ابن جزي إلى ما ذهب إليه جمهور المسلمين في هذه المسألة من أنه لا يجوز للعبد المسلم أن يجمع بالزواج أكثر من أربع نسوة وهذا ما وافق

---

(١) سورة النساء آية: (٣).
(٢) التسهيل ١٢٨/١
(٣) تفسير القرطبي ١٧/٥
(٤) تفسير السمرقندي ٣٠٥/١
(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين محمود بن أحمد العيني، ج ٢٠ ص ٩١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

النص القرآني الحكيم، وأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن رأى تحت يده أكثر من أربع نسوة، وإجماع الصحابة والتابعين.

فأما القرآن فهو صريح دلالة الآية الكريمة حيث إن مثنى وثلاث ورباع أريد به التفصيل لا الاجتماع، لأن الواو للبدل لا للجمع ومعناه مثنى أو ثلاث أو رباع{١}

قال الإمام الرازي: قوله تعالى: { مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ } معناه: اثنين اثنين وثلاثًا ثلاثًا وأربعًا أربعًا وهو غير منصرف.

وفيه وجهان:

الأول: أنه اجتمع فيها أمران العدل والوصف، أما العدل: فلأن العدل عبارة عن أنك تذكر كلمة وتريد بها كلمة أخرى كما تقول: عمر وزفر وتريد به عامرًا وزافرًا، فكذا ههنا تريد بقولك: مثنى ثنتين ثنتين، فكان معدولًا، وأما أنه وصف فدليله قوله تعالى: { أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ } {٢} ولا شك أنه وصف.

الثاني: في بيان أن هذه الأسماء غير منصرفة أن فيها عدلين لأنها معدولة عن أصولها كما بينا وأيضًا أنها معدولة عن تكررها فإنك لا تريد بقولك مثنى ثنتين فقط بل ثنتين ثنتين فإذا قلت جاءني اثنان أو ثلاثة كان غرضك الاخبار عن مجيء هذا العدد فقط، أما إذا قلت جاءني القوم مثنى أفاد أن ترتيب مجيئهم وقع اثنين اثنين فثبت أنه حصل في هذه الألفاظ نوعان من العدد فوجب أن يمنع من الصرف وذلك لأنه إذا حصل في الاسم سببان أوجب ذلك منع الصرف لأنه يصير لأجل ذلك نائبًا من جهتين فيصير مشابهًا للفعل فيمتنع صرفه وكذا إذا حصل فيه العدل من جهتين فوجب أن يمنع صرفه والله أعلم {٣}

---

(١) تفسير السمرقندي ٣٠٦/١ بتصرف يسير.
(٢) سورة فاطر آية: (١)
(٣) تفسير الرازي ١٤١/٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فإن قيل: لم لم يقل " أو " بدلًا من الواو؟ فالجواب لو قال: " أو " لكان ذلك يقتضي أنه لا يجوز ذلك الا على أحد هذه الأقسام وأنه لا يجوز لهم أن يجمعوا بين هذه الأقسام بمعنى أن بعضهم يأتي بالتثنية والبعض الآخر بالتثليث والفريق الثالث بالتربيع فلما ذكره بحرف الواو أفاد ذلك أنه يجوز لكل طائفة أن يختاروا قسمًا من هذه الأقسام ونظيره أن يقول الرجل للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة والمراد أنه يجوز لبعضهم أن يأخذ درهمين درهمين ولبعض آخرين أن يأخذوا ثلاثة ثلاثة ولطائفة ثالثة أن يأخذوا أربعة أربعة فكذا ههنا الفائدة في ترك {أو} وذكر الواو ما ذكرناه والله أعلم {١}

وأما السنة المطهرة: فبذلك جاءت الآثار، ومنها حديث غيلان بن سلمة أنه أسلم ومعه عشر نسوة فخيره النبي - صلى الله عليه وسلم - فاختار أربعًا وفارق البواقي{٢} وكذا حديث الحارث {٣} كان عنده ثمان نسوة حرائر فلما نزلت هذه الآية أمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يطلق أربعًا ويمسك أربعًا {٤}

---

(١) تفسير الرازي ١٤٣/٩، وحاشية زادة على البيضاوي ٢٥٥/٣ بتصرف

(٢) والحديث أورده الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب النكاح برقم ٢٧٨٠ ج٢ ص ٢١٠، وأورده الإمام ابن حبان في صحيحه ٤٦٣/٩، والإمام الهيثمي في موارد الظمآن ٣١٠/١، وأبو داود في سننه ٢٧٢/٢، وابن ماجة في سننه ٦٢٨/١، والدارقطني ٢٧٠/٣، والإمام أحمد في مسنده - مسند سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب - ١٣/٢

(٣) الحارثُ بن قَيس بن عُمَيْرَة الأسَدِيّ أسلم وعنده ثمان نسوة وقيل قيس بن الحارث له حديث واحد لم يأت من وجه يصح روى عنه حُمَيضة بن الشَّمَرْدَل. وقال وهب الأسدي قال أسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك للنبي فقال النبي (اختر منهن أربعًا) (التاريخ الكبير ج٢ ص ٢٦٢، أسد الغابة ج١ ص ٥٠٣)

(٤) والحديث عند ابن ماجة في سننه - باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة ٦٢٨/١، وعند البيهقي في السنن الكبرى - باب من يسلم وعنده اكثر من أربع نسوة - ١٨٣/٧، وأورده الإمام الشيباني في الآحاد والمثاني - ذكر قيس بن الحارث بن جدان الأسدي ٢٩٢/٢، والإمام ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية ٥٠٩/٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وروى محمد بن الحسن {١} في كتاب السير الكبير أن في ذلك كان الحارث بن قيس الأسدي وهذا هو المعروف عند الفقهاء{٢}

وأما إجماع الصحابة: فلم يسمع عن أحد منهم ولا من التابعين رضي الله تعالى عنهم أنه جمع في عصمته أكثر من أربع {٣}

وأما ما أبيح من ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فذلك من خصوصياته - صلى الله عليه وسلم - {٤}، وما ذهب إليه الإمام ابن جزي في هذه المسألة هو الراجح فهو رأي جمهور العلماء من أهل التفسير والحديث والفقه وغيرهم ولم يشذ عنهم إلا من ذكر من أهل الروافض وبعض أهل الظاهر والله أعلم.

---

(١) محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة. أصله من قرية حرستة، في غوطة دمشق، وولد بواسط سنة ١٣١ ه ونشأ بالكوفة، فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل إلى بغداد، فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله، ولما قدم الرشيد إلى خراسان صحبه، فمات في الري سنة ١٨٩ ه. (ميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام الذهبي ج٦/ص ١٠٧، تحقيق/ الشيخ علي بن محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، لسان الميزان للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي ج ٥/ص ١٢١، ١٢٢، الأعلام ج٦ ص ٨٠)

(٢) تفسير السمرقندي ٣٠٦/١

(٣) تفسير القرطبي ١٧/٥

(٤) القرطبي ١٧/٥، روح المعاني ١٩٢/٤، سنن البيهقي - جماع ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما أبيح له من النساء أكثر من أربع ٥٤/٧.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هل التصدق حال توزيع الإرث على سبيل الوجوب أم الندب؟

يقول الله تعالى: وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

خطاب للوارثين أمروا أن يتصدقوا من الميراث على قرابتهم وعلى اليتامى وعلى المساكين فقيل إن ذلك على الوجوب وقيل على الندب وهو الصحيح {٢}

الآراء كما عرضها الإمام ابن جزي:

الأول: أن الصدقة من الميراث على الأقارب وعلى اليتامى والمساكين حال توزيع الإرث واجبة وهو قول مجاهد {٣}، وعطاء، والزهري {٤}

الثاني: أنها مندوبة وهو قول ابن عباس، وابن جبير، والحسن {٥}

الترجيح في الميزان:

ذهب الإمام ابن جزي إلى ما ذهب إليه جمهور المفسرين في هذه المسألة من أن الصدقة من الميراث على الأقارب وعلى اليتامى والمساكين حال توزيع الإرث مندوبة وليست واجبة. وهو قول راجح تؤيده الأدلة وأقوال أهل العلم

---

(١) سورة النساء آية: (٨).

(٢) التسهيل ١٣٠/١

(٣) هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، الإمام، المقرئ، المفسر، روى عن ابن عباس، وقرأ عليه القرآن، وكان يسأله عند كل آية فيم نزلت، وأين نزلت، توفي ساجدًا سنة ١٠١ ه تقريبًا (ينظر طبقات المفسرين لشمس الدين محمد بن علي الداوودي (٣٠٥/٢) ط: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان)

(٤) البحر المحيط ٣٧/٤، فتح الباري - باب قوله " وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين الآية " ٢٤٣/٨

(٥) البحر المحيط ٣٧/٤، والمحرر الوجيز ١٢/٢، تفسير أبو السعود ١٤٧/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فمن أدلة القرآن: قوله تعالى {فارزقوهم منه} والدليل منه كما يلي:

١- قرينة السياق بترك التحديد تصرف الأمر في {فارزقوهم} عن الوجوب إلى الندب {١}

٢- قوله سبحانه: {منه} يدل على التبعيض ولا تقدير فيه، بالإجماع، وهذا مما يدل على الندب. إذ لو كان لهؤلاء حق معين لبين الله قدر ذلك الحق، كما بين في سائر الحقوق{٢}

ومن الأدلة أيضًا أن الأمر لو كان للوجوب لنقل إلينا بالتواتر{٣}

ومن أقوال المفسرين:

ما ذكره الإمام البغوي في تفسيره لقول الله عز وجل: { وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ }..

قال: اختلفت كلمة العلماء في الصدقة، فقال مجاهد: هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم

وقال بعضهم - وهو أولى الأقاويل -: إن هذا على الندب والاستحباب، لا على الحتم والإيجاب.{٤}

وقال صاحب البحر المحيط: ظاهر قوله: فارزقوهم الوجوب. وبه قال جماعة منهم: مجاهد، وعطاء، والزهري. وقال ابن عباس، وابن جبير، والحسن: هو ندب، وقوله: منه يدل على التبعيض، ولا تقدير فيه بالإجماع، وهذا مما يدل على الندب. إذ لو كان لهؤلاء حق معين لبين الله قدر ذلك الحق،

---

(١) تفسير الألوسي ٤٤١/٣
(٢) أضواء البيان - الشنقيطي ٣٨/٤
(٣) تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٧٠/٥
(٤) تفسير البغوي ١٧٠/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

كما بين في سائر الحقوق. وعلى هذا فقهاء الأمصار إذا كان الورثة كبارًا، وإن كانوا صغارًا فليس إلا القول المعروف.{١}

وقد فصل القول في هذه المسألة الإمام الرازي رحمه الله فقال:

اعلم أن قوله: { وَإِذَا حَضَرَ القسمة } ليس فيه بيان أي قسمة هي، فلهذا المعنى حصل للمفسرين فيه أقوال: الأول: أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أن النساء أسوة الرجال في أن لهن حظًا من الميراث، وعلم تعالى أن في الأقارب من يرث ومن لا يرث، وأن الذين لا يرثون إذا حضروا وقت القسمة، فان تركوا محرومين بالكلية شق ذلك عليهم، فلا جرم أمر الله تعالى أن يدفع اليهم شيء عند القسمة حتى يحصل الأدب الجميل وحسن العشرة، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا، فمنهم من قال: إن ذلك واجب، ومنهم من قال: إنه مندوب، أما القائلون بالوجوب، فقد اختلفوا في أمور: أحدها: أن منهم من قال: الوارث إن كان كبيرًا وجب عليه أن يرضخ لمن حضر القسمة شيئًا من المال بقدر ما تطيب نفسه به، وإن كان صغيرًا وجب على الولي إعطاؤهم من ذلك المال، ومنهم من قال: إن كان الوارث كبيرًا، وجب عليه الإعطاء من ذلك المال، وإن كان صغيرًا وجب على الولي أن يعتذر إليهم، ويقول: إني لا أملك هذا المال إنما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعقلون ما عليهم من الحق، وإن يكبروا فسيعرفون حقكم، فهذا هو القول المعروف، وثانيها: قال الحسن والنخعي: هذا الرضخ مختص بقسمة الأعيان، فإذا آل الأمر إلى قسمة الأرضين والرقيق وما أشبه ذلك، قال لهم قولًا معروفًا، مثل أن يقول لهم: ارجعوا بارك الله فيكم، وثالثها: قالوا: مقدار ما يجب فيه الرضخ شيء قليل، ولا تقدير فيه بالإجماع.

هذا كله تفصيل قول من قال بأن هذا الحكم ثبت على سبيل الوجوب ومنهم من قال: إنه ثبت على سبيل الندب والاستحباب، لا على سبيل الفرض والإيجاب، وهذا الندب أيضًا إنما يحصل إذا كانت الورثة كبارًا، أما إذا كانوا صغارًا فليس إلا القول المعروف، وهذا المذهب هو الذي عليه فقهاء الأمصار. واحتجوا بأنه لو كان لهؤلاء حق معين لبين الله تعالى قدر ذلك الحق كما في سائر الحقوق، وحيث لم يبين علمنا أنه

---

(١) البحر المحيط ٣٧/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

غير واجب، ولأن ذلك لو كان واجبًا لتوفرت الدواعي على نقله لشدة حرص الفقراء والمساكين على تقديره، ولو كان ذلك لنقل على سبيل التواتر، ولما لم يكن الأمر كذلك علمنا أنه غير واجب.{١}

وقال صاحب نظم الدرر: لما بين المفروض أتبعه المندوب فقال تعالى: {وإذا حضر القسمة أولو القربى} ممن لا يرث صغارًا أو كبارًا {واليتامى والمساكين} أي قرباء أو غرباء {فارزقوهم منه} أي المتروك، وهو أمر ندب لتطييب قلوبهم، وقرينة صرفه عن الوجوب ترك التحديد. {٢}

هذا ولما كان نظام التوريث يحجب فيه بعض ذوي القربى بعضًا فيوجد ذوو قرابة ولكنهم لا يرثون لأن من هم أقرب منهم سبقوهم فحجبوهم فإن السياق يقرر للمحجوبين حقًا لا يحدده - إذا هم حضروا القسمة - تطييبًا لخاطرهم كي لا يروا المال يفرق وهم محرومون واحتفاظًا بالروابط العائلية والمودات القلبية. كذلك يقرر لليتامى والمساكين مثل هذا الحق تمشيًا مع قاعدة التكافل العام:

{وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولًا معروفًا}.{٣}

وعليه فإن الإمام ابن جزي قد وافق جمهور المفسرين فيما ذهبوا إليه من أن إعطاء أولي القربى واليتامى والمساكين من الميراث حال توزيع التركة على سبيل الندب لا على سبيل الوجوب.

وأقول: الصحيح أن هذا على الندب؛ وهو المعتمد لأنه لو كان على الوجوب لاقتضى استحقاقًا في التركة ومشاركة في الميراث بجهة مجهولة فيفضي إلى التنازع والتقاطع والله أعلم.

---

(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٧٣/٥
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر البقاعي ١٧٤/٢
(٣) في ظلال القرآن ٥٢/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ميراث البنتين الثلثان أم النصف؟

يقول الله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ) (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: " وأما البنتان فاختلف فيهما:

فقال ابن عباس: لهما النصف كالبنت الواحدة وقال الجمهور الثلثان، وتأولوا فوق اثنتين أن المراد اثنتان فما فوقهما وقال قوم إن فوق زائدة كقوله فاضربوا فوق الأعناق وهذا ضعيف وقال قوم إنما وجب لهما الثلثان بالسنة لا بالقرآن وقيل بالقياس على الأختين {٢}

الآراء كما عرضها الإمام ابن جزي:

الأول: قول الإمام ابن عباس رضي الله عنه: أن للبنتين النصف كالبنت الواحدة

الثاني: قول الجمهور أن للبنتين الثلثان.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن للبنتين الثلثان مستدلًا بأن قوله تعالى " فوق اثنتين " أريد به اثنتين فما فوق، أو أن لهما الثلثين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول راجح يؤيده ظاهر النص الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال العلماء.

فمن القرآن الكريم قوله تعالى:

١- يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين... "

نقل الإمام الرازي عن أبي مسلم الأصفهاني قوله: عرفناه من قوله تعالى { لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ } وذلك لأن من مات وخلف ابنًا وبنتًا فههنا يجب أن يكون نصيب الابن الثلثين لقوله تعالى { لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ } { فإذا كان نصيب

---

(١) سورة النساء آية: (١١).
(٢) التسهيل ١٣٠/١، ١٣١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الذكر مثل نصيب الأنثيين ونصيب الذكر ههنا هو الثلثان وجب لا محالة أن يكون نصيب الابنتين الثلثين قال أبو بكر الرازي إذا مات وخلف ابنًا وبنتًا فههنا نصيب البنت الثلث بدليل قوله تعالى { لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ } فإذا كان نصيب البنت مع الولد الذكر هو الثلث فبأن يكون نصيبهما مع ولد آخر أنثى هو الثلث كان أولى لأن الذكر أقوى من الأنثى {١}

٢- " فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف..... " فإن الله تعالى لما فرض للبنت الواحدة إذا انفردت النصف بقوله " وإن كانت واحدة فلها النصف " كان الفرض للبنتين إذا انفردتا فوق فرض الواحدة {٢}

٣- " فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك "

فإذا صرح تعالى بأن للأختين الثلثين علم أن البنتين كذلك من باب أولى لأن البنت أمس رحمًا وأقوى سببًا في الميراث من الأخت بلا نزاع، وأكثر العلماء على أن فحوى الخطاب أعني مفهوم الموافقة الذي المسكوت فيه أولى بالحكم من المنطوق من قبيل دلالة اللفظ لا من قبيل القياس خلافًا للشافعي وقوم كما علم في الأصول فالله تبارك وتعالى لما بين أن للأختين الثلثين أفهم بذلك أن البنتين كذلك من باب أولى {٣}

ومن السنة المطهرة: ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع فقالت: رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع {٤} قتل

---

(١) تفسير الرازي ١٦٧/٩، المصباح المنير ج٢ ص ٤٨٤

(٢) فتح القدير للشوكاني ٤٣٢/١

(٣) أضواء البيان للشنقيطي ٢٢٥/١ بتصرف يسير

(٤) سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي عقبي بدري كان أحد نقباء الأنصار وكان كاتبًا في الجاهلية وشهد العقبة الأولى والثانية وشهد بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا - سير أعلام النبلاء ٣١٨/١، الاستيعاب ٥٨٩/٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أبوهما معك يوم أحد شهيدًا وأن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالًا فقال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عمهما فقال أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقى فهو لك {١}"

قال الإمام الشوكاني في الفتح: وأوضح ما يحتج به للجمهور حديث جابر {٢}

وقال الإمام الألوسي: حكم البنتين مفهوم من النص بطريق الدلالة أو الإشارة وذلك لما رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: ".... الحديث.... {٣}

وقال الإمام الطبري رحمه الله تعالى: فريضتهم بالسنة المنقولة نقل الوراثة التي لا يجوز فيها الشك {٤}

وأما ما احتج به القائلون بأن للبنتين النصف ما يلي:

قال الإمام الرازي رحمه الله تعالى: فعن ابن عباس أنه قال الثلثان فرض الثلاث من البنات فصاعدًا وأما فرض البنتين فهو النصف واحتج عليه بأنه تعالى قال: { فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ } وكلمة { إن } في اللغة للاشتراط وذلك يدل على أن أخذ الثلثين مشروط بكونهن ثلاثًا فصاعدًا وذلك ينفي حصول الثلثين للبنتين {٥}

---

(١) أورده الإمام الحاكم في المستدرك كتاب الفرائض وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، والترمذي في سننه باب ما جاء في ميراث البنات برقم ٢٠٩٢ ج٤ ص ٤١٤ وقال الترمذي هذا حديث صحيح لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل وقد رواه شريك أيضًا عن عبد الله بن محمد بن عقيل، والإمام أحمد في مسنده - مسند سيدنا أبي سعيد الخدري برقم ١٤٨٤٠ ج٣ ص ٣٥٢

(٢) فتح القدير ٢٦٢/١ بتصرف

(٣) روح المعاني للألوسي ٢٢٢/٤

(٤) تفسير الطبري ٦١٦/٣

(٥) تفسير الرازي ١٦٦/٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ويجاب عنه بما يلي: أنه تعالى قال " وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ " فجعل حصول النصف مشروطًا بكونها واحدة وذلك ينفي حصول النصف نصيبًا للبنتين{١}

ومن أقوال أهل العلم:

قال الإمام أبو السعود في التفسير: واختلف في الثنتين فقال ابن عباس: حكمهما حكم الواحدة لأنه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما.

وقال الجمهور: حكمهما حكم ما فوقهما لأنه تعالى لما بين حظ الذكر مثل حظ الأنثيين إذا كان معه أنثى وهو الثلثان اقتضى ذلك أن فرضهما الثلثان ثم لما أوهم ذلك أن يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله تعالى: (فإن كن نساء فوق اثنتين) ويؤيد ذلك أن البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع أخيها الأقوى منها في الاستحقاق فلأن تستحقه مع مثلها أولى وأحرى وأن البنتين أمس رحمًا من الأختين وقد فرض الله لهما الثلثين حيث قال تعالى: { فلهما الثلثان مما ترك }{٢}

وقال الإمام السمرقندي {٣}: ولم يذكر في الآية حكم البنتين ولكن أجمع المسلمون ما خلا رواية عن عبد الله بن عباس أنه قال للاثنتين النصف كما كان يكون للابنة الواحدة وللثلاث بنات الثلثان وأما سائر الصحابة فقد قالوا إن للاثنتين الثلثين {٤}

---

(١) تفسير الرازي ١٦٦/٩ بتصرف

(٢) تفسير أبي السعود ١٤٩/٢، تفسير البيضاوي ١٥٤/٢

(٣) هو: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، الفقيه، تفقه على أبي جعفر الهندواني، كان صاحب أقوال مفيدة، وتصانيف مشهورة، له (التفسير)، و(تنبيه الغافلين)، وغير ذلك، توفي سنة ٣٩٣ ه. (ينظر طبقات المفسرين للداودي (٣٤٦/٢)).

(٤) تفسير السمرقندي ٣١٠/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: فإن قلت: قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت أما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس أبى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى " فإن كن نساء فوق اثنتين " فأعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف وأما سائر الصحابة فقد أعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم أن قوله تعالى: { يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ.... } {١} أن حكم الأنثيين حكم الذكر وذلك أن الذكر لما يحوز الثلثين مع الواحدة فالأنثيان كذلك يحوزان الثلثين {٢}

الاستماع للقرآن وهو يتلى والإنصات إليه.

يقول تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قوله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة.

والثاني: أنه الإنصات للخطبة.

والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق{ وهو قول الحسن وقول أهل الظاهر، {٤} وهو الراجح لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه.

---

(١) سورة النساء آية: (١١).
(٢) تفسير الكشاف ٥١٢/١
(٣) سورة الأعراف آية: (٢٠٤)
(٤) تفسير الرازي ٣٤٦/٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والثاني: أن الآية مكية والخطبة إنما شرعت بالمدينة {١}

الأقوال كما عرضها ابن جزي:

أن الإنصات لقراءة الإمام في الصلاة وهو قول مجاهد {٢}

أن الإنصات للخطبة وهو قول عائشة وعطاء {٣}

أن الإنصات عند سماع القرآن مطلقًا وهو قول الحسن وأهل الظاهر {٤}

الترجيح في الميزان:

اعتمد الإمام ابن جزي في ترجيحه على قاعدتين كلتيهما يرجح ما ذهب إليه هما: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

الترتيب الزمني بين نزول الآية وبين تشريع صلاة الجمعة وخطبة الإمام فيها وهي أدلة قوية راجحة.

والقائلون بغير ما ذهب إليه الإمام يعتمدون على:

١- قول الصحابي وهو ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل: عن قوله: { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ } هذا لكل قارىء؟ قال: لا ولكن هذا في الصلاة المفروضة {٥}.

٢- أنه لم يقل أحد بأنه يجب على كل مسلم إذا سمع أحدًا يقرأ القرآن أن يشتغل بالاستماع وينصت، إذ قد يكون القارىء يقرأ بمحضر صانع في

---

(١) التسهيل ٥٨/٢، ٥٩
(٢) الماوردي ٤٥/٢
(٣) الماوردي ٤٥/٢
(٤) الرازي ٣٤٦/٧
(٥) سنن البيهقي الكبرى ١٥٥/٢، القراءة خلف الإمام - للبيهقي - ٢٦١/١، تفسير السمرقندي ٥٩٠/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٣- وكذا اعتمدوا على أسباب النزول وإذا صح سبب النزول فهو حجة أيضًا في الترجيح

ومن أسباب النزول التي اعتمدوا عليها:

١- ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت هذه الآية، وأمروا بالإنصات {١}.

٢- قال ابن عباس: قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة المكتوبة وقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم، فخلطوا عليه، فنزلت هذه الآية {٢}

٣- وقال قتادة: كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم، كم صليتم وكم بقي؟ وكانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٤- عن عطاء قال بلغني أن المسلمين كانوا يتكلمون في الصلاة كما يتكلم اليهود والنصارى حتى نزلت { وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا } {٣}

٥- عن ابن مسعود أنه سلم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يصلي فلم يرد عليه - وكان الرجل قبل ذلك يتكلم في صلاته ويأمر بحاجته - فلما فرغ رد عليه وقال إن الله يفعل ما يشاء وإنها لما نزلت " وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون " {٤}

وإذا صح سبب النزول فهو حجة مرجحة أيضًا، وقد تكاثرت الروايات التي تفيد بأن الآية إنما جاءت جوابًا شافيًا على سلوك مبدئي من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان منهم القول المتكرر حال قراءة النبي عليه السلام في

---

(١) صحيح ابن خزيمة - باب فضل إنصات المأموم عند خروج الإمام قبل الابتداء في الخطبة ١٣٨/٣...، سنن البيهقي - باب من قال: يترك المأموم القراءة فيما جهر فيه الإمام بالقراءة ١٥٥/٢

(٢) ينظر تفسير الثعلبي ٣٢٢/٤، زاد المسير ٣١٢/٣، التفسير الكبير ٨٣/١٥، اللباب في علوم الكتاب ٤٣٩/٩، القراءة خلف الإمام للبيهقي ١٠٩/١.

(٣) مصنف عبد الرزاق - باب الرجل يدعو ويسمي في دعائه ٤٥٠/٢

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ١٦٤٥/٥

تفريغ صفحات ١٨٢-٢٢٩ من ملف 182-229.pdf

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

جعلها النبي عليه السلام ردا مباشرا على ابن مسعود على وجه الخصوص وعلى مجموع الصحابة على وجه العموم

ويؤيد هذا ما ذهب إليه الإمام ابن عاشور بقوله:

يؤذن العطف بأن الخطاب بالأمر في قوله: { فاستمعوا له وأنصتوا } وفي قوله: { لعلكم } تابع للخطاب في قوله { هذا بصائر من ربكم }، فقوله: { وإذا قرئ القرآن } من جملة ما أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأن يقوله لهم وذلك إعادة تذكير للمشركين تصريحاً أو تعريضاً بأن لا يعرضوا عن استماع القرآن وبأن يتأملوه ليعلموا أنه آية عظيمة، وأنه بصائر وهدى ورحمة، لمن يؤمن به ولا يعاند، وقد علم من أحوال المشركين أنهم كانوا يتهاونون عن الإنصات إلى القرآن وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (١)

وذكْرُ اسم القرآن إظهارُ في مقام الإضمار، لأن القرآن تقدم ذكره بواسطة اسم الإشارة فنكتة هذا الإظهار: التنويه بهذا الأمر، وجعل جملته مستقلة بالدلالة غير متوقفة على غيرها، وهذا من وجوه الاهتمام بالكلام ومن دواعي الإظهار في مقام الإضمار استقرت من كلام البلغاء.

والاستماع الإصغاء وصيغة الافتعال دالة على المبالغة في الفعل، والإنصات الاستماع مع ترك الكلام فهذا مؤكد: { لا تسمعوا }. مع زيادة معنى. وذلك مقابل قولهم: { لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ } ويجوز أن يكون الاستماع مستعملاً في معناه المجازي، وهو الامتثال للعمل بما فيه كما تقدم آنفاً في قوله: وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ(٢)

ويكون الإنصات جامعاً لمعنى الإصغاء وترك اللغو.

---

(١) سورة فصلت آية: [٢٦].
(٢) سورة الأعراف آية: [١٩٨]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وهذا الخطاب شامل للكفار على وجه التبليغ، وللمسلمين على وجه الإرشاد لأنهم أرجى للانتفاع بهديه لأن قبله قوله: هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١)

ولا شبهة في أن هذه الآية نزلت في جملة الآيات التي قبلها وعلى مناسبتها، سواء أريد بضمير الخطاب بها المشركون والمسلمون معاً، أم أريد المسلمون تصريحاً والمشركون تعريضاً، أم أريد المشركون للاهتداء والمسلمون بالأحرى لزيادته.....

فهذه الآية مجملة في معنى الاستماع والإنصات وفي مقتضى الأمر من قوله: {فاستمعوا له وأنصتوا}، يُبين بعض إجمالها سياق الكلام والحمل على ما يفسر سببها من قوله تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ، ويُحال بيان مجملها فيما زاد على ذلك على أدلة أخرى.(٢).

ويضيف الطبري هنا قولا آخر يؤيد به مذهب من قال بأنه ليس المراد عموم الوجوب على كل من سمع القرآن فقال رحمه الله:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام، وكان من خلفه ممن يأتم به يسمعه، وفي الخطبة.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إذا قرأ الإمام فأنصتوا"(٣)، وإجماع الجميع على أن على من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة، الاستماع والإنصات لها، مع تتابع الأخبار

---

(١) سورة الأعراف آية: [٢٠٣].

(٢) التحرير والتنوير ٦ / ٦٢ بتصرف يسير

(٣) صحيح مسلم بلفظ "وإذا قرأ فأنصتوا" - باب التشهد في الصلاة - ١ / ٣٠٤، سنن ابن ماجة - باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا ١ / ٢٧٦، مسند الإمام أحمد - حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ٤ / ٤١٥، عمدة القاري للإمام العيني - باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر وما يجهر فيها وما يخافت - ٦ / ١٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بالأمر بذلك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن والإنصات لسامعه، من قارئه، إلا في هاتين الحالتين، على اختلاف في إحداهما، وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتم به. وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تقدم ذكرنا من قوله: "إذا قرأ الإمام فأنصتوا" فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتمًّا سامعًا قراءته، بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد بين الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى العلة من الاستماع والإنصات بقوله: لما ذكر تعالى أن القرآن بصائر للناس وهدى ورحمة، أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظامًا له واحترامًا، لا كما كان يعتمده كفار قريش المشركون في قولهم: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة كما ورد

ويجيب الإمام الرازي على من ادعى الوجوب لعموم اللفظ بقوله رحمه الله وأقول هذا القول في غاية البعد لأن لفظة إذا لا تفيد الارتباط، ولا تفيد التكرار، والدليل عليه أن الرجل إذا قال لامرأته إذا دخلت الدار فأنت طالق، فدخلت الدار مرة واحدة طلقت طلقة واحدة، فإذا دخلت الدار ثانياً لم تطلق بالاتفاق لأن كلمة { إذا } لا تفيد التكرار.

إذا ثبت هذا فنقول: قوله: { وَإِذَا قُرِئَ القرءان فاستمعوا لَهُ وَأَنصِتُواْ } لا يفيد إلا وجوب الإنصات مرة واحدة، فلما أوجبنا الاستماع عند قراءة القرآن في الخطبة، فقد وفينا بموجب اللفظ ولم يبق في اللفظ دلالة على ما وراء هذه الصورة. {١}

ونسب الإمام النسفي القول بأن المراد الإنصات خلف الإمام إلى جمهور الصحابة فقال رحمه الله: { وَإِذَا قُرِئَ القرءان فاستمعوا لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في الصلاة

---

(١) تفسير الرازي ٣٤٦/٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وغيرها.... وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على أنه في استماع المؤتم. وقيل: في استماع الخطبة. وقيل: فيهما وهو الأصح {١}

وقال صاحب الظلال: ونحن لا نرى في أسباب النزول التي وردت ما يخصص الآية بالصلاة المكتوبة وغير المكتوبة، ذلك أن العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب. والأقرب أن يكون ذلك عامًا لا يخصصه شيء، فالاستماع إلى هذا القرآن والإنصات له - حيثما قرئ - هو الأليق بجلال هذا القول، وبجلال قائله سبحانه! {٢}

وقد اعتمد الشيخ / سيد قطب رحمه الله على: أن الأليق بجلال القرآن أن يكون الأمر على ظاهره وأن يكون الاستماع للقرآن حيث قرء واجبا على كل من سمع.

وأقول: لكن أيضا الأليق بجلال القرآن ألا يقرأ في أي ميدان لمجرد شغل أسماع الناس من غير تدبر واعتبار لما يقال، وإن مثل هذه القراءة لا يترتب عليها ما هو منشود منها من الاعتبار والعظة وتأثر القلب وكذا لا تتفرع عنها الرؤية الواضحة لحقائق الوجود ومع كل هذا فإن ثمة فارق كبير بين ندب الناس لاستماع القراءة حيث وجدت وكونها واجبة عليهم لا ينصرفون إلى غيرها إذا وجدت.

وأرى أن هذا ما ذهب إليه بعض المفسرين في محاولة الجمع بين ظاهر النص وبين واقع الحياة وتعسر الاستماع المطلق للقراءة المطلقة فقالوا بأن الاستماع مندوب وليس بواجب

يقول ابن عجيبة في البحر المديد "يقول الحقّ جلّ جلاله: { وإذا قُرِئ القرآنُ }، مطلقًا، { فاستمعوا له وأنصتُوا }؛ لكي تعتبروا وتتدبروا، فإنما نزل

---

(١) تفسير النسفي ٤٠٨/١
(٢) الظلال ٣٥٤/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لذلك، وهل على الوجوب أو الاستحباب وهو الراجح؟ قولان.... والله تعالى أعلم. {١}

والحق أن الرأي الذي ذهب إليه الإمام ابن جزي ليس هو الراجح والذي أرجحه عدم وجوب الاستماع والإنصات في غير الخطبة والصلاة وذلك لأن إيجابهما على كل سامع فيه حرج عظيم لأنه يفضي لأن يترك المشتغل بالعلم علمه والمشتغل بالحكم حكمه وهكذا خاصة وقد كثر في ذلك العصر قراءة القرآن للتكسب في المحافل والإذاعات وغيرها وأصبح من الصعب الاستماع والإنصات أو حتى التمييز بين الأصوات والله أعلم.

---

(١) البحر المديد ٣٢٩/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حكم أخذ الأمانة عوضاً عن الحق

يقول الله تعالى: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال، هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه؟ فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية، ومنعه مالك لقوله - صلى الله عليه وسلم - "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك" {٢}

الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- يجوز أخذ الأمانة عوض عن الحق الذي جحده المؤتمن، وهو قول الإمام العدوي في شرح الكفاية.

ونسبه ابن أبي القاسم إلى الإمام المازري، وهو قول الإمام ابن عبد البر{٣}، والإمام الصنعاني{٤}، والإمام العيني{٥} والإمام ابن العربي{٦} والإمام الشنقيطي{٧}، ابن سيرين، وإبراهيم النخعي وسفيان ومجاهد وغيرهم {٨}

٢- لا يجوز ذلك فهو من قبيل الخيانة وهو قول الإمام مالك {٩} وابن عطية

---

(١) سورة النحل آية: (١٢٦).
(٢) التسهيل ٢ / ١٦٤
(٣) التمهيد لابن عبد البر ٢٠ / ٥٩
(٤) سبل السلام ٣ / ٦٨
(٥) عمدة القاري ١٣ / ٧
(٦) أحكام القرآن لابن العربي ١ / ١٦٠
(٧) أضواء البيان ٢ / ٤٦٧
(٨) القرطبي ١٠ / ٢٠١، أضواء البيان ٢ / ٤٦٧
(٩) المدونة الكبرى ١٥ / ١٦٠ تحت عنوان "فيمن استودع رجلاً مالاً أو أقرضه فجحده ثم استودعه الجاحد مثله"

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

في المحرر، ونسبه إلى الجمهور {١}، وخليل بن إسحاق المالكي في مختصره {٢}

الترجيح في الميزان:

جاء في المدونة الكبرى: أرأيت لو أن رجلا استودعته ألف درهم أو أقرضته إياها قرضا أو بعته بها سلعة فجحدني ذلك ثم استودعني بعد ذلك ألف درهم أو باعني بها بيعا فأردت أن أجحده لمكان حقي الذي كان جحدني ويستوفيها من حقي الذي لي عليه { قال } سئل مالك عنها غير مرة فقال لا يجحده { قال } فقلت لم قال ذلك مالك { قال } ظننت أنه قاله للحديث الذي جاء أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك {٣}

إلى هذا ذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ومن بعده الإمام ابن جزي وحجتهم كما هو واضح حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - "أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك" والحديث أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن أبي هريرة بلفظه وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وله شاهد عن أنس {٤} ويصير الحديث حجة في تأويل النص القرآني عندما لا تداخله نصوص أخرى تعين على الفهم المنطقي للنصين القرآني والنبوي.

وأرى والله أعلم: أن هذا النص الكريم إذا سلم العلماء بأن دلالته تنحصر في عدم أخذ المظلوم حقه من الظالم في هذه الحالة - وإن كان هذا لم يسلم به من

---

(١) المحرر الوجيز ٥ / ٤٠

(٢) شرح مختصر خليل للخرشي ٦ / ١١٨

(٣) المدونة الكبرى ١٥ / ١٦٠ تحت عنوان "فيمن استودع رجلاً مالاً أو أقرضه فجحده ثم استودعه الجاحد مثله"

(٤) المستدرك على الصحيحين - ك البيوع برقم ٢٢٩٧، ٢٢٩٧(؟) - ج ٢ ص ٥٣ وافقه الذهبي

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قبل جمهور المؤولين للنص النبوي - فإن ثمة نصوص أخرى تضبط هذا الفهم لكي لا يكون أصلاً في التعامل أو قاعدة يقاس عليها:

ومن هذه النصوص الشريف(؟) قول النبي - صلى الله عليه وسلم - "انْصُرْ أخاك ظَالِمًا أو مَظْلُومًا قالوا يا رسُولَ اللَّهِ هذا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا قال تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ"{١}

وأرى والله أعلم أن أخذ الحق واسترداد المال هنا نوع من الأخذ على يد الأخ المسلم الذي وإن صدر منه نوع اعتداء إلا أنه لم يزل داخل دائرة الإسلام، له ماله وعليه ما عليهم(؟)، وإن من أوجب عليهم نصرته خاصة على نفسه وشيطانه

والذي يظهر أن ما قال به الإمام مالك رحمه الله تعالى إنما هو من قبيل الفتوى التي إن صحت في زمانه لحسن الظن بالناس وعموم الصلاح فيهم وأقرابهم(؟) من عهد النبوة الذي هو خير القرون فلا بأس من النظر في الوجه الآخر لهذه الفتوى مع اختلاف الظرف الزماني والنفسي عند الناس فلم يعد الأصل في الناس حسن الظن - إلا من رحم الله تعالى - ولم يعد الزهد في الدنيا هو شعار عموم المسلمين فمع الزهد والتعفف تبرز فتوى الصفح والعفو والنهي عن التعدي ولو كان لاسترداد الحق لتعبر عن أن الخطأ الفردي يمكن التجاوز عنه لندرته، ومع الحرص والجشع تبرز فتوى التأديب والأخذ على الأيدي لضبط حركة المجتمع وتنظيم حياة الناس بما يوفر لهم ما ينشده الدين لهم من الأمن.

هذا وقد انقسم العلماء أمام قول النبي - صلى الله عليه وسلم - "ولا تخن من خانك" إلى فريقين: الأول: قال بمثل ما قال به الإمام مالك رحمه الله تعالى والآخر اعتبر الخيانة فيما كان فوق الحق وأعمل النص القرآني على ظاهره

---

(١) صحيح البخاري - ك المظالم، باب: أعن أخاك ظالما أو مظلوما - برقم ٢٣١١، ٢٣١٢ ج ٢ ص ٨٦٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الإمام الشعبي: لا تخن من خانك أكثرا(؟) مما خانك، فإن أخذت منه مثل ما أخذ منك فليس عليك بأس.

وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: قوله - صلى الله عليه وسلم -: (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك): معناه عند أهل العلم لا تخن من خانك بعد أن انتصرت منه في خيانته لك {١}

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى: وهذا الحديث على فرض صحته لا ينهض الاستدلال به لأن من أخذ قدر حقه لم يزد عليه لم يخن من خانه وإنما أنصف نفسه ممن ظلمه {٢}

وبهذا صرح جمع من العلماء بالأمر باسترداد الحق من الخائن أو الظالم أو الجاحد للمال ومن ذلك ما ورد عن ابن سيرين قال: { وإن عاقبتم فعاقبوا } يقول إن أخذ الرجل منك شيئا فخذ منه مثله {٣}

وكذا عن إبراهيم النخعي قال: إن أخذ منك شيئا فخذ منه مثله{٤}

وقال الإمام ابن العربي في أحكام القرآن: وأما ابن(؟) جحدك وديعة وقد استودعك أخرى فاختلف العلماء فيه:

فمنهم من قال: اصبر على ظلمة(؟) وأد إليه أمانته لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك)

ومنهم من قال: اجحده كما جحدك، لكن هذا لم يصح سنده ولو صح فله معنى صحيح وهو إذا أودعك مائة وأودعته خمسين فجحد الخمسين فاجحد

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ٢٠ / ١٥٩
(٢) أضواء البيان ١ / ٣٢٨
(٣) تفسير الطبري ١٤ / ١٩٧، الدر المنثور ٥ / ١٨٠، الصنعاني ٢ / ٣٦١ المحلى لابن حزم ١٨(؟) / ١٠٨
(٤) تفسير الطبري ١٤ / ١٩٧، الصنعاني ٢ / ٣٦١ المحلى لابن حزم ١٨(؟) / ١٠٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

خمسين منها، فإن جحدت المائة كنت قد خنت من خانك فيما لم يخنك فيه وهو المنهي عنه وبهذا الأخير أقول والله أعلم {١}

وبهذا يتبين: أن القول الذي ذهب إليه الإمام ابن جزي وهو قول الإمام مالك رحمه الله لا ينهض في الاستدلال لحجة أصحاب القول الآخر، وبالجملة فإن كان المال في ذمة حرمة(؟) فالله تعالى يقول: (والحرمات قصاص) {٢} كانت الخيانة في أداء الأمانة نوع اعتداء فقد قال الله تعالى: فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ {٣}

هل يجوز التيمم للحاضر الصحيح إذا عدم الماء؟
يقول الله تعالى: وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:
قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ "الآية" ثم إن عدم الماء على ثلاثة أوجه:
أحدها: عدمه في السفر
والثاني: عدمه في المرض فيجوز التيمم في هذين الوجهين بإجماع لأن الآية نص في المرض والسفر إذا عدم الماء فيهما لقوله " وإن كنتم مرضى أو على سفر " ثم قال: (فلم تجدوا ماء)
(١) أحكام القرآن لابن العربي ١ / ١٥٩، ١٦٠
(٢) سورة البقرة آية: (١٩٤).
(٣) سورة البقرة آية: (١٩٤).
(٤) سورة النساء آية: (٤٣).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والثالث: عدم الماء في الحضر دون مرض فاختلف الفقهاء فيه فمذهب أبي حنيفة أنه لا يجوز فيه التيمم لأن ظاهر الآية أن عدم الماء إنما يعتبر مع المرض أو السفر.

ومذهب مالك والشافعي أنه يجوز فيه التيمم، فإن قلنا إن الآية لا تقتضيه فيؤخذ جوازه من السنة، وإن قلنا إن الآية تقتضيه فيؤخذ منها وهذا هو الأرجح إن شاء الله، وذلك أنه ذكر في أول الآية المرض والسفر ثم ذكر الأحداث دون مرض ولا سفر ثم قال بعد ذلك كله " فلم تجدوا ماء " فيرجع قوله " فلم تجدوا ماء " إلى المرض وإلى السفر وإلى من أحدث في غير مرض ولا سفر فيجوز التيمم على هذا لمن عدم الماء في غير مرض ولا سفر فيكون في الآية حجة لمالك والشافعي{١}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- لا يجوز التيمم في الحضر مطلقا ونسبه إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله{٢}

٢- يجوز التيمم في الحضر وهو قول الإمام مالك{٣} والإمام الشافعي {٤}

الترجيح في الميزان:

ثبت عن السادة المالكية والشافعية قولهم: إنه يجوز للحاضر المقيم أن يتيمم إذا فقد الماء من غير تقيد بشرط السفر أوالمرض.

---

(١) التسهيل ١ / ١٤١
(٢) حاشية رد المحتار ١ / ٤٤٦،
(٣) المدونة ١ / ٨٣، تهذيب المدونة ١ / ٧٩، التاج والإكليل ١ / ٣٢٩، الاستذكار لابن عبد البر ١ / ٣١٥
(٤) الأم ١/٥١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ولكن غير الثابت في هذه المسألة هو قول الأحناف{١}: فلم ينعقد إجماعهم على أنه لا يجوز التيمم للمقيم مطلقا:

فمنهم من قال بهذا مستندا إلى الأصل الثابت في العرف أن عدم الماء في المصر غير معتبر شرعا{٢}

وقال أبو يوسف وزفر: لا يجوز التيمم في الحضر لا لمرض ولا لخوف الوقت وقال الحسن وعطاء: لا يتيمم المريض إذا وجد الماء، لا غير المريض.

قال الإمام السرخسي في المبسوط: عند عَدَمِ الْمَاءِ في الْمِصْرِ لَا تُجْزِئُهُ الصَّلَاةُ بِالتَّيَمُّمِ بِنَاءً عَلَى الْغَالِبِ أَنَّ الْمَاءَ في الْمِصْرِ لَا يَعْدَمُ {٣}

وجاء في الفتاوى الهندية: لَا يَجُوزُ التَّيَمُّمُ لِعَدَمِ الْمَاءِ في الْمِصْرِ وَكَذَا الْقُرَى الَّتِي لَا يُفَارِقُهَا أَهْلُهَا أو أَكْثَرُهُمْ نَهَارًا وَذُكِرَ عن السُّلَمِيِّ جَوَازُ ذلك وَالصَّحِيحُ عَدَمُ الْجَوَازِ{٤}

ومنهم من فرق بين أنواع العبادات حسب ارتباطها بوقت معين أو لا

قال الإمام الكاساني في بدائع الصنائع: لَا يَجُوزُ التَّيَمُّمُ لِلصَّلَاةِ في الْمِصْرِ لِأَنَّ عَدَمَ الْمَاءِ في الْمِصْرِ لَا يَتَحَقَّقُ وَالْجَوَازُ بِالتَّيَمُّمِ مع وُجُودِ الْمَاءِ لَنْ يَكُونَ إلَّا لِخَوْفِ الْفَوْتِ أَصْلًا كما في صَلَاةِ الْجِنَازَةِ وَالْعِيدِ {٥}

ومنهم من فرق بين مقيم قادر على تحصيل الماء وآخر غير قادر على تحصيل الماء

---

(١) الاستذكار ١ / ٣١٥
(٢) المبسوط للسرخسي ١ / ١٢٣
(٣) المبسوط للسرخسي ١ / ٦٨، ١٠ / ١٢٢
(٤) الفتاوى الهندية ١ / ٢٧
(٥) بدائع الصنائع ١ / ١٨٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الإمام الكرخي رحمة الله: إِنْ كان في مَوْضِعٍ يُسْمَعُ صَوْتُ أَهْلِ المَاء فَهُوَ قَرِيبٌ وَإِنْ كان لَا يُسْمَعُ فَهُوَ بَعِيدٌ وَبِهِ أَخَذَ أَكْثَرُ مَشَايِخِنَا.....

وَعَنْ أبي يُوسُفَ: إذَا كان بِحَيْثُ إذَا ذَهَبَ إلَيْهِ وَتَوَضَّأَ تَذْهَبُ الْقَافِلَةُ وَتَغِيبُ عن بَصَرِهِ فَهُوَ بَعِيدٌ وَيَجُوزُ له التَّيَمُّمُ {١}

فإذا ثبت هذا تبين أن الأحناف لا يرون جميعاً منع التيمم للحاضر المقيم، والرافضين منهم لذلك قيدوه بعدم القدرة على تحصيل الماء من مسافة ميلين أو أكثر أو أقل على اختلاف بينهم كما تبين من أقوال علمائهم

ومما سبق يتبين رجحان قول الإمام ابن جزي في جواز التيمم للمقيم عند فقد الماء، مطابقة لنص الآية الكريمة وعملا بسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أَقْبَلَ من نَحْوِ بِئْرِ جَمَلٍ فَلَقِيَهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عليه فلم يَرُدَّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أَقْبَلَ على الْجِدَارِ فَمَسَحَ بِوَجْهِهِ وَيَدَيْهِ ثُمَّ رَدَّ عليه السَّلَام{٢}، ومعاينة للواقع، فإنه إذا كانت العلة من التيمم في السفر عدم الماء وندرته فمتى انعدم الماء فقد اتفقت(؟) العلة وجاز التيمم، وفي المقابل لم يقل أحد بأن المكلف إذا وجد الماء في السفر جاز له التيمم لمحض كونه على سفر مع وجود الماء، مما لا يتفق مع روح الشرع ورفع التكليف بما لا يطاق أن يؤمر سجين لا يدرك الماء بالوضوء وإلا فصلاته بالتيمم باطلة، ويقاس عليه الكثيرون من أمثال { المجندين } الذين في عزلة جزئية عن الحياة لمدة زمنية قد تتجاوز الأيام المتوالية وقد لا يكون بينهم وبين الماء إلا مسافة محدودة لكنهم لا يصلون إليها ولا تصل إليهم إلا بمقدار ما يشربون أو أقل من ذلك، ثم إن التيمم لم يشرع أصلاً بهذه الآية إلا لرفع الحرج والمشقة وهذه هي علة التشريع وحكمته. والله أعلم

---

(١) البحر الرائق - زين الدين بن نجيم الحنفي - ١ / ١٤٧

(٢) صحيح البخاري - كتاب التيمم، باب التيمم هل ينفخ فيهما برقم ٣٣٠ - ١ / ١٢٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

المراد بقوله تعالى: "ثم يعودون لما قالوا".....

يقول الله تعالى: وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا..)

اختلف الناس في معنى قوله: (ثم يعودون لما قالوا) على ستة أقوال:

الأول: أنه إيقاع الظهار في الإسلام والمعنى أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية فإذا فعلوه في الإسلام عاد إليه وبهذا قال ابن قتيبة فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار بخلاف أقوال غيره فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معاً.

الثاني: أن العود هو وطأ الزوجة وروى ذلك عن مالك فلا تجب الكفارة على ما(؟) حتى يطأ فإذا وطئ وجبت عليه الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.

الثالث: أن العود هو العزم على الوطئ وروى هذا أيضا عن مالك فإذا عزم على الوطء وجبت الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.

الرابع: أن العود هو العزم على الوطئ وعلى إمساك الزوجة وهذا أصح الروايات عن مالك.

الخامس: أنه العزم على الإمساك خاصة وهذا مذهب الشافعي فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار وجبت الكفارة.

السادس: أنه تكرار الظهار مرة أخرى وهذا مذهب الظاهرية وهو ضعيف لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكما في أول مرة وإنما يوجب في الثانية، وإنما نزلت الآية فيمن ظاهر لأول مرة فذلك يرد عليهم ويختلف معنى لما قالوا باختلاف هذه الأقوال، فأما علة قول ابن قتيبة والظاهرية ف" ما " مصدرية

---

(١) سورة النساء آية: (٣).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والمعنى يعودون لقولهم وأما على سائر الأقوال ف" ما " بمعنى الذي والمعنى يعودون للوطء الذي حرموه أو للعزم عليه أو للإمساك الذي تركوه أو للعزم عليه{١}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أرى أن تقسيم الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي على ثلاثة أقوال:

الأول: قول ابن قتيبة{٢}: أن العود إنما المراد به النطق بلفظ الظهار، وهو قول مجاهد وطاووس {٣}

الثاني: قول الإمامين مالك وأبي حنيفة: أن العود إنما هو الوطئ أو العزم عليه أو العزم على الوطئ والإمساك{٤}

الثالث: قول الإمام الشافعي: أن المراد بالعود: الإمساك. {٥}

الثالث: قول الظاهرية: أن العود إنما هو تكرير اللفظ {٦}

الترجيح في الميزان:

ضعف الإمام ابن جزي هنا قول الظاهرية بأن المراد بالعود إنما هو تكرار اللفظ

ذكر الإمام ابن حزم في المحلى ما نصه: قول الله عزوجل: الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ من نِسَائِهِمْ ما هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ

---

(١) التسهيل ٤ / ١٠١
(٢) تفسير السمعاني ٥ / ٣٨٣،
(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٤ / ٤٣١
(٤) القوانين الفقهية لابن جزي ص ١٦١،
(٥) إعانة الطالبين ٤ / ٣٥، حاشية البجيرمي على المنهج ٤ / ٥٥، مغني المحتاج ٣ / ٣٥٥.
(٦) المحلى لابن حزم الظاهري ١٠ / ٥١، وينظر تفسير البيضاوي ٥ / ٣٠٨، زاد المسير لابن الجوزي ٨ / ١٨٣،

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ(١) إلى قوله تعالى: وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

في هذه الآية لم يوجب الله تعالى الكفارة في الظهار الا بالعود لما قال، وقالت طائفة: الظهار يجب بقول(؟) مرة واختلفوا في معنى العود لما قالوا:

١- فقالت طائفة مرة(؟) العود لما قالوا هو: الوطئ نفسه فلا تجب عليه كفارة الظهار حتى يطأها فإذا وطئها لزمته الكفارة والامساك عن وطئها حينئذ، صح ذلك عن طاوس.والحسن ,والزهري

٢- وقالت طائفة: إذا تكلم بالظهار فقد لزمه كفارة كما روينا عن طاوس وهو قول سفيان الثوري.

٣- وقالت طائفة: العود ههنا إرادة الوطئ فمن ظاهر من امرأته ثم لم يلزمه كفارة الوطئ حتى يريد وطئها فإذا أراد وطأها فحينئذ لزمته الكفارة فان بدا له عن وطئها سقطت عنه الكفارة فان أراد عادت عليه الكفارة فان بداله سقطت عنه، وهكذا أبدا، وهو قول مالك في أشهر قوليه وعبد العزيز الماجشون وما نعلم هذا عن أحد قبلهما وهو أسقط الأقوال لتعريه عن الأدلة وكل ذلك ايجاب وابطال للدعوى بلا برهان

٤- وقالت طائفة: معنى العود أن الظهار يوجب تحريما لا ترفعه الا الكفارة إلا أنه ان لم يطأها مدة طويلة حتى ماتت فلا كفارة عليه سواء أراد في خلال ذلك وطئها أو لم يرد ثم طلقها ثلاثًا فلا كفارة عليه فان تزوجها بعد زوج عاد عليه حكم الظهار ولا يطؤها حتى يكفر وهذا قول أبي حنيفة قال: والظهار قول كانوا يقولونه في الجاهلية فنهوا عنه فكل من قاله فقد عاد لما قال

قال أبو محمد: وهذا قريب من قول مالك لانه تحكم بالباطل ولعب وكذب ظاهر لان الذين يقولونه في الاسلام لم يقولوه قط في الجاهلية وانما قال

---

(١) سورة المجادلة آية: (٢).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

عز وجل: {ثم يعودون لما قالوا} ولم يقل لما قال غيرهم، وذكر هذين القولين يغني عن تكلف الرد عليهما لظهور فسادهما وانهما شرع لم يأذن به الله تعالى وانهما لا يحفظان عن أحد قبل أبى حنيفة ومالك.

٥- وقالت طائفة: العود هو أن يظاهر منها ثم يمسكها مدة يقدر أن يقول فيها: أنت طالق فلا يطلقها في تلك المدة فإذا فعل ذلك فقد عاد لما قال ولزمته الكفارة، ماتت أو عاشت طلقها بعد ذلك أو لم يطلقها فإن طلقها إثر ظهاره منها فلا كفارة ظهار عليه وهذا قول الشافعي وبعض أصحابنا.

٦- وقالت طائفة: كقولنا روى عن بكير بن الأشج ويحيى بن زياد الفراء، و عطاء.

قال أبو محمد: جميع الأقوال التى قدمنا إنما هي دعاوى لا توافق في اللغة التى بها خاطبنا الله عزوجل وبها نزل القرآن لما يقع عليه لفظة العود لما قال وما كان هكذا فهو باطل بيقين نعنى من فسر العود بالوطئ أو بإرادة الوطئ أو بالإمساك، إذ ليس شئ من هذا لما قال، وكذلك من قال: انه يوجب تحريما لا يرفعه الا الكفارة لان الله تعالى لم يوجب الكفارة بالظهار وحده لكن به وبالعود لما قال هذا نص القرآن.

قال أبو محمد: ولم يبق إلا قولنا وهو أن يعود لما قال ثانية ولا يكون العود للقول الا بتكريره لا يعقل في اللغة غير هذا، وبهذا جاءت السنة كما روينا من طريق سليمان ابن حرب، ومحمد بن الفضل عارم كلاهما عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن جميلة كانت امرأة أوس بن الصامت وكان أوس امرءا به لمم فكان إذا اشتد لممه ظاهر من امرأته فأنزل الله عز وجل فيه كفارة الظهار{١}

---

(١) المستدرك على الصحيحين - تفسير سورة المجادلة - ٢ / ٥٢٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال أبو محمد: هذا يقتضى التكرار ولابد ولا يصح في الظهار إلا هذا الخبر وحده.... وكل ما عدا ذلك فساقط ما(؟) مرسل وإما من رواية من لاخير فيه.{١}

وأرى أن أدلة الإمام ابن حزم هنا تتلخص فيما يلي:

١- ظاهر نص الآية الكريمة أن الله تعالى رتب الكفارة على الظهار والعود، وأن العود إنما يراد به تكرار لفظ الظهار على لسان من ظاهر من امرأته، وهو متفق على تكرار اللفظ في شطره الثاني، فأما الأول فكون الكفارة ترتبت على الظهار والعود معا، وأما الثاني فهو أن العود ليست دلالته تكرار اللفظ وإنما قد يراد به أمر هو آخر(؟) وهو الراجح حيث إن الكفارات زواجر ولا يكون الزاجر بعد تكرار الخطأ الظاهر البين، وإنما هو نوع وقاية من الوقوع فيه ثانية وإلا فلا فائدة منه، وخاصة أن لفظ العود هنا غير مرتبط بعدد فمن التكلف أن نقول: تجب الكفارة عليه بعد العود {التكرار} الأول فلم يكن الثاني أو الثالث أو.....

٢- أن آراء الفقهاء غيره لا توافق اللغة، وبالنظر فيما قاله أهل اللغة نرى أنهم أنزلوا القول منزلة المقول فيه:

قال الإمام المطرزي{٢}: وتنزيل القول منزلة المقول فيه وهو المظاهر منها كما في ونزله(؟) ما يقول وهو معنى قول الفقهاء العود استباحة وطئها واللفظ يحتمل تكرار الظهار في الإسلام إلا أنه ليس بمذهب {٣}

---

(١) المحلى لابن حزم ١٠ / ٥١، ٥٢ - بتصرف يسير

(٢) المطرزي: هو الإمام ناصر الدين أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي الخوارزمي الأديب الحنفي الشهير بالمطرزي إمام في الفقه واللغة والعربية يقال عنه خليفة الزمخشري ولد سنة ٥٣٦ بجرجانية خوارزم وقيل ولد سنة ٥٣٨ وتوفي سنة ٦١٠ عشر وستمائة (هدية العارفين أسماء المؤلفين للشيرازي(؟) ٦ / ٤٨٨، طبقات الحنفية ١ / ١٢٤، ٢ / ١٩٠، معجم الأدباء ٥ / ٥٤٦)

(٣) المغرب في ترتيب المعرب ج٢/ص٨٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الإمام الفرّاء: يصحّ فيها في العربية " ثم يعودون - إلى ماقالوا وفيما قالوا - يريد النكاح، وكلٌ صواب{١}.

وقال الإمام ابن هشام{٢} في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: وقال أبو الحسن{٣} في قوله تعالى {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}: إن المعنى ثم يعودون للقول، والقول في تأويل المقول، أي يعودون للمقول فيهن لفظ الظهار، وذلك هو الموافق لقول جمهور العلماء: إنّ العوْد الموجب للكفارة العوْد الى المرأة، لا العوْد الى القول نفسه، كما يقول أهل الظاهر{٤}

وقال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: وفي العَرَبيّة لِمَا قالوا أَيْ فِيمَا قالوا وفي نقض ما قالوا وهَذَا أَوْلَى لِأَنَّ اللَّهَ لا يَدُلُّ على المُنْكَرِ وقَوْلِ الزُّورِ{٥}

٣- سبب النزول: والذي ورد فيه أن أوس بن الصامت رضي الله عنه كان به لمم وكان إذا اشتد لممه ظاهر من امرأته فأنزل الله عز وجل فيه كفارة الظهار

---

(١) تهذيب اللغة ١ / ٣٥٠

(٢) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الشيخ جمال الدين الحنبلي النحوي الفاضل العلامة المشهور أبو محمد. ولد في ذي القعدة سنة ثمان وسبعمائة تفقه للشافعي ثم تحنبل فحفظ قبل موته بخمس سنين، وأتقن العربية ففاق الأقران بل الشيوخ وحدث عن ابن جماعة بالشاطبية وتخرج به جماعة من أهل مصر وغيرهم وله تعليق على ألفية ابن مالك ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب الغريبة(؟) والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البارع والاطلاع المفرط والاقتدار على التصرف في الكلام والملكة التي كان يتمكن من التعبير بها عن مقصوده بما يريد مسهبا وموجزا مع التواضع والبر والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب توفي ليلة الجمعة خامس ذي القعدة سنة إحدى وستين وسبعمائة - بغية الوعاة ٢ / ٦٩

(٣) القرطاجني: حازم بن محمد بن حازم الأنصاري ابن الحسن ابن محمد بن خلف بن هني(؟) السبتي أبو الحسن القرطاجني المالكي النحوي نزيل قرطبة ولد بتونس سنة ٦٠٨ وتوفي سنة ٦٨٤ أربع وثمانين وستمائة. من تصانيفه قصيدة ميمية في النحو. المقصورة قصيدة مشهورة. منهاج البلغاء. في علمي البلاغة والبيان. هدية العارفين ١ / ١٣٨

(٤) المغني اللبيب عن كتب الأعاريب ١ / ٢٠٧

(٥) صحيح البخاري - كتاب الطلاق، باب الظهار، وقول الله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) إلى قوله (فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا) - ٥ / ٢٠٢٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ويتبين من خلال هذا العرض أن الصحابي الجليل رضي الله عنه - حسب الرواية - به علة اللمم، فإن أريد باللمم هنا مس من الجن فيكون رضي الله عنه صاحب عذر يعامل معاملة أصحاب الأعذار ولا يستوجب فعله قياسا وكذا لا يستوجب نزول التشريع المبارك من أجل تصرف يخرج منه يقلد فيه ما كان دارجا على ألسنة القوم إذا أراد أحدهم أن يعتزل امرأته

جاء في النهاية في غريب الأثر: اللمم هاهنا: الإلمام بالنساء وشدة الحرص عليهن وليس من الجنون فإنه لو ظاهر في تلك الحال لم يلزمه شيء {١}

وإن أريد باللمم التوق إلى النساء فلا يبعد أن امرأته ما أخبرت النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا بعد مرات من فعله، ولو كان فالنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يستفصلها هل كرّر زوجها صيغة الظهار أو لا وترك الاستفصال ينزل منزلة العموم في الأقوال ومن ثم فإن اشتراطهم تكرار لفظ الظهار حتى تجب الكفارة ليس له شاهد أو دليل والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) النهاية في غريب الأثر ٤ / ٢٧٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هل للولي حق في نكاح وليته؟

يقول الله تعالى: وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قوله تعالى: (فلا تعضلوهن " أي: لا تمنعوهن أن ينكحن أزواجهن " أي: يراجعن الأزواج الذين طلقوهن..... وهذه الآية تقتضي ثبوت حق الولي في نكاح وليته خلافا لأبي حنيفة{٢}

وقال الإمام ابن جزي في موطن آخر من تفسيره لقول الله تعالى: " وأنكحوا الأيامى منكم " الأيامى: جمع أيم، ومعناه: الذين لا أزواج لهم رجالا كانوا أو نساء أبكارا أو ثيبات والخطاب هنا للأولياء والحكام أمرهم الله بتزويج الأيامى فاقتضى ذلك النهي عن عضلهن من التزويج، وفي الآية دليل على عدم استقلال النساء بالإنكاح واشتراط الولاية فيه وهو مذهب مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة.{٣}

الأقوال كما عرضها الإمام ابن جزي:

١- أن الولي شرط في النكاح، وهو مذهب المالكية {٤} والشافعية {٥} والحنابلة{٦}

---

(١) سورة البقرة آية: (٢٣٢).
(٢) التسهيل ١ / ٨٣
(٣) التسهيل ٣ / ٦٥
(٤) مواهب الجليل ٣ / ٤١٩، حاشية الدسوقي ٢ / ٢٢٠
(٥) المهذب للشيرازي ٢ / ٣٥ - باب ما يصح به النكاح -، روضة الطالبين ٧ / ٥٠، مغني المحتاج ٣ / ١٤٧ - فصل: لا تزوج امرأة نفسها -
(٦) المغني ٧ / ٦ وما بعدها - مسألة ولا نكاح إلا بولي وشاهدين -، والمبدع ٧ / ٢٧، الإنصاف للمرداوي ٨ / ٦٦، شرح منتهى الإرادات ٢ / ٦٣٧ - فصل الثالث من شروط النكاح -، كشف القناع ٥ / ٤٨ - فصل الشرط الثالث: الولي؛ فلا نكاح إلا بولي.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والظاهرية{١} وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم {٢}

٢- ثبوت حق المرأة في إنكاح نفسها وهو قول السادة الأحناف {٣}، ورواية عن الإمام أحمد{٤} رحمهم الله

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن للولي الحق في إنكاح المرأة وليس ذلك للمرأة مستدلاً بالآية الكريمة " فلا تعضلوهن " فالنهي للولي عن عدم العضل إثبات لحقه في إنكاحها بالمعروف،

قال الإمام البغوي رحمه الله تعالى: وفي الآية دليل على أن المرأة لا تلي عقد النكاح إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى {٥}

وقال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: ولا أعلم الآية تحتمل غيره لانه إنما يؤمر بأن لا يعضل المرأة من له سبب إلى العضل بأن يكون يتم به نكاحها من الأولياء{٦}

وقد يجاب على هذا الدليل بأنه: لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله " فلا تَعْضلوهُنَّ " أن يخليها ورأيها في ذلك وذلك لأن الغالب في النساء أن يركن إلى رأي الأولياء في باب النكاح، وألا يمنعها من ذلك منعا حسيا حيث إنهن تحت

---

(١) المحلى ٩ / ٤٥١ - باب: ولا يحل للمرأة نكاح ثيبا كانت أو بكرا إلا بإذن وليها -

(٢) سنن الترمذي - باب لا نكاح إلا بولي ٣ / ٤١٠، والتهذيب في اختصار المدونة لأبي سعيد البراذعي ج ٢ ص ١٤٧ دراسة وتحقيق محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ ط دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث الطبعة الأولى ١٤٢٣ ه - ٢٠٠٢ م

(٣) المبسوط للسرخسي - باب النكاح بغير ولي ٥ / ١١، بدائع الصنائع - فصل وأما ولاية الندب والاستحباب - ٢/ ١١٧، تبيين الحقائق - باب الأولياء والأكفاء ٢ / ١١٧، حاشية ابن عابدين - باب الولي - ٣ / ٥٥

(٤) المبدع ٧ / ٢٩، الإنصاف ٨ / ٦٦، شرح الزركشي ٢ / ٣١٩

(٥) تفسير البغوي ١ / ٢١١

(٦) الأم للإمام الشافعي ٥ / ١٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

تدبيرهم ورأيهم وحينئذٍ فهم متمكنون من منعهن بالوسائل المختلفة، فيكون النهي محمولاً على هذا الوجه (١)، ولعل هذا ما يوافق دلالة اللفظ؛ فالأصل في العضل الشدة والتضييق والحبس والمنع {٢} وكلها صور لا تعني محض الامتناع عن مباشرة العقد وإنما تشمل رفض الولي إمضاء النكاح مع رغبة المرأة أن تبقى في إطار البر والصلة والطاعة والخضوع لأمر أولياء أمرها بدءا من الوالد وانتهاء بالسلطان.

وإن كانت المرأة في وقت ما أسيرة العرف والواقع الذي يحتم عليها أن يكون وليها هو الذي يباشر عقدها فهذا لا يعني عدم أحقيتها في ذلك، فإن تغير الزمن يجعلنا أمام واقع متغير تتقلب فيه المرأة في الأرض وقد تفقد محارمها في أرض ليس معها فيها من يباشر لها عقدها فلا يعقل أن تمنع من مباشرة عقدها مع تملكها الأهلية الكاملة والذمة المستقلة،

وقد يفهم من النص الكريم أن نهيهم عن العضل ليس مما يفهم منه اشتراط إذنهم في صحة العقد لا حقيقة ولا مجازا بوجه من وجوه أدلة الخطاب الظاهرة أو النص بل قد يمكن أن لا يفهم منه ضد هذا وهو أن الأولياء ليس لهم سبيل على من يلونهم {٣}

وأرى والله أعلم أن سبب نزول الآية الكريمة إنما يعالج واقعا تشبث فيه ولي الأمر بما لم يكن له شرعا وإنما هو العرف السائد والتقاليد المحضة ومن ثم جاء التوجيه القرآني بهذا النهي للأولياء عن منع النساء من التزوج ممن يردن.

ومن الأدلة التي اعتمدها أصحاب هذا الرأي أيضا من القرآن الكريم:

١- قوله تعالى " وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ

---

(١) تفسير الرازي ٦ / ٩٧ - بتصرف
(٢) لسان العرب ١١ / ٤٥٢، مختار الصحاح ١ / ١٨٤
(٣) بداية المجتهد ونهاية المقصد - بتصرف - ٤ / ٢١٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ... "{١} ووجه الاحتجاج من الآية والتي بعدها أنه تعالى خاطب بالإنكاح الرجال ولم يخاطب به النساء فكأنه قال لا تنكحوا أيها الأولياء ولياتكم(؟) للمشركين{٢}

وقد يجاب عنه بأن الخطاب هنا ليس قاصرا على الولاية الخاصة وإنما يشمل الولاية العامة لولي أمر المسلمين بل إن حمله على الثاني أولى إذ إن مسائل النكاح وغيرها مما يصاغ في قوانين وأعراف تجري بها الأمور في كل قطر إنما هي مسئولية الحاكم أو ولي الأمر.

ولعل هذا هو الأولى في الآيات التي تنظم حركة المجتمع على وجه العموم وليست الحالات الخاصة، فالسؤال عن الخمر والميسر وحكمهما تشريع للمجتمع يخاطب به بالدرجة الأولى ولي أمر المسلمين، والسؤال عن اليتامى في المجتمع وما يصلح لهم وما لا يصلح، إنما هو تشريع للمجتمع، وكذا ما ورد من الحديث عن شئون الزواج، وقد رأينا المرأة قد تخرج عن طاعة ولي أمرها الأقرب لكنها لا تقدر على الخروج عن القانون العام أو التشريع القضائي

٢- وقال تعالى حكاية عن شعيب في قصة موسى عليهما السلام: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ {٣} وفيه حكاية حال الولي في إنكاحه وليته،

٤- وقال تعالى فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ {٤} وفيه اشتراط على الأزواج ألا ينكحن النساء إلا بإذن أوليائهن

وقد يجاب عليه: بأنه ليس فيه دلالة على أنه لا يصح لها أن تباشر عقدها وإنما هو أمر بالتماس إذن الوالدين كما أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - باستئذان الفتاة ومن ذلك ما

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٢١
(٢) فتح الباري ٩ / ١٨٤
(٣) سورة القصص آية: ٢٧
(٤) سورة النساء آية: ٢٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حتى تُسْتَأْمَرَ ولا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حتى تُسْتَأْذَنَ قالوا يا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ إِذْنُهَا قال أَنْ تَسْكُتَ {١}

ويفهم من النص الكريم أنه إذا أذنت المرأة لوليها أن ينكحها من أراد زوجها(؟)، فهل يفهم من الآية أنه إذا أذن لها أن تتزوج من استئذنته فيه منه عاد(؟) أم أنه محض إذن يمكنها من إبرام العقد ومباشرة أحكامه، وإن كان ذلك كذلك فليس إذنه مانعا من مباشرة العقد في ذاته أو مانعا لاختيارها وإنما هو سد أبواب الذرائع التي تفتح بها أبواب الشيطان لإفساد ذات البين وأن الأمر هنا ليس على سبيل الاشتراط وإنما هو من باب التكميل أو الندب.

ومن السنة النبوية المطهرة:

١- ما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي اللَّهُ تَعَالَى عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قال أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَإِنْ أَصَابَهَا فَلَهَا الصَّدَاقُ بِمَا اسْتَحَلَّ من فَرْجِهَا {٢}

قال الإمام ابن رشد في بداية المجتهد في الجواب على الاستدلال بهذا الحديث: وأما حديث عائشة رضي الله عنها فهو حديث مختلف في وجوب العمل به، والأظهر أن مالا يتفق على صحته لا يجب العمل به، وأيضا فإن سلمنا صحة الحديث فليس فيه إلا اشتراط إذن الولي لمن لها ولي أعني المولى عليها، وإن سلمنا أنه عام في كل امرأة فليس فيه أن المرأة لا تعقد على نفسها، أعني أن

---

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها ٥ / ١٩٧٤ برقم ٤٨٤٣

(٢) سنن الترمذي بشرح تحفة الأحوذي - باب ما جاء لا نكاح إلا بولي - ٤ / ١٩٣ قال الإمام المباركفوري: قوله (هذا حديث حسن) وصححه أبو عوانة وبن خزيمة وبن حبان والحاكم، وقال الحافظ في بلوغ المرام أخرجه الأربعة إلا النسائي وصححه أبو عوانة وابن حبان والحاكم انتهى.... وأعله بعضهم بالإرسال، وضعفه آخرون بإنكار الزهري له، وصححه ابن الجوزي. وينظر تلخيص الحبير لابن حجر ٣ / ١٥٦ - ١٥٧، نصب الراية للزيلعي ٣ / ١٨٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لا تكون هي التي تلي العقد بل الأظهر منه أنه إذا أذن الولي لها جاز أن تعقد على نفسها دون أن تشترط في صحة النكاح إشهاد الولي معها.{١}

٣- ما روي عن أم سلمة قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: من أصابته مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرني فيها وأبدلني بها خيرا منها فلما مات أبو سلمة قلتها فجعلت كلما بلغت خيرا منها قلت(؟) في نفسي ومن خير من أبي سلمة فلما انقضت عدتها بعث إليها أبو بكر يخطبها فلم تزوجه ثم بعث إليها عمر يخطبها فلم تزوجه فبعث إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمر بن الخطاب يخطبها عليه قالت أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أني امرأة غيرى وأني امرأة مصبية وليس أحد من أوليائي شاهدا فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر ذلك له فقال ارجع إليها فقل لها أما قولك إني امرأة غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما قولك إني امرأة مصبية فتكفين صبيانك، وأما قولك إنه ليس أحد من أوليائك شاهد فليس من أوليائك شاهد ولا غائب يكره ذلك فقالت لابنها يا عمر قم فزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فزوجه فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتيها ليدخل بها فإذا رأته أخذت ابنتها زينب فجعلتها في حجرها فينقلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعلم بذلك عمار بن ياسر وكان أخاها من الرضاعة فجاء إليها فقال أين هذه المقبوحة التي قد آذيت بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذها فذهب بها فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدخل عليها فجعل يضرب ببصره في جوانب البيت وقال ما فعلت زينب قالت جاء عمار فأخذها فذهب بها فبنى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال إني لا أنقصك مما أعطيت فلانة رحائين(؟) وجرتين ومرفقة حشوها ليف وقال إن سبعت لك سبعت لنسائي {٢}.

ذكر القرطبي: أن في حديث حفصة حين تأيمت وعقد عمر عليها النكاح ولم تعقده هي إبطال قول من قال: إن للمرأة البالغة المالكة(؟) لنفسها تزويج نفسها وعقد

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٤ / ٢١٩

(٢) المستدرك على الصحيحين كتاب النكاح ٢ / ١٩٥ برقم ٢٧٣٤ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، صحيح ابن حبان - ك الجنائز بما يتعلق بها مقدما ومؤخرا، ذكر الأمر بالاسترجاع لمن أصابته مصيبة وسؤال الله عز وجل أن يبدله خيرا منها ٧ / ٢١٣، برقم ٢٩٤٩.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

النكاح دون وليها ولو كان ذلك لها لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبتدع خطبة حفصة لنفسها إذا كانت أولى بنفسها من أبيها وخطبها إلى من لا يملك أمرها ولا العقد عليها {١}

ويجاب عليه بأن الأمر لعمر بن أبي سلمة رضي الله عنه بتزويج أمه لم يكن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنما كان من أمه رضي الله عنها والداعي لذلك عندها لا يقتصر على عدم أهليتها لإبرام عقد النكاح بل ربما حملها عليه حياؤها أو مجاراة العرف السائد الذي لم يهدمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما فيه من حفظ حياء المرأة بأن يباشر وليها العقد وإن كان صبيا{٢} كما في الحال التي معنا وأما ما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو جوابه ما أحد من أوليائك شاهد ولا غائب يكرهني، وفيه إشارة إلى أن الأمر بيدها خطبها عن نفسها وعرفها بعدم كراهية احد من القوم لذلك.

قال الجصاص فإن قيل: لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان وليها لقوله تعالى " النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ..... {٣} قيل له: هو أولى بهم فيما يلزمه من اتباعه وطاعته فيما يأمرهم به فأما أن يتصرف عليهم في أنفسهم وأموالهم فلا ألا ترى أنه لم يقل لها حين قالت له ليس أحد من أوليائي شاهد وما عليك من أوليائك وأنا أولى بك منهم بل قال ما أحد منهم ما يكرهني(؟) وفي هذا دلالة على أنه لم يكن وليا لهن في النكاح.{٤}

ومن أقوال الصحابة والتابعين:

ما روي عن عكرمة بن خالد قال جَمَعَتْ الطَّرِيقُ رَكْبًا فيهِمْ امْرَأَةٌ ثَيِّبٌ فَوَلَّتْ

---

(١) تفسير القرطبي ٣ / ٧٣
(٢) سير أعلام النبلاء ٣ / ٤٠٧
(٣) سورة الأحزاب آية: (٦)
(٤) أحكام القرآن للجصاص ٢ / ١٠٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

رَجُلًا منهم أَمْرَهَا فَزَوَّجَهَا رَجُلًا فَجَلَدَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ النَّاكِحَ وَرَدَّ نِكَاحَهَا{١}

ويجاب عليه: بأن السبب الذي أدى بأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن يرد النكاح بل ويقيم الحد ليس هو عدم وجود الولي وإنما هو شبهة أخرى ولاشك فلا يقوم هذا دليلاً على عدم أهلية المرأة لعقد النكاح

واحتجوا أيضا بمنطق عقلي مفاده: أن العلة في منعها صيانتها بما يشعر بوقاحتها ورعونتها وميلها إلى الرجال وذلك ينافي حال أهل الصيانة والمروءة {٢}

والجواب على ذلك في أنه ليس فيما شرع الله تعالى حرج إن كان منضبطا بما أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - به، واعتبار الإسلام لوجود الولي لحفظ حياء المرأة لا يمنع أن تكون لها الأهلية لمباشرة ذلك بنفسها إذا احتاج الأمر أو انعدم الولي

وأما أدلة الفريق الآخر فهي كما يلي: {من القرآن الكريم}

١- قوله تعالى: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ في أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فيه دليل صريح على جواز تصرفها في العقد بنفسها.

قال الإمام ابن رشد: فإن المفهوم منه النهي عن التثريب عليهن فيما استبددن بفعله دون أوليائهن وليس ههنا شيء يمكن أن تستبد به المرأة دون الولي إلا عقد النكاح، فظاهر هذه الآية والله أعلم أن لها أن تعقد النكاح وللأولياء الفسخ إذا لم يكن بالمعروف وهو الظاهر من الشرع إلا أن هذا لم يقل به أحد وأن يحتج ببعض ظاهر الآية على رأيهم ولا يحتج ببعضها فيه ضعف

وقد يجاب عليه بأن إضافة النكاح إليهن ليس فيه دليل على اختصاصهن بالعقد فقد يراد بالفعل اختيار زوج دون آخر.

---

(١) سنن البيهقي الكبرى - باب لا نكاح إلا بولي ٧ / ١١١، سنن الدارقطني - كتاب النكاح ٣ / ٢٢٥، مصنف ابن أبي شيبة ٣ / ٤٥٦، كتاب الأم للإمام الشافعي ٥ / ١٣

(٢) المغني لابن قدامة ٧ / ٦

(٣) سورة البقرة آية: (٢٣٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال ابن رشد: لكن الأصل هو الاختصاص إلا أن يقوم الدليل على خلاف ذلك {١}

٢- قوله تعالى: " فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ (.....)}{٢} وقوله تعالى: " أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ "{٣} فقد أضاف إليهن الفعل في الآيتين الكريمتين وأثبت لهن حق تولي العقد ومباشرته

يمكن أن يقال بأن إضافة فعل النكاح إليهن حيث إنهن المباشرات له وما العقد وما يسبقه وما يلحق به إلا حلقات توصل إلى مباشرة الحياة بين زوجين فنسبة الفعل إليها مناسب للمباشرة ولا يمنع أن يكون أيضا مناسبا لمباشرتها العقد

من السنة النبوية المطهرة:

٤- قوله - صلى الله عليه وسلم - " الأيم أحق بنفسها من وليها " {٤} يمنع أن يكون له حق في منعها العقد على نفسها كقوله - صلى الله عليه وسلم - لأم الصغير: (أنت أحق به مالم تنكحي) فنفى بذلك كله أن يكون له معها حق {٥}

ويحتمل أن يكون المراد: أحق بنفسها في الاختيار

قال القرطبي: أنها أحق بنفسها في أنه لا يعقد عليها إلا برضاها لا أنها أحق بنفسها في أن تعقد عقد النكاح على نفسها دون وليها {٦}

٥- حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: قالت جاءت فتاة إلى النبي

---

(١) بداية المجتهد ٤ / ٢١٨
(٢) سورة البقرة آية: (٢٣٠)
(٣) سورة البقرة آية: (٢٣٢)
(٤) صحيح مسلم - كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت برقم ١٤٢١ ج ٢ ص ١٠٣٧
(٥) أحكام القرآن للجصاص ٢ / ١٠٢
(٦) تفسير القرطبي ٣ / ٧٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فقالت يا رسول الله إن أبي ونعم الأب هو زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته قالت فجعل الأمر إليها فقالت إني قد اخترت ما صنع أبي ولكني أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء(١) ففيه إفادة بأن أمر الزواج في جملته لها دون وليها عدا الاستئذان المعتبر بالنصوص الأخرى، ولكن يحتمل أيضا أن يكون المراد بقولها " ليس للآباء من الأمر شيء: اختيار الزوج أو فرضه على بناتهم(؟)

الترجيح في الميزان:

وبعد هذا التطواف مع أقوال العلماء وأدلتهم أرى والله أعلم أن هذه المسألة من المسائل التي يجب أن تقدر فيها الأمور بقدرها، وأن يكون لولي أمر المسلمين الحكم فيها بما يراه مناسبا للحال حيث تباينت الأدلة وكان لكل منها وجهته التي يشير إليها والتي أخذ بها بعضهم فاعتبرها ورفض غيرها ورأى(؟) أن هذه النصوص ليست متعارضة وإنما هي متكاملة لها(؟) بينها حيث إن لكل منها واقعه الذي يطبق فيه.

ففي بلاد المسلمين وفي ظل ظهور ما يسمى بالزواج العرفي بين طلاب وطالبات المدارس الثانوية والجامعات بل والمدارس الإعدادية أيضا {٢}؛ ليس لعاقل أن يقول بأنه يجوز في مثل هذه الحال أن تزوج المرأة نفسها، وإنما الأمر هنا أمر وليها من غير إضرار بها.

---

(١) سنن ابن ماجة - باب من زوج ابنته وهي كارهة - ١ / ٦٠٢ مصباح الزجاجة لأحمد بن أبي بكر بن اسماعيل الكناني ت ٨٤٠ ه(؟) - باب من زوج ابنته وهي كارهة - ٢ / ١٠٢ وقال: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٢) كشفت إحصائية رسمية حديثة، أن عدد حالات الزواج العرفي، التي أمكن حصرها بين الطلاب والطالبات في الجامعات المصرية، بلغت نحو ١٣٠ ألف حالة.

كشفت إحصائية صدرت عن وزارة التضامن الاجتماعي أن أكثر من ٢٥٥ ألف طالب وطالبة في مصر متزوجون عرفياً، بنسبة تصل إلى ١٧ في المائة من إجمالي طلبة الجامعات، البالغ عددهم ٥.١ مليون طالب. وقالت الإحصائية إن بمصر حوالي ١٤ ألف طفل من "مجهولي النسب"، هم نتاج الزواج العرفي. تاريخ الخبر ١٥ أبريل، ٢٠٠٧ "موقع عربهم(؟) "على شبكة المعلومات. الإنترنت http://www.arabhom.com/setelsetat/15420712.htm

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وفي غير بلاد المسلمين فإن المسألة قد تبدو مختلفة نوعا ما حيث إن انعدام الولي أمر محتمل وربما لم يكن لها من يتولى أمرها ومع اختلاف العادات والطقوس والقدرات العقلية للمرأة واعتبار قبولها بالزواج وإقرارها برضاها أمرا طبيعيا ثيبا كانت أو بكرا؛ فإن الأمر ولا شك يختلف حيث يمكنها أن تعقد عقدها وأن تحدد مهرها إلخ....

ويروق لي في هذا المقام أن أسوق كلام الإمام أبي الوليد ابن رشد القرطبي المالكي في بداية المجتهد حيث قال: وأما احتجاج الفريقين من جهة المعاني فمحتمل وذلك أنه يمكن أن يقال إن الرشد إذا وجد في المرأة اكتفي به في عقد النكاح كما يكتفى به في التصرف في المال ويشبه أن يقال إن المرأة مائلة بالطبع إلى الرجال أكثر من ميلها إلى تبذير الأموال فاحتاط الشرع بأن جعلها محجوزة في هذا المعنى على التأبيد مع أن ما يلحقها من العار في إلقاء نفسها في غير موضع كفاءة ينطرق إلى أوليائها لكن يكفي في ذلك أن يكون للأولياء الفسخ أو الحسبة والمسألة محتملة كما ترى ولكن الذي يغلب على الظن أنه لو قصد الشارع اشتراط الولاية لبين جنس الأولياء وأصنافهم ومراتبهم فإن تأخر البيان عن وقت الحاجة لا يجوز فإذا كان لا يجوز عليه الصلاة والسلام تأخير البيان عن وقت الحاجة وكان عموم البلوى في هذه المسألة يقتضي أن ينقل اشتراط الولاية عنه صلى الله عليه وسلم تواترا أو قريبا من التواتر ثم لم ينقل فقد يجب أن يعتقد أحد أمرين: إما أنه ليست الولاية شرطا في صحة النكاح، وإنما للأولياء الحسبة في ذلك وإما إن كان شرطا فليس من صحتها تمييز صفات الولي وأصنافهم ومراتبهم وذلك يضعف قول من يبطل عقد الولي الأبعد مع وجود الأقرب{١}

ولا يغيب عنا أن الإمام ابن رشد مالكي المذهب غير أنه هنا ينتصف لرأي الأحناف ومن وافقهم

---

(١) بداية المجتهد ٩/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ومن ذلك أيضا ما قاله الزهري والشعبي: إذا زوجت المرأة نفسها كفوا بشاهدين فذلك نكاح جائز {١}.

ولقد حمل القائلون بمذهب الزهري وأبي حنيفة والشعبي قوله عليه السلام: [لا نكاح إلا بولي] على الكمال لا على الوجوب كما قال عليه السلام: [لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة] واستدلوا على هذا بقوله تعالى: (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) (٢) وقوله تعالى: (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) (٣) وبما روى الدارقطني عن سماك بن حرب قال: جاء رجل إلى علي رضي الله عنه فقال: امرأة أنا وليها تزوجت بغير إذني " فقال علي: ينظر فيما صنعت فإن كانت تزوجت كفوا أجزنا ذلك لها وإن كانت تزوجت من ليس لها بكفء جعلنا ذلك إليك

وبالنظر في مذهب الأحناف يتضح: أنهم لا ينفون الولاية مطلقا وإنما يجمعون بينها وبين اعتبار أهلية المرأة لإنفاذ العقود الخاصة بها سواء كانت عقودا مالية أو عقود نكاح، هذا وإن في النصوص التي اعتمد عليها الفقهاء الأجلاء من المالكية والشافعية والحنابلة احتمالا - ولو من وجه لما ذهب إليه الأحناف - ومعلوم أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال والله أعلم{٤}.

---

(١) التمهيد لابن عبد البر ١٩ / ٩٠

(٢) سورة البقرة آية: (٢٣٤).

(٣) سورة البقرة آية: (٢٣٤)

(٤) وينظر في هذه المسألة أيضا منهج السنة في الزواج ط: د / محمد الأحمدي أبو النور، أمور لا بد منها في الزواج - ص ٨٧: ١٣٨ ط دار السلام الطبعة الخامسة ١٩٩٦ ه(؟)، اختيارات الحافظ بن حجر الفقهية في الأحوال الشخصية والجنايات والحدود والأقضية جمع ودراسة مقارنة - رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في الفقه الإسلامي المقارن من المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأحوال الشخصية للإمام محمد أبو زهرة ص ١٠٦ وما بعدها ط دار الفكر العربي القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٥٧ م

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حكم الإشهاد على الرجعة

يقول الله تعالى: فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قوله تعالى: { وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ } هذا خطاب للأزواج والمأمور به هو الإشهاد على الرجعة عند الجمهور وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين في المذهب

وقال ابن عباس هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة{٢}، وهذا أظهر لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق{٣}

الأقوال كما عرضها الإمام ابن جزي:

١- أن الإشهاد على الرجعة واجب وأنها لا تصح بدونه وهو مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في أحد قوليه {٤} ونسبه الإمام السمعاني إلى طاوس من التابعين{٥} وبه قال - من المفسرين - الإمام ابن عطية، وأباح للمرأة أن تمنع نفسها من زوجها حتى يشهد على الرجعة {٦}

---

(١) سورة الطلاق آية: (٢).

(٢) عن ابن عباس، قال: إن أراد مراجعتها قبل أن تنقضي عدتها، أشهد رجلين كما قال الله (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) عند الطلاق وعند المراجعة تفسير الطبري ٢٨ / ١٣٧،

(٣) التسهيل ٤ / ١٢٥

(٤) قال الإمام الشيرازي في المهذب ٢/ص١٠٣ فيه قولان أحدهما يجب لقوله عز وجل فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم، ولأنه استباحة بضع مقصود فلم يصح من غير إشهاد كالنكاح والثاني أنه مستحب لأنه لا يفتقر إلى الولي فلم يفتقر إلى الإشهاد كالبيع، وينظر تفسير ابن كثير ٤ / ٣٨٠،

(٥) تفسير السمعاني ٥ / ٤٦١

(٦) قال ابن عطية في المحرر الوجيز: وقوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم يريد على الرجعة وذلك شرط في صحة الرجعة وللمرأة منع الزوج من نفسها حتى يشهد (المحرر الوجيز ٥ / ٣٢٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- أن الإشهاد على الرجعة مستحب وتصح بدونه وعليه أكثر أهل العلم {١}

الترجيح في الميزان:

اعتمد القائلون بأن الإشهاد على الرجعة واجب على أدلة منها:

١- أن ظاهر اللفظ ينطق به حيث الأمر في الآية للوجوب وهو مذهب الإمام الشافعي في أن صيغة الأمر تفيد الوجوب فقط{٢}

وقال عطاء: لا يجوز بين(؟) نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدا عدل كما قال الله عز وجل " وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ " إلا أن يكون من عذر {٣}

٢- أن الإشهاد لازم حتى لا يقع بينهما التجاحد وألا يتهم في امساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث {٤}

ويجاب عليهم في ذلك بأن:

١- صيغة الأمر لا يقتصر دلالتها على محض الوجوب وإنما تشمل وجوها أخر:

قال الإمام البزدوي في كشف الأسرار: واعْلَمْ أَنَّ صِيغَةَ الْأَمْرِ اسْتُعْمِلَتْ لِوُجُوهٍ وَالْمَشْهُورُ منها ثَمَانِيَةَ عَشَرَ وَجْهًا، لِلْوُجُوبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } (٥) وَلِلنَّدْبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا }(٦)، وَلِلْإِرْشَادِ إِلَى الْأَوْثَقِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ } { وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ }(٧)، وَلِلْإِبَاحَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ

---

(١) تفسير السمعاني ٥ / ٤٦١، تفسير القرطبي ١٨ / ١٥٧
(٢) التقرير والتحبير - مسألة حقيقة الأمر خاص في الوجوب - ١ / ٣٧٤
(٣) الدر المنثور ٨ / ١٩٤، تفسير ابن كثير ٤ / ٣٨٠
(٤) تفسير القرطبي ١٨ / ١٥٧
(٥) سورة البقرة آية: (٤٣).
(٦) سورة النور آية (٣٣).
(٧) سورة البقرة آية: (٢٨٢).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

عَلَيْهِ.....) (١) وَلِلْإِكْرَامِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ } (٢)، وَلِلِامْتِنَانِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ } (٣)، وَلِلْإِهَانَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ }(٤)، وَلِلتَّسْوِيَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ } (٥)، وَلِلتَّعَجُّبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ } (٦) أَيْ: مَا أَسْمَعَهُمْ وَمَا أَبْصَرَهُمْ، وَلِلتَّكْوِينِ وَكَمَالِ الْقُدْرَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { كُنْ فَيَكُونُ } (٧)، وَلِلِاحْتِقَارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ } (٨)، وَلِلِاخْتِبَارِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (٩)، وَلِلتَّهْدِيدِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (١٠) وَ { وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ } (١١)، وَيَقْرُبُ مِنْهُ الْإِنْذَارُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ } (١٢)، وَإِنْ كَانَ قَدْ جَعَلُوهُ قِسْمًا آخَرَ، وَلِلتَّعْجِيزِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ } (١٣)، وَلِلتَّسْخِيرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى { كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ } (١٤)، وَلِلتَّأْدِيبِ كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ

---

(١) سورة المائدة آية: (٤).
(٢) سورة الحجر آية: (٤٦).
(٣) سورة الأنعام آية: (١٤٢).
(٤) سورة الدخان آية: (٤٩).
(٥) سورة الطور آية: (١٦).
(٦) سورة مريم آية: (٣٨).
(٧) سورة البقرة آية: (١١٧).
(٨) سورة يونس آية: (٨٠).
(٩) سورة التوبة آية: (٨٢).
(١٠) سورة فصلت آية: (٤٠).
(١١) سورة الإسراء آية: (٦٤).
(١٢) سورة إبراهيم آية: (٣٠).
(١٣) سورة البقرة آية: (٢٣).
(١٤) سورة البقرة آية: (٦٥).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

السَّلَامُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا { كُلْ مِمَّا يَلِيكَ } (١)، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ النَّدْبِ إِلَّا أَنَّ النَّدْبَ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ، وَلِلدُّعَاءِ كَقَوْلِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي {٢}

وعليه فمقتضى صيغة الأمر هنا في قوله تعالى: { وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ } الاستحباب ويؤيد هذا عدم جريان العمل بالتزامه بين المسلمين في عصر الصحابة وعصور أهل العلم، وقياسه بالبيع فإنهم اتفقوا على عدم وجوبه

وإن كان قياس الطلاق والرجعة على البيع قد يقدح فيه بوجود فارق معتبر وهو خطر الطلاق والمراجعة وأهمية ما يترتب عليهما من الخصومات بين الأسباب(؟)، وما في البيوعات مما يغني عن الإشهاد وهو التقابض في الأعراض{٣}

٢- وأما قول عطاء فيقابله ما رُوِيَ عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ وَطَاوُسٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَأَبُو قِلَابَةَ أَنَّهُ إِذَا رَاجَعَ ولَمْ يُشْهِدْ فَالرَّجْعَةُ صَحِيحَةٌ يُشْهِدُ بَعْدَ ذَلِكَ{٤}. وقول عطاء مَحْمُولٌ على أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالْإِشْهَادِ على ذلك احْتِيَاطًا مِنَ التجاحد لَا على أَنَّ الرَّجْعَةَ لَا تَصِحُّ بِغَيْرِ شُهُودٍ

٣- وأما القول بأن الإشهاد لازم لسد ذريعة الإمساك أو التوارث أو إنكار المرأة للزوجية بعد العدة فذلك دواع استند إليها من قال بالندب فقد اتفق الجميع على أن هذا الإشهاد ليس شرطا في صحة المراجعة أو المفارقة لأنه إنما شرع احتياطا لحقهما وتجنبا لنوازل الخصومات خوفا من أن يموت فتدعي أنها زوجة لم تطلق، أو أن تموت هي فيدعي هو ذلك، وكأنهم بنوه على أن الأمر لا

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأطعمة / باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ٥/ ٢٠٥٦ رقم: (٥٠٦١) صحيح مسلم كتاب الأشربة / باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ١٥٩٩/٣ رقم: (٢٠٢٢).
(٢) كشف الأسرار - باب موجب الأمر - ١ / ١٦٣ ينظر أيضا أصول الفقه لفضيلة الشيخ / محمد الخضري بك ص ١٩٣ - ط دار الفكر الطبعة السابعة ١٩٨١م
(٣) التحرير والتنوير ١٥ / ١٤٧
(٤) أحكام القرآن للجصاص - باب الإشهاد على الرجعة ٥ / ٣٥٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يقتضي الفور، على أن جعل الشيء شرطاً لغيره يحتاج إلى دليل خاص غير دليل الوجوب لأنه قد يتحقق الإثم بتركه ولا يبطل ما(؟) أمر بإيقاعه معه مثل الصلاة في الأرض المغصوبة، وبالثوب المغصوب {١}

وعليه فالرجعة بغير إشهاد صحيحة وإن كانت على خلاف السنة ويؤيده ما رواه أبو داود وابن ماجة، عن عمران {٣} بن حُصَيْنٍ: أنه سُئِلَ عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال: طَلَّقْتَ لِغَيرِ سنة، ورجعت لغير سنة، وأشهِدْ على طلاقها وعلى رجعتها، ولا تَعُدْ {٢}

وأَيْضًا لَمَّا كانت الْفُرْقَةُ حَقًّا له وَجَازَتْ بِغَيْرِ إشْهَادٍ إذْ لَا يُحْتَاجُ فيها إلى رِضَا غَيْرِهِ وَكَانَتْ الرَّجْعَةُ أَيْضًا حَقًّا لَهُ، وَجَبَ أَنْ تَجُورَ بِغَيْرِ إشْهَادٍ

وبالذي قلت أنا قال جمع من المفسرين منهم: الإمام الشوكاني {٣}، والإمام أبو السعود {٤}، البيضاوي{٥}، السمرقندي {٦}، الآلوسي{٧}

وقال الإمام الرازي في المحصول: لفظة " إفعل " حقيقة في الترجيح المانع من التناقض {٨} ولست أرى هنا تناقضا حيث الأمر بين القائلين بالوجوب أو الندب وليس فيهم من يمنعه

---

(١) التحرير والتنوير ١٥ / ١٤٧
(٢) سنن أبي داود - كتاب الطلاق، باب الرجل يراجع ولا يشهد برقم ٢١٨٦(؟)، ٢٥٧ / ٢، المحرر في الحديث لابن قدامة المقدسي - كتاب الرجعة والإيلاء والظهار ١ / ٥٧٣، وقال: ورواه ثقات مخرج لهم في الصحيح.
(٣) فتح القدير للشوكاني ٢٤٠/٧(؟)
(٤) تفسير أبي السعود ٨ / ٢٦١
(٥) تفسير البيضاوي ٥ / ٣٤٩
(٦) تفسير السمرقندي ٣ / ٤٣٨
(٧) روح المعاني ٢٨ / ١٣٤
(٨) المحصول للرازي ٢ / ٧٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

مدة تسليم الدية

يقول الله تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: " فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ " مدة تسليم الدية

واختلف في مدة تسليمها فقيل: هي حالة عليهم، وقيل: يؤدونها في ثلاث سنين، وقيل: في أربع، ولفظ التسليم مطلق وهو أظهر في الحلول لولا ما جاء في السنة في ذلك {٢}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أن تسليم الدية على الفور.

٢- أن تسليم الدية يمتد وقته إلى ثلاث سنوات أو أربع

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي هنا أن وقت تسليم الدية يمتد وقته إلى ثلاث سنوات واعتمد في ترجيحه على ما ورد في السنة من فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جعل الدية في ثلاث سنين، وثلثي الدية في سنتين، ونصف الدية في سنتين وثلث الدية في سنة {٣}

---

(١) سورة النساء آية: (٩٢).

(٢) التسهيل ١ / ١٥١

(٣) موطأ مالك - كتاب العقول باب العمل في الدية - ٢ / ٨٥٠، السنن الصغرى للبيهقي - باب العاقلة - ج ٧ ص ٨، مصنف ابن أبي شيبة - الدية في كم تؤدى - ٥ / ٤٠٦، مصنف عبد الرزاق - باب في كم تؤخذ الدية ٩ / ٤٢٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وهو قول راجح قال به أئمة العلم وتحقق فيه الإجماع {١}

قال الجصاص: اسْتَفَاضَ ذلك عَنْ عُمَرَ ولَمْ يُخَالِفْهُ أَحَدٌ مِنْ السَّلَفِ واتَّفَقَ فُقَهَاءُ الْأَمْصَارِ عَلَيْهِ فَصَارَ إجْمَاعًا لَا يُسَعُ خِلَافُهُ{٢}.

وقال الشنقيطي في أضواء البيان: إن عمر وعليا رضي الله عنهما جعلا دية الخطأ على العاقلة في ثلاث سنين، ولا نعرف لهما في الصحابة مخالفاً. فاتبعهم على ذلك أهل العلم، ومثل هذا يسمى إجماعاً سكوتياً{٣}

حكمة كونها في ثلاث سنين:

وكونها مُؤَجَّلَةً في ثَلَاثَةِ أَعْوَامٍ؛ لِأَنَّ الْإِبِلَ قد تَكُونُ في وَقْتِ الْوُجُوبِ حَوَامِلَ فَيَضُرُّ بِهِ(؟)، وَلَا يَجُوزُ الْعُدُولُ إلَى غَيْرِ مَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِيهِ تَكُونُ في السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لَوَابِنَ(؟)، وَوَجَبَتْ مُوَاسَاةً وَرِفْقًا، فَتُؤْخَذُ منها بِذَلِكَ { وَكَانَ النبي صلى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ يُعْطِيهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً لْأَغْرَاضٍ }: منها أَنَّهُ كان يُعْطِيهَا صُلْحًا وَتَسْدِيدًا.

ومنها أَنَّهُ كان يُعَجِّلُهَا تَأْلِيفًا، فَلَمَّا وَجَدَ الْإِسْلَام(؟) الصَّحَابَةِ قَرَّرَتْهَا عَلَى هذا النِّظَامِ. {٤}

وقال الكاساني: فإنَّهُ رُوِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ رضي اللَّهُ عنه قَضَى بِذَلِكَ بِمَحْضَرٍ من الصَّحَابَةِ رضي اللَّهُ عَنْهُمْ، ولَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ خَالَفَهُ أَحَدٌ فَيَكُونُ إجْمَاعًا{٥}.

وبهذا يتضح رجحان قول الإمام ابن جزي رحمه الله من أن وقت تسليم الدية يمتد إلى ثلاث سنوات فهو الرأي الذي تؤيده الأدلة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والله أعلم.

---

(١) سنن الترمذي - كتاب الديات، باب ما جاء في الدية كم هي؟ ٤ / ١٠، تحفة الأحوذي - باب ما جاء في الدية كم هي من الإبل ٤ / ٥٣٦.
(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣ / ١٩٥
(٣) أضواء البيان ٣ / ١١٠
(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١ / ٦٠١
(٥) بدائع الصنائع ٧ / ٢٥٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الثالث

ترجيحات الإمام ابن جزي في مسائل اللغة

أحمد محمد علي أبوسيف — «ترجيحات الإمام ابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل» (رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هل الإسم من السمو أم من السمة؟

قوله تعالى " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

الاسم مشتق من السمو عند البصريين فلامه واو محذوفه وعند الكوفيين مشتق من السمة وهي العلامة ففاؤه محذوفة ودليل البصريين التصغير والتكبير لأنهما يردان الكلمات إلى أصولها وقول الكوفيين أظهر في المعنى لأن الاسم علامة على المسمى

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أن اشتقاق لفظ الإسم من السمة

٢- أن اشتقاق لفظ الاسم من السمو وهو قول الزجاج (٢)

الترجيح في الميزان

أورد الإمام ابن جزي في هذه المسألة قول كل من الكوفيين والبصريين وأثبت العلة عند كل منهما وذهب إلى أن أصل اشتقاق لفظ الاسم من السمة أرجح في المعنى ولم يرجح بينهما في أصل الاشتقاق - وإن كان قد قدم قول البصريين وفي ذلك دلالة على أنه الأولى عنده كما بان ذلك في مقدمة تفسيره عند عرض منهجه في الترجيح -(٣)

وعلى ذلك فالمسألة على شقين:

الأول: أصل الاشتقاق وقد رجح فيه ابن جزي قول البصريين، وهو المعتد في المسألة من حيث الاشتقاق

قال أبو إسحاق- الزجاج -: ومعنى قولنا: اسمٌ هو مشتقٌ من السُّمُوّ، وهو

---

(١) الآية ١ من سورة الفاتحة
(٢) ينظر في هذه الأقوال تهذيب اللغة للأزهري ١٣ / ٧٩،. الصاحبي في فقه اللغة اسم المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى: ٣٩٥هـ) ١ / ١٨، بدون طبعة.
(٣) التسهيل ١ / ٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الرِّفعة، والأصل فيه سِمْوٌ بالواو، وجمعه أسْماء، مثل قِنْوٍ وأقْنَاء، وإنما جُعل الاسم تنويهاً على الدّلالة على المعنى؛ لأنّ المعنى تحت الاسم

قال: ومن قال: إنّ اسماً مأخوذٌ من وَسَمْتُ، فهو غلطٌ؛ لأنّه لو كان اسمٌ من سِمَةٍ لكان تصغيره وُسَيْماً مثل تصغير عِدَةٍ وصِلَةٍ، وما أشبههما (١).

الثاني: من جهة المعنى وقد رجح فيه الإمام ابن جزي أن الاسم يدل على المسمى

قال المبرد: الاسمُ رَسْمٌ وَسِمَةٌ يُوضَعُ على الشيءِ يُعرَف به (٢).

وذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات: أن الاسم هو المسمى وقال قول جمهور أهل اللغة(٣)

وأرى أن ابن سيده قد جمع بين الأمرين حين قال: قيل في اشتقاق اسم قولان: إنه مشتق من السُّمُوّ، والثاني من السِّمَةِ والأول الصحيح من قبل أن من جمعه أسماءً على رَدِّ لام الفعل وكذلك تصغيره سُمَيٌّ ولأنه لا يُعْرَفُ لشيءٍ إذا حذفت فاؤه دخله ألف الوصل إنما تدخله تاء التأنيث كالزِّنَةِ والعِدَةِ والصِّفَةِ وما أشبه ذلك وقال سَمَا يَسْمُو {إذا} عَلَا ومنه السماءُ والسَّمَاوَة(؟) وكأنه قيل اسمٌ أي ما عَلَا وَظَهَرَ فصار عَلَمًا للدلالة على ما تحته من المعنى ونظير الاسم السِّمَةُ والعلامةُ{٤}

وبهذا يتبين رجحان ما ذهب إليه الإمام ابن جزي في كلا القولين له من حيث أصل الاشتقاق ودلالة المعنى - والله أعلم -

---

(١) ينظر في ذلك: أسرار العربية للإمام أبي البركات الأنباري ١ / ٣٢، دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. فخر صالح قدارة ومسائل خلافية في النحو لأبي البقاء العكبري ١ / ٥٩، ولسان العرب لابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ١٤ / ٤٠١(؟)، والنكت والعيون للماوردي: ١ / ٤٨

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ١٣ / ٧٩.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات اسم المؤلف: محي الدين بن شرف النووي الوفاة ٧٦٧(؟) ه، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٩٩٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات

(٤) المخصص لابن سيده، أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ٥ / ٢١٥ ت ٤٥٨ ه تحقيق: خليل إبراهم جفال

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

متعلق لعلكم في قوله تعالى " لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "

قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١)

قال الإمام ابن جزى: قوله (لعلكم) يتعلق ب(خلقكم) أي خلقكم لتتقوه كقوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أو بفعل مقدر من معنى الكلام أي دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم تتقون وهذا أحسن وقيل يتعلق بقوله اعبدوا وهذا ضعيف وإن كانت لعل للترجي فتأويله أنه في حق المخلوقين جريا على عادة كلام العرب وإن كانت للمقاربة أو التعليل فلا إشكال، والأظهر فيها أنها لمقاربة الأمر نحو عسى فإذا قالها الله فمعناها أطباع(؟) العباد وهكذا القول فيها حيث ما وردت في كلام الله تعالى {٢}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزى:

١- قوله (لعلكم) يتعلق ب(خلقكم).

٢ - قوله (لعلكم) متعلق بفعل مقدر من معنى الكلام.

الترجيح فى الميزان:

رجح الإمام ابن جزى رحمه الله القول الثانى وهو أن قوله (لعلكم) يتعلق بفعل مقدر، والمعنى: دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم، وأرى أن لهذا الترجيح سند حيث تؤيده قاعدتان من قواعد الترجيح

الأولى: (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف){٣}

الثانية: (يجب حمل كلام الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع)

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١.
(٢) التسهيل ١ / ٤٠
(٣) قواعد الترجيح ١ / ٦٤٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقد قال في ذلك القرطبى: قوله تعالى: (لعلكم تتقون) " لعل " متصلة باعبدوا(؟) لا بخلقكم، لان من ذرأه الله لجهنم لم يخلقه ليتقي. وهذا وما كان مثله فيما ورد في كلام الله تعالى نحو: " لعلكم تعقلون، لعلكم تشكرون، لعلكم تذكرون، لعلكم تهتدون " فيه ثلاث تأويلات.

الأول: أن " لعل " على بابها من الترجي والتوقع، والترجي والتوقع إنما هو في حيز البشر؛ فكأنه قيل لهم: افعلوا ذلك على الرجاء منكم والطمع أن تعقلوا وأن تذكروا وأن تتقوا.

هذا قول سيبويه ورؤساء اللسان قال سيبويه في قوله عزوجل: " اذهبا إلى فرعون إنه طغى:

فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى " {١} قال معناه: اذهبا على طمعكما ورجائكما أن يتذكر أو يخشى. واختار هذا الأستاذ أبو المعالي.

الثاني - أن العرب استعملت " لعل " مجردة من الشك بمعنى لام كي. فالمعنى لتعقلوا ولتذكروا ولتتقوا.

الثالث: أن تكون " لعل " بمعنى التعرض للشيء؛ كأنه قيل: افعلوا ذلك متعرضين لان تعقلوا، أو لان تذكروا أو لان تتقوا. والمعنى في قوله " لعلكم تتقون " أي لعلكم أن تجعلوا بقبول ما أمركم الله به وقاية بينكم وبين النار. وهذا من قول العرب: اتقاه بحقه إذا استقبله به، فكأنه جعل دفعه حقه إليه وقاية له من المطالبة، ومنه قول علي رضي الله عنه: كنا إذا احمر البأس اتقينا بالنبي صلى الله عليه وسلم، أي جعلناه وقاية لنا من العدو.

وقال ابن عاشور (٢): وجملة: { لعلكم تتقون } تعليل للأمر باعبدوا فلذلك فصلت، أي أمركم بعبادته لرجاء منكم أن تتقوا.ولعل" حرف يدل على الرجاء، والرجاء هو الإخبار عن تهيىء وقوع أمر في المستقبل وقوعاً مؤكداً، فتبين أن

---

(١) [طه: ٤٣ - ٤٤]
(٢) التحرير والتنوير ١ / ٣٢٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لعل حرف خبري مدلوله أنّها إخبار عن تأكد حصول الشيء ومعناها مركب من رجاء المتكلم في المخاطب وهو معنى جزئي حرفي.

وأختم القول في هذه المسألة بما ذكره ابن عاشور في سبب اختلاف المفسرين في متعلق لعل بقوله: وقد شاع عند المفسرين وأهل العلوم الحيرة في محمل لعل الواقعة من كلام الله تعالى لأن معنى الترجي يقتضي عدم الجزم بوقوع المرجو عند المتكلم فالشك(؟) جانب في معناها حتى قال الجوهري: "لعل كلمة شك" وهذا لا يناسب علم الله تعالى بأحوال الأشياء قبل وقوعها وكذا(؟) لأنها قد وردت في إخبار مع عدم حصول المرجو لقوله تعالى: ولقد أَخَذْنَا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون(١) مع أنهم لم يتذكروا كما بينته الآيات من بعد.

ولهم في تأويل لعل الواقعة في كلام الله تعالى وجوه:

أحدها: قال سيبويه: «لعل على بابها من الترجي أو التوقع إنما هو في حيز المخاطبين أ. ه "، يعني أنها للإخبار بأن المخاطب يكون مرجوا، واختاره الرضي قائلاً لأن الأصل أن لا تخرج عن معناها بالكلية

وأقول لا يعني سيبويه أن ذلك المعنى أصل لها ولكنه يعني أنها مجاز قريب من معنى الحقيقة لوقوع التجوز(؟) في أحد جزأي المعنى الحقيقي لأن الرجاء يقتضي راجياً ومرجواً منه فحرف الرجاء على معنى فعل الرجاء إلا أنه معنى جزئي، وكل من الفاعل والمفعول مدلول لمعنى الفعل بالالتزام، فإذا دلت قرينة على تعطيل دلالة حرف الرجاء على فاعل الرجاء لم يكن في الحرف أو الفعل تجوز(؟)، إذ المجاز إنما يتطرق للمدلولات اللغوية لا العقلية وكذلك إذا لم يحصل الفعل المرجو

ثانيها: أن لعل للإطماع تقول للقاصد لعلك تنال بغيتك، قال الزمخشري: «وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن»

---

(١) [الأعراف: ١٣٠]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الإطماع أيضاً معنى مجازي للرجاء لأن الرجاء يلزمه التقريب والتقريب يستلزم الإطماع فالإطماع لازم بمرتبتين:

ثالثها: أنها للتعليل بمعنى كي قاله قطرب وأبو علي الفارسي وابن الأنباري؛ وأحسب أن مرادهم هذا المعنى في المواقع التي لا يظهر فيها معنى الرجاء، فلا يرد عليهم أنه لا يطرد في نحو قوله: (وما يدريك لعل الساعة قريب)(١) لصحة معنى الرجاء بالنسبة للمخاطب ولا يرد عليهم أيضاً أنه لإثبات معنى في لعل لا يوجد له شاهد من كلام العرب وجعله الزمخشري قولاً متفرعاً على قول من جعلها للإطماع فقال: «ولأنه إطماع من كريم إذا أطمع فعل» قال من قال: إن لعل بمعنى كي، يعني فهو معنى مجازي ناشيء عن مجاز آخر، فهو من تركيب المجاز على اللزوم بثلاث مراتب.

رابعها: ما ذهب إليه صاحب «الكشاف» أنها استعارة فقال: «لعل واقعة في الآية موقع المجاز لأن الله تعالى خلق عباده ليتعبدهم ووضع في أيديهم زمام الاختيار وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجى بين أن يفعل وأن لا يفعل(٢).

---

(١) [الشورى: ١٧]

(٢) التحرير والتنوير ١ / ٣٢٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

مرجع الضمير في قوله " فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ "

قوله تعالى وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(١)

قال الإمام ابن جزى رحمه الله:

إن الضمير في قوله (من مثله.....) عائد على ما أنزلنا وهو القرآن ومن لبيان الجنس وقيل: يعود على النبي صلى الله عليه وسلم فمن على هذا لابتداء الغاية من بشر مثله والأول أرجح لتعيينه في يونس وهود وبمعنى مثله في فصاحته وفيما تضمنه من العلوم والحكم العجيبة والبراهين الواضحة

الأقوال كما ذكرها ابن جزى:

١- الضمير في (مثله) يعود على القرآن.

٢- الضمير في (مثله) يعود على النبي صلى اللله عليه وسلم.

الترجيح فى الميزان:

رجح الإمام ابن جزى أن عود الضمير فى قوله تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)) - على القرآن الكريم، وليس على محمد (- صلى الله عليه وسلم -) - الكائن في قوله تعالى: ((على عبدنا)). والقول بعود الضمير على القرآن، هو قول أكابر الصحابة، كعمر، وابن مسعود، وابن عباس، وغيرهم. ومن هنا فهذا الترجيح سديد وموفق، حيث يشهد لصحته قاعدتان من قواعد الترجيح:

الأولى: تفسير السلف وفهمهم النصوص الوحي(؟) حجة على من بعدهم(٢)

والثانية: إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره(٣)

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٣)
(٢) الفتاوى (٣٦١/١٣ - ٣٦٢)، وجامع البيان (٢٩/ ٣٣).
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٠٣/١).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فإذا عاد ضمير في سياق قرآني، وتعددت الاحتمالات في مرجعه، فرجوعه إلى المحدث عنه في السياق أولى من رجوعه إلى غيره؛ لأنه هو المقصود بالكلام، وإليه يتجه الخطاب. أه(١)

القاعدة الثالثة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك(٢)

فإذا تنازع المفسرون في تفسير آية من كتاب الله، وكان أحد الأقوال تؤيده آية أو آيات أخري، فهو أولى بحمل الآية عليه؛ لأن تأييد القرآن له يدل على صحته واستقامته. أه(٣)

وقد وردت آيات واردة في باب التحدي - أعني تحدى القرآن للعرب الفصحاء أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور منه، أو بمثل آية - فهذه الآيات والتي بعدها صريحة في التحدي بالقرآن، حيث قالوا كما حكى القرآن: ((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))(٤)

فهذه الآية والتي قبلها والتي بعدها. نص صريح في الحديث عن القرآن، وأنه ليس من عند محمد (- صلى الله عليه وسلم -) وإنما هو من عند الله سبحانه وتعالى، ومن أنكر ذلك فليأت بمثله.

قال الإمام ابن عطية: واختلف المتأولون على من يعود الضمير في قوله تعالى: ((من مثله))،فقال الجمهور: هو عائد على القرآن.أه(٥)

قلت: هذا الترجيح سديد وموفق، لأنه بالإضافة إلى ما ذكرت من قواعد، هو قول جمهور المفسرين وهذا مما يقويه ويرجحه. كما أشار إلى ذلك ابن عطية وغيره.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣١٢/١).
(٣) أضواء البيان (٨/٢)، والإتقان (٢٢٦/٢).
(٤) الآيات (٣٧ - ٤٠) من سورة يونس.
(٥) المحرر الوجيز (١٠٦/١)، والجامع لأحكام القرآن (٧٥/١) تفسير ابن كثير (٦٠/١).
تفريغ الصفحات ٢٣٠-٢٧٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون(١)

قال الإمام ابن جزي:

(وتكتمون...) معطوف على النهي أو منصوب بإضمار أن في جواب النهي، والواو بمعنى الجمع والأول أرجح لأن العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين بخلاف النصب بالواو فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين لا النهي عن كل واحد على انفراده (٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

(١) قوله (تكتمون) معطوف على النهي.

(٢) منصوب بإضمار أن في جواب النهي.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن قوله تعالى "وتكتمون الحق" معطوف على النهي

وهو ترجيح سديد لذات العلة التي أوردها الإمام ابن جزي في قوله "والأول أرجح لأن العطف يقتضي النهي عن كل واحد من الفعلين بخلاف النصب بالواو فإنه إنما يقتضي النهي عن الجمع بين الشيئين لا النهي عن كل واحد على انفراده"

وأيده في ذلك من المفسرين:

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: ولم تكتمون، يا أهل الكتاب، الحق و"الحق" الذي كتموه: ما في كتبهم من نعت محمد - صلى الله عليه وسلم - وبعثه ونبوته.(٣)

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧١.
(٢) التسهيل ١ / ٤٦.
(٣) جامع البيان ٣ / ٣١٠.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وفي تنوير المقباس لابن عباس: "يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل" لم تخلطون الباطل مع الحق في كتابكم صفة محمد "وتكتمون الحق" ولم تكتمون صفة محمد ونعته(١)

قوله تعالى: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا(٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
قوله (إنه كان فاحشة ومقتا) كان في هذه الآية تقتضي الدوام، كقوله "إن الله كان غفورا رحيما" وشبه ذلك، وقال المبرد: هي زائدة وذلك خطأ لوجود خبرها منصوبا(٣)
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:
١- كان قوله (إنه كان فاحشة ومقتا): تقتضي الدوام لوجود خبرها منصوبا.
٢- كان في قوله (إنه كان فاحشة ومقتا) زائدة.
الترجيح في الميزان:
رجح الإمام ابن جزي رحمه الله القول الأول وهذا الترجيح سديد لموافقته السياق القرآني العام، والقاعدة أن "حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك"(٤)
وأرى أن الآية هنا في سياق الحديث عن الأحكام الشرعية التي تستوجب الثبات والدوام، فدل ذلك أيضا على أن "كان" في الآية الكريمة تفيد الدوام والثبات
(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١ / ٤٩.
(٢) سورة النساء الآية ٢٢.
(٣) التسهيل ١٣٤، ١٣٥
(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٧٢).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا (٩٠)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: قوله " أو جاؤكم حصرت صدورهم " عطف على يصلون أو على صفة قوم وهي " بينكم وبينهم ميثاق " والمعنى يختلف باختلاف ذلك والأول أظهر(١)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

قوله " أو جاؤكم حصرت صدورهم " عطف على يصلون

قوله " أو جاؤكم حصرت صدورهم " عطف على صفة قوم وهي " بينكم وبينهم ميثاق "

الترجيح في الميزان:

بين الإمام ابن عادل رجحان ما ذهب إليه الإمام ابن جزي في قوله:

قوله: «أو جاءوكم» فيه وجهان: أظهرهما: أنه عطف على الصلة، كأنه قيل: أو إلا الذين جاءوكم حصرت صدورهم، فيكون التقدير: إلا الذين يصلون بالمعاهدين، أو الذين حصرت صدورهم فليقاتلوكم(؟)، فيكون المستثنى صنفين من الناس: أحدهما: واصلٌ إلى قوم معاهدين، والآخر من جاء غير مقاتل للمسلمين ولا لقومه.

والثاني: أنه عطفٌ على صفة «قوم» وهي قوله: فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم بعد قوله: فخذوهم واقتلوهم فقرر أن كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم، وترك الإيقاع بهم، فإن قلت: كل واحد من الاتصالين له تأثير في صحة الاستثناء، واستحقاق ترك التعرض للاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين، فهلا جوزت أن يكون العطف على صفة «قوم»

---

(١) التسهيل ١ / ١٥٠.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ويكون قوله: «فإن اعتزلوكم» تقريراً لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم، وحربهم على قومهم؟ قلت: هو جائزٌ، ولكن الأول أظهر، وأجرى على أسلوب الكلام«. انتهى

وإنما كان أظهر لوجهين:

أحدهما: من جهة الصناعة، والثاني: من جهة المعنى.

أما الأول: فلأن عطفه على الصلة لكون النسبة فيه إسنادية، وذلك أن المستثنى محدث عنه محكوم له، بخلاف حكم المستثنى منه، فإذا قدرت العطف على الصلة، كان محدثا عنه بما عطفته، بخلاف ما إذا عطفته على الصفة، فإنه يكون تقييدا في "قوم" الذين هم قيد في الصلة المحدث عن صاحبها، ومتى دار الأمر بين أن تكون النسبة إسنادية وبين أن تكون تقييدية، كان جعلها إسنادية أولى لاستقلالها.

والثاني من جهة المعنى: وذلك أن العطف على الصلة يؤدي أن سبب ترك التعرض لهم تركهم القتال ونهيهم عنه، وهذا سبب قريب، والعطف على الصفة يؤدي إلى أن سبب ترك التعرض لهم، وصولهم إلى قوم كافين عن القتال، وهذا سبب بعيد، وإذا دار الأمر بين سبب قريب وآخر بعيد، فاعتبار القريب أولى"(١).

وقال الرازي: حصرت صدورهم نصب لأنه صفة لموصوف منصوب على الحال، إلا أنه حذف الموصوف المنتصب على الحال، وأقيمت صفته مقامه(٢)

وبهذا يتبين رجحان ما ذهب إليه الإمام ابن جزي في هذه المسألة - والله أعلم -

---

(١) تفسير اللباب ٦ / ٥٥١، وينظر البحر المحيط ٣ / ٣٢٩.
(٢) تفسير الرازي ١٠ / ١٧٨.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون(١)

قال الإمام ابن جزي: قوله (كثير منهم) بدل من الضمير أو فاعل على لغة أكلوني البراغيث(٢) والبدل أرجح وأفصح(٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

قوله (كثير منهم) بدل من الضمير

قوله (كثير منهم) فاعل على لغة أكلوني البراغيث

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة أن البدل أرجح وأفصح وهو الأشهر في لغة العرب، والقاعدة الترجيحية أنه "يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة"(٤)

وقد فصل ابن عادل في اللباب الأقوال في هذه المسألة بقوله:

---

(١) سورة المائدة الآية ٧١

(٢) لغة (أكلوني البراغيث) هي لغة "طيء وبلحارث بن كعب إحدى لغات العرب المشهورة بالفصاحة، ومنه قوله تعالى "ثم عموا وصموا كثير منهم" - المائدة٧١ - "وأسروا النجوى الذين ظلموا" - الأنبياء٣ - والضمير المتصل بالفعل في هذه الحالة له وجهان من الناحية الإعرابية:
الوجه الأول: اعتبار أن الضمير المتصل بالفعل لا عمل له، وإنما يأتي للدلالة على الجمع أو التثنية فقط أي أن ذوي "لغة أكلوني البراغيث" لا يعتبرونه فاعلا، بل يكون الفاعل في هذه الحالة الكلمة الواقعة بعد الفعل. الوجه الثاني: هو الوجه المعروف، وهو أن الضمير المتصل بالفعل في هذه الحالة يكون محل رفع فاعل والكلمة التي بعده توكيد لفظي، وفي الآية القرآنية: وأسروا النجوى الذين ظلموا الواو في الكلمة "أسروا": إما أنه لا عمل له عند أهل لغة "أكلوني البراغيث"، أو أنه في محل رفع فاعل عند غيرهم وينظر في ذلك: علل النحو لأبي الحسن الوراق ٣٢٥ه ١ / ٢٧٣، سر صناعة الإعراب لابن جني ٢ / ٦٢٩، فقه اللغة للثعالبي ١ / ٧٤.

(٣) التسهيل ١ / ١٨٣

(٤) قواعد الترجيح ١ / ٦٤٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: ثم عموا وصموا كثير منهم في هذا التركيب خمسة أوجه:

أحدها: أن الواو علامة جمع الفاعل، كما يلحق الفعل تاء التأنيث؛ ليدل على تأنيث الفاعل، فإن "هذه" لغة جارية في المثنى وجمع الإناث أيضا؛ فيقال: "قاما أخواك، وقمن أخواتك"؛ واستدل بعضهم بقوله - عليه السلام -: "يتعاقبون فيكم ملائكة"، ويعبر النحاة عن هذه اللغة بلغة "أكلوني البراغيث"، ولكن الأفصح ألا تلحق الفعل علامة، وفرق النحويون(؟) بين لحاقه علامة التأنيث، وعلامة التثنية والجمع؛ بأن علامة التأنيث لازم؛ لأن التأنيث في ذات الكلمة بخلاف التثنية والجمع؛ فإنه غير لازم.

الوجه الثاني: أن الواو ضمير عائد على المذكورين العائد عليهم واو "حسبوا"، و"كثير" بدل من هذا الضمير، كقولك: "إخوتك قاموا كبيرهم وصغيرهم" ونحوه، والإبدال كثير في القرآن قال تعالى: الذي أحسن كل شيء خلقه(١)، وقال تعالى: ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا(٢).

الوجه الثالث: أن الواو ضمير أيضا، و"كثير" بدل منه، والفرق بين هذا الوجه والذي قبله: أن الضمير في الوجه الأول مفسر بما قبله وهم بنو إسرائيل، وأما في هذا الوجه: فهو مفسر بما بعده، وهذا أحد المواضع التي يفسر فيها الضمير بما بعده، وهو أن يبدل منه ما يفسره، وهي مسألة خلاف، وقد تقدم تحريرها.

الوجه الرابع: أن الضمير عائد على من تقدم، و «كثير» خبر مبتدأ محذوف، وقدره مكي تقديرين: أحدهما: قال: «تقديره العمي والصم كثير منهم»، والثاني: العمى والصمم كثير منهم، ودل على ذلك قوله: ثم عموا وصموا فعلى تقديره الأول: يكون «كثير» صادقا عليهم و «منهم» صفة

---

(١) السجدة: ٧
(٢) آل عمران: ٩٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ل«كثير»؛ وعلى التقدير الثاني: يكون «كثير» صادقا على العمى والصمم لا عليهم، و «منهم» صفة له بمعنى أنه صادر منهم، وهذا الثاني غير ظاهر، وقدره الزمخشري فقال: «أولئك كثير منهم».

الوجه الخامس: أن «كثير» مبتدأ والجملة الفعلية قبله خبر، ولا يقال: إن الفعل متى وقع خبرا، وجب تأخيره؟ لأن ذلك مشروط بكون الفاعل مستترا؛ نحو: «زيد قام»؛ لأنه لو قدم، فقيل: «قام زيد»، لألبس بالفاعل، فإن قيل: وهذا أيضا يلبس بالفاعل في لغة «أكلوني البراغيث»، فالجواب: أنها لغة ضعيفة لا نبالي بها، وضعف أبو البقاء هذا الوجه بمعنى آخر، فقال: لأن الفعل قد وقع في موضعه، فلا ينوى به غيره، وفيه نظر؛ لأنا لا نسلم أنه وقع موقعه، وإنما كان واقعا لو كان مجردا من علامة، ومثل هذه الآية أيضا قوله تعالى: وأسروا النجوى الذين ظلموا(١).(٢)

وبذلك يتبين أن كلا الوجهين صحيح لكن الأولى ألا تحمل على لغة أكلوني البراغيث حيث إنها ليست الأشهر في لغة العرب فيتبين رجحان ما ذهب إليه الإمام ابن جزي.

قوله تعالى: وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون(٣)
قال الإمام ابن جزي: قوله تعالى: (وهو الله في السموات.....)" يتعلق " في السموات " بمعنى اسم الله، فالمعنى كقوله " وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله " كما يقال: " أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب،
(١) الأنبياء: ٣
(٢) اللباب في علوم الكتاب ٧ / ٤٥٥.
(٣) سورة الأنعام الآية ٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ويحتمل أن يكون المجرور في موضع الخبر فيتعلق باسم فاعل محذوف والمعنى على هذا قريب من الأول.

وقيل المعنى أنه في السموات والأرض بعلمه كقوله وهو معكم أينما كنتم والأول أرجح وأفصح لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة وغير ذلك فقد جمعها مع الإيجاز

ويترجح الثاني بأن سياق الكلام في اطلاع الله تعالى وعلمه لقوله بعدها يعلم سركم وجهركم

وقيل يتعلق بمحذوف تقديره المعبود في السموات وفي الأرض وهذا المحذوف صفة لله واسم الله على هذا القول وعلى الأول هو خبر المبتدأ وأما إذا كان المجرور الخبر فاسم الله بدل من الضمير.(١)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن قوله تعالى " في السموات " متعلق بمعنى اسم الله سبحانه، وقد أيده في ذلك جمع من المفسرين وتلك نصوص بعض أقوالهم:

قال ابن عطية: وقال الزجاج: " في " متعلقة بما تضمنه اسم الله تعالى من المعاني كما يقال أمير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب

قال القاضي أبو محمد وهذا عندي أفضل الأقوال وأكثرها إحرازا لفصاحة اللفظ وجزالة المعنى وإيضاحه أنه أراد أن يدل على خلقه، وإيثار قدرته وإحاطته واستيلائه ونحو هذه الصفات فجمع هذه كلها في قوله " وهو الله " أي الذي له هذه كلها في السماوات وفي الأرض كأنه وهو الخالق الرازق المحيي المحيط في السماوات وفي الأرض كما تقول زيد السلطان في الشام والعراق فلو قصدت ذات زيد لقلت محالاً وإذا كان مقصد قولك زيد السلطان الآمر الناهي الناقض المبرم الذي يعزل ويولي في الشام والعراق، فأقمت السلطان مقام هذه كلها كان فصيحاً صحيحاً فكذلك في الآية أقام لفظة)الله(مقام تلك الصفات المذكورة (٢)

---

(١) التسهيل ٢ / ٢.
(٢) المحرر الوجيز ٢ / ٢٦٧.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وذكر أبو حيان ما قاله ابن عطية وأردفه بقوله:. وما ذكره الزجاج وأوضحه ابن عطية صحيح من حيث المعنى،

ثم عقب بقوله: "لكن صناعة النحو لا تساعد عليه لأنهما زعما أن (في السماوات (متعلق بلفظ) الله) لما تضمنه من المعاني ولا تعمل تلك المعاني جميعها في اللفظ، لأنه لو صرح بها جميعها لم تعمل فيه بل العمل من حيث اللفظ لواحد منها، وإن كان "في السماوات" متعلقا بها جميعها من حيث المعنى، بل الأولى أن يعمل في المجرور ما تضمنه لفظ (الله) (من معنى الألوهية وأن كان لفظ (الله) علماً لأن الظرف والمجرور قد يعمل فيهما العلم بما تضمنه من المعنى كما قال: أنا أبو المنهال بعض الأحيان. فبعض منصوب بما تضمنه المنهال كأنه قال أنا المشهور بعض الأحيان (١)

وبذلك يتبين أن في إعراب الآية وجوها متعددة يتميز بعضها على الآخر من ناحية المعنى ويتميز الآخر على الأول من ناحية اللفظ العربي الفصيح

وأرى أن الأولى ترجيح ما ذهب إليه الإمام ابن جزي وكذا الزجاج وابن عطية وما أيده أبو حيان من ناحية المعنى، حيث إن المعنى هو المراد من الآيات ولا ينبغي أن نتوقف بالمعنى الأفصح لأنه لا تؤيده اللغة فالأصل أن تقاس على القرآن وليس القرآن يقاس عليها خاصة أن السياق هنا يدل على ما ذهب إليه ابن جزي والقاعدة أن "القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه"(٢)

وقد استشهد الإمام ابن جزي لما ذهب إليه بقوله تعالى "وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله... الآية " والقاعدة أن " القول الذي تؤيده آيات قرآنية يقدم على غيره"(٣)

---

(١) تفسير البحر المحيط ٤ / ٧٧.
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٩٩/١).
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣١٢/١).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى (مجرميها) إعرابه مضاف إليه عند الفارسي وغيره وقال ابن عطية وغيره: إنه مفعول أول لجعلنا وأكابر مفعول ثان مقدم وهذا جيد في المعنى ضعيف في العربية لأن أكابر جمع أكبر وهو من أفعل فلا يستعمل إلا بمن أو بالإضافة(٢)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

١- إعراب قوله (مجرميها) مضاف إليه.

٢- إعراب قوله (مجرميها) مفعول أول ب[جعلنا] و(أكابر) مفعول ثاني مقدم

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن يكون قوله تعالى "مجرميها" مضاف إليه من قوله "أكابر" وهذا الترجيح موافق لكثير من المفسرين:

جاء في اللباب: واختلف في تقديرهما، والصحيح أن تكون "في قرية" مفعولا ثانيا قدم على الأول، والأول «أكابر» مضافا لمجرميها(٣).

قال أبو حيان: وما أجازاه - يعني: أبا البقاء، وابن عطية - خطأ وذهول عن قاعدة نحوية، وهي أن أفعل التفضيل إذا كانت ب«من» ملفوظا بها، أو مقدرة، أو مضافة إلى نكرة كانت مفردة على كل حال، سواء كانت لمذكر، أم مؤنث، مفرد أم مثنى أم مجموع، وإذا ثنيت أو جمعت أو أنثت وطابقت ما هي له، لزمها أحد أمرين: إما الألف واللام، وإما الإضافة لمعرفة.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٣
(٢) التسهيل ٢ / ١٩
(٣) اللباب ٨ / ٤١٠.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وإذا تقرر ذلك، فالقول بكون «مجرميها» بدلاً، أو بكونه مفعولا أول، و«أكابر» مفعول ثان، خطأ لاستلزام أن يبقى «أكابر» مجموعا وليست فيه ألف ولام، ولا هي مضافة لمعرفة. قال: وقد نبه الكرماني إلى هذه القاعدة فقال: أضاف «أكابر» إلى «مجرميها» لأن أفعل لا يجمع إلا مع الألف واللام، أو مع الإضافة، وكان ينبغي أن يقيد بالإضافة إلى معرفة(١).

قال الجمل: قوله: أكابر مفعول أول لجعل، وأكابر مضاف ومجرميها مضاف إليه، وفي كل قرية المفعول الثاني لجعل، ووجب تقديمه ليصح عود الضمير عليه،...هذا أحسن الأعاريب وهناك أوجه أخرى للأعراب لا تخلو من مقال (٢).

قوله تعالى: إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين(٣)

قال ابن جزي رحمه الله تعالى:

في قوله تعالى (فلا تظلموا فيهن.....) الضمير في قوله فيهن للأشهر الحرم تعظيما لأمرها وتغليظا للذنوب فيها وإن كان الظلم ممنوعا في غيرها وقيل الضمير للاثني عشر شهرا أي الزمان كله والأول أظهر(٤)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- الضمير في قوله " فيهن " للأشهر الحرم تعظيما لأمرها وتغليظا للذنوب فيها وإن كان الظلم ممنوعا في غيرها

(١) البحر المحيط ٤ / ٢١٧.

(٢) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للإمام سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل المتوفى سنة ٢٠٦(؟) ه، ٢ / ٤٥٧ - بتصرف يسير -

(٣) سورة التوبة الآية ٣٦.

(٤) التسهيل ٢ / ٧٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- الضمير في قوله " فيهن " للإثنى عشر شهرا أو الزمان كله

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله عود الضمير في قوله " فيهن " على الأشهر الحرم، وهذا الترجيح سديد وموفق حيث تؤيده القاعدة الترجيحية التي تقول (إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره)(١)

وقد ذهب إلى ذلك:

الطبري قال: قال أبو جعفر وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم باستحلال حرامها فإن الله عظمها وعظم حرمتها(٢)

والإمام الشوكاني قال: قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم أي في هذه الأشهر الحرم بإيقاع القتال فيها والهتك لحرمتها، وقيل: إن الضمير يرجع إلى الشهور كلها الحرم وغيرها، وإن الله نهى عن الظلم فيها، والأول: أولى(٣).

ومقاتل بن سليمان قال: "فلا تظلموا فيهن أنفسكم"، يعني في الأشهر الحرام(٤)

والإمام النحاس قال: أكثر أهل التفسير على أن المعنى فلا تظلموا في الأربعة أنفسكم وخصها تعظيما كما قال "فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج"(٥)

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٠٣/١).
(٢) تفسير الطبري ج ١٠ ص ١٢٧
(٣) فتح القدير ٢ / ٣٥٨
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان ج ٢ ص ٤٦
(٥) معاني القرآن للنحاس ج ٣ ص ٢٠٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون(١)

قال الإمام ابن جزي: في قوله تعالى (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم....) يعني في شأنهم سورة على النبي والضمائر في عليهم وتنبئهم وقلوبهم تعود على المنافقين، وقال الزمخشري:(٢) إن الضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين والأول أظهر(٣)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

١- أن الضمير في "عليهم" و"تنبئهم" و"قلوبهم" يعود على المنافقين

٢- الضمير في "عليهم" و"تنبئهم" وفي "قلوبهم" للمؤمنين.

الترجيح في الميزان:

رجح ابن جزي رحمه الله أن الضمائر الثلاثة في قوله تعالى "عليهم" و"تنبئهم" و"قلوبهم" تعود على المنافقين، وهذا الترجيح موفق وسديد حيث تؤيده القاعدة الترجيحية التي تقول (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها) وهنا الإمام ابن جزي رجح القول الأول بتوحيد مرجع الضمائر

قال ابن عاشور: وضميرا (عليهم) و(تنبئهم) يجوز أن يعودا إلى المنافقين، وهو ظاهر تناسق الضمائر ومعادها. وتكون (على) بمعنى لام التعليل أي تنزل لأجل أحوالهم كقوله تعالى: ولتكبروا الله على ما هداكم [البقرة: ١٨٥].

وهو كثير في الكلام، وتكون تعدية تنبئهم إلى ضمير المنافقين: على نزع الخافض، أي تنبيء عنهم، أي أن تنبىء الرسول بما في قلوبهم(٤).

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٤.
(٢) الكشاف ٢ / ٢٧٢.
(٣) التسهيل ٢ / ٧٨.
(٤) التحرير ١٠ / ٢٤٨.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الإمام الرازي: ويجوز أيضاً أن تكون الضمائر كلها للمنافقين، لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم، ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم أن السورة كأنها تقول لهم في قلوبهم كيت وكيت، يعني أنها تذيع أسرارهم إذاعة ظاهرة فكأنها تخبرهم به(١).

قوله تعالى: وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

الضمير في قوله تعالى (وما تتلوا منه من قرآن) الضمير عائد على القرآن ولو لم يتقدم ذكره لدلالة ما بعده عليه كأنه قال ما تتلوا شيئا من القرآن وقيل يعود على الشأن والأول أرجح لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشيء(٣)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

١- أن الضمير في قوله تعالى (وما تتلو منه) عائد على القرآن، وذلك لدلالة ما بعده عليه.

(٢) أن الضمير في قوله تعالى "وما تتلو منه" عائد على الشأن.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله القول بعود الضمير في قوله (منه) على القرآن، لدلالة ما بعده عليه، وهذا الترجيح سديد وموفق حيث تؤيده القاعدة

(١) تفسير الرازي ١٦ / ٩٧.

(٢) سورة يونس الآية ٦١.

(٣) التسهيل ٢ / ٩٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيحية التي تقول (إذا أمكن حمل الضمير على غير الشأن فلا ينبغي الحمل عليه)(١).

وقوله مؤيد بما ذكره الطبري قال: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وما تكون)، يا محمد (في شأن)، يعني: في عمل من الأعمال (وما تتلوا منه من قرآن)، يقول: وما تقرأ من كتاب الله من قرآن(٢)

ولكن الإمام ابن جزي هنا يخالف الإمام ابن عطية في تفسيره للآية الكريمة حيث يقول: قصد الآية وصف إحاطة الله تعالى بكل شيء، ومعنى اللفظ (وما تكون) يا محمد، والمراد هو وغيره (في شأن) من جميع الشؤون (وما تتلوا منه) الضمير عائد على (شأن) أي فيه وبسببه من قرآن، ويحتمل أن يعود الضمير على جميع القرآن، ثم عم بقوله (ولا تعملون من عمل) وفي قوله (إلا كنا عليكم شهوداً): تحذير وتنبيه، و(تفيضون) تنهضون بجد، يقال: أفاض الرجل في سيره وفي حديثه.

وأفاد ابن عاشور: أن كلا المعنيين محتمل، لصحة الإعرابين في الآية الكريمة فقال: وضمير (منه) إما عائد إلى (شأن)، أي (وما تتلو من الشأن قرآناً) فتكون (من) مبينة ل(ما) الموصولة أو تكون بمعنى لام التعليل، أي تتلو من أجل الشأن قرآنا. وعطف (وما تتلو) من الخاص على العام للاهتمام به، فإن التلاوة أهم شؤون الرسول عليه الصلاة والسلام.

وإما عائد إلى قرآن، أي وما تتلو من القرآن قرآناً، فتكون منه للتبعيض، والضمير عائد إلى مؤخر لتحصيل التشويق إليه حتى يتمكن في نفس السامع. وواو (تتلو) لام الكلمة، والفعل محتمل لضمير مفرد لخطاب النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون الكلام قد ابتدىء بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم التي منها ما هو من خواصه كقيام الليل، وثني بما هو من شؤونه بالنسبة إلى

---

(١) قواعد الترجيح ٢ / ٥٨٥.
(٢) تفسير الطبري ١١ / ١٢٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الناس وهو تلاوة القرآن على الناس، وثلث بما هو من شؤون الأمة في قوله: (أو لا تعملون من عمل) فإنه وإن كان الخطاب فيه شاملاً للنبيء صلى الله عليه وسلم إلا أن تقديم ذكر شأن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذكر ما يخصص عموم الخطاب في قوله: (تعملون) فلا يبقى مرادا منه إلا ما يعمله بقية المسلمين.

ووقع النفي مرتين بحرف (ما) ومرة أخرى بحرف (لا) لأن حرف (ما) أصله أن يخلص المضارع للحال، فقصد أولاً استحضار الحال العظيم من شأن النبي صلى الله عليه وسلم من قراءته القرآن، ولما نفي عمل الأمة جيء بالحرف الذي الأصل فيه تخليصه المضارع للاستقبال للتنبئة من أول الكلام على استمرار تلك في الأزمنة كلها(١).

وتبقى القاعدة التي ذكرناها فاصلا بين القولين مؤيدة ما ذهب إليه الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى.

قوله تعالى: أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: "ما كانوا يستطيعون السمع" الآية، ما نافية والضمير للكفار والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون كقوله "ختم الله على قلوبهم" الآية وقيل غير ذلك وهو بعيد(٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أن "ما" في قوله تعالى "ما كانوا يستطيعون السمع" نافية والضمير للكفار.

٢- "ما" مصدرية أي: يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع وأبصارهم.

الترجيح في الميزان:

(١) تفسير ابن عاشور ١١ / ٢١٢.

(٢) سورة هود الآية (٢٠)

(٣) التسهيل ٢ / ١٠٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

رجح الإمام ابن جزي أن "ما" في قوله تعالى "ما كانوا يستطيعون السمع" نافية، والضمير للكفار.

وقد ذكر ابن عادل الأقوال الواردة في ذلك فقال: ما كانوا يستطيعون السمع يجوز في "ما" هذه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون نافية؛ نفى عنهم ذلك لما لم ينتفعوا به، وإن كانوا أولي أسماع وأبصار، أو يكون متعلق السمع والبصر شيئا خاصا.

والثاني: أن تكون مصدرية، وفيها حينئذ تأويلان:

أحدهما: أنها قائمة مقام الظرف، أي: مدة استطاعتهم، وتكون «ما» منصوبة ب«يضاعف»، أي: لا يضاعف لهم العذاب مدة استطاعتهم السمع والأبصار، والثاني: أنها منصوبة المحل على إسقاط حرف الجر كما يحذف مع «أن» و«أن» اختيارا، وإليه ذهب الفراء، وذلك الجار متعلق ب«يضاعف» أي: يضاعف لهم بكونهم كانوا يسمعون، ويبصرون، ولا ينتفعون

والثالث: أن تكون "ما" بمعنى "الذي"، وتكون على حذف حرف الجر أيضا، أي: بالذي كانوا، وفيه بعد لأن حذف الحرف لا يطرد.

ويتبين من خلال ما ذكره الإمام ابن عادل أن الأقوال محتملة هذا الترجيح سديد، حيث يؤيده ما جاء في كتب كثير من المفسرين منهم:

وكذلك عرض الإمام ابن عطية هذه الأقوال فقال:

وقوله "وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون" يحتمل خمسة أوجه

أحدها: أن يصف هؤلاء الكفار بهذه الصفة على معنى أن الله ختم عليهم بذلك فهم لا يسمعون سماعا ولا ينتفعون به ولا يبصرون كذلك.

والثاني: أن يكون وصفهم بذلك من أجل بغضتهم في النبي - صلى الله عليه وسلم - فهم لا يستطيعون أن يحملوا أنفسهم على السمع منه والنظر إليه وينظر إلى هذا حشو

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الطفيل بن عمرو أذنيه بالكرسف وإباية قريش وقت الحديبية أن يسمعوا ما نقل إليهم من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى ردهم عن ذلك مشيختهم.

والثالث: أن يكون وصف بذلك الأصنام والآلهة التي نفى عنها على التأويل المقدم أن تكون أولياء

و"ما" في هذه الوجوه نافية.

والرابع: أن يكون التقدير يضاعف لهم العذاب بما كانوا يحذف الجار وتكون "ما" مصدرية وهذا قول فيه تحامل قاله الفراء وقرنه بقوله أجازيك ما صنعت بي.

والخامس: أن تكون "ما" ظرفية يضاعف لهم مدة استطاعتهم السمع والبصر وقد أعلمت الشريعة أنهم لا يموتون فيها أبدا فالعذاب إذن متماد أبدا.(١)

وبهذا القول للإمام ابن عطية يتبين رجحان ما ذهب إليه الإمام ابن جزي في هذه المسألة والله أعلم

قوله تعالى: فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون(٢)

قال الإمام ابن جزي: يحتمل أن يكون هذا الوحي بواسطة ملك أو بإلهام والضمير في إليه ليوسف وقيل ليعقوب والأول هو الصحيح(٣) [الهامش رقم (٣) غير مثبت في أسفل الصفحة]

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

١- أن الضمير في قوله تعالى (وأوحينا إليه) يرجع إلى يوسف عليه السلام

٢- أن الضمير يرجع إلى يعقوب عليه السلام.

(١) المحرر الوجيز ٣ / ١٦٠.

(٢) سورة يوسف الآية ١٥.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله القول الأول وهو عود الضمير على يوسف عليه السلام وهذا الترجيح سديد حيث أنه ظاهر القرآن، وأيضا عود الضمير إلى أقرب مذكور، وقاعدة العموم تقول (عود الضمير إلى أقرب مذكور أولى من إعادته إلى البعيد)

قال ابن جرير: وقوله: (وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم)، يقول: وأوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك (بأمرهم هذا) يقول: بفعلهم هذا الذي فعلوه بك (وهم لا يشعرون) يقول: وهم لا يعلمون ولا يدرون(١).

وقال الماوردي: (وأوحينا إليه) فيه وجهان:

أحدهما: يعني وألهمناه، كما قال تعالى: وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه(٢).

الثاني: أن الله تعالى أوحى إليه وهو في الجب، قاله مجاهد وقتادة. قال الله تعالى: وأوحينا إليه لتنبئنهم يعني: لتخبرهم بأمرهم هذا يعني: بصنيعهم هذا بمصر وهم لا يشعرون يعني: لا يعرفونك بمصر. وقيل: معناه وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا، وهم لا يشعرون، أن الله تعالى أوحى إليه، وهم لا يعرفون. ويقال: لما أرادوا أن يلقوه في البئر، تعلق بإخوته، فقال له جبريل: لا تتعلق بهم فإنك تنجو من البئر. فألقوه حتى وقع في قعرها، فارتفع حجر حتى قام عليه، ثم إنهم أخذوا جدياً من الغنم فذبحوه، ثم لطخوا القميص بدمه (٣).

---

(١) تفسير الطبري ١٢ / ١٦١.
(٢) [القصص: ٧]
(٣) النكت والعيون ٣ / ١٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الإمام أبو السعود: وأوحينا إليه عند ذلك تبشيراً له بما يؤول إليه أمره وإزالة لوحشته وإيناساً له(١).

قوله تعالى: ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين(٢)

قال الإمام ابن جزي: في قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها وإنما حذف لأن قوله هم بها يدل عليه وقد قيل إن هم بها هو الجواب وهذا ضعيف؛ لأن جواب لولا لا يتقدم عليها(٣).

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

١- أن جواب (لولا) محذوف، والتقدير: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها

٢- أن قوله تعالى (وهم بها) هو الجواب

الترجيح في الميزان:

ضعف الإمام ابن جزي هذا القول وعلل التضعيف بقوله: لأن جواب لولا لا يتقدم عليها وأرى أن الترجيح سديد حيث إنه يتفق مع قواعد اللغة ومع عصمة الأنبياء

ومن شواهد ذلك ما قاله الطبري: ويفسد هذين القولين: أن العرب لا تقدم جواب"لولا" قبلها، لا تقول: "لقد قمت لولا زيد"، وهي تريد: لولا زيد لقد قمت"، هذا مع خلافهما جميع أهل العلم بتأويل القرآن، الذين عنهم يؤخذ تأويله.(٤)

(١) تفسير أبي السعود ٤ / ٢٥٨، وينظر أيضا تفسير الألوسي ١٢ / ١٩٨.

(٢) سورة يوسف الآية ٢٤.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٢ / ١١٧.

(٤) تفسير الطبري ١٢ / ١٨٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال النسفي: وجواب "لولا أن رأى برهان ربه" محذوف، أي لكان ما كان، وقيل: وهم بها جوابه، ولا يصح؛ لأن جواب لولا لا يتقدم عليها لأنه في حكم القسم وله صدر الكلام.(١)

وقال النيسابوري: (وهم (جواب (لولا) وليس بصحيح لأن جواب (لولا) لا يتقدم عليه وإنما جوابه محذوف(٢)

قوله تعالى: قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين (٣)

قال الإمام ابن جزي:

"أنا" تأكيد للضمير في أدعو ومن اتبعني معطوف عليه وعلى بصيرة في موضع الحال، وقيل "أنا" مبتدأ وعلى بصيرة خبره فعلى هذا يوقف على قوله أدعو إلى الله وهذا ضعيف(٤)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

قوله تعالى "أنا" تأكيد للضمير في أدعو ومن اتبعني معطوف عليه وعلى بصيرة في موضع الحال.

قوله تعالى "أنا" مبتدأ وعلى بصيرة خبره.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن يكون قوله تعالى "أنا" تأكيد للضمير في قوله تعالى "أدعو" وقوله تعالى (ومن اتبعني) معطوف عليه قوله تعالى (على بصيرة) في موضع الحال.

(١) تفسير النسفي ٢ / ١٨٤.

(٢) تفسير النيسابوري ٤ / ٧٥.

(٣) سورة يوسف الآية ١٠٨.

(٤) التسهيل ٢ / ١٢٨.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وأرى أن كلا الإعرابين محتمل وصحيح في اللغة.

قال العكبري في إعراب القرآن: ومن اتبعني معطوف على ضمير الفاعل في أدعو، ويجوز أن يكون مبتدأ؛ أي: ومن اتبعني كذلك(١)

وقال أبو حيان: والظاهر تعلق على بصيرة بأدعو، و"أنا" توكيد للضمير المستكن في "أدعو"، و"من" معطوف على ذلك الضمير والمعنى: أدعو أنا إليها من اتبعني، ويجوز أن يكون على بصيرة خبرا مقدما، و"أنا" مبتدأ، ومن معطوف عليه، ويجوز أن يكون على بصيرة حالاً من ضمير أدعو، فيتعلق بمحذوف، ويكون أنا فاعلاً بالجار والمجرور النائب عن ذلك المحذوف، ومن اتبعني معطوف على أنا. وأجاز أبو البقاء أن يكون: ومن اتبعني مبتدأ خبره محذوف تقديره كذلك أي: داع إلى الله على بصيرة.(٢)

وقال الإمام الزمخشري: "أنا" تأكيد للمستتر في "أدعوا"، "ومن اتبعني" عطف عليه. يريد: أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني، ويجوز أن يكون "أنا" مبتدأ و"على بصيرة" خبرا مقدما و"ومن اتبعني" عطفا على "أنا" إخبارا عنه(؟) بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون "على بصيرة" حالا من "ادعوا" عاملة الرفع في "أنا ومن اتبعني" سبحان الله، وأنزهه من الشركاء(٣)

---

(١) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦ ه ٢ / ٦٨.
(٢) البحر المحيط ٥ / ٣٤٦.
(٣) الكشاف للزمخشري (١/ ٦٠٧).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد(١)

قال الإمام ابن جزي: الفاعل ضمير القارعة والمعنى إما أن تصيبهم وإما أن تقرب منهم وقيل التاء للخطاب والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي والأول أظهر(٢)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

١- الفاعل في "تحل" ضمير القارعة.

٢- الفاعل ضمير المخاطب وهو النبي.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن الفاعل في "تحل" ضمير القارعة والمعنى إما أن تصيبهم وإما أن تقرب منهم، وهذا الترجيح سديد حيث تؤيده القاعدة الترجيحية التي تقول: (إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر)(٣)

قال الإمام أبو حيان: والظاهر أن الضمير في "تحل" عائد على قارعة قاله الحسن. وقالت فرقة: التاء للخطاب، والضمير للرسول - صلى الله عليه وسلم -، أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية، وعزاه الطبري إلى ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وقاله عكرمة. ويكون وعد الله فتح مكة، وكان الله قد وعده ذلك، وقاله ابن عباس ومجاهد. وقرأ مجاهد، وابن جبير: أو يحل بالياء على الغيبة، واحتمل أن يكون عائدا على معنى القارعة راعى فيه التذكير لأنها بمعنى البلاء، أو تكون الهاء في قارعة للمبالغة، فذكر واحتمل أن يكون

---

(١) سورة الرعد الآية ٣١.
(٢) التسهيل ٢ / ١٣٤
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (٥٩٣)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

عائدا على الرسول - صلى الله عليه وسلم - أي: ويحل الرسول قريباً. وقرأ أيضاً من دارهم على الجمع (١).

قلت (وأنا): ظاهر النص أن الضمير للقارعة والقاعدة تقول: (لايجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل سليم)

قوله تعالى: وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص(٢)
قال الإمام ابن جزي: "من" الأولى للبيان والثانية للتبعيض ويجوز أن يكونا للتبعيض معا قاله الزمخشري والأظهر أن الأولى للبيان والثانية زائدة والمعنى هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئا من عذاب الله(٣)
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:
١- أن "من" الأولى للبيان والثانية زائدة.
٢- أن "من" الأولى للبيان والثانية للتبعيض.
الترجيح في الميزان:
هذا الترجيح الذي ذكره الإمام ابن جزي ترجيح قوي
قال الإمام أبو حيان: والمعنى: إنا اتبعناكم فيما كنتم فيه من الضلال كما أمرتمونا وما أغنيتم عنا شيئاً، فلذلك جاء جوابهم: لو هدانا الله لهديناكم، أجابوا بذلك على سبيل الاعتذار والخجل ورد الهداية لله تعالى، وهو كلام حق في نفسه
وقال الزمخشري: من الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض، كأنه قيل: هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب الله؟ ويجوز أن يكونا للتبعيض معاً
(١) البحر المحيط ٥ / ٣٨٤
(٢) سورة إبراهيم الآية ٢١.
(٣) التسهيل ٢ / ١٣٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بمعنى: هل أنتم مغنون عنا بعض شيء، هو بعض عذاب الله أي: بعض بعض عذاب الله انتهى. وهذان التوجيهان اللذان وجههما الزمخشري في من في المكانين يقتضي أولهما التقديم في قوله: من شيء على قوله: من عذاب الله، لأنه جعل من شيء هو المبين بقوله: من عذاب الله. ومن التبيينية يتقدم عليها ما تبينه، ولا يتأخران لتوجيه لثاني(؟)، وهو بعض شيء، هو بعض العذاب يقتضي أن يكون بدلاً، فيكون بدل عام من خاص، لأن من شيء أعم من قوله: من عذاب الله، وإن عنى بشيء شيئا من العذاب فيؤول المعنى إلى ما قدر، وهو بعض عذاب الله. (١)

وقال القرطبى: فهل أنتم مغنون أي دافعون عنا من عذاب الله من شيء أي شيئا و(من) صلة يقال: أغنى عنه إذا دفع عنه الأذى وأغناه إذا أوصل إليه النفع(٢).

وقال أبو السعود: فهل أنتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للإغناء، والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شيء من الأولى للبيان واقعة موقع الحال، والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول، أي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونها للتبعيض أي بعض شيء هو بعض عذاب الله والإعراب كما سبق ويجوز أن تكون الأولى مفعولاً والثانية مصدرا أي فهل أنتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الإغناء، ويعضد الأول قوله تعالى: فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار (٣).

---

(١) البحر المحيط ٥ / ٤٠٧.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٣٥٥.
(٣) تفسير أبو السعود ٥ / ٤١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين(١)

قال الإمام ابن جزي: في قوله (ومن لستم له برازقين) يعني البهائم والحيوانات، ومن معطوف على معايش وقيل على الضمير في لكم وهذا ضعيف في النحو لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض وهو قوي في المعنى أي جعلنا في الأرض معايش لكم وللحيوانات(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- قوله (ومن لستم له برازقين) معطوف على معايش.

٢- قوله (ومن لستم له برازقين) عائد على الضمير في (لكم).

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن قوله (ومن لستم له برازقين) معطوف على معايش والمعنى وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين كالعبيد والإماء والبهائم فإنها مخلوقة لمنافعنا(٣)، وضعف القول بأن قوله (ومن لستم له برازقين) عائد على الضمير في قوله "لكم" والمعنى وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين أي أعشناكم وأعشنا غيركم. وهو قول محتمل أيضا

قال الرازي: القول الأول: أنه معطوف على محل لكم، والتقدير: وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين.

والقول الثاني: أنه عطف على قوله: "معايش" والتقدير: وجعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين، وعلى هذا القول ففيه احتمالات ثلاثة:

الاحتمال الأول: أن كلمة (من) مختصة بالعقلاء فوجب أن يكون المراد من قوله: "ومن لستم له برازقين" العقلاء وهم العيال والمماليك والخدم والعبيد

---

(١) سورة الحجر الآية ٢٠.
(٢) التسهيل ٢ / ١٤٤.
(٣) إعراب القرآن العكبري ٢ / ٩٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وتقرير الكلام أن الناس يظنون في أكثر الأمر أنهم الذين يرزقون العيال والخدم والعبيد، وذلك خطأ فإن الله هو الرزاق يرزق الخادم والمخدوم، والمملوك والمالك فإنه لولا أنه تعالى خلق الأطعمة والأشربة، وأعطى القوة الغاذية والهاضمة، وإلا لم يحصل لأحد رزق.

والاحتمال الثاني: وهو قول الكلبي قال: المراد بقوله: (ومن لستم له برازقين) الوحش والطير.

فإن قيل: كيف يصح هذا التأويل مع أن صيغة من مختصة بمن يعقل؟

قلنا: الجواب عنه من وجهين: الأول: أن صيغة من قد وردت في غير العقلاء، والدليل عليه قوله تعالى: والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشى على أربع(١).

والثاني: أنه تعالى أثبت لجميع الدواب رزقا على الله حيث قال: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها(٢)، فكأنها عند الحاجة تطلب أرزاقها من خالقها فصارت شبيهة بمن يعقل من هذه الجهة، فلم يبعد ذكرها بصيغة من يعقل، ألا ترى أنه قال: "نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم"(٣) فذكرها بصيغة جمع العقلاء، وقال في الأصنام: "فإنهم عدو لي"(٤)، وقال: "كل في فلك يسبحون"(٥) فكذا ههنا لا يبعد إطلاق اللفظة المختصة بالعقلاء على الوحش والطير لكونها شبيهة بالعقلاء من هذه الجهة وسمعت في بعض الحكايات أنه قلت المياه في الأودية والجبال واشتد الحر في عام من الأعوام فحكي عن بعضهم أنه رأى بعض الوحش رافعاً رأسه إلى السماء

---

(١) (سورة النور: ٤٥)
(٢) (سورة هود: ٦)
(٣) (سورة النمل: ١٨)
(٤) (الشعراء: ٧٧)
(٥) (الأنبياء: ٣٣)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

عند اشتداد عطشه قال: فرأيت الغيوم قد أقبلت وأمطرت بحيث امتلأت الأودية منها.

والاحتمال الثالث: أنا نحمل قوله: "ومن لستم له برازقين" على الإماء والعبيد، وعلى الوحش والطير، وإنما أطلق عليها صيغة من العقلاء تغليبا لجانب العقلاء على غيرهم.(١)

وقال أبو حيان: والظاهر أن من في موضع جر عطفا على الضمير المجرور في لكم، وهو مذهب الكوفيين ويونس والأخفش. وقد استدل القائل على صحة هذا المذهب في البقرة في قوله: وكفر به والمسجد الحرام وقال الزجاج: من منصوب بفعل محذوف تقديره وأعشنا من لستم أي: أمما(؟) غيركم، لأن المعنى أعشناكم، وقيل: عطفا على معايش أي: وجعلنا لكم من لستم له برازقين من العبيد والصناع. وقيل: والحيوان. وقيل: عطفا على محل لكم. وقيل: من مبتدأ خبره محذوف لدلالة المعنى عليه أي: ومن لستم له برازقين جعلنا له فيها معايش.(٢)

وقال أبو السعود: وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء، وهي بياء صريحة، وقرىء بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش أو على محل لكم، كأنه قيل: جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما أشبهها على طريقة التغليب، وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم أنهم يكفون(؟) مؤناتهم، وليتحقق أن الله تعالى هو الذي يرزقهم وإياهم، أو وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين.(٣)

---

(١) تفسير الرازي ١٩ / ١٣٧
(٢) البحر المحيط (٥ / ٤٣٨)
(٣) تفسير أبو السعود (٥ / ٧١)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١١٠) يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

"يوم تأتي" يحتمل أن يتعلق ب "غفور رحيم" أو بمحذوف تقديره اذكر

وهذا أظهر

الأقوال كما ذكرها ابن جزي رحمه الله:

١- قوله "يوم تأتي" يتعلق ب "غفور رحيم"

٢- قوله "يوم تأتي" يتعلق بمحذوف تقديره اذكر

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن قوله تعالى "يوم تأتي" يتعلق بمحذوف تقديره اذكر، وأرى والله أعلم أن كلا الإعرابين محتمل، غير أن القول الأول أرجح حيث يرتفع التقدير ويبقى النص القرآني على أصله بدون تقدير محذوف والقاعدة أن "القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار".

فإذا اختلف المفسرون في تفسير آية من كتاب الله تعالى، فمنهم من يرى افتقار الكلام إلى مقدر محذوف، ومنهم من يرى استقلال الكلام وعدم احتياجه إلى تقدير أو محذوف، والمعنى مستقيم على القول بعدم التقدير، فحمل الآية على القول بعدم الإضمار أولى، وذلك لأن القول بالإضمار خلاف الأصل، ولا يصار إلى القول بالإضمار أو الحذف إلا عند الضرورة.(٢)

وعلى كل فكلا القولين في هذه الآية محتمل خاصة وأن كثيرا من المفسرين لم يلتفت إلى ترجيح أحدهما على الآخر ونرى ذلك عند بعضهم على سبيل الاستشهاد.

---

(١) سورة النحل الآيتان (١١٠، ١١١)
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين (٤٢١/١).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال النيسابوري: قال الزجاج: (يوم تأتي) منصوب بقوله: رحيم أو بإضمار "اذكر" أو "ذكرهم وأنذرهم" ومعنى الآية ظاهر(١).

قال أبو حيان في البحر: يوم منصوب على الظرف، وناصبه رحيم، أو مفعول به(؟)، وناصبه اذكر. (٢)

وقال السمرقندي: قوله تعالى: يوم تأتي كل نفس صار نصبا لنزع الخافض، ومعناه: في يوم تأتي. إن ربك من بعدها لغفور رحيم في يوم تأتي أي: تحضر. ويقال: معناه واذكروا يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها يعني كل إنسان يخاصم عن نفسه، ويذب عنها، ويقول: نفسي نفسي.(٣)

قوله تعالى: ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا(٤)
قال الإمام ابن جزي: "أولئك" إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد، وإنما عاملها معاملة العقلاء في الإشارة بأولئك؛ لأنها حواس لها إدراك، والضمير في "عنه" يعود على "كل" ويتعلق "عنه" ب"مسئولا"، والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل الضمير يعود على "ما ليس لك به علم" والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تسأل عما ليس لها به علم وهذا بعيد(٥)
الأقوال كما ذكرها ابن جزي رحمه الله:
١- أن عود الضمير في قوله "عنه" إلى قوله "كل" والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده
(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٤ / ٣١١.
(٢) البحر المحيط ٥ / ٥٢٣.
(٣) تفسير السمرقندي (٢ / ٢٩٤)
(٤) سورة الإسراء الآية ٣٦
(٥) التسهيل ٢ / ١٧٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- أن عود الضمير في قوله "عنه" إلى قوله "ما ليس لك به علم" والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تسأل عما ليس لها به علم

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن عود الضمير في قوله "عنه" إلى قوله "كل" والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده

وهو ترجيح سديد تؤيده القاعدة "إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره"(١)، وقاعدة "عود الضمير على أقرب مذكور أولى من إعادته إلى مقدر"(٢).

قوله تعالى: ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (١٢) نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى(٣)

قال الإمام ابن جزي: وأحصى فعل ماض وأمدا مفعول به وقيل أحصى اسم للتفضيل وأمدا تمييز وهذا ضعيف؛ لأن أفعل من التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ(٤)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- "أحصى" فعل ماض و"أمدا" مفعول به

٢- "أحصى" اسم للتفضيل و"أمدا" تمييز

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن قوله تعالى "أحصى" فعل ماض، ومفعوله "أمدا" وضعف القول بأن أحصى اسم تفضيل وترجيحه تؤيده القاعدة "(يجب حمل

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٦٠٣/١).

(٢) قواعد الترجيح (١ / ٥٩٣).

(٣) سورة الكهف الآيتان (١٢، ١٣).

(٤) التسهيل ٢ / ١٨٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيف والشاذ)(١)

وأرى أن كلا الإعرابين محتمل غير أن الثاني شاذ لكن يحتج له بأنه قد كثر في الاستعمال العربي "

قال ابن عطية: وأما قوله "أحصى" فالظاهر الجيد فيه أنه فعل ماض، و"أمدا" منصوب به على المفعول، والأمد الغاية وأنها عبارة عن المدة من حيث لها غاية هي أمدها على الحقيقة وقال الزجاج "أحصى" هو أفعل، و"أمدا" على هذا منصب على التفسير ويلحق هذا القول من الاختلال أن أفعل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ، و"أحصى" فعل رباعي ويحتج لقول أبي إسحاق بأن أفعل من الرباعي قد كثر كقولك ما أعطاه للمال وآتاه للخير وهذه أفعل من الرباعي(٢).

وقال القرطبي: وأحصى فعل ماض وأمدا مفعول به وقيل أحصى اسم للتفضيل وأمدا تمييز وهذا ضعيف لأن أفعل من التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ(٣)

وقال الزمخشري: و"أحصى" فعل ماض أي أيهم ضبط "أمدا" لأوقات لبثهم. فإن قلت: فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل؟ قلت: ليس بالوجه السديد، وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس(٤)

---

(١) قواعد الترجيح ١ / ٦٤٥
(٢) تفسير ابن عطية ٣ / ٥٠٠ بتصرف.
(٣) تفسير القرطبي ٢ / ١٨٣.
(٤) تفسير الكشاف ٢ / ٦٦٠.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

وفي معنى الآية قولان:

الأول: أن الضمير في ينصره لسيدنا محمد والمعنى على هذا من كان من الكفار يظن أن لن ينصر الله محمدا فليختنق بحبل فإن الله ناصره ولا بد على غيظ الكفار فموجب الاختناق هو الغيظ من نصرة سيدنا محمد.

والقول الثاني: أن الضمير في ينصره عائد على (من) والمعنى على هذا: من ظن بسبب ضيق صدره وكثرة غمه أن لن ينصره الله فليختنق وليمت بغيظه فإنه لا يقدر على غير ذلك فموجب الاختناق على هذا القنوط والسخط من القضاء وسوء الظن بالله حتى يئس من نصره ولذلك فسر بعضهم أن لن ينصره الله بمعنى أن لن يرزقه وهذا القول أرجح من الأول لوجهين:

أحدهما: أن هذا القول مناسب لمن يعبد الله على حرف لأنه إذا أصابته فتنة انقلب وقنط حتى ظن أن الله لن ينصره فيكون هذا الكلام متصلا بما قبله ويدل على ذلك قوله قبل هذه الآية إن الله يفعل ما يريد أي الأمور بيد الله فلا ينبغي لأحد أن يتسخط من قضاء الله ولا ينقلب إذا أصابته فتنة.

والوجه الثاني: أن الضمير في ينصره على هذا القول يعود على ما تقدمه وأما(؟) على القول الأول فلا يعود على مذكور قبله لأن النبي لم يذكر قبل ذلك بحيث يعود الضمير عليه ولا يدل سياق الكلام عليه دلالة ظاهرة(٢)

الترجيح في الميزان:

من خلال هذا النص يتبين أن الإمام ابن جزي رحمه الله رجح عود الضمير على (من) في قوله "من كان يظن" وهذا الترجيح سديد حيث اعتمد فيه على قاعدة(إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره) والقاعدة الثانية(إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر)

---

(١) سورة الحج آية: ١٥
(٢) التسهيل ٣ / ٣٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال البغوي: قال مجاهد: النصر بمعنى الرزق والهاء راجعة إلى (من) ومعناه من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة نزلت فيمن(؟) أساء الظن وخاف ألا يرزقه فليمدد بسبب إلى السماء أي إلى سماء البيت فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ وهو خيفة أن لا يرزق.(١)

قال أبو حيان: الهاء في "ينصره" للرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدي، واختاره الفراء والزجاج فالمعنى أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا بإعلاء كلمته وإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته والانتقام ممن كذبه، والرسول وإن لم يجر له ذكر في الآية ففيها ما يدل عليه وهو ذكر الإيمان في قوله إن الله يدخل الذين آمنوا وظن ذلك قوم من المسلمين لشدة غيظهم على المشركين، يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر أو أعراب استبطؤوا ظهور الرسول - صلى الله عليه وسلم - فتباطؤوا عن الإسلام.

والظاهر أن الضمير في "ينصره" عائد على "من"؛ لأنه المذكور، وحق الضمير أن يعود على المذكور وهو قول مجاهد. وحمل بعض قائلي هذا القول النصر هنا على الرزق(٢)

وقال الثعلبي: اختلفوا في المعنى بالهاء التي في قوله: (ينصره)

فقال أكثر المفسرين: عنى بها نبيه - صلى الله عليه وسلم - قال قتادة: يقول: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه فليمدد بسبب (بحبل) إلى السماء (إلى سقف البيت فليختنق به حتى يموت) ثم ليقطع (الحبل بعد الاختناق) فلينظر هل يذهبن كيده (صنيعه وحيلته) ما يغيظ هذا قول أكثر أهل التأويل، وإنما معنى الآية: فليصور هذا الأمر في نفسه وليس يختم(؟) لأنه إذا اختنق ومات لا يمكنه القطع والنظر.

---

(١) تفسير البغوي ٢٧٨/٣
(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٣٣٢/٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال: معنى الكلام: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكايده في دينه وأمره ليقطعه عنه، فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه فإن أصله في السماء، فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الوحي الذي يأتيه من الله، فإنه لا يكايده حتى يقطع أصله عنه، فلينظر هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا العمل.

وقال مجاهد: الهاء في ينصره راجعة إلى من، ومعنى الكلام: من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى سماء البيت فليختنق، فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ وهو خنقه أن لا يرزق، والنصر في هذا القول: الرزق، كقول العرب: من ينصرني نصره الله أي من يعطني أعطاه الله(١).

قال ابن عادل في اللباب بعد ذكر الآراء في الهاء: وعلى كل الوجوه فإنه زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فائدة فيه(٢).

وقال الرازي: فالهاء فيها وجهان: الأول: وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والضحاك وقتادة وابن زيد والسدي واختيار الفراء والزجاج أنه يرجع إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - يريد أن من ظن أن لن ينصر الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا بإعلاء كلمته وإظهار دينه، وفي الآخرة بإعلاء درجته والانتقام ممن كذبه والرسول - صلى الله عليه وسلم - وإن لم يجر له ذكر في الآية ففيها ما يدل عليه

الثاني: أن الهاء في قوله: ينصره الله راجع إلى (من) في أول الآية لأنه المذكور ومن حق الكناية أن ترجع إلى مذكور إذا أمكن ذلك ومن قال بذلك حمل النصرة على الرزق. فكأنه قال من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة، فلهذا الظن يعدل عن التمسك بدين محمد - صلى الله عليه وسلم - فيبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فإن ذلك لا يغلب التسمية(؟) ويجعله مرزوقاً (٣).

---

(١) تفسير الثعلبي ١١/٧
(٢) اللباب لابن عادل ٣٩/١٤
(٣) تفسير الرازي ١٥/٢٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال السمرقندي: قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله) الهاء كناية عن النبي(؟) ويجوز في اللغة الإضمار في الكناية وإن لم تكن مذكورة إذا كان الأمر ظاهرا، ومعناه: من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالغلبة والحجة(١).

قال الطبري: وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال الهاء من ذكر نبي الله - صلى الله عليه وسلم - ودينه وذلك أن الله تعالى ذكر قوما عبدوه على حرف وأنهم يطمئنون بالدين إن أصابوا خيرا في عبادتهم إياه وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها قد أتبع ذلك الآية فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخا لهم على ارتدادهم عن الدين أو على شكهم فيه.

ومعنى الكلام إذن: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - وأمته في الدنيا فيوسع عليهم من فضله فيها ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته استبطاء منه فعل ذلك ذلك(؟) به وبهم فليمدد بحبل إلى سماء فوقه إما سقف بيت أو غير ما يعلق به السبب من فوقه ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله فاستعجل اكتشاف ذلك عنه فلينظر هل يذهبن كيده اختناقه كذلك ما يغيظ فإن لم يذهب ذلك غيظه حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيدفعه(؟) فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ولا يعجل قبل حينه(٢)

وبعد هذه الأقوال وذكر القواعد أرى أحقية ابن جزي في ترجيحه والله أعلم.

---

(١) تفسير السمرقندي ٤٥٢/٢
(٢) تفسير الطبري ١٢٥/١٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى "إن ذلك على الله يسير" يحتمل أن تكون الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات في الكتاب أو إلى الحكم في الاختلاف والأول أظهر(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن المراد بقوله تعالى: إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير: الإشارة بذلك إلى كتب المعلومات في الكتاب وهذا الترجيح سديد وموفق تؤيده قاعدة الترجيح التي تقول (القول الذي يجعل المشار إليه قريبا أولى من غيره إلا بدليل)

قال الطبري: إن ذلك في كتاب يقول تعالى ذكره إن علمه بذلك في كتاب وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جل ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة إن ذلك على الله يسير (٣)

وقال ابن عادل في قوله تعالى: إن ذلك في كتاب أي: كله في كتاب يعني اللوح المحفوظ.

وقيل: معنى الكتاب الحفظ والضبط والشد، يقال: كتبت المزادة كتبتها خرزتها، فحفظت بذلك ما فيها، ومعنى الكتاب بين الناس حفظ ما يتعاملون به، فالمراد بالآية أنه محفوظ عنده. وأيضاً فالقول الأول يوهم أن علمه مستفاد من الكتاب

وأجيب بأن هذا القول وإن كان صحيحاً نظراً إلى الاشتقاق لكن حمل اللفظ على المتعارف أولى، ومعلوم أن الكتاب هو ما كتب فيه الأمور (٤).

---

(١) سورة الحج الآية ٧٠
(٢) التسهيل ٣ / ٤٦
(٣) تفسير الطبري ٢٠٠/١٦
(٤) اللباب في علوم الكتاب ١٤٦/١٤، بتصرف يسير.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (بل أتيناهم بذكرهم) يحتمل أن يكون بتذكيرهم ووعظهم أو بذكرهم وشرفهم وهذا أظهر(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن معنى قوله تعالى: (بذكرهم) أي: بذكرهم وشرفهم وعلى هذا كثير من المفسرين وهذا الترجيح يتفق مع قول جمهور السلف، والقاعدة أن (تفسير جمهور السلف وفهمهم لنصوص الوحي مقدم على كل تفسير شاذ).

قال الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم فيه حديثكم(؟) عن سفيان: نزل القرآن بمكارم الأخلاق ثم تسمعه يقول لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون

وقال آخرون: بل عني بالذكر في هذا الموضع الشرف وقالوا معنى الكلام: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه شرفكم

قال أبو جعفر وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكلمة وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه (٣)

وبه أيضا قال جمع من المفسرين قالوا:

(بل أتيناهم بذكرهم) بشرفهم في الدنيا والآخرة (٤)

---

(١) سورة المؤمنون آية: ٧١
(٢) التسهيل ٣ / ٥٣
(٣) تفسير الطبري ٧/١٧
(٤) تفسير الواحدي ٧٥١/٢ تفسير مقاتل ٤٠١/٢، تفسير الصنعاني ٤٨/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الشنقيطي: اختلف العلماء في الذكر في الآية الكريمة فمنهم من قال: ذكرهم فخرهم، وشرفهم، لأن نزول هذا الكتاب على رجل منهم فيه لهم أكبر الفخر والشرف، وعلى هذا، فالآية كقوله: (وإنه لذكر لك ولقومك) على تفسير الذكر بالفخر والشرف، وقال بعضهم: الذكر في الآية: الوعظ والتوصية، وعليه فالآية كقوله: (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) وقال بعضهم: الذكر هو ما كانوا يتمنونه في قوله: (لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين) وعليه، فالآية كقوله تعالى: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم) (وعلى هذا القول فقوله: (فلما جاءهم نذير ما ازدادوا إلا نفورا)) كقوله هنا، هم عن ذكرهم معرضون. وقوله: (أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم) والآيات بمثل هذا على القول الأخير كثيرة والعلم عند الله تعالى.(١)

قوله تعالى: الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيرا(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (فاسأل به خبيرا) فيه معنيان:

أحدهما وهو الأظهر: أن المراد اسأل عنه من هو خبير عارف به وانتصب خبيرا على المفعولية وهذا الخبير المسئول هو جبريل عليه السلام والعلماء وأهل الكتاب والباء في قوله به يحتمل أن تتعلق بخبيرا أو تتعلق بالسؤال ويكون معناه على هذا معنى عن.

(١) تفسير الشنقيطي ٣٤٣/٥

(٢) سورة الفرقان آية: ٥٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والمعنى الثاني: أن المراد اسأل بسؤاله خبيرا أي إن سألته تجده تعالى خبيرا بكل شيء فانتصب خبيرا على الحال وهو كقولك لو رأيت فلانا رأيت أسدا أي رأيت برؤيته أسدا(١).

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن قوله تعالى: (فاسأل به خبيرا) المراد به اسأل عنه من هو خبير عارف به وانتصب خبيرا على المفعولية وهذا الخبير المسئول هو جبريل عليه السلام وهذا القول الذي ذهب إليه ابن جزي قول مرجوح حيث إن القاعدة الترجيحية تقول (عود الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى مقدر) والآيات تتحدث عن رب العزة تبارك وتعالى والقاعدة الترجيحية الثانية تقول (ليس كل ما صح في اللغة وجب حمل آيات التنزيل عليه) إذا فالراجح أن المراد بقوله تعالى: (فاسأل به خبيرا) أي إن سألته تعالى وجدته خبيرا بكل شيء.

قال الطبري: وقوله فاسأل به خبيرا يقول فاسأل يا محمد خبيرا بالرحمن خبيرا بخلقه فإنه خالق كل شيء ولا يخفى عليه ما خلق (٢)

وقال صاحب لباب التأويل:

قوله تعالى "الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً" أي: فاسأل الخبير بذلك، يعني بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش. وقيل: أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم، بهذا إلى غيري وقيل معناه فاسأل عنه خبيراً وهو الله تعالى وقيل: هو جبريل عليه السلام (٣)

---

(١) التسهيل ٣ / ٨٠.
(٢) تفسير الطبري ٢٨/١٩.
(٣) لباب التأويل ١٠٦/٥.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الزجاج: أي اسأل عنه وقد حكى هذا جماعة من أهل اللغة أن الباء بمعنى عن كما قال جل وعز (سأل سائل بعذاب واقع)

وأهل النظر ينكرون أن تكون الباء بمعنى عن لأن في هذا فساد المعنى، ولكن هذا مثل قول العرب: لو لقيت فلانا للقيك به الأسد أي: للقيك بلقائك إياه الأسد، والمعنى فاسأل بسؤالك على ما تقدم

وقال الثعلبي: الباء في قوله (بعذاب) بمعنى (عن) كقوله (فاسأل به خبيرا) أي عنه (١)

والذي أراه راجحاً هو القول الثاني الذي معناه إن سألته تجده خبيراً والله أعلم.

قوله تعالى: وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد(٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
قوله تعالى: (إن هذا لشيء يراد) هذا أيضا مما حكى الله(؟) من كلام قريش وفي معناه وجهان:
أحدهما: أن الإشارة إلى الإسلام والتوحيد أي إن هذا التوحيد شيء يراد منا الانقياد إليه
والآخر: أن الإشارة إلى الشرك والصبر على آلهتهم أي: إن هذا لشيء ينبغي أن يراد ويتمسك به، أو أن هذا شيء يريده الله منا لما قضى علينا به والأول أرجح لأن الإشارة فيما بعد ذلك إليه فيكون الكلام على نسق واحد(٣)
(١) تفسير الثعلبي ٣٤/١٠.
(٢) سورة ص الآية ٦.
(٣) التسهيل ٣ / ١٧٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن المشار إليه في قوله تعالى: (إن هذا لشيء يراد) هو الإسلام والتوحيد وما طلب منهم التوحيد وترك عبادة الأوثان وهذا ترجيح مبني على قاعدة من قواعد الترجيح (القول الذي يجعل المشار إليه مذكورا أولى من الذي يجعله مقدرا) وقاعدة الترجيح التي تقول: (القول الذي يجعل المشار إليه قريبا أولى من الذي يجعل القول بعيدا) وقاعدة الترجيح الثالثة التي تقول: (حمل القرآن على نسق واحد أولى من تفريقه)، والآيات تتحدث عن قريش ودعوتهم إلى توحيد الله عز وجل بدليل قول الله عز وجل في نفس الآيات (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب) ومن أقوال أهل التفسير ما يأتي:

قال الطبري: وقوله (إن هذا لشيء يراد) أي إن هذا القول الذي يقول محمد ودعونا(؟) إليه من قول لا إله إلا الله شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا وأن نكون له أتباعا ولسنا مجيبيه إلى ذلك (١)

وقال ابن عطية: وقولهم: (إن هذا الشيء يراد) يريدون ظهور محمد وعلوه والنبوة أي: إن يراد منا الانقياد إليه (٢)

وقال الشوكاني: (أن امشوا) أي: قائلين لبعضهم بعضا امضوا على ما كنتم عليه ولا تدخلوا في دينه (واصبروا على آلهتكم) أي اثبتوا على عبادتها وقيل: المعنى وانطلق الأشراف منهم فقالوا للعوام امشوا واصبروا على آلهتكم و"أن" في قوله: (أن امشوا) هي المفسرة للقول المقدر أو لقوله وانطلق لأنه تضمن معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية معمولة للمقدر أو للمذكور أي بأن امشوا وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها أي اجتمعوا وأكثروا وهو بعيد جدا وخلاف ما يدل عليه الانطلاق والمشي بحقيقتهما وخلاف ما تقدم في سبب النزول وجملة (إن هذا لشيء يراد)

---

(١) تفسير الطبري ١٢٦/٢٣
(٢) المحرر الوجيز ٤٩٣/٤، والواحدي ٩١٩/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

تعليل لما تقدمه من الأمر بالصبر أي يريده محمد بنا وبآلهتنا ويود تمامه علينا ونكون له أتباعا فيتحكم فينا بما يريد فيكون هذا الكلام خارجا مخرج التحذير منه والتنفير عنه وقيل المعنى إن هذا الأمر يريده الله سبحانه وما أراده فهو كائن لا محالة فاصبروا على عبادة آلهتكم وقيل المعنى إن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه والأول أولى (١)

وبهذا يتضح رجحان ما ذهب إليه الإمام ابن جزي رحمه الله.

ما الذي يقتضيه العطف بثم في قوله " ثم جعل منها زوجها "؟
قوله تعالى: خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون(٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
فإن قيل: كيف عطف قوله ثم جعل على خلقكم بثم التي تقتضي الترتيب والمهلة ولا شك أن خلقة حواء كانت قبل خلقة بني آدم؟
فالجواب من ثلاثة أوجه:
الأول: وهو المختار: أن العطف إنما هو على معنى قوله واحدة لا على خلقكم كأنه قال: خلقكم من نفس كانت واحدة ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها
الثاني: أن ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود
الثالث: أنه يعني بقوله خلقكم إخراج بني آدم من صلب أبيهم كالذر وذلك كله كان قبل خلقة حواء (٣)
الترجيح في الميزان:
(١) تفسير الشوكاني ٤٢١/٤
(٢) سورة الزمر آية: ٦
(٣) التسهيل ٣ / ١٩٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الإمام ابن جزي رحمه الله في عطف قوله (ثم جعل منها زوجها) على (خلقكم من نفس واحدة) والعطف بثم يقتضي الترتيب والتراخي ولا شك أن حواء خلقت قبل بني آدم؟

والجواب: من ثلاثة أوجه المختار منها هو الذي رجحه ابن جزي أن العطف إنما هو على معنى قوله (واحدة) لا على (خلقكم) كأنه قال: خلقكم من نفس كانت واحدة ثم خلق منها زوجها بعد وحدتها، وهذا الترجيح صحيح لأن متعلق ثم هنا هو معنى قوله تعالى: (واحدة) والمعنى: خلقكم من نفس كانت واحدة ثم شفعها بزوج بعد وحدتها فكان الأصل واحداً فمتعلق (ثم) هنا على المعنى وهذا وارد في لغة العرب ومثل ذلك في كلام العرب أن تقول: أعطيتك اليوم شيئا ثم الذي أعطيتك أمس أكثر والقاعدة الترجيحية تقول (يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع).

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: (خلقكم من نفس واحدة) يعني: آدم (ثم جعل منها زوجها) أي قبل خلقكم جعل منها زوجها لأن حواء خلقت قبل الذرية ومثله في الكلام أن تقول قد أعطيتك اليوم شيئا ثم الذي أعطيتك أمس أكثر هذا اختيار الفراء (١)

وقال الرازي: فإن قيل كيف جاز أن يقول: خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها والزوج مخلوق قبل خلقهم؟ أجابوا عنه من وجوه الأول: أن كلمة ثم كما تجيء لبيان كون إحدى الواقعتين متأخرة عن الثانية، فكذلك تجيء لبيان تأخر أحد الكلامين عن الآخر، كقول القائل بلغني ما صنعت اليوم، ثم ما صنعت أمس كان أعجب، ويقول أيضاً قد أعطيتك اليوم شيئاً، ثم الذي أعطيتك أمس أكثر الثاني: أن يكون التقدير خلقكم من نفس خلقت وحدها ثم جعل

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١٦٣/٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

منها زوجها الثالث: أخرج الله تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (١).

وقد ذكر الزمخشري هذا الوجه لكن لم يره راجحا قال رحمه الله:

ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل، فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع، فعطفها بثم على الآية الأولى، للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في الحال والمنزلة، لا من التراخي في الوجود. وقيل: ثم متعلق بمعنى واحدة، كأنه قيل: خلقكم من نفس واحدة، ثم شفعها الله بزوج. وقيل: أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر، ثم خلق بعد ذلك حواء (٢)

* *

قوله تعالى: إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم(٣)

قال الإمام ابن جزي: إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى والفاعل هو: الشيطان وقيل: الله تعالى، والأول أظهر، لتناسب الضمير بين الفاعلين في سول وأملى(٤)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي مرجع الضمير في قوله "وأملى" إلى "الشيطان" لاتحاد مرجع الضمير في الآية والقاعدة "(توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها)(٥)

---

(١) التفسير الكبير ٢١٣/٢٦
(٢) الكشاف ١١٥/٤
(٣) سورة محمد الآية (٢٥)
(٤) التسهيل ٤ / ٤٨.
(٥) قواعد الترجيح ٢ / ٦١٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (ألا يعلم من خلق) يحتمل: أن يكون (من خلق) فاعلا يراد به الخالق والمفعول محذوف تقديره: ألا يعلم الخالق خلقه،

أو يكون (من خلق) مفعولا والفاعل مضمر تقديره ألا يعلم الله من خلق والأول أرجح لأن من خلق إذا كان مفعولا اختص بمن يعقل والمعنى الأول يعم من يعقل ومن لا يعقل(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح ابن جزي - رحمه الله - أن يكون (من خلق) فاعلا يراد به الخالق والمفعول محذوف تقديره: ألا يعلم الخالق خلقه وقد اعتمد ابن جزي على القاعدة التي تقول (القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار)، وقاعدة الترجيح التي تقول: (يجب حمل كتاب الله تعالى على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة)

وقد وافقه فيما ذهب إليه:

الإمام ابن قتيبة قال: قوله (ألا يعلم من خلق) (من) في موضع رفع ب(يعلم) والمفعول محذوف تقديره ألا يعلم الخالق خلقه، فدل ذلك على أن ما يسر الخلق من قولهم وما يجهرون به كل من خلق الله لأنه تعالى قال (وأسروا....)(٣)

وقال ابن عطية: قوله تعالى: (ألا يعلم من خلق) اختلف الناس في إعراب (من) فقال بعض النحاة: إعرابها رفع كانه قال ألا يعلم الخالق خلقه فالمفعول على هذا محذوف وقال قوم إعرابها نصب كانه قال ألا يعلم الله من خلق(٤)

---

(١) سورة الملك آية: ١٤
(٢) التسهيل ٤ / ١٣٤
(٣) مشكل إعراب القرآن ٧٤٥/٢
(٤) المحرر الوجيز ٣٤٠/٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال العكبري: قوله تعالى (من خلق) (من) في موضع رفع فاعل يعلم والمفعول محذوف أي ألا يعلم الخالق خلقه(١)

وجاء في كتاب إملاء ما من به الرحمن: قوله تعالى (من خلق) (من) في موضع رفع فاعل يعلم والمفعول محذوف أي ألا يعلم الخالق خلقه وقيل الفاعل مضمر ومن مفعول(٢)

فهذا القول الذي رجحه ابن جزي رحمه الله هو الأقرب والأليق بسياق وظاهر النص القرآني الكريم والله أعلم.

قوله تعالى: السماء منفطر به كان وعده مفعولا(٣)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
قوله تعالى: (السماء منفطر به) الانفطار: الانشقاق والضمير المجرور يعود على اليوم أي تنفطر السماء لشدة هوله.
ويحتمل: أن يعود على الله أي تنفطر بأمره وقدرته والأول أظهر(٤)
الترجيح في الميزان:
رجح الإمام ابن جزي رحمه الله عود الضمير في قوله تعالى: (منفطر به) على اليوم وهذا القول أراه مرجوحا حيث إن القول بعود الضمير على الله أولى لأن لاحق الآية يقول الله فيها: (إنه كان وعده مفعولا) ولا شك أن الضمير يعود هنا على الله، فعود الضمير في الأول وفي الثاني على واحد أولى من تفريقه والقاعدة الترجيحية تقول: (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقه) لذلك أرى والله أعلم أن القول الثاني هو الأولى وإن كان القول الأول له
(١) التبيان في إعراب القرآن ١٢٣٢/٢
(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢٦٥/٢، تفسير القرطبي ٢١٤/١٨
(٣) سورة المزمل آية: ١٨
(٤) التسهيل ٤ / ١٥٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وجه ومما يؤيد ذلك أن هذا القول ورد عن ابن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن.

قال ابن جرير الطبري وعليه كثير من السلف الصالح قال رحمه الله:

وقوله: (السماء منفطر به) يقول تعالى ذكره السماء مثقلة بذلك اليوم متصدعة منشقة.

وعن ابن عباس قوله: (السماء منفطر به) يعني: تنشق السماء حين ينزل الرحمن(١).

وقال السمعاني: قد ورد عن كثير من السلف أن قوله: (منفطر به) أي: بالله(؟)، وهو نزول يوم القيامة لفصل القضاء بلا كيف.

وقيل: السماء منفطر به أي: فيه، يعني أن السماء منشقة في يوم القيامة. ذكره أبو جعفر النحاس، وذكر أنه أحسن المعاني. (٢)

وقال صاحب اللباب: قوله: (السماء منفطر به). صفة أخرى، أي: منشقة بسبب هوله وشدته، فتكون الباء سببية وهذا أحسن ما قيل فيه (٣)

قوله تعالى: السماء منفطر به كان وعده مفعولا(٤)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
قوله تعالى: (كان وعده مفعولا) الضمير في (وعده) يحتمل أن يعود على اليوم، أو على الله، والأول أظهر لأنه ملفوظ به(٥)
الترجيح في الميزان:
رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن الضمير في (وعده) يعود على اليوم
(١) تفسير الطبري ١٣٨/١٩
(٢) تفسير السمعاني ٨٣/٦
(٣) اللباب ٤٧٩/١٩
(٤) سورة المزمل آية: ١٨
(٥) التسهيل ٤ / ١٥٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وهذا القول الذي رجحه ابن جزي رحمه الله أراه مرجوحا وذلك لأن القول بعود الضمير على الله أليق بالسياق القرآني وأنسب لهذا المقام حيث الحديث فيه عن مقام العظمة لله والقاعدة الترجيحية تقول (يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق) وعود الضمير على الله أليق وأنسب

وقد ذكر الرازي هذا الرأي فقال: أما قوله: (كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا) فاعلم أن الضمير في قوله: (وَعْدُهُ) يحتمل أن يكون عائدا إلى المفعول وأن يكون عائدا إلى الفاعل:

أما الأول: فأن يكون المعنى وعد ذلك اليوم مفعول أي الوعد المضاف إلى ذلك اليوم واجب الوقوع، لأن حكمة الله تعالى وعلمه يقتضيان إيقاعه، وأما الثاني: فأن يكون المعنى وعد الله واقع لا محالة لأنه تعالى منزه عن الخلف وهاهنا وإن لم يجر ذكر الله تعالى ولكنه حسن عود الضمير إليه لكونه معلومًا (١)

وقال صاحب نظم الدرر: (وعده) أي: وعد الله الذي تقدم ذكره في مظاهر العظمة، فالإضافة للمصدر من الفاعل (مفعولاً) أي سهلاً مفروغًا منه في أي شيء كان، فكيف إذا كان بهذا اليوم الذي هو محط الحكمة، أو الضمير لليوم والإضافة إلى المفعول، إشارة إلى أن الوعد الواقع به وفيه لا بد منه، ومعلوم أنه لا يكون إلا من الله (٢).

وقال الطبري: وقوله (كان وعده مفعولا) يقول تعالى ذكره كان وعد الله من أمر أن يفعله مفعولا لأنه لا يخلف وعده وما وعد أن يفعله تكوينه يوم تكون الولدان شيبا يقول فاحذروا ذلك اليوم أيها الناس فإنه كائن لا محالة (٣).

---

(١) التفسير الكبير ١٦٣/٣٠
(٢) نظم الدرر ٢١٤/٨
(٣) تفسير الطبري ١٣٧/٢٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال العز بن عبد السلام: (كان وعده) بالثواب والعقاب أو بإظهار دينه على الدين كله أو بانفطار السماء وشيب الولدان وكون الجبال كثيباً مهيلاً والضمير لليوم (١)

وبهذا يتبين أن أكثر المفسرين على القول بعود الضمير على الله في قوله تعالى: (كان وعده مفعولا) وهو الأنسب وأبلغ في بيان عظمة الله، والله أعلم.

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام ٣٨٢/٣ بتصرف يسير.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الخامس: تقويم لقواعد الترجيح عند الإمام ابن جزي

من خلال ما سبق من استعراض الأقوال الترجيحية للإمام ابن جزي تبين أنه استوعب من خلالها جل الأبواب العلمية في الفنون التي اختصت بها الدراسة في هذا الفصل.

ففي باب العقيدة: تناول بعض مسائل الإلهيات مثل رؤية الله تعالى في الدنيا، وتكليم الله تعالى للبشر، وعصمة الأنبياء وما تعلق بها مع نبي الله نوح ونبي الله يوسف ونبي الله محمد صلى الله عليهم أجمعين.

وكذا تناول قصة الغرانيق ورد الشبهات والإسرائيليات عن مقام النبوة

وكذا تناول من السمعيات أحوال الآخرة وزلزلة الساعة، وحديث جهنم هل هو على سبيل الحقيقة أم المجاز

وكذا تناول أحوال المؤمنين وما يتعلق بإيمانهم من مبطلات الأعمال، وزيادة الإيمان ونقصانه وحكم مرتكب الكبيرة

وفي قضايا الفقه تناول العبادات والمعاملات وأحكام الأسرة والحدود والديات

ففي العبادات تناول من أحكام الصيام تناول حكم صيام المسافر والمريض، ومن أحكام الحج حكم العمرة بين الوجوب والسنية، وحكم السعي بين الصفا والمروة

ومن أحكام المعاملات تناول حكم خيانة المظلوم لظالمه في محاولة استرداد حقه

ومن أحكام الأسرة تناول رحمه الله حكم إنكاح الولي لوليته وحكم النكاح بدون ولي، وبعض أحكام الطلاق، وبعض أحكام الرجعة

واستوعب في موضوعات اللغة من أقوال العلماء والنحاة ما يجعلنا على أتم أنواع التقدير لهذه الجهود في هذا الفن الذي لا يتقنه إلا الأفذاذ من أهل العلم.

ومن خلال مطالعة المسائل واتفاقها مع آراء العلماء نرى أنه لم يخرج عن إجماع أهل العلم في القواعد الترجيحية التي استند إليها.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقد كان الإمام ابن جزي يتحرى في ترجيحاته من القواعد ما يناسب مع المقام الذي يقع فيه الترجيح.

وفيما يلي ضرب لبعض الأمثلة على ذلك:

أولا: رأيناه يعتمد على قاعدة "القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه"

ومن ذلك ما يلي:

١- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (١)

حيث قال: "والأول أظهر لقوله قبل ذلك في الكفار أو المنافقين "وسيحبط أعمالهم" فكأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا أعمالكم مثل هؤلاء الذين أحبط الله أعمالهم بكفرهم وصدهم عن سبيل الله ومشاقتهم الرسول (٢)

فقد رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله "ولا تبطلوا أعمالكم" هو الشرك كما يفهم من سياق الآيات وهو قول راجح، فالآية التي قبلها قوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ" (٣)

والآية التي تليها قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ" (٤)

٢- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ) (٥)

---

(١) سورة محمد آية: (٣٣)
(٢) التسهيل ٤/٤٩
(٣) سورة محمد آية: (٣٢)
(٤) سورة محمد آية: (٣٤)
(٥) سورة البقرة آية: (٢٢٩)،
[اللقطة الثالثة في الملف تكرار للقطة الثانية (الصفحتان ٢٨٠-٢٨١ ممسوحتان مرتين)]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حيث رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بالتسريح ترك المراجعة إلى أن تنقضي العدة معتمدا في ذلك على السياق القرآني الكريم، وهو عندي ترجيح صحيح فإن القول الذي تؤيده قرائن السياق مرجح على ما خالفه.

٣- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا) (١)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن قوله: (إنه كان فاحشة ومقتا): تقتضي الدوام لوجود خبرها منصوبا. وهذا الترجيح سديد لموافقته السياق القرآني العام، والقاعدة أن "حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك"

ثانيا: رأيناه يعتمد على قاعدة "لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه".

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٢)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن الحر لا يقتل بالعبد (٣) معتمدا في ذلك على ظاهر الآية الكريمة.

ثالثًا: رأيناه يعتمد على قاعدة: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (٤) حيث رجح أن المراد: الإنصات لقراءة القرآن على

---

(١) سورة النساء الآية ٢٢.
(٢) سورة البقرة آية: (١٧٨).
(٣) التسهيل ٧٠/١.
(٤) سورة الأعراف آية: (٢٠٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الإطلاق، فقال: وهو الراجح لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه.

والثاني: أن الآية مكية والخطبة إنما شرعت بالمدينة (١)

رابعا: رأيناه يعتمد على قاعدة: "تفسير السلف وفهمهم النصوص الوحي حجة على من بعدهم"

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن عود الضمير في قوله تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)) - على القرآن الكريم، وليس على محمد (- صلى الله عليه وسلم -) - الكائن في قوله تعالى: ((على عبدنا)) (٣). وهذا الترجيح سديد وموفق، حيث يشهد لصحته أن: "تفسير السلف وفهمهم النصوص الوحي حجة على من بعدهم"

خامسا: رأيناه يعتمد على قاعدة: "إعادة الضمير إلى المحدَّث عنه أولى من إعادته إلى غيره"

ومن ذلك ما يلي:

١- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" (٤)

---

(١) التسهيل ٥٨/٢، ٥٩

(٢) سورة البقرة الآية (٢٣)

(٣) التسهيل ٤١/١.

(٤) سورة التوبة الآية ٣٦.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حيث رجح عود الضمير في قوله "فيهن" على الأشهر الحرم، وهذا الترجيح سديد وموفق حيث تؤيده القاعدة الترجيحية التي تقول (إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره)

٢- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" (١)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن عود الضمير في قوله "عنه" إلى قوله "كل" والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده.

وهو ترجيح سديد تؤيده القاعدة: "إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره"، وقاعدة: "عود الضمير على أقرب مذكور أولى من إعادته إلى مقدر"

٣- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ) (٢)

حيث رجح الإمام ابن جزي عود الضمير على (من) في قوله (مَنْ كَانَ يَظُنُّ) وهذا الترجيح سديد حيث اعتمد فيه على قاعدة (إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره)، والقاعدة الثانية (إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر)

سادساً: رأيناه يعتمد على قاعدة: "يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة" (٣)

ومن ذلك ما يلي:

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٦
(٢) سورة الحج آية: ١٥
(٣) قواعد الترجيح ٦٤٥/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن قوله (لعلكم) يتعلق بفعل مقدر والمعنى: دعوتكم إلى عبادة الله لعلكم، وأرى أن هذا الترجيح سديد حيث تؤيده قاعدتان من قواعد الترجيح

الأولى: (يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف) (٢)

الثانية: (يجب حمل كلام الله على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع)

٢- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: "وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ" (٣)

حيث رجح الإمام ابن جزي: أن البدل أرجح وأفصح وهو الأشهر في لغة العرب، والقاعدة الترجيحية أنه "يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة".

٣- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: "ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى" (٤)

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١.
(٢) قواعد الترجيح ٦٤٥/١
(٣) سورة المائدة الآية ٧١.
(٤) سورة الكهف الآيتان (١٢، ١٣)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حيث رجح الإمام ابن جزي: أن قوله تعالى "أحصى" فعل ماض، ومفعوله "أمدا" وضعف القول بأن أحصى اسم تفضيل وترجيحه تؤيده القاعدة: (يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيف والشاذ)

سابعاً: رأيناه يعتمد على قاعدة: "توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها"

ومن ذلك ما يلي:

١- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (١)

حيث رجح الإمام ابن جزي: أن الضمائر الثلاثة في قوله تعالى "عليهم" و"تنبئهم" و"قلوبهم" تعود على المنافقين، وهذا الترجيح موفق وسديد حيث تؤيده القاعدة الترجيحية التي تقول (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها) وهنا الإمام ابن جزى رجح القول الأول بتوحيد مرجع الضمائر.

٢- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ" (٢)

حيث رجح الإمام ابن جزي: أن مرجع الضمير في قوله "وأملى" إلى الشيطان لاتحاد مرجع الضمير في الآية والقاعدة: (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها).

ثامنا: رأيناه يعتمد على قاعدة: "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك"

ومن ذلك ما يلي ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حيث رجح الإمام ابن جزي: أن عود الضمير في قوله تعالى: ((وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ)) - على القرآن الكريم وليس محمد (- صلى الله عليه وسلم -) - الكائن في قوله تعالى: ((على عبدنا)). والقول بعود الضمير على القرآن، يشهد لصحته قاعدة: القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك.

تاسعاً: رأيناه يعتمد على قاعدة: "يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص"

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: يقول الله تعالى: وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (٤)

حيث رجح الإمام ابن جزي: أن معنى موزون أي: مقدر بقدر وهو رأي جمهور المفسرين وهو الأنسب في تفسير الآية إذ هو يفيد العموم وليس في تخصيص اللفظ بالموزون نص ثابت أو علة راجحة. ومن ثم يؤيده:

١- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص.

٢- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٤.
(٢) سورة محمد الآية (٢٥)
(٣) سورة البقرة الآية (٢٣)
(٤) سورة الحجر آية: (١٩).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ولأن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد فقد رأينا الإمام ابن جزي يجانبه الصواب في بعض ترجيحاته.

ومن ذلك ما يلي:

١- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا(١).

حيث رجح الإمام ابن جزي: عود الضمير في قوله تعالى: (منفطر به) على اليوم وهذا القول أراه مرجوحًا حيث إن القول بعود الضمير على الله أولى لأن لاحق الآية يقول الله فيها: (إنه كان وعده مفعولا) ولا شك أن الضمير يعود هنا على الله، فعود الضمير في الأول وفي الثاني على واحد أولى من تفريقه.

والقاعدة الترجيحية تقول: (توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقه) لذلك أرى والله أعلم أن القول الثاني هو الأولى وإن كان القول الأول له وجه.

٢- ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٢).

حيث رجح الإمام ابن جزي: أن الشيطان هو الذي تكلم بنغمة مقاربة لصوت النبي - صلى الله عليه وسلم - فأشكل ذلك على المشركين فظنوه من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وأقول: إن هذا الرأي وإن كان قد نفى تسلط الشيطان بالإلقاء على النبي - صلى الله عليه وسلم - ونزّه النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتكلم بشيء من وحي الشيطان أثناء تبليغه رسالة رب العالمين. لكنه جوز تمثل الشيطان بنغمة صوت النبي - صلى الله عليه وسلم - بحيث يعتقد السامع أنه من كلامه، ولا شك أن في ذلك تشويشًا وتلبيسًا عظيمًا على المدعوين.

---

(١) سورة المزمل آية: ١٨.
(٢) سورة الحج آية / ٥٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والذي أراه: أن الإمام ابن جزي قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه من أن الشيطان هو الذي تكلم بذلك وظن الناس أن النبي هو المتكلم بصوت قريب من صوت النبي والتبس الأمر على المشركين، ومعنى الآية: أن كل نبي قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان.

والذي أرجحه: أن إلقاء الشيطان هو وقوفه للدعوة بالمرصاد، وإلقاء الشبهات في طريقها، ووصف القرآن الكريم بأنه شعر أو سحر، فيلقي الشيطان هذه الشبهات وتلك الوساوس في نفوس أوليائه فيشيعونها بين الناس، قال تعالى: وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ(١)، وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ(٢).

وعلى تفسير - إلقاء الشيطان - بإلقائه الشبهات والوساوس سار المحققون من أئمة التفسير(٣).

*\ *\ *\

١- سورة الأنعام من الآية: (١٢١). ٢- سورة الأنعام، آية: (١١٢). ٣- النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٥٠٤/٢ -ط- مؤسسة الكتب الثقافية - دار الجنان - لبنان- بيروت- الأولى (١٤٠٧ه/١٩٨٧م)، وروح المعاني ١٧٣/١٧، وتفسير المراغي للأستاذ الشيخ /أحمد مصطفى المراغي ١٢٨/١٧ - ط- مصطفى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الخامسة (١٣٩٤ه/١٩٧٤م)، التحرير والتنوير ٢٩٩/١٧، الأساس في التفسير للأستاذ /سعيد حوى ٣٥٨١/٧ -دار السلام بالقاهرة - الأولى (١٤٠٥ه/١٩٨٥م).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الفصل الثالث:

ترجيحات الإمام ابن جزي في مسائل التفسير وعلوم القرآن.

ويشتمل على أربعة أبحاث:

البحث الأول: ترجيحاته في الأقوال التفسيرية.

البحث الثاني: ترجيحاته في القراءات.

البحث الثالث: ترجيحاته في المسائل المتعلقة بعلوم القرآن.

البحث الرابع: تقويم لترجيحات الإمام ابن جزي في مسائل التفسير وعلوم القرآن.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الأول: ترجيحاته في الأقوال التفسيرية.

ويشتمل على مطلبين:

الأول: التفسير بالمأثور.

الثاني: التفسير بالرأي.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أولًا: تفسير القرآن:

١- ما معنى الرجيم في " أعوذ بالله من الشيطان الرجيم "؟

قال ابن جزي رحمه الله في حديثه عن الاستعاذة:

الرجيم:

فعيل بمعنى مفعول ويحتمل معنيين:

أن يكون بمعنى لعِين وطَريد وهذا يناسب إبليس لقوله: وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ(١) والأول أظهر.(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن الرجيم فعيل بمعنى مفعول أي: طريد بمعنى مطرود، وممن قال بذلك من أهل العلم: الإمام السمرقندي وغيره(٣)

حيث قال: "من الشيطان الرجيم" يعني الملعون ويقال المطرود من رحمة الله

ويقال: (الرجيم) بمعنى المرجوم كما قال تعالى: (وجعلناها رجوما للشياطين)(٤)

وقال الأزهري في تهذيب اللغة: الرجيم: المرجُومُ وجمعه رُجُوم، قال الله في الشُّهُب: (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا)، أي: جَعَلْنَاها مَرَامِيَ لهم.

والرَّجْم: اللَّعْن، والشيطانُ الرَّجِيم، بمعنى المَرْجُوم، وهو الملعون المُبْعَد.

والرَّجْمُ: القولُ بالظَّنِّ والحَدْس، ومنه قول الله: (رَجْمًا بِالْغَيْبِ)(٥)

وقال صاحب حاشية الجمل على شرح المنهج:

---

(١) سورة الملك آية: (٥) قوله تعالى: وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ

(٢) التسهيل ٣٠/١

(٣) ينظر في ذلك: ديوان الحماسة للتبريزي ٤/٢.، الجوهرة النيرة لأبي بكر العبادي الزبيدي ٢٠٦/١، حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي ١٦٨/١.

(٤) تفسير السمرقندي ٢٣٤/١

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ٤٩/١١، تحقيق: محمد عوض مرعب.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله "الرجيم" بمعنى المرجوم باللعن أو الراجم بالوسوسة فهو بمعنى فاعل أو مفعول والصيغة للذم والتحقير والمعنى ألتجئ إلى الله تعالى من كل متمرد عاتٍ مطرود.(١)

وقد ذكر صاحب نزهة الأعين النواظر: المعاني الواردة في معنى الرجيم حيث قال: ذكر أهل التفسير أن الرجم في القرآن على خمسة أوجه: -

أحدها: الرمي. ومنه قوله تعالى في الملك: (وجعلناها رجوما للشياطين).

والثاني: القتل. (وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون"، " لئن لم تنتهوا لنرجمنكم". قال ابن قتيبة: وإنما استعير الرجم في موضع القتل: لأنهم كانوا يقتلون بالرجم.

والثالث: اللعن. ومنه قوله تعالى (فاخرج منها فإنك رجيم)، (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)، والرجيم بمعنى: المرجوم.

والرابع: السب. ومنه قوله تعالى في مريم: (لئن لم تنته لأرجمنك)

والخامس: القول بالظن. ومنه قوله تعالى: (رجما بالغيب) قاله مقاتل.(٢)

والذي أراه هو: أن الرجيم صيغة للذم والتحقير والطرد والإبعاد تشمل المعنيين في حق إبليس المرجوم والطارد للخير ولا مانع من الجمع بينهما لدلالة السياق القرآني، قال تعالى "قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين"(٣).

*١ *١ *١

---

(١) حاشية الجمل على شرح المنهج للشيخ زكريا الأنصاري ٣٥٤/١.
(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ٣١٨/١.
(٣) سورة ص الآيتان ٧٧، ٧٨.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢ - من المنعم عليهم في قوله: (أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)؟

قال الله عز وجل: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم ° (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

وقيل: المؤمنون. وقيل: الصحابة.

وقيل: قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا والأول أرجح لعمومه ولقوله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. (٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن المنعم عليهم في الآية هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون والذي ذكره الإمام ابن جزي من تفسير القرآن بالقرآن فى هذا الموطن هو ما ذكره الطبري في تفسيره حيث قال رحمه الله: وقوله: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين.

وذلك نظير ما قال ربنا جل ثناؤه في تنزيله.. وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٣)(٤)، وبه قال جمع من المفسرين. (٥).

وأقول: إن ما رجحه الإمام ابن جزي هو الراجح عند أهل التفسير وغيرهم.

١* ١* ١*

١- سورة الفاتحة، آية: (٧) ٢- التسهيل ٣٤/١ ٣- سورة النساء، آية: (٦٦: ٦٩) ٤- تفسير الطبري ٧٦/١ ٥- ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٧٦/٣، والنحاس في معاني القرآن وابن كثير فى تفسيره ٢٩ /١، ٦٨/١، السيوطى فى الدر المنثور ٤١/١، والإمام الشنقيطى فى أضواء البيان ٨/١، والروض الأنف ٤٣/ ٤، والتعريف والإعلام ص١٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ما المراد بالأمن في قوله تعالى: (رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا)؟

يقول الله تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (آمنا) أي: مما يصيب غيره من الخسف والعذاب.

وقيل: آمنا من إغارة الناس على أهله (٢)

لأن العرب كان يغير بعضهم على بعض وكانوا لا يتعرضون لأهل مكة وهذا أرجح لقوله... أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣). (٤)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن المراد بقوله تعالى: (آمِنًا) أي: آمنا من إغارة الناس على أهله. وقد ذكر المفسرون أن المعنى أعم وأشمل فهو أمن من كل عادية قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(٥)

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: يعني بقوله آمنا: آمنا من الجبابرة وغيرهم أن يسلطوا عليه، ومن عقوبة الله أن تناله كما تنال سائر البلدان من

---

(١) سورة البقرة آية: (١٢٦).
(٢) أحكام القرآن للجصاص ٩٧/١.
(٣) سورة القصص آية: (٥٧).
(٤) التسهيل (٦٠/١).
(٥) سورة الحج آية: (٢٥).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

[فُرّغت هذه الصفحة والتي تليها من تصوير مباشر للنسخة الورقية بعد سقوطهما من الملف الممسوح]

خسف وانتقال وغرق وغير ذلك من سخط الله ومثلاته التي تصيب سائر البلاد غيره(١).

وقال الرازي: اختلفوا في الأمن المسؤول في هذه الآية على وجوه:

أحدها: سأله الأمن من القحط لأنه أسكن أهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع.

وثانيها: سأله الأمن من الخسف والمسخ.

وثالثها: سأله الأمن من القتل وهو قول أبو بكر الرازي، واحتج عليه بأنه عليه السلام سأله الأمن أولًا، ثم سأله الرزق ثانيًا، ولو كان الأمن المطلوب هو الأمن من القحط لكان سؤال الرزق بعده تكرارًا فقال في هذه الآية: "رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات"

وقال في آية أخرى: "رب اجعل هذا البلد آمنًا" ثم قال في آخر القصة: "ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع" إلى قوله: "وارزقهم من الثمرات"}(٢)

واعلم أن هذه الحجة ضعيفة فإن لقائل أن يقول: لعل الأمن المسؤول هو الأمن من الخسف والمسخ، أو لعله الأمن من القحط، ثم الأمن من القحط قد يكون بحصول ما يحتاج إليه من الأغذية وقد يكون بالتوسعة فيها فهو بالسؤال الأول طلب إزالة القحط وبالسؤال الثاني طلب التوسعة العظيمة {٣}.

والراجح أن لفظ آمنا نكرة تفيد العموم؛ أي: جنس الأمن، فيكون المراد: آمنا من العذاب والخسف والقحط ومن القتال وغير ذلك من كل عادية والله أعلم.

---

(١) تفسير الطبري ١/٥٤١

(٢) (إبراهيم: ٣٧).

(٣) التفسير الكبير للرازي ٤٩/٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

من المقصود بالابتلاء في قوله: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع)؟

قال الله تعالى: ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

والخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين.

وقيل: لكفار قريش والأول أظهر لقوله بعد هذا "وبشر الصابرين"(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن الخطاب بهذا الابتلاء للمسلمين.

وقد أيد الطبري رحمه الله هذا الرأي فقال: هذا إخبار من الله تعالى ذكره أتباع رسوله أنه مبتليهم وممتحنهم بشدائد من الأمور ليعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه، كما ابتلاهم فامتحنهم بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة{٣}، وكما امتحن أصفياءه قبلهم ووعدهم ذلك في آية أخرى فقال لهم: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب"(٤) وبنحو الذي قلنا في ذلك كان الإمام ابن عباس وغيره يقول

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قوله (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع) قال: أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها وأمرهم بالصبر وبشرهم فقال: (وبشر الصابرين) ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه

---

(١) سورة البقرة آية: (١٥٥).
(٢) التسهيل ١/٦٥.
(٣) وأرى أن قياس الإمام الطبري هنا قياس مع الفارق. والأنسب أن يقال "كما ابتلاهم فامتحنهم في ملاقاتهم عدوهم في بدر وأحد والأحزاب وحنين، وغيرها لأنه قال قبلها: "ولا تحسبن... الآية" والله أعلم
(٤) سورة البقرة آية: (٢١٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وصفوته لتطيب أنفسهم فقال: (مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) كل ذلك خطاب منه لأتباع رسول الله وأصحابه.

وعن عطاء في قوله وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ قال هم أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - (١)

وكذلك الجصاص قال: روي عن أنس بن مالك أن المراد بهذه المخاطبة أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة،

قال أبو بكر: جائز والله أعلم أن يكون قد قدم إليهم ذكر ما علم أنه يصيبهم في الله من هذه البلايا والشدائد، والمعنيين أحدهما: ليوطنوا أنفسهم على الصبر عليها إذا وردت فيكون ذلك أبعد من الجزع وأسهل عليهم بعد الورود والثاني ما يتعجلون به من ثواب توطن النفس (٢)

قال الماوردي: الخطاب بهذا الابتلاء لكفار قريش: قوله تعالى: وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ يعني أهل مكة، لما تقدم من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجعلها عليهم سنين كسني يوسف حين قحطوا سبع سنين، فقال الله تعالى مجيبا لدعاء نبيه: وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ (٣)

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٤) والسيوطي في الدرالمنثور الآية على عمومها: فعن جويبر قال: كتب رجل إلى الضحاك يسأله عن هذه الآية إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أخاصة هي أم عامة فقال: هي لمن أخذ بالتقوى وأدى الفرائض (٥)

والآية لما يظهر لي عامة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هذا والله أعلم.

---

(١) تفسير الطبري ٤١/٢.
(٢) أحكام القرآن للجصاص ١١٦/١.
(٣) تفسير الماوردي ٢٠٩/١.
(٤) زاد المسير ١٦٢/١.
(٥) الدر المنثور ٣٧٧/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ما المراد بقوله تعالى: فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ..؟

قال الله تعالى: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ من قرأ بالتشديد فالمعنى: لا يكذبونك معتقدين لكذبك وإنما هم يجحدون بالحق مع علمهم به.

ومن قرأ بالتخفيف فقيل: معناه لا يجدونك كاذبا يقال: أكذبت فلانا إذا وجدته كاذبا كما يقال: أحمدته إذا وجدته محمودا.

وقيل: هو بمعنى التشديد يقال: كذب فلان فلانا وأكذبه بمعنى واحد وهو الأظهر لقوله بعد هذا: (يَجْحَدُونَ)

ويؤيد هذا: ما روي أنها نزلت في أبي جهل، فإنه قال لرسول الله: إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به، وأنه قال للأخنس بن شريق: والله إن محمدا لصادق ولكني أحسده على الشرف (٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن معنى قوله: فإنهم لا يُكَذِّبونك بمعنى التشديد وقد ذكر الطبري هذا الرأي ولكنه لم يعتمده قال رحمه الله:

يقول تعالى لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -: قد نعلم يا محمد إنه ليحزنك الذي يقول المشركون وذلك قولهم له إنه كذاب فإنهم لا يكذبونك.

واختلفت القراء في قراءة ذلك بمعنى أنهم لا يكذبونك فيما أتيتهم به من وحي الله ولا يدفعون أن يكون ذلك صحيحا؛ بل يعلمون صحته ولكنهم يجحدون حقيقته قولا فلا يؤمنون به

---

(١) سورة الأنعام آية: (٣٣).
(٢) التسهيل ٧/٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يحكي عن العرب أنهم يقولون أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه.

قال: ويقولون كذبته إذا أخبرت أنه كاذب

وقرأه جماعة من قراء المدينة والعراقين والكوفة والبصرة فإنهم لا يكذبونك بمعنى أنهم لا يكذبونك علما بل يعلمون أنك صادق ولكنهم يكذبونك قولا عنادا وحسدا.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال إنهما قرآتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم.

وقد ذهب إلى كل واحد من هذين التأويلين جماعة من أهل التأويل.

وعن سعيد بن جبير فإنهم لا يكذبونك قال ليس يكذبون محمدا ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

ومن قال ذلك بمعنى فإنهم لا يكذبونك ولكنهم يكذبون ما جئت به: ذكر أن أبا جهل قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - ما نتهمك ولكن نتهم الذي جئت به

فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون

وقال آخرون معنى ذلك فإنهم لا يبطلون ما جئتهم به، عن محمد بن كعب فإنهم لا يكذبونك قال لا يبطلون ما في يديك (١)

وقال الماوردي: فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ فيه أربعة أوجه:

أحدها: فإنهم لا يكذبونك بحجة، وإنما هو تكذيب بهت وعناد، فلا يحزنك، فإنه لا يضرك، قاله أبو صالح، وقتادة، والسدي.

والثاني: فإنهم لا يكذبون قولك لعلمهم بصدقك، ولكن يكذبون ما جئت به، قاله ناجية بن كعب.

---

(١) تفسير الطبري ١٨١/٧.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والثالث: لا يكذبونك في السر لعلمهم بصدقك، ولكنهم يكذبونك في العلانية لمعاداتهم لك، قاله الكلبي.

والرابع: معناه أن تكذيبهم لقولك ليس بتكذيب لك، لأنك رسول مُبَلِّغ، وإنما هم يكذبون لآياتي الدالة على صدقك والموجبة لقبول قولك، وقد بين ذلك بقوله تعالى: وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ أي يكذبون.

وقرأ نافع والكسائي: لَا يُكْذِبُونَكَ، وهي قراءة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وتأويلها: لا يجدونك كاذبا. (١)

وقال النحاس: معنى (يكذبونك) عند أهل اللغة ينسبونك إلى الكذب ويرون عليك ما قلت ومعنى (لا يكذبونك) لا يجدونك كاذبا كما تقول أحمدته إذا وجدته محمودا.

ويجوز أن يكون معنى المخففة: لا يبينون عليك أنك كاذب لأنه يقال: أكذبته إذا احتججت عليه وبينت أنه كاذب.

وعن علي رضي الله عنه قال قال أبو جهل للنبي - صلى الله عليه وسلم - قد نعلم يا محمد إنك تصل الرحم وتصدق الحديث ولا نكذبك ولكن نكذب الذي جئت به فأنزل الله عز وجل) قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (٢) (٣)

وأقول: كلا الرأيين له توجيهه والصواب أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء ولكل واحدة منهما في الصحة مخرج مفهوم والله أعلم.

●●●●●●●●●●

---

(١) النكت والعيون ١٠٧/٢
(٢) المستدرك تفسير سورة الأنعام ٣٤٥/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه
(٣) معاني القرآن ٤١٧/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

علام يعود الضمير في قوله "ما عليك من حسابهم"؟

يقول الله تعالى: وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ.....)

قيل: الضمير في حسابهم للذين يدعون

وقيل: للمشركين والمعنى على هذا لا تحاسب عنهم ولا يحاسبون عنك فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم والأول أرجح لقوله (وما أنا بطارد الذين آمنوا) وقوله (إن حسابهم إلا على ربي) والمعنى على هذا أن الله هو الذي يحاسبهم فلأي شيء تطردهم (٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن الضمير في حسابهم للذين يدعون وقد رجحه أيضًا من المفسرين الإمام الرازي حيث قال: اختلفوا في الضمير في قوله (حسابهم) وفي قوله (عَلَيْهِمْ) إلى ماذا يعود؟

والقول الأول: أنه عائد إلى المشركين، والمعنى ما عليك من حساب المشركين من شيء ولا حسابك على المشركين وإنما الله هو الذي يدبر عبيده كما يشاء وأراد. والغرض من هذا الكلام أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يتحمل هذا الاقتراح من هؤلاء الكفار، فلعلهم يدخلون في الإسلام ويتخلصون من عقاب الكفر، فقال تعالى: لا تكن في قيد أنهم يتقون الكفر أم لا فإن الله تعالى هو الهادي والمدبر.

والقول الثاني: أن الضمير عائد إلى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، وهم الفقراء، وذلك أشبه بالظاهر، والدليل عليه أن الكناية في قوله: فَتَطْرُدَهُمْ

---

(١) سورة الأنعام آية: (٥٢)
(٢) التسهيل ١٠/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ عائدة لا محالة إلى هؤلاء الفقراء، فوجب أن يكون سائر الكنايات عائدة إليهم.

وعلى هذا التقدير فذكروا في قوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ قولين:

أحدهما: أن الكفار طعنوا في إيمان أولئك الفقراء وقالوا: يا محمد إنهم إنما اجتمعوا عندك وقبلوا دينك لأنهم يجدون بهذا السبب مأكولاً وملبوساً عندك، وإلا فهم فارغون عن دينك، فقال الله تعالى: إن كان الأمر كما يقولون، فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر وإن كان لهم باطن غير مرضي عند الله، فحسابهم عليه لازم لهم، لا يتعدى إليك، كما أن حسابك عليك لا يتعدى إليهم، كقوله وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (١).

فإن قيل: أما كفى قوله: مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى ضم إليه قوله وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ

قلنا: جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة قصد بهما معنى واحد وهو المعنى في قوله وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى

القول الثاني: ما عليك من حساب رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم، ولا حساب رزقك عليهم، وإنما الرازق لهم ولك هو الله تعالى، فدعهم يكونوا عندك ولا تطردهم. (٢)، وممن أيد ذلك أيضا السمعاني (٣) والزمخشري (٤) وابن الجوزي (٥) ابن أبي زمنين (٦).

ومن ثم فقول الإمام ابن جزي يتفق مع قول جمهور المفسرين.

---

(١) سورة الأنعام آية: ١٦٤
(٢) التفسير الكبير للرازي ١٩٥/١٢
(٣) تفسير السمعاني ١٠٧/٢
(٤) الكشاف ٢٧/٢
(٥) زاد المسير لابن الجوزي ٤٤/٣
(٦) تفسير ابن أبي زمنين ٧١/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ما المراد بالحجاب في قوله "وبينهما حجاب"؟

يقول تعالى: وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (وبينهما حجاب) أي: بين الجنة والنار أو بين أصحابهما وهو أرجح لقوله: فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ (٢) (٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن الحجاب بين أصحاب الجنة وأصحاب النار.

وأيد الطبري أن يكون المراد بالحجاب سور بين الجنة والنار فقال:

(وبينهما حجاب) يعني: وبينهما حجاب وبين الجنة والنار حجاب يقول حاجز وهو السور الذي ذكر الله تعالى فقال فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهو الأعراف التي يقول الله فيها "وعلى الأعراف رجال"

فعن مجاهد قال: الأعراف حجاب بين الجنة والنار.

وعن السدي "وبينهما حجاب" وهو السور وهو الأعراف.

وعن ابن عباس: السور الذي ذكر الله في القرآن وهو بين الجنة والنار (٤)

---

(١) سورة الأعراف آية (٤٦)

(٢) سورة الحديد آية: (١٣). من قوله تعالى "يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ".

(٣) التسهيل ٣٣/٢

(٤) تفسير الطبري ١٨٨/٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال ابن أبي حاتم وغيره (١)

روى عن حذيفة بن اليمان واحد قولي مجاهد، والضحاك، والسدي، وقتادة أنهم قالوا: سور بين الجنة والنار. (٢)

وقد نقل البغوي قولا جاء فيه: (وبينهما حجاب) يعني بين الجنة والنار وقيل بين أهل النار حجاب وهو السور الذي ذكر الله في قوله (فضرب بينهم بسور له باب) (١)

والذي أراه أن اللفظ عام يشمل أن يكون بين الجنة والنار وبين أهل الجنة وأهل النار أعاذنا الله منها هذا والله أعلم.

●●●●●●●●●●

ما المراد بقوله تعالى: فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ..؟

يقول الله تعالى: وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ..." (٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ عقابا لهم على قولهم

وقيل: إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته والأول أرجح لقوله: قَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ (٣) (٤)

---

(١) تفسير السمرقندي ٥٣٣/١، تفسير ابن أبي زمنين ١٢٤/٢، وتفسير الثعلبي ٢٣٥/٤، تفسير البغوي ١٦٢/٢
(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١٤٨٣/٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح ابن جزي رحمه الله أن سبب أخذ الرجفة لبني إسرائيل إنما كان سببه أنهم سألوا الرؤية بدليل قول الله تعالى: فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ

وقد ذكر المفسرون لذلك أسبابًا منها ما ذكره الطبري عن ابن اسحاق قال:

قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة، وهي الصاعقة فماتوا جميعا.

وقال آخرون: إنما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل هارون

وقال آخرون: إنما أخذت القوم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لا أنهم كانوا من عبدته (٥)

وقال ابن عطية: قول موسى (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) يؤذن بأنه يعني به عبادتهم العجل، وحضورهم ذلك. وسكوتهم، وهي المعنيُّ بقوله: (إن هي إلا فتنتك)

ويجوز (بما فعل السفهاء منا) يعني به: ما صدر من بني إسرائيل قبل المناجاة، وسؤالهم رؤية الله تعالى. لكن الظاهر أن مثل ذلك لا يطلق عليه (فعل) (٦)

---

(١) تفسير البغوي ١٦٢/٢

(٢) سورة الأعراف آية: (١٥٥)

(٣) سورة النساء آية: (١٥٣) قوله تعالى: يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا.

(٤) التسهيل ٤٦/٢

(٥) تفسير الطبري ٧٢/٩

(٦) تفسير ابن عطية ١٢٤/٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الماوردي:

وفي سبب أخذها لهم قولان:

أحدهما: لأنهم سألوا الرؤية، قاله ابن إسحاق.

والثاني: لأنهم لم ينهوا عن عبادة العجل قاله ابن عباس (١).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: فأما الرجفة فسبب أخذها إياهم أربعة أقوال:

أحدها: أنه ادعاؤهم على موسى قتل هارون قاله علي بن أبي طالب

والثاني: اعتداؤهم في الدعاء قاله ابن عباس

والثالث: أنهم لم ينهوا عبدة العجل ولم يرضوا نقل عن ابن عباس وقال قتادة وابن جريج لم يأمروهم بالمعروف ولم ينهوهم عن المنكر ولم يزايلوهم

والرابع: أنهم طلبوا استماع الكلام من الله تعالى فلما سمعوه قالوا (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) قاله السدي وابن إسحاق (٢).

والذي أراه أن سياق القرآن يرجح ما قال به الإمام ابن جزي رحمه الله، والله أعلم.

●●●●●●●●●●

ما المراد بالدار في قوله تعالى: أولئك لهم عقبى الدار؟

يقول تعالى: وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

عقبى الدار: أي الآخرة أو الدنيا والأول أرجح لقوله (عقبى الدار) (٤) (٥)

---

(١) الماوردي ٢٦٥/٢
(٢) زاد المسير ٢٦٧/٣
(٣) سورة الرعد آية: (٢٢)
(٤) سورة الرعد آية: (٤٢)
(٥) التسهيل ١٣٤/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن يكون المراد بعاقبة الدار أي: الدار الآخرة وقد سند (؟) هذا الرأي الإمام القرطبي رحمه الله حيث قال:

قوله تعالى: (أولئك لهم عقبى الدار) أي: عاقبة الآخرة وهي الجنة بدل النار والدار غدا داران: الجنة للمطيع والنار للعاصي فلما ذكر وصف المطيعين فدارهم الجنة لا محالة.

وقيل: عنى بالدار الدنيا أي لهم جزاء ما عملوا من الطاعات في دار الدنيا (١)

وابن أبي زمنين قال: (أولئك لهم عقبى الدار) يعني: دار الآخرة، والعقبى: الثواب: وهو الجنة (٢)

ورأى الزمخشري وبعض المفسرين (٣) رأيًا آخر فقال:

المراد بالدار: الدنيا، وعاقبتها وعقباها: أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى عند الموت. فإن قلت: العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تسمى عاقبة الدار؛ لأنّ الدنيا إمّا أن تكون خاتمتها بخير أو بشر، فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر؟ قلت: قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازاً إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير، وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق، ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله فقد حرف، فإذًا عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير. وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها؛ لأنها من نتائج تحريف الفجار. (٤)

---

(١) تفسير القرطبي ٣١١/٩
(٢) تفسير ابن أبي زمنين ٣٥٤/٢
(٣) التفسير الكبير ٣٢/١٩ وبه قال النيسابوري في غرائب القرآن ١٥٤/٤، أبوالسعود ١٧/٥
(٤) الكشاف ٤١٥/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وكذلك قال الفخر الرازي - قوله: (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) أي: عاقبة الدار وهي الجنة، لأنها هي التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها.

وأيضًا الإمام الألوسي قال: أي عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أمر أهلها وهي الجنة فتعريف الدار للعهد والعاقبة المطلقة تفسر بذلك وفسرت به في قوله تعالى: (والعاقبة للمتقين) (١)

والذي أرجحه: أن المراد بعاقبة الدار هي الجنة، لأنها هي التي أراد الله أن تكون للمتقين ولدلالة السياق القرآني قال تعالى: الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢)

هذا والله أعلم.

●●●

---

(١) روح المعاني ١٤٢/١٣

(٢) سورة الرعد آية: (٢٢، ٢٣، ٢٤).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالحديث والأثر

- ١ - أيتهما أفضل: الحمد لله رب العالمين، أم لا إله إلا الله؟

قال تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

"قولنا الحمد لله رب العالمين أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين

أحدهما: ما أخرجه النسائي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة (٢).

والثاني: أن التوحيد الذي يقتضيه لا إله إلا الله حاصل في قولك "رب العالمين" وزادت بقولك الحمد لله وفيه من المعاني ما قدمنا وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله" (٣) فإنما ذلك للتوحيد الذي يقتضيه وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين في ذلك وزادت عليها وهذ (؟) المؤمن يقولها لطلب الثواب وأما لمن دخل في الإسلام فيتعين عليه لا إله إلا الله (٤)

---

(١) سورة الفاتحة الآية (٢).

(٢) وجدته بغير هذا اللفظ عند النسائي ولفظه عنده "عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال إن الله اصطفى من الكلام أربعا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فمن قال سبحان الله كتب له عشرون حسنة وحطت عنه عشرون والله أكبر مثل ذلك ومن قال لا إله إلا الله مثل ذلك ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتب له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة"

أخرجه الإمام أحمد في المسند ١٢٢/٨ برقم ٧٩٩٩ قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه: إسناده صحيح، النسائي في السنن الكبرى ٢١٠/٦.

(٣) مصنف عبد الرزاق ٣٧٨/٤.

(٤) التسهيل ٣٣/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- قول العبد: "لا إله إلا الله" أفضل من قوله "الحمد لله رب العالمين"

٢- قول العبد: "الحمد لله رب العالمين" أفضل من قوله "لا إله إلا الله"

الترجيح في الميزان:

حكى القرطبي الخلاف في هذه المسألة فقال:

اختلف العلماء أيما أفضل، قول العبد: الحمد لله رب العالمين، أو قول لا إله إلا الله؟

فقالت طائفة: قوله "الحمد لله رب العالمين" أفضل، لأن في ضمنه التوحيد الذي هو لا إله إلا الله، ففي قوله توحيد وحمد، وفي قوله لا إله إلا الله توحيد فقط.

وقالت طائفة: لا إله إلا الله أفضل، لأنها تدفع الكفر والإشراك، وعليها يقاتل الخلق، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) (١).

واختار هذا القول ابن عطية قال: والحاكم بذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له) (٢).

وقد ورد في الجامع قوله - صلى الله عليه وسلم -: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله) (٣)

---

(١) تفسير القرطبي ١٣٦/١.
(٢) المحرر الوجيز ٦٦/١.
(٣) سنن الترمذي الجامع الصحيح سنن الترمذي اسم المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ٤٦٢/٥ وقال أبو عيسى هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نَعْرِفُهُ إلا من حديث مُوسَى بن إبراهيم وقد روى علي بن المديني وغيرُ واحد عن مُوسَى بن إبراهيم هذا الحديث، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
وكشف الخفاء ومزيل الإلباس لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي ١٢٧/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وما ورد عن ابن عباس قال: من قال: لا إله إلا الله، فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين (١)

وما ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إن الرجل إذا قال: لا إله إلا الله، فهي كلمة الإخلاص التي لا يقبل الله من أحدٍ عملاً حتى يقولها، فإذا قال: الحمد لله، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله أحد حتى يقولها، فإذا قال: الله أكبر فهي كلمة تملأ ما بين السماء والأرض، فإذا قال: سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحدًا حتى قرره بالصلاة والتسبيح (٢)

وأرى أن العبد بين أحوال متقلبة فهو عند دخوله الإسلام ليس أفضل له على وجه الأرض من لا إله إلا الله، وهو عند تقلبه في نعم الله، فليس له إلا الحمد لله رب العالمين، سواء ذكرها بالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات عند السراء، أو الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه عند غيرها.

وعليه فلكل مقام مقال ولكل موطن ذكر وقد ورد في كلا القولين ما ورد من الفضل على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما سبق والله أعلم

وفيه إشارة أيضا إلى الجمع بينهما.

●●●

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤٧٦/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٣٢/١٠، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ٢٢١/٣.
(٢) ذكره ابن بطال في شرح صحيح البخاري ١٣٩/١٠، وابن حجر في شرحه لصحيح البخاري أيضا ٢٠٧/١١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

- ٢ - من المراد بالمغضوب عليهم والضالين؟

يقول الله تعالى: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: المغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصارى قاله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما (٢)

وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل: ذلك عام في كل مغضوب عليه وكل ضال، والأول أرجح لأربعة أوجه:

١- روايته عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.

٢- جلالة قائله.

٣- ذكر (ولا) في قوله ولا الضالين دليل على تغاير الطائفتين.

٤- أن الغضب صفة اليهود في مواضع من القرآن كقوله (فباؤا بغضب) وضلال صفة النصارى لاختلاف أقوالهم الفاسدة في عيسى ابن مريم عليه السلام ولقول الله فيهم (قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) (٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة أن المراد بالمغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصارى

واعتمد في ذلك على روايته عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وروده في الأثر عن أكابر مفسري الصحابة رضي الله عنهم أجمعين كابن عباس وابن مسعود وغيرهما والسياق القرآني حيث نسبة الغضب إلى اليهود والضلال إلى النصارى

وأرى هذا الرأي رأيا سديدا لاعتماده على:

---

(١) سورة الفاتحة آية: (٧)
(٢) تفسير الطبري ٨٠/١
(٣) التسهيل ٣٤/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١- تفسير القرآن بالقرآن فقد بين أن المغضوب عليهم اليهود قوله تعالى فيهم: وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ (١) وقوله فيهم أيضا: مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ (٢) وقوله: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (٣) وقد بين أن الضالين: النصارى قوله تعالى: وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٤). واليهود والنصارى وإن كانوا ضالين جميعا مغضوبا عليهم جميعا فإن الغضب إنما خص به اليهود - وإن شاركهم النصارى فيه - لأنهم يعرفون الحق وينكرونه ويأتون الباطل عمدا فكان الغضب أخص صفاتهم، والنصارى جهلة لا يعرفون الحق فكان الضلال أخص صفاتهم (٥)

٢- تفسير القرآن بالسنة: فقد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من طريق عبد الله بن شقيق (٦) قال أخبرني من سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو بوادي القرى على فرس له وسأله رجل

---

(١) سورة البقرة، آية: (٦١).
(٢) سورة المائدة، آية: (٦٠)
(٣) سورة الأعراف، آية: (١٥٢).
(٤) سورة المائدة، آية: (٧٧)
(٥) أضواء البيان ٩/١
(٦) عبد الله بن شقيق البصري روى عن أبي هريرة، وابن عمر وابن عباس، وثقة يحيى بن معين، مات سنة ثمان ومائة - ينظر ترجمته في مشاهير علماء الأمصار لأبي حاتم البستي ٩٧/١، والثقات لأبي حاتم البستي ١٠/٥، وكتاب الجرح والتعديل لبى محمد الرازي التميمي ٨١/٥.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

من بني القين (١) فقال من المغضوب عليهم يا رسول الله؟ قال: اليهود. قال فمن الضالون؟ قال النصارى. (٢).

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين: فهي رواية ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والربيع بن أنس وابن زيد عن أبيه (٣)

ومع أنه قد تحقق الوقوف على المراد من النص إلا أن بعض المفسرين أعملوا الرأي في استنباط وجوه تفسيرية أخرى ليثيروا بها رحاب التأويل

من ذلك مثلاً: ما أثبته القاضي البيضاوي في تفسيره (٤) قائلاً: "ويتجه أن يقال: المغضوب عليهم: العصاة، والضالين: الجاهلون بالله لأن المنعم عليه: من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكذا المقابل له من أخل إحدى قوتيه: العاقلة والعاملة، والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القتل عمداً: وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ (٥) والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى: فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦)" (٧).

---

(١) وهم قوم يسكنون بين المدينة والشام وينسبون إلى القين بن جسر بن شيع الله بن أسد من وبرة (؟) بين تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة / ينظر معجم البلدان لياقوت الحموي ٤٩٥/١

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، باب: في سرية إلى بلاط طيء (٢٠٨/٦)، ومسند أبي يعلى (١٣٢/١٣) رقم (٧١٧٩)، تفسير الطبري ٨٠/١ والدر المنثور للسيوطي ١٦/١

(٣) تفسير الطبري ٨٠/١، ٨١، تفسير ابن أبي زمنين ١١٩/١

(٤) تفسير البيضاوي ٨٢/١

(٥) سورة النساء، آية: (٩٣)

(٦) سورة يونس، آية: (٣٢)

(٧) ضياء الفرقان في تفسير القرآن، لأستاذنا الدكتور/جوده محمد أبو اليزيد المهدى ص١٢١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وما عليه جمهور المفسرين هو ما ذكره الإمام ابن جزي رحمه الله فى تفسير (المغضوب عليهم) باليهود و(الضالين) بالنصارى، قال ابن أبي حاتم: [ولا أعلم بين المفسرين في ذلك اختلافا] (١).

وخلاصة القول في المسألة:

إن كانت العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب واللفظ هنا يدل على ما هو أعم من اليهود والنصارى؛ إلا أن القول الذي تؤيده آية قرآنية مقدم على غيره فيعتمد ما قاله ابن جزي وجمهور المفسرين في هذه المسألة.

ويمكن الجمع بين الاعتماد على الأثر والقول بالعموم؛ بأن اليهود والنصارى لما جعلوا عبرة ومثلا لبقية من كان على شاكلتهم في الضلال واستجلاب غضب الرب سبحانه

والله أعلم.

●●●●●●●●●●

٣- ما المقصود ب "روح القدس" في قوله: وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟

يقول الله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُس ِ (٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

روح القدس جبريل، وقيل: الإنجيل، وقيل: الاسم الذي كان يحيى به الموتى والأول أرجح لقوله قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٣) (٤)

الترجيح في الميزان:

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٣١/١، تحفة الأحوذي للمباركفوري ٢٣١/٨
(٢) سورة البقرة آية: (٧٨).
(٣) سورة النحل آية: (١٠٢).
(٤) التسهيل ٥٣/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بروح القدس: جبريل عليه السلام، وهو ترجيح سديد حيث اعتمد على القاعدتين التاليتين:

١- القول الذي تؤيده آية قرآنية مقدم على غيره، وقد دلت الآية القرآنية الكريمة على ذلك في قوله تعالى "قل نزله روح القدس"

٢- إذا صح الحديث وكان موافقا لأحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه

وقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما يدل على أن روح القدس هو جبريل عليه الإسلام [كذا]

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لحسان بن ثابت: اهج قريشا "روح القدس معك" وفي رواية "فإن جبريل معك"، وفي رواية "اللهم أيده بروح القدس" (١) والمبهم يحمل على المعين، فالمراد بروح القدس في الرواية المبهمة هو جبريل عليه السلام بدلالة الرواية التي نصت على ذلك إذ أولى ما فسر به القرآن بعد القرآن هو سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - كما قرر ذلك علماء الأصول.

التعقيب:

ومن خلال ما سبق يتبين رجحان القول بأن روح القدس هو جبريل عليه السلام وفقا لاختيار الإمام ابن جزي وجمع من المفسرين كابن عطية (٢)، أبي السعود (٣)، البغوي (٤)، البيضاوي (٥)، والبقاعي (٦) والشنقيطي (٧)

●●●●●●●●●●

---

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة باب الشعر في المسجد ١٧٣/١ رقم: (٤٤٢)، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسّان بن ثابت رضي الله عنه ١٩٣٣/٤ رقم: ٢٤٨٥
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣٣٩/١
(٣) تفسير أبي السعود ٩٤/٣
(٤) تفسير البغوي ٩٢/١
(٥) تفسير البيضاوي ٣٥٧/١
(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٨٥/١
(٧) أضواء البيان ٤٠/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٤- قوله تعالى: (فأينما تولوا فثم وجه الله...) هل هو خاص بالفريضة أم عام في كل صلاة؟

يقول الله تعالى: وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا) في الحديث الصحيح "أنهم صلوا ليلة في سفر إلى غير القبلة بسبب الظلمة فنزلت" (٢)

وقيل: هي في نفل المسافر حيث ما توجهت به دابته،

وقيل: هي راجعة إلى ما قبلها أي إن منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم،

وقيل: إنها احتجاج على من أنكر تحويل القبلة فهي كقوله بعد هذا "قل لله المشرق والمغرب" الآية، والقول الأول هو الصحيح (٣)

الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أنها فيمن أخطأ في تقدير القبلة بسبب الظلمة كما ورد في الحديث وهو قول عبد الله بن عامر بن ربيعة، عطاء، والنخعي

---

(١) سورة البقرة آية: (١١٥)

(٢) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب جواز صلاة النافلة على الدابّة في السفر حيث توجهت ٤٨٦/١ رقم: (٧٠٠)، سنن البيهقي الكبرى ١١/٢ رقم: (٢٠٧٥) من طريق عبد الله بن ربيعة عن أبيه، ومن طريق جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، ورواه الترمذي في سننه في باب ما جاء في الرجُل يُصلّي لغيْرِ القبْلَةِ في الغَيْمِ ١٧٦/٢ رقم: (٣٤٥) وقال: هذا حديثٌ ليس إسْنَادُهُ بذَاكَ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث أشْعَثَ السَّمّانِ وأَشْعَثُ بنُ سَعِيدٍ أبُو الرَّبِيعِ السَّمّانُ يُضَعَّفُ في الحديث وقد ذَهَبَ أكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إلى هذا قالوا إذا صلى في الغَيْمِ لغَيْرِ القبْلَةِ ثُمَّ اسْتَبَانَ له بعد ما صلى أَنَّهُ صلى لغَيْرِ القبْلَةِ فإن صلَاتَهُ جائِزَةٌ وبه يقول سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وابن المُبَارَكِ وأحْمَدُ بن حَنْبَلٍ.

(٣) التسهيل ٥٧/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- أنها في نفل المسافر حيث ما توجهت به دابته وهو قول ابن عمر رضي الله عنهما

٣- أنها راجعة إلى ما قبلها أي: إن منعتم من مساجد الله فصلوا حيث كنتم.

٤- أنها حجة على اليهود في إنكارهم تحول القبلة (١)

الترجيح في الميزان:

ذهب الإمام ابن جزي إلى أن الراجح في هذه المسألة هو: ما ورد بالحديث الشريف أن الصحابة أخطأوا القبلة في ليلة مظلمة فنزلت الآية تفيد صحة صلاتهم وصلاة من وقع في مثل هذا الخطأ بعد ذلك.

وقد اعتمد في ترجيحه على تفسير القرآن الكريم بالسنة المطهرة ولكن لم تثبت صحة الحديث حتى يصير مرجحا لما سواه من الآراء، بل هناك ما هو أصح منه ويثبت به الترجيح اعتمادا على هذه القاعدة، وهو حديث مسلم عن ابن عمر قال كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُصلِّي وهو مُقْبِلٌ من مكّةَ إلى المدينة على راحِلَتِهِ حَيْثُ كان وَجْهُهُ قال وفِيهِ نزلت فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ (٢)

ولست أرى أن دلالة الآية تقتصر على ذلك فقط إنها يمكن أن تقيد ما ذهب إليه الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى، وكذا تقيد تحول قبلة المسافر حيث توجهت به وسيلة النقل التي يستقلها، وكذا تحتمل الرأي الثالث: أنه إذا منع العبد من الصلاة في المسجد فإن الأرض كلها محلا طاهرا لصلاته، وهي في ذات الوقت حجة قوية في الجواب على ما قاله اليهود من استنكار لتحول القبلة

قال الطبري رحمه الله تعالى: قوله (فأينما تولوا فثم وجه الله) محتمل أينما تولوا

---

(١) ينظر في هذه الأقوال تفسير الطبري ٥٠٣/١، ٥٠٤، الدر المنثور ٢٦٦/١ وما بعدها، ابن أبي حاتم ٢١١/١، ٢١٢، تفسير القرطبي ٧٩/٢، ٨٠، المحرر الوجيز ٢٠٠/١

(٢) صحيح مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر ٤٨٦/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

في حال سيركم في أسفاركم في صلاتكم التطوع وفي حال مسايفتكم عدوكم في تطوعكم ومكتوبتكم فثم وجه الله قال بن عمر والنخعي وغيرهم.

ومحتمل (فأينما تولوا) من أي أرض الله فتكونوا بها فثم قبلة الله التي توجهون وجوهكم إليها، لأن الكعبة ممكن لكم التوجه إليها منها، ومحتمل فأينما تولوا وجوهكم في دعائكم فهنالك وجهي لدعائكم أستجب لكم دعاءكم (١)

ومن ثم فأرى والله أعلم أن دلالة الآية تشمل كل ما ورد فيها من احتمالات تناولها أهل العلم والنظر في النصوص الشريفة ولذا فلست أميل لترجيح قول على غيره كما ذهب ابن جزي رحمه الله وإن كان الترجيح قائم بالحديث والله أعلم.

●●●●●●●●●●

ما المراد بقوله: وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ....؟

قال تعالى: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) أي: يزيده على سبعمائة.

وقيل: هو تأكيد وبيان للسبعمائة والأول أرجح لأنه ورد في الحديث ما يدل عليه (٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

---

(١) تفسير الطبري ٥٠٤/١
(٢) سورة البقرة آية: (٢٦١)
(٣) التسهيل ٩٢/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أن المضاعفة تزيد على السبعمائة وهو قول ابن زيد (١) والضحاك (٢) والسدي (٣) ورجحه من المفسرين الأئمة: الطبري (٤) والقرطبي (٥) والرازي (٦) والسمرقندي (٧)

أن المضاعفة إلى السبعمائة، وهو قول الإمام الشعبي (٨)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول الأول لدلالة السنة عليه ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يَرْوِي عن ربِّهِ عز وجل قال: (إنَّ اللهَ كتَبَ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلك، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فلم يَعْمَلْهَا كتَبَهَا الله له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً فإنْ هو هَمَّ بها وعَمِلَهَا كتَبَهَا الله له عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إلى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إلى أضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فلم يَعْمَلْهَا كتَبَهَا الله له عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً فإنْ هو هَمَّ بها فعَمِلَهَا كتَبَهَا الله له سَيِّئَةً واحِدَةً) (٩)

وهو قول راجح يؤيده كذلك سياق القرآن الكريم فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "رب زد أمتي"

---

(١) زاد المسير ٣١٦/١
(٢) البحر المحيط ٣١٨/٢
(٣) الرازي ١٤٣/٦
(٤) تفسير الطبري ٦٢/٣
(٥) تفسير القرطبي ٣٠٣/٣
(٦) تفسير الرازي ١٤٣/٦
(٧) تفسير السمرقندي ٢٠٠/١
(٨) زاد المسير ٣١٦/١
(٩) صحيح البخاري - كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله - ٥/ ٢٣٨٠.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فنزلت {من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له} (١)، فقال رب زد أمتي، فنزلت: {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} (٢) (٣)

وقد علق الرازي على الآية بقوله: هذا التضعيف لا يعلم أحد ما هو وكم هو وإنما أبهم تعالى ذلك لأن ذكر المبهم في باب الترغيب أقوى من ذكر المحدود (٤)

وقال القرطبي: فيكون مثل المتصدق - في الآية - مثل الزارع إن كان حاذقا في عمله ويكون البذر جيدا وتكون الأرض عامرة يكون الزرع أكثر فكذلك المتصدق إذا كان صالحا والمال طيبا ويضعه موضعه فيصير الثواب أكثر خلافا لمن قال ليس في الآية تضعيف على سبعمائة (٥)

فمن مجموع الآيات ومن حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن أقوال أهل العلم يتبين أن الراجح في هذه المسألة هو ما ذهب إليه الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى ولقوله تعالى بعد ذلك "والله واسع عليم" فالسعة من الله تعالى لا حد لها

●●●●●●●●●●

من صاحب الدعاء في قوله: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ..؟

قال تعالى: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٦)

---

(١) سورة الحديد آية (١١).
(٢) سورة الزمر آية (١٠).
(٣) صحيح ابن حبان - باب فضل النفقة في سبيل الله، ذكر الخبر الدال على أن الله بفضله قد يضعف للمنفق في سبيل الله ثوابه على هذا العدد المذكور - ٥٠٥/١٠، والطبراني في الأوسط ١٠/٦، مجمع الزوائد - باب أجر الصدقة - ١١٢/٣.
(٤) تفسير الرازي ١٤٣/٦
(٥) تفسير القرطبي ٣٠٣/٣، السمرقندي ٢٠٠/١
(٦) سورة الأنفال آية: (٣٢).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: قوله تعالى: وَإِذْ قَالُوا اللَّهُم ۙ الآية قالها النضر بن الحارث، أو سائر قريش لما كذبوا النبي دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق.

والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل رواه البخاري ومسلم في كتابيهما (١)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- صاحب الدعاء في الآية هو النضر بن الحارث (٢)

وهو قول مجاهد وابن جبير وعطاء والسدي (٣) ونسبه السمعاني إلى أكثر المفسرين (٤)

٢- صاحب الدعاء سائر قريش وهو قول يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا "اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ

---

(١) التسهيل ٦٣/٢، ٦٤.

(٢) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر قتله علي رضي الله عنه بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر صبرا، كان من شجعان قريش ووجوهها، ومن شياطينها (كما يقول ابن إسحاق)، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في "الحيرة". وقيل: هو أول من غنى على العود بألحان الفرس. وهو ابن خالة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرا. وكان إذا جلس النبي - صلى الله عليه وسلم - مجلسا للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، جلس النضر بعده فحدث قريشا بأخبار ملوك فارس ورستم وأسفنديار، ويقول: أنا أحسن منه حديثا! إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين!. وشهد وقعة "بدر" مع مشركي قريش، فأسره المسلمون، وقتلوه (قرب المدينة) بعد انصرافهم من الوقعة. إكمال الكمال ٣٤٥/٧، الأعلام للزركلي ٣٣/٨

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣٣/٩، الدر المنثور ٥٥/٤، زاد المسير ٣٤٨/٣، روح المعاني ١٩٩/٩، المحرر الوجيز ٥٢٠/٢، البغوي ٢٤٥/٢، السمرقندي ١٩/٢

(٤) تفسير السمعاني ٢٦١/٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ" الآية فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا: غفرانك اللهم فأنزل الله: (وما كان الله معذبهم (إلى قوله) ولكن أكثرهم لا يعلمون) (١)

٣- صاحب الدعاء أبو جهل وهو قول أنس بن مالك رضي الله عنه (٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن صاحب الدعاء في الآية الكريمة هو أبو جهل استنادا إلى ما ورد في الحديث الصحيح، وهو قول راجح لأن تفسير القرآن بالسنة الصحيحة أولى من تفسيره بالرأي أو الحديث الضعيف، وقد ورد في السنة المطهرة ما أخرجه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحيهما بسندها عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: "اللهم إن كان هذا هو الحَقَّ من عِنْدِكَ فأَمْطِرْ علَيْنَا حِجارَةً من السَّماءِ أو ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" فَنَزَلَتْ: "وما كان الله لِيُعَذِّبَهُمْ وأَنْتَ فِيهِمْ وما كان الله مُعَذِّبَهُمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وما لهم ألا يُعَذِّبَهُمُ الله وهُمْ يَصُدُّونَ عن الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...) (٣) الآية (٤)

وبذلك يتضح لنا أن أبا جهل هو القائل لها، ولا يمنع أن يكون قد أخذها عن النضر أو أخذها النضر عنه ثم تناقلتها قريش فيما بينها، جمعا للأقوال الواردة في تأويل النص الكريم والله أعلم.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣٥/٩، الدر المنثور ٥٥/٤، روح المعاني ٢٠٠/٩، لباب النقول في أسباب النزول ١١١/١.
(٢) الدر المنثور ٥٥/٤، زاد المسير ٣٤٩/٣، السمعاني ٢٦١/٢
(٣) سورة الأنفال الآيتان: (٣٣، ٣٤).
(٤) صحيح البخاري كتاب التفسير، باب: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ١٧٠٤/٤، ١٧٠٥/٤ - باب: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في قوله تعالى "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم" الآية ٢١٥٤/٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله سبحانه "استغفر لهم" على التخيير أم الأمر؟

●●●●●●●●●●

يقول الله تعالى: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١).

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) يحتمل معنيين أحدهما: أن يكون لفظه أمر: معناه الشرط، ومعناه إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم كما جاء في سورة المنافقين (٢)

والآخر: أن يكون تخييرا فكأنه قال: إن شئت فاستغفر لهم وإن شئت فلا تستغفر لهم ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم وهذا أرجح لقول رسول الله "إن الله خيرني فاخترت"، وذلك حين قال عمر: أتصلي على عبد الله بن أبي، وقد نهاك الله عن الصلاة عليه (٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أن المراد بالآية الأمر في معنى الشرط أو الخبر وهو قول الأئمة الطبري، قال: وهذا كلام خرج مخرج الأمر وتأويله الخبر ومعناه إن استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم (٤) والزمخشري (٥)

---

(١) سورة التوبة الآية ٨٠

(٢) قوله تعالى "سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" سورة المنافقون الآية (٦)

(٣) التسهيل ٨٠/٢

(٤) تفسير الطبري ج١٠/ص١٩٨

(٥) الكشاف ٢٦٦/٢

تفريغ صفحات ٣٢٦-٣٧٣ — «ترجيحات الإمام ابن جزي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل - دراسة وتقويم»

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وكذا الرازي(١)، والسمرقندي(٢)، وأبو السعود(٣)، والشوكاني(٤)

٢- أن المراد بالآية التخيير وهو قول الحسن وقتادة وعروة (٥)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بقوله سبحانه " استغفر لهم أو لا تستغفر لهم " التخيير استنادًا إلى ما ورد في الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لَمَّا تُوُفِّيَ عبد الله بن أُبي جاء ابْنُهُ عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأله أن يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكَفِّنُ فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يُصَلِّيَ عليه فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليصلي، فقام عُمَرُ فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله تُصَلِّي عليه وقد نهاك رَبُّكَ أن تُصَلِّيَ عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خَيَّرَني الله فقال " اسْتَغْفِرْ لهم أو لا تَسْتَغْفِرْ لهم إن تَسْتَغْفِرْ لهم سَبْعِينَ مَرَّةً " وسأزيده على السبعين قال إنه مُنَافِقٌ قال فصلَّى عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم مات أبدًا ولا تَقُمْ على قبره (٦)

وهذا القول راجح لثبوته بالحديث الصحيح، ولكن يبقى السؤال إذا كان المراد من النص التخيير للنبي - صلى الله عليه وسلم - بين فعل الدعاء وتركه مع كون الله تعالى قد حكم بعدم قبول هذه الشفاعة في حقهم فما فائدة التخيير؟

وأقول: لعل المراد تربية الأمة على الاستغفار لكل من مات من المسلمين -

---

(١) التفسير الكبير ١٦ / ٧١
(٢) تفسير السمرقندي ٢ / ٧٧
(٣) تفسير أبي السعود ٤ / ٧٤
(٤) فتح القدير ٢ / ٣٦٩
(٥) تفسير القرطبي ٨ / ٢٢٠.
(٦) صحيح البخاري- كتاب التفسير، باب " استغفر لهم أو لا تستغفر لهم " - ج٤/ص١٧١٥، صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه - ٤ / ١٨٦٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حيث صار في ذمة الله تعالى ومشيئته - وإن كان ظاهر أمره في حياته مخالفًا لمراد الله تعالى.

أو بيان عظيم ما أودع الله تعالى في قلب نبيه - صلى الله عليه وسلم - من الرحمة والإشفاق على جميع الخلق حتى من علم - صلى الله عليه وسلم - عنه أنه يضمر خلاف ما يظهر، ويؤيد ذلك قوله تعالى: فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا {١}

والمراد منهج التدرج في التشريع من حيث بينت الآيات صفات هؤلاء المنافقين والتحذير منهم ثم كان التخيير للنبي - صلى الله عليه وسلم - بين الاستغفار لهم وعدمه ثم يكون القول الفصل في عدم المغفرة لهم وأمره عليه السلام ألا يصلي على أحد منهم مات أبدًا "سبحان من هذا كلامه"

كيف تبدل الأرض غير الأرض؟
يقول الله تعالى يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ والسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:
وتبديل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي، هكذا ورد في الحديث الصحيح(٣)، والسموات تبديلها بانشقاقها وانتشار كواكبها وخسوف شمسها وقمرها.
وقيل: تبدل أرضًا من فضة وسماء من ذهب وهذا ضعيف {٤}
(١) سورة الكهف آية: (٦).
(٢) سورة إبراهيم آية: (٤٨)
(٣) صحيح البخاري - ك الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة - ٥ / ٢٣٩٠، صحيح مسلم - كصفة القيامة والجنة والنار، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة - ٤ / ٢١٥٠.
(٤) التسهيل ٢ / ١٤٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أنها تصير بيضاء عفراء كقرصة النقي وهو مروي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

٢- أنها تبدل أرضًا من فضة وسماء من ذهب وهو قول الأئمة: علي بن أبي طالب، وابن عباس وأنس ومجاهد بن جبير رضي الله عنهم {١}

الترجيح في الميزان:

ورد في دلالة هذه الآية وهيئة الأرض يوم القيامة أقوال كثيرة ذكرها الإمام البغوي في تفسيره فقال:

قيل: يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد.

وقيل: تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلًا لأهل الجنة.

وقيل: تبدل الأرض بأرض كفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل فيها خطيئة.

وقيل: تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه.

وقيل: معنى التبديل جعل السموات جنانًا وجعل الأرض نيرانًا.

وقيل: تبديل الأرض تغييرها من هيئة إلى هيئة وهي تسيير جبالها وطم أنهارها وتسوية أوديتها وقلع أشجارها، وجعلها قاعًا صفصفًا وتبديل السموات تغييرها عن حالها بتكوير شمسها وخسوف قمرها وانتثار نجومها وكونها مرة كالدهان ومرة كالمهل {٢}.

وأرى كل ما كان من الحديث عن يوم القيامة فالتسليم فيه لما قاله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك يعني رجحان قول الإمام ابن جزي في هذه المسألة، وإن كنت أرى

---

(١) تفسير الطبري ١٣ / ٢٥٠، الدر المنثور ٥ / ٥٧، القرطبي ٩ / ٣٨٤، زاد المسير لابن الجوزي ٤ / ٣٧٦، تفسير العز بن عبد السلام ٢/ ١٦٩، ابن كثير ٢ / ٥٤٥

(٢) تفسير البغوي ٤ / ٤١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أنه لا مانع أيضًا من الجمع بين الأقوال الواردة في دلالة الآية الكريمة وفي ذلك يقول الطبري رحمه الله تعالى:: وجائز أن تكون المبدلة أرضًا أخرى من فضة، وجائز أن تكون نارًا وجائز أن تكون خبزًا، وجائز أن تكون غير ذلك.{١}

كيف سار الحوت في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا؟
يقول الله تعالى فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا {٢}
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:
وفي الحديث " إن الله أمسك جرية الماء عن الحوت فصار مثل السراب " وهو المسلك في جوف الأرض وذلك معجزة لموسى عليه السلام وقيل: اتخذ الحوت سبيله في البر سربًا حتى وصل إلى البحر فعام على العادة، ويرد هذا ما ورد في الحديث{٣}
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:
١- أن الله تعالى أمسك عن الحوت جرية الماء حتى كأن أثره في حجر وهو مروي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - {٤}
٢- أن الحوت سار في البر حتى وصل إلى البحر فعام على العادة، وهو قول ابن زيد {٥}
الترجيح في الميزان:
(١) تفسير الطبري ١٣ / ٢٥٤
(٢) سورة الكهف آية: (٦١).
(٣) التسهيل ٢ / ١٩١
(٤) صحيح البخاري كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ٣ / ١٢٤٧ وسيأتي تفصيل بيانه في هذه المسألة
(٥) الدر المنثور ٥ / ٤٢٣، البحر المحيط ٦ / ١٣٧، المحرر الوجيز ٣ / ٥٢٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

رجح الإمام ابن جزي القول بأن الله تعالى أمسك عن الحوت جرية الماء حتى كان أثره في حجر وقد ورد الحديث بذلك:

أخرج البخاري بسنده عن أبي بن كعب - في الحديث الطويل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أَنَّ موسى قام خَطِيبًا في بني إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ الناس أَعْلَمُ فقال أنا إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إليه فقال له بَلَى يا عَبْدُ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هو أَعْلَمُ مِنْكَ قال أَيْ رَبِّ وَمَنْ لي به وَرُبَّمَا قال سُفْيَانُ أَيْ رَبِّ وَكَيْفَ لي به قال تَأْخُذُ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ في مِكْتَلٍ حَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ وَرُبَّمَا قال فَهُوَ ثَمَّهْ وَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ في مِكْتَلٍ ثُمَّ انْطَلَقَ هو وَفَتَاهُ يُوشَعُ بن نُونٍ حتى أَتَيَا الصَّخْرَةَ وَضَعَا رؤوسهما فَرَقَدَ موسى وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فَخَرَجَ فَسَقَطَ في الْبَحْرِ (فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ في الْبَحْرِ سَرَبًا) فَأَمْسَكَ الله عن الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ فقال هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا..... الحديث {١}

والشاهد من الحديث الشريف قوله - صلى الله عليه وسلم - " فَأَمْسَكَ الله عن الْحُوتِ جِرْيَةَ الْمَاءِ فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ فقال هَكَذَا مِثْلُ الطَّاقِ "

وبهذا النص النبوي الكريم يتبين رجحان القول الذي ذهب إليه الإمام ابن جزي رحمه الله وقد عزاه أبو حيان وابن عطية إلى الجمهور{٢}

وأختم هذه المسألة بما قاله الطبري رحمه الله تعالى: والصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله قال الله عز وجل: واتخذ الحوت طريقه في البحر سربًا، وجائز أن يكون كان جمود الماء، وجائز أن يكون كان بتحوله حجرا.

وأصح الأقوال فيه ما رُوي الخبر به عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي ذكرنا عن أبيّ عنه{٣}، وفيه تأييد لما ذهب إليه الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى والله أعلم.

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ٣ / ١٢٤٦.
(٢) البحر المحيط ٦ / ١٣٧، المحرر الوجيز ٣ / ٥٢٨
(٣) تفسير الطبري ١٥ / ٢٧٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

كيف قتل الخضر الغلام؟

يقول الله تعالى فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا {١}

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

فمرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضيء الصورة فاقتلع الخضر رأسه. وقيل: ذبحه. وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه والأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح{٢}

الأقوال كما عرضها الإمام ابن جزي:

١- أن الخضر اقتلع رأس الغلام وهو مروي في الحديث {٣} ٢- أن الخضر ذبح الغلام وهو قول سعيد بن جبير {٤} ٣- أن الخضر ضرب رأس الغلام بصخرة وهو قول ابن عباس {٥}

الترجيح في الميزان:

ورد في كيفية قتل الخضر للغلام روايتان كلتاهما صحيحة رواهما البخاري:

الأولى: " قال سعيد وَجَدَ غِلْمَانًا يَلْعَبُونَ فأخذ غُلَامًا كَافِرًا ظَرِيفًا فَأَضْجَعَهُ ثُمَّ ذَبَحَهُ بِالسِّكِّينِ){٦}

---

(١) سورة الكهف آية: (٧٤).
(٢) صحيح البخاري - كتاب التفسير، باب وإذ قال موسى لفتاه وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين - ٤ / ١٧٥٣، صحيح مسلم - كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام - ٤ / ١٨٤٩
(٣) التسهيل ٢ / ١٩٢
(٤) الطبري ١٥ / ٢٨٦، الدر المنثور ٥ / ٤١٢، ابن كثير ٣ / ٩٥، البغوي ٣ / ١٧٤
(٥) تفسير القرطبي ١١ / ٢٠، روح المعاني ١٥ / ٣٣٨.
(٦) صحيح البخاري - كتاب التفسير، باب فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما - ٤ / ١٧٥٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الثانية: " ثُمَّ خَرَجَا من السَّفِينَةِ فَبَيْنَا هما يَمْشِيَانِ على الساحل إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مع الْغِلْمَانِ فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ بيده فَاقْتَلَعَهُ بيده فَقَتَلَهُ فقال له مُوسَى (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لقد جِئْتَ شيئا نُكْرًا قال أَلَمْ أَقُلْ لك إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ معي صَبْرًا "{١}

وقد يرى البعض أن بين ظاهر النصين تعارض فيرجح أحد القولين على الآخر؛ إلا أنهما يتفقان في الدلالة وإن اختلفا في اللفظ فدلالتهما أن الخضر اقتلع رأس الغلام وكانت وسيلة ذلك الذبح

وعليه فإني أرى الجمع بين النصين الكريمين بدون ترجيح أحدهما على الآخر

لمن الخطاب في قوله " وأذن في الناس بالحج؟
يقول الله تعالى وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ {٢}
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:
قوله تعالى: (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ): خطاب لإبراهيم عليه السلام. وقيل: لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -، والأول هو الصحيح.
روي أنه لما أمر بالأذان بالحج صعد على جبل أبي قبيس ونادى أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت فحجوا فسمعه كل من يحج إلى يوم القيامة وهم في أصلاب آبائهم، وأجابه في ذلك الوقت كل شيء من جماد وغيره لبيك اللهم لبيك فجرت التلبية على ذلك/ {٣}
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:
(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير، باب وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين - ٤ / ١٧٥٣
(٢) سورة الحج الآية ٢٧
(٣) التسهيل ٣ / ٣٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١- أن الأمر بالنداء لسيدنا إبراهيم عليه السلام وهو قول جمهور المفسرين { ١}

٢- أن الأمر بالنداء لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو قول الحسن والعز بن عبد السلام، ومال إليه القرطبي رحمه الله تعالى{٢}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المأمور بالتأذين في هذه الآية الكريمة هو سيدنا إبراهيم عليه السلام، اعتمادًا على ما ورد في الحديث الأثر عن ابن عباس قال لما فرغ إبراهيم - عليه السلام - من بناء البيت قيل له: " وأذن في الناس بالحج "، قال وما يبلغ صوتي قيل أذن وعلي البلاغ فنادي إبراهيم يأيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فسمعه ما بين السماء والأرض ألا ترى أن الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون {٣}

وفي رواية عن ابن عباس في قوله " وأذن في الناس بالحج " قال: لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج قال: يا أيها الناس إن ربكم اتخذ بيتًا وأمركم أن تحجوه فاستجاب له ما سمعه من حجر أو شجر أو أكمة أو تراب أو شيء فقالوا لبيك اللهم لبيك {٤}

وترجيح الإمام ابن جزي في هذه المسألة يتفق مع السياق القرآني، ومع الأثر الوارد، ومع أقوال أكثر المفسرين؛ خلافًا لمن قال بغير ذلك من أهل النظر

---

(١) زاد المسير ٥ / ٤٢٤، فتح القدير ج٣/ص٤٤٨، أضواء البيان ج٤/ص٢٩٩

(٢) زاد المسير ٥ / ٤٢٤، أضواء البيان ٤ / ٢٩٩، التفسير الكبير ج٢٣/ص٢٥، تفسير البغوي ٣ / ٢٨٣، تفسير الكشاف ٣ / ١٥٣، تفسير الثعالبي ٧ / ١٨، تفسير العز بن عبد السلام ٢ / ٣٥٠.

(٣) الأحاديث المختارة للإمام المقدسي ١٠ / ٢١،

(٤) سنن البيهقي الكبرى ج٥/ص١٧٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ويتلخص قولهم في أن الخطاب في الآية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وعلى هذا فالخطاب لإبراهيم انتهى عند قوله: " والركع السجود " أو أنه انقضى عند قوله "وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت " وأن قوله " أن لا تشرك بي " وما بعده خطاب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم {١}

من المراد بآل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم -؟
قال تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ) أهل بيت النبي هم: أزواجه وذريته وأقاربه كالعباس وعلي وكل من حرمت عليه الصدقة وقيل: المراد هنا أزواجه خاصة والبيت على هذا المسكن، وهذا ضعيف؛ لأن الخطاب بالتذكير ولو أراد ذلك لقال عنكن، وروي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: نزلت هذه الآية في خمسة في ولد علي وفاطمة والحسن والحسين {٣}
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:
١- أن المراد بأهل البيت هم أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وذريته وأقاربه وهو قول الضحاك
٢- أن المراد بأهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - هم أزواجه - رضي الله عنهن - خاصة وهو قول ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعروة.
(١) ينظر أضواء البيان ٢٩٩/٤، فتح القدير ٤٤٨/٣، زاد المسير ٤٢٣/٥، التفسير الكبير ٢٥/٢٣
(٢) سورة الأحزاب آية: (٣٣).
(٣) التسهيل ٣ / ١٣٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بأهل البيت المطهر هم أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقاربه وهو قول راجح لعموم اللفظ في آل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

ولما أخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن من عينه - صلى الله عليه وسلم - من غير أزواجه - صلى الله عليه وسلم - بأسمه(؟) من أهل البيت، كما أخرج الترمذي عن أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - جَلَّلَ على الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ كِسَاءً ثُمَّ قال اللهم هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا فقالت أُمُّ سَلَمَةَ وأنا مَعَهُمْ يا رَسُولَ اللَّهِ قال إِنَّكِ إلى خَيْرٍ{١}

وكما ورد في شأن الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه من قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " سلمان منا أهل البيت "{٢}.

وكذا يتفق هذا الترجيح مع دلالات الألفاظ في اللغة: فقد تعارف العرب أن أهل الرجل أسرته وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون {٣}.

ويتفق أيضًا مع القاعدة التفسيرية التي تنص على أن حمل الكلام على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك.

وفيما سبق تأييد لما ذهب إليه الإمام ابن جزي أن المراد بأهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يقتصر على أزواجه عليه السلام وإنما يتناولهم مع غيرهم ممن ورد فيهم نص أو تناولهم اللفظ، غير أنه لايسلم قوله - رحمه الله -، وقيل: المراد هنا أزواجه خاصة والبيت على هذا المسكن، وهذا ضعيف؛ لأن الخطاب بالتذكير

---

(١) سنن الترمذي - باب فضل فاطمة بنت محمد - صلى الله عليه وسلم - - ٥ / ٦٩٩، وقال الإمام الترمذي: قال هذا حديثٌ حَسَنٌ وهو أَحْسَنُ شَيْءٍ رُوِيَ في هذا وفي الْبَاب عن عُمَرَ بن أبي سَلَمَةَ وَأَنَسِ بن مَالِكٍ وَأَبِي الْحَمْرَاءِ وَمَعْقِلِ بن يَسَارٍ وَعَائِشَةَ

(٢) المستدرك على الصحيحين ٦٩١/٣

(٣) لسان العرب ٤ / ٢٠، مختار الصحاح ١ / ٧، المصباح المنير ١ / ١٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ولو أراد ذلك لقال عنكن "فالعلة في كون الخطاب بصيغة المذكر، إما أنها لدخول النبي - صلى الله عليه وسلم - معهن في الحديث فغلب التذكير، أو باعتبار لفظ الأهل تخاطب مخاطبة الجمع المذكر، ومنه قول تعالى في موسى: فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا{١} وقوله: (سَآتِيكُمْ){٢} وقوله: (لَعَلِّيءَاتِيكُمْ){٣} والمخاطب امرأته{٤} {٥}

ما المراد بقوله " إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ..؟
يقول الله تعالى إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا {٦}
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: إذاية الله هي بالإشراك به ونسبة الصاحبة والولد له، وليس معنى إذايته أنه يضره الأذى لأنه تعالى لا يضره شيء ولا ينفعه شيء.
وقيل: إنها على حذف مضاف تقديره يؤذون أولياء الله، والأول أرجح؛ لأنه ورد في الحديث " يقول الله تعالى يشتمني ابن آدم وليس له
(١) سورة طه آية: (١٠)
(٢) سورة النمل آية: (٧).
(٣) سورة القصص آية: (٢٩).
(٤) أضواء البيان ٦ / ٢٣٧
(٥) ينظر في الأقوال حول هذه المسألة: زاد المسير ٣٨١/٦، روح المعاني ج١٤/٢٢(؟)، التفسير الكبير ١٨١/٢٥، الدر المنثور ٦٠٣/٦، تفسير البغوي ٥٢٨/٣، تفسير البغوي ٥٢٩/٣
(٦) سورة الأحزاب آية: (٥٧).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أن يشتمني ويكذبني وليس له أن يكذبني، أما شتمه إياي فقوله إن لي صاحبة وولدًا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني "{١}{٢}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أن المراد بإذايتهم الله تعالى: إشراكهم به وبنسبتهم الولد إليه أو تكذيبهم بالبعث وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما {٣} إلى جمع من المفسرين وكذا القرطبي {٤}

٢- أن المراد بإذايتهم الله تعالى: إذاية أولياءه وهو قول الحسن نسبه إليه البغوي {٥}، ورجحه الجصاص {٦}، ذكره الآلوسي{٧}، والثعالبي{٨}، والقرطبي {٩} وغيرهم {١٠}

الترجيح في الميزان:

---

(١) صحيح البخاري- ك التفسير، باب وقالوا اتخذ الله ولدًا - ج٤/ص١٦٢٩ ونصه عند البخاري: عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: قال الله: كَذَّبَنِي ابن آدَمَ ولم يَكُنْ له ذلك وَشَتَمَنِي ولم يَكُنْ له ذلك فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لَا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كما كان وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لي وَلَدٌ فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أو وَلَدًا.

(٢) التسهيل ٣ / ١٤٢، ١٤٣.

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١ / ٣٥٧.

(٤) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٣٧.

(٥) تفسير البغوي ١ / ٥٠.

(٦) أحكام القرآن للجصاص ١ / ٣٩٨.

(٧) روح المعاني ٨٧/٢٢.

(٨) تفسير الثعالبي ٦٣/٨.

(٩) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٣٧.

(١٠) ينظر أيضًا: المحرر الوجيز ٤ / ٣٩٨، البغوي ٣ / ٥٤٣، الثعالبي ١ / ١٥٣، السمعاني ٤ / ٣٠٦.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بإذايتهم بالله تعالى: كفرهم ومعاصيهم ونسبتهم لله تعالى ما لا يليق بصمديته وقيوميته ووحدانيته سبحانه، لورد هذا المعنى في الحديث الشريف الذي سبقت الإشارة إليه في صدر المسألة، وهو حديث صحيح أخرجه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه {١}

والقاعدة أن: الحديث إذا ثبت وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه.

وبهذا يتبين أن قول الإمام ابن جزي يعتمد على قاعدة اعتبار الرأي لثبوت الحديث: غير أن القول الآخر ليس هناك ما يعارضه خاصة وأن من اعتبره اعتمد على شواهد من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ {٢}، وكذا قوله تعالى: فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُول ِ {٣}، أي: فردوه إلى كتاب الله تعالى، وقوله تعالى: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادً ا {٤}

ويؤيد ذلك من السنة أيضًا: قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث القدسي " عن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ قال من عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وما تَقَرَّبَ إلي عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي

---

(١) صحيح البخاري - ك التفسير، باب وقالوا اتخذ الله ولدًا - ١٦٢٩/٤
(٢) سورة يوسف آية: (٨٢).
(٣) سورة النساء آية: (٥٩)
(٤) سورة المائدة آية: (٣٣).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وما تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "{١}

الخلاصة:

أرى أنه لا مانع من الجمع بين القولين فيكون افتراء الكذب على الله تعالى من نسبة الولد له، أو اتخاذ الصاحبة، أو سب الدهر، أو الاعتداء على حرماته سبحانه أو المعصية بأنواعها كل ذلك أذى.

وكذا من حارب أولياء الله تعالى أو تعدى على حرمتهم فإنما هو داخل في ذلك، ولا شك أنها كلها صور مختلفة لدلالة واحدة هي مخالفة أمر الله تعالى والعمل على غير ما أنزل جل في علاه.

ما المراد بقوله تعالى:(فمِنهُمْ ظَالِمٌ لِنفسِهِ وَمِنهُمْ مُقتَصَدٌ وَمِنهُمْ سَابِقٌ بالخَيْرَات.
يقول الله :تعالى ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ {٢}
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:
١- قوله تعالى: (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) قال عمر{٣} وابن مسعود{٤} وابن عباس وكعب{٥}
(١) صحيح البخاري - كتاب الرقاق، باب التَّوَاضُعِ - ٢٣٨٤/٥
(٢) الآية ٣٢ من سورة فاطر.
(٣) الدر المنثور ٧ / ٢٥، التفسير الكبير ٢٦ / ٢٣، المحرر الوجيز ١ / ٣٧.
(٤) تفسير الطبري ٢٢ / ١٣٤.
(٥) تفسير الطبري ٢٢ / ١٣٤، السيوطي ٧ / ٢٧، ابن كثير ٣ / ٥٥٧، الثوري ١ / ٢٤٦، السمرقندي ٣ / ١٠٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وعائشة{١} وأكثر المفسرين: هذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد، فالظالم لنفسه: العاصي، والسابق: التقي، والمقتصد: بينهما وقال الحسن: السابق: من رجحت حسناته على سيئاته، والظالم لنفسه: من رجحت سيئاته، والمقتصد: من استوت حسناته وسيئاته{٢}، وجميعهم يدخلون الجنة.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إذا) قرأ هذه الآية قال: إلا أن سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له (٣)

وقيل: الظالم: الكافر، والمقتصد: المؤمن العاصي، والسابق: التقي فالضمير في منهم على هذا يعود على العباد.

وأما على القول الأول فيعود على الذين اصطفينا وهو أرجح وأصح لوروده في الحديث وجلالة القائلين به {٤}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- أن الأصناف الثلاثة في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - قاله ابن عباس {٥}، والواحدي{٦} على اختلاف أقوال المفسرين في بيان الأصناف الثلاثة

٢- أن الأصناف الثلاثة في خلق الله تعالى مؤمنهم وكافرهم، في رواية عن

---

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٥٥٧، السمعاني ٤ / ٣٥٨، الصنعاني ٣ / ١٣٥، الثعلبي ٨ / ١٠٩، فتح القدير ٤ / ٣٤٩.
(٢) تفسير الحسن البصري - جمع وتوثيق ودراسة - د محمد عبد الرحيم ج٢ ص ٢٢٦
(٣) سنن سعيد بن منصور ١٥٢/٧ وفي مرقاة المفاتيح بلفظ: عن عمر مرفوعًا ولفظه (سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له).
(٤) التسهيل ٣ / ١٥٧
(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١ / ٣٦٧، تفسير الطبري ٢٢ / ١٣٤، زاد المسير ٦ / ٤٨٨.
(٦) تفسير الواحدي ٢ / ٨٩٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ابن عباس{١}، وهو قول قتادة والحسن {٢}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن الأصناف الثلاثة المذكورة في الآية الكريمة في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو قول راجح.

يؤيده السياق القرآني، حيث إن الحديث في الآيات السابقة، يدور في جملته حول قضية إقناع المشركين بالأدلة العقلية والنفسية على وحدانية الله تعالى، ثم انتقل الحديث إلى بيان أن الكتاب الذي يخاطبون به على لسان رسول الله حق - صلى الله عليه وسلم - وأن من آمن به وأتبعه قد انقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة ثم أردف الحديث بعد بذكر صنوف من النعيم التي تتلقاها الأمة الخاتمة.

وكذا تؤيده نصوص السنة المطهرة، ومنها: ما ورد عن أبي الدّرْداء قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يقول قال الله عز :وجل ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَأَمَّا الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْخَيْرَاتِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الَّذِينَ اقْتَصَدُوا فَأُولَئِكَ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحْبَسُونَ في طُولِ الْمَحْشَرِ ثُمَّ هُمُ الَّذِينَ تَلَقَّاهُمُ الله بِرَحْمَتِهِ فَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ:وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ

---

(١) عن ابن عبَّاس، رضي اللَّهُ عَنْهُمَا، " فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ "، قال: هو الْكَافِرُ "تفسير ابن أبي حاتم ٣١٨١/١٠، تفسير السمعاني ٤ / ٣٥٨

(٢) تفسير الطبري ٢٢ / ١٣٥، زاد المسير ٦ / ٤٨٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (١) {٢}

ومن الأدلة أيضًا على رجحان هذا القول: الألفاظ القرآنية الواردة في النص الكريم فلفظ " أورثنا " يفيد أن المراد من له الختام والختام لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم -

قال الإمام ابن عطية في تفسيره:

فكأن الله تعالى لما أعطى أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - القرآن وهو قد تضمن لمعاني الكتب المنزلة قبله فكأنه ورث أمة محمد الكتاب الذي كان في الأمم قبلها " والذين اصطفينا " يريد بهم أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -، قاله: ابن عباس وغيره، وكأن اللفظ يحتمل أن يريد به جميع المؤمنين من كل أمة إلا أن عبارة توريث الكتاب لم تكن إلا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم والأولون لم يورثوه{٣}

ما المراد ب(سبأ) في قوله تعالى " لقد كان لسبأ في مسكنهم آية؟

قال تعالى لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ في مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (٤)

قال الإمام ابن جزي:

" سبأ " قبيلة من العرب سميت باسم أبيها الذي تناسلت منه وقيل: باسم أمها، وقيل: باسم موضعها، والأول أشهر لأنه ورد في الحديث {٥}

(١) سورة فاطر آية: (٣٤، ٣٥).

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١٩٨/٥، مجمع الزوائد ٩٥/٧ قال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين رجال أحدها رجال الصحيح وهي هذه(؟) إن كان علي بن عبد الله الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي.

(٣) المحرر الوجيز ٤ / ٤٣٨.

(٤) سورة سبأ آية: (١٥).

(٥) التسهيل ٣ / ١٤٧.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أنها قبيلة سميت باسم أبيها، وهو مروي في الحديث الشريف {١}

٢- أنها قبيلة سميت باسم أمها وهو قول العز بن عبد السلام{٢}، وقول القرطبي{٣} والشوكاني {٤}

٣- أنها قبيلة سميت باسم موضعها، قاله العز بن عبد السلام {٥} ونسبه ابن الجوزي إلى قتادة{٦}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن سبأ قبيلة سميت باسم أبيها، وقد ذكر ذلك في موطن آخر من تفسيره فقال " سبإ " يعني: قبيلة من العرب وجدهم الذي يعرفون به سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومن صرفه أراد الحي أو الأب ومن لم يصرفه أراد القبيلة أو البلدة{٧}

وهو ترجيح تؤيده روايات الحديث الشريف ومن ذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك، أن رجلًا سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن سبأ ما هو رجل أو امرأة أو أرض؟ قال: هو رجل ولد عشرة من الولد ستة من ولده باليمن وأربعة بالشام.... الحديث " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وشاهده حديث فروة بن مسيك المرادي {٨}

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٤٥٩/٢، سنن الترمذي ٣٦١/٥
(٢) تفسير العز بن عبد السلام ٣ / ١١
(٣) تفسير القرطبي ١٣ / ١٨١
(٤) فتح القدير ٤ / ١٣٢،
(٥) تفسير العز بن عبد السلام ٣ / ١١
(٦) زاد المسير ٦ / ١٦٥
(٧) التسهيل لعلوم التنزيل ٩٤/٣
(٨) المستدرك على الصحيحين ٤٥٩/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وحديث فروة بن مسيك المرادي {١} أخرج الترمذي بسنده عن فروة بن مُسيك المرادي قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقلت: يا رسول الله، ألا أقاتل من أدبر من قومي بمن أقبل منهم؟ فأذن لي في قتالهم وأمَّرني، فلما خرجت من عنده سأل عني، ما فعل الغطيفي؟ فأُخبر أني سرت، فأرسل في أثري فردني، وهو في نفر من أصحابه، فقال: ادع القوم، فمن أسلم منهم فاقبل منه، ومن لم يسلم فلا تعجل حتى أحدث إليك، قال: وأنزل في سبأ ما أنزل، فقال رجل: يا رسول الله، وما سبأ؟ أرض أو امرأة؟ قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشرة من العرب، فتيامن (٢) منهم ستة، وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تشاءموا: فلخم(٣)، وجذام (٤) وغسان(٥)،

---

(١) فروة بن مسيك الغطيفي، له صحبة، وفد على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مفارقًا لملوك كندة معاندًا(؟) لهم ومتابعًا للنبي - صلى الله عليه وسلم - فنزل على سعد بن عبادة وكان يتعلم القرآن وفرائض الإسلام وشرائعه وأجازه(؟) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باثنتي عشرة أوقية وحمله على بعير نجيب، وأعطاه حلة من نسج عمان واستعمله على مراد وزبيد ومذحج وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات وكتب له كتابًا فيه فرائض الصدقة ولم يزل على الصدقة حتى توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ولما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثبت فروة بن مسيك على الإسلام يغير على من خالفه بمن أطاعه ولم يرتد كما ارتد غيره وكان فروة بن مسيك شاعرًا ينظر في ترجمته " التاريخ الكبير ١٢٦/٧، الكاشف ١٢١/٢، أسد الغابة ٣٨١/٤، الطبقات الكبرى ٣٢٧/١، ٥٢٤، الجرح والتعديل ٨٢/٧.

(٢) تيامن: قصد جهة اليمن، وتشاءم: قصد جهة الشام. جامع الأصول لابن الأثير ٣٢٧/٢

(٣) لخم: بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة حي من اليمن ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهلية وهم آل عمرو بن عدي بن نصر اللخمي، لسان العرب مادة " لخم " ٥٣٩/١٢، (الفتح الرباني ١٨ / ٢٥٠).

(٤) جذام: بضم الجيم، والذال المعجمة جذام حي من اليمن قيل هم من ولد أسد بن خزيمة لسان العرب " مادة جذم " ٨٩/١٢، (الفتح الرباني)٢٥٠/١٨.

(٥) غسان: بالعين المعجمة، وتشديد السين المهملة بوزن شداد. (الفتح الرباني)٢٥٠/١٨.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وعاملة (١)، وأما الذين تيامنوا: فالأزد(٢)، والأشعريون (٣)، وحمير، وكندة(٤)، ومَذحج (٥)، وأنمار (٦)، فقال رجل: وما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة (٧). {٨} والحديث بروايته هذه مرجح لقول ابن جزي على ما خالفه في ذلك حيث اعتماده على النص الصريح، والقاعدة أن أنه إذا ثبت الحديث وكان نصًا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره.

وأرى أنه لا مانع من أن تكون أصل نسبة سبأ إلى جدهم، وحملت امرأته لقبه فاشتهرت به واشتهر به المكان أيضًا، ثم لما صارت التسمية مقترنة بموطن من الأرض خص بها فصار علمًا عليها وبذلك يجمع بين هذه الأقوال الثلاثة، فتكون النسبة إلى الجد أو إلى الأم أو إلى الموطن كلها نسبة صحيحة لا يدور حولها الجدل خاصة وأن الجمع بينها لا يترتب عليه ما يناقض أصول الشرع أو فروعه، والله تعالى أعلم.

---

(١) عاملة: بكسر الميم عاملة قبيلة إليها ينسب عدي بن الرقاع العاملي، وعاملة حي من اليمن وهو عاملة بن سبأ (الفتح الرباني ١٨/ ٢٥٠، لسان العرب مادة "عمل" ٤٧٧/١١

(٢) الأزد: بفتح الهمزة وسكون الزاي آخره دال مهملة أزد الأزد لغة في الأسد تجمع قبائل وعمائر(؟) كثيرة في اليمن و أزد أبو حي من اليمن وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك ابن كهلان بن سبأ. (الفتح الرباني ٢٥٠/١٨، لسان العرب مادة " أزد " ٧١/٣

(٣) الأشعريون: قال في القاموس: الأشعر أبو قبيلة باليمن منهم أبو موسى الأشعري، ويقولون جاءتك الأشعر بون بحذف ياء النسب. (الفتح الرباني ١٨/ ٢٥٠،

(٤) كندة: بكسر الكاف وسكون النون كندة أبو قبيلة من العرب وقيل أبو حي من اليمن وهو كندة بن ثور. (الفتح الرباني ١٨/ ٢٥٠، لسان العرب ٣٨٢/٣ مادة (كند)

(٥) مذحج: بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء أخره جيم. (الفتح الرباني)٢٥٠/١٨.

(٦) أنمار: بفتح الهمزة وسكون النون. (الفتح الرباني)٢٥٠/١٨.

(٧) خثعم: بوزن جعفر، وبجيلة: كسفينة. (الفتح الرباني)٢٥٠/١٨.

(٨) أخرجه الترمذي في سننه كتاب التفسير - باب ومن سورة سبأ ٥ / ٣٦١ - رقم (٣٢٢٢) قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وجامع الأصول لابن الأثير ٣٢٦/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ما المراد بقوله " أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ...؟
يقول الله تعالى وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (١)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:(أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ)الآية توبيخ لهم وإقامة حجة عليهم.
وقيل: إن مدة التذكير ستون سنة، وقيل: أربعون، وقيل: البلوغ، والأول أرجح لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر {٢}
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:
١- أن مدة التذكير ستين سنة، وهو مروي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٣)، وبه قال: ابن عباس، وأبو هريرة رضي الله عنهم، والأئمة مجاهد، وعطاء بن أبي رباح
٢- أن مدة التذكير أربعين سنة وهو قول لابن عباس رضي الله عنهما وقاله الحسن ومسروق ورجحه الطبري{٤}
(١) سورة فاطر آية: (٣٧)
(٢) التسهيل ٣ / ١٥٨
(٣) صحيح البخاري - كتاب الرقاق، باب من بلغ سِتِّينَ سنة فقد أَعْذَرَ الله إليه في الْعُمَرِ لقوله أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فيه من تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ يَعْنِي الشَّيْبَ- ٢٣٥٩/٥، ٢٣٦٠.
(٤) ينظر في هذه الأقوال: تفسير الطبري ٢٠ / ٤٧٧، تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣١٨٥، الدر المنثور ٧ / ٣٢، تفسير البغوي ٣ / ٧٥٣(؟)، تفسير القرطبي ١٤ / ٣٥٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الثالث: أن مدة التذكير إلى البلوغ وهو قول قتادة {١}، وقول عطاء {٢} ورواية عن الحسن (٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بمدة التذكير ستين سنة مستندًا في ذلك إلى ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أَعْذَرَ الله إلى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حتى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً {٤}

وله شواهد عن أحمد في مسنده عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قال من عُمِّرَ اللَّهُ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إليه في الْعُمْرِ {٥}

وهو ترجيح مقبول يعتمد على تفسير النبي - صلى الله عليه وسلم -، والقاعدة أنه إذا ثبت الحديث وكان نصًا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره.

وقد رجح الطبري القول بأن مدة التذكير أربعين سنة، فقال: وأشبه القولين بتأويل الآية - إذ كان الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبرًا في إسناده بعض من يجب التثبت في نقله - قول من قال أربعون سنة، لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين.

وأجابه الإمام ابن كثير بقوله: وقول ابن جرير إن في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري، والله أعلم.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣١٨٥.
(٢) تفسير البغوي ٣ / ٥٧٣، اللباب لابن عادل ١٣ / ٢٠١.
(٣) تفسير الألوسي ٢٢ / ٢٠١.
(٤) صحيح البخاري - كتاب الرقاق، باب من بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أَعْذَرَ الله إليه في الْعُمَرِ لقوله " أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فيه من تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ " يَعْنِي الشَّيْبَ - ٢٣٥٩/٥، ٢٣٦٠.
(٥) مسند أحمد بن حنبل ٤١٧/٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ولما كان هذا العمر الذي يعذر الله تعالى إلى عباده ويزيح به عنهم العلل كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة {١}

ولكني أرى الجمع بين الآراء التي ذكرها المفسرون في هذه الآية بأن يكون المراد كل عمر يمكن للمكلف فيه أن يتذكر، فمنهم من يكفيه لذلك سن البلوغ ومنهم من يكفيه لذلك أربعون سنة ومنهم من لا يتذكر إلا إذا بلغ ستين سنة ومنهم من لا يتذكر إلا قبيل الغرغرة {٢}، وعليه فإن الخبر الوارد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك يحمل على أقصى مدة يتحقق فيها الإنذار للعبد، والله أعلم

ومن ذلك ما قاله البيضاوي: " متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر.

وكذا قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: أي زمانًا كافيًا بامتداده للتذكر والتبصير{٣}.

ما المراد بقوله تعالى: (والشمس تجري لمستقر لها....؟
يقول الله تعالى: وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٤)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
قوله تعالى: (لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) أي: لحد مؤقت تنتهي إليه من فلكها وفي نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشتاء والصيف. وقيل: مستقرها وقوفها كل وقت زوال بدليل وقوف الظل حينئذ. وقيل: مستقرها يوم القيامة حين تكور.
(١) تفسير ابن كثير ٥٦٠/٣.
(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إن الله تعالى يقبل توبة العبد(؟) ما لم يغرغر، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (المستدرك على الصحيحين ٤ / ٢٨٦)
(٣) التحرير والتنوير ١١ / ٤٨٨.
(٤) سورة يس آية: (٣٨).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وفي الحديث مستقرها تحت العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها وهذا أصح الأقوال لوروده عن النبي في الحديث الصحيح {١}{٢}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أن مستقر الشمس نهاية جريها إلى أن ترجع في المنقلبين الشتاء والصيف وهو قول ابن عمرو رضي الله عنهما وذكره ابن أبي حاتم{٣} وابن كثير{٤}، والسمعاني {٥}

٢- أن مستقر الشمس وقوفها كل وقت زوال، ذكره الآلوسي والبيضاوي، وأبو السعود {٦}.

٣- أن المستقر يوم القيامة حين تكور قاله الواحدي {٧} ومقاتل {٨} وذكره ابن الجوزي {٩}، والشوكاني {١٠}.

٤- أن مستقرها سجودها تحت العرش كل ليلة وهو قول النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قول أكثر المفسرين {١١}

الترجيح في الميزان:

---

(١) صحيح البخاري - ك التفسير، باب قوله تعالى " والشمس تجري لمستقر لها " - ٤ / ١٨٠٦، صحيح مسلم - ك الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان - ١ / ١٣٩

(٢) التسهيل ٣ / ١٦٢.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣١٩٤.

(٤) تفسير ابن كثير ٣ / ٥٧٣.

(٥) تفسير السمعاني ٤ / ٣٧٧.

(٦) تفسير الألوسي ٢٣ / ١٢، البيضاوي ٤ / ٤٣٣، أبي السعود ٧ / ١٦٨.

(٧) تفسير الواحدي ٢ / ٩٠٠.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ٨٦.

(٩) زاد المسير ٧ / ١٩.

(١٠) فتح القدير ٤ / ٣٦٩.

(١١) تفسير الدر المنثور ٧ / ٥٦، تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣١٩٤، تفسير ابن كثير ٣ / ٥٧٢، تفسير السمرقندي ٣ / ١١٧، تفسير السمعاني ٤ / ٣٧٧، تفسير زاد المسير ٧ / ١٧، وغيرها.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله القول بأن المراد بمستقر الشمس: سجودها في كل ليلة تحت عرش الرحمن سبحانه، مستدلًا لذلك بما ورد في الحديث الشريف الذي أخرجه البخاري في صحيحه بسنده المتصل عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الْمَسْجِدِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ فقال: يا أَبَا ذَرٍّ أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟ قلت: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قال: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حتى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لها ذلك تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) {١}

وفي رواية للبخاري أيضًا عن أبي ذَرٍّ قال: سَأَلْتُ النبي صلى الله عليه وسلم عن قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لها) قال: مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ {٢}

وفي الحديث بيان شاف لكيفية حصول ذلك المستقر للشمس كما وصف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإن كانت كيفية السجود في ذاتها بالنسبة لنا غيب إلا أننا نسلم بما ورد في السنة الصحيحة.

ويؤيد هذا الترجيح أيضًا: سياق القرآن حيث تناولت الآيات حديثًا مفصلًا عن أدلة القدرة الإلهية متناولًا مجموعة من الجوانب المختلفة للحياة بدءًا من الأرض الميتة التي تتحول إلى ظلال وارفة والثمار اليانعة بقدرة الله تعالى، والأزواج المتماثلة بقدرة العزيز سبحانه وكذا دورة الزمن بالتقديرات الربانية لحركة الشمس والقمر والتي تنتج عنها منظومة الليل والنهار، والتزام كل من الشمس والقمر بحركته المنضبطة وفق الترتيبات الربانية

---

(١) صحيح البخاري - ك التفسير، باب قوله تعالى " والشمس تجري لمستقر لها " - ٤/ ١٨٠٦
(٢) المرجع السابق.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الرازي رحمه الله {١}: وقوله: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي) إشارة إلى سبب سلخ النهار، فإنها تجري لمستقر لها وهو وقت الغروب فينسلخ النهار.

وفائدة ذكر السبب هو: أن الله لما قال: (نسلخ منه النهار..) وكان غير بعيد من الجهال أن يقول منهم إن سلخ النهار ليس من الله إنما يسلخ النهار بغروب الشمس فقال تعالى " والشمس تجري لمستقر لها " بأمر الله مغرب الشمس سالخ للنهار فيذكر السبب يتبين صحة الدعوى، ويحتمل أن يقال بأن قوله " وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا " إشارة إلى نعمة النهار بعد الليل كأنه تعالى لما قال: " وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ " {٢} ذكر أن الشمس تجري فتطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار بمنافعه. أ ه

وعليه فالراجح ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن المراد بمستقر الشمس غروبها بين يدي ربها في كل ليلة ساجدة تحت العرش والله أعلم

ما المراد بالصيحة في قوله " وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة؟
قال تعالى وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ {٣}
قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قوله تعالى: (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة.....) ينظر هنا بمعنى: ينتظر، وهؤلاء يعني قريشًا، والصيحة الواحدة: النفخة في الصور وهي نفخة الصعق.
وقيل: الصيحة عبارة عما أصابهم من قَتْل أو شدة والأول أظهر وقد روي تفسيرها بذلك عن النبي - صلى الله عليه وسلم - {٤}
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:
(١) التفسير الكبير ٦٢/٢٦.
(٢) سورة يس آية: (٤٩).
(٣) سورة ص آية: (١٥).
(٤) التسهيل ٣ / ١٧٩.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أن المراد من الصيحة: النفخة في الصور، وهو مروي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقول ابن عباس، وهو قول مالك عن زيد بن أسلم ومحمد بن كعب القرظي{١} وقول مقاتل{٢} وابن السائب{٣} على خلاف بينهما في النفخة الأولى أو الثانية {٤}،والواحدي {٥} وهو أيضًا قول جمهور المفسرين {٦}

أن المراد بالصيحة ما أصابهم من قتل أو شدة في الدنيا بسبب عصيانهم وكفرهم، ذكره الإمام الرازي{٧} والإمام الشوكاني {٨}.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بالصيحة: نفخة الصور التي يأمر الله تعالى بها الملك الموكل بذلك مستدلًا على ما ذهب إليه بالحديث الشريف الذي أخرجه الإمام ابن راهويه بسنده عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " إن الله لما خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة: فقلت يا رسول الله وما الصور؟ قال القرن قلت: وكيف هو؟ قال: عظيم والذي نفسي بيده إن عظم دارة فيه لكعرض السماوات والأرض، يأمر الله إسرافيل أن ينفخ ثلاث نفخات

---

(١) تفسير الطبري ٢٣ / ١٣٢،
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ١١٤
(٣) زاد المسير ٧ / ١٠٥
(٤) زاد المسير ٧ / ١٠٥
(٥) تفسير الواحدي ٢/ ٩٢٠
(٦) تفسير الطبري ٢٣ / ١٣٢، تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣٢٣٧، تفسير أبي السعود ٧ / ٢١٨، تفسير ابن كثير ٤ / ٣٠، الدر المنثور ٧ / ١٤٧، تفسير البيضاوي ٥/ ٣٩، تفسير السمرقندي ٣ / ١٥٣، تفسير السمعاني ٤ / ٤٢٨، تفسير ابن أبي زمنين ٤ / ٨٣، تفسير القرطبي ١٥ / ١٥٥.
(٧) تفسير الرازي ٢٦ / ١٥٩
(٨) فتح القدير ٤ / ٤٢٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأولى: نفخة الفزع، والثانية: نفخة الصعوق، والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل فيقول له: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء الله، فيأمره فيديمها ويطولها فلا يفتر، وهي التي يقول الله عز وجل: وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ {١} وإن كان الحديث ضعيفًا {٢} إلا أن جمهور المفسرين على هذا الترجيح، وقد يتوهم البعض أن سياق الآيات يفيد ترجيح القول الآخر بأن في الآيات تهديد لهم بوعيد دنيوي مثل وعيد من سبقهم كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة إذ في العقاب إفهام(؟) من الله تعالى لكفرهم، وقد كفر هؤلاء القوم فاستحقوا مثل ما عوقب به الأولون، غير أن ثمة دليل يرفع هذا التوهم، وهو أن الله تعالى وعد نبيه - صلى الله عليه وسلم - ألا يهلكهم ما دام فيهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ {٣}

ووعده - صلى الله عليه وسلم - ألا يهلك أمته من بعده بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدوًا من غيرهم كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم بسنده عن ثَوْبَانَ قال: قال رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: إِنَّ اللَّهَ زَوَى لي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زُوِيَ لي منها وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا من سوى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّي قال يا محمد إني إذا قَضَيْتُ قَضَاءً فإنه لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوًّا من سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ ولو اجْتَمَعَ عليهم من بِأَقْطَارِهَا أو قال من بين أَقْطَارِهَا حتى يكون بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا {٤}

---

(١) مسند إسحاق بن راهويه ٨٥/١
(٢) ضعفاء العقيلي ١٤٧/٤
(٣) سورة الأنفال آية: (٣٣).
(٤) صحيح مسلم - كتاب الفتن، باب أشراط الساعة - ٢٢١٥/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فأرى والله أعلم أنه وإن كان سياق الآيات يوحي بأن المراد من الصيحة عقاب دنيوي إلا أن الخبر الذي استدل به المفسرون وإن كان ضعيفًا إلا أنه تؤيده النصوص الأخرى وكذا إجماع المفسرين والله تعالى أعلم.

المراد بقوله " الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه "
يقول الله تعالى الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ {١}
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى قوله تعالى: (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ....) قيل: يستمعون القول على العموم فيتبعون القرآن لأنه أحسن الكلام
وقيل: يستمعون القرآن فيتبعون بأعمالهم أحسنه من العفو الذي هو أحسن من الانتصار وشبه ذلك.
وقيل: هو الذي يستمع حديثًا فيه حسن وقبيح فيتحدث بالحسن ويكف عما سواه وهذا قول ابن عباس وهو الأظهر{٢}
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:
١-المراد بقوله " يستمعون القول " على العموم - القرآن وغيره - فيتبعون القرآن وهو قول الواحدي {٣}، وابن السائب {٤}، وهو قول ابن عطية {٥}
(١) سورة الزمر آية: (١٨)
(٢) التسهيل ٣ / ١٩٢
(٣) تفسير الواحدي ٢ / ٩٣١
(٤) زاد المسير ٧ / ١٧١
(٥) المحرر الوجيز ٤ / ٥٢٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وذكره النحاس{١} والبغوي {٢}، والزمخشري {٣}

٢-المراد بقوله " يستمعون القول ": أي: القرآن ويتبعون بأعمالهم أحسن ما يأمر به القرآن وهو قول السدي {٤} ورجحه ابن عجيبة في البحر المديد {٥} وقاله الشوكاني في فتح القدير {٦} السمرقندي في التفسير {٧}، وذكره الألوسي في تفسيره {٨} الزمخشري في الكشاف {٩} والإمام القرطبي في تفسيره {١٠} والإمام البغوي في تفسيره {١١} والشنقيطي في أضواء البيان {١٢}

المراد بقوله " يستمعون القول " كلام الناس فيتحدثون بالحسن ويجتنبون القبيح وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما، ونصه كما ورد في تفسيره: الذين يستمعون القول: الحديث، فيتبعون أحسنه: أحكمه وأبينه يعملون به ويريدونه {١٣} وقاله القرطبي {١٤}

---

(١) معاني القرآن ٦ / ١٦٣(؟)
(٢) تفسير البغوي ٦ / ٣٥٤
(٣) تفسير الكشاف ٤ / ١٢٢
(٤) تفسير الطبري ٢٣ / ٢٠٦، البغوي ٤ / ٧٥، الثعالبي ٨ / ٢٢٧، فتح القدير ٤ / ٤٥٦، النكت والعيون للإمام الماوردي ٤ / ١٠.
(٥) البحر المديد للإمام ابن عجيبة ٢ / ٧٢
(٦) فتح القدير ٤ / ٤٥٦
(٧) تفسير السمرقندي ٣ / ١٧٣
(٨) روح المعاني ٢٣ / ٢٥٣
(٩) تفسير الكشاف ٤ / ١٢٢
(١٠) تفسير القرطبي ١٥ / ٢٤٤
(١١) تفسير البغوي ٦ / ٣٥٤
(١٢) أضواء البيان ٦ / ٣٥٦،
(١٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٣٨٧/١
(١٤) تفسير القرطبي ١٥ / ٢٤٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وذكره أبو حيان في البحر{١}، الشوكاني في الفتح {٢} وابن عادل في اللباب {٣} الزمخشري في الكشاف{٤} والشنقيطي في أضواء البيان {٥}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة القول بأن المراد بقوله تعالى " يستمعون القول فيتبعون أحسنه " أنه الرجل يستمع إلى حديث القوم فيأخذ الحسن ويترك القبيح وعلته في ذلك أن القول إنما ورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهو قول معتبر لحبر الأمة وترجمان القرآن في المسألة، بل هو أقواها حيث القاعدة: أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم، وعليه فإن القول عام. وليس هناك ما يخصصه، وهو ما ذهب إليه أبو حيان بقوله: وهو عام في جميع الأقوال{٦}

ما المراد بالاستجابة في قوله: (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا؟
قال تعالى وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ {٧}
قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قوله تعالى: (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا...) فيه ثلاثة أقوال:
(١) تفسير البحر المحيط ٤٠٤/٧
(٢) فتح القدير ٤ / ٤٥٦
(٣) تفسير اللباب لابن عادل ١٣ / ٤١٤
(٤) تفسير الكشاف للزمخشري ٤ / ١٢٢
(٥) أضواء البيان ٣٥٨/٦
(٦) تفسير البحر المحيط ٤٠٤/٧
(٧) الآية ٢٦ من سورة الشورى

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أحدها: أن معنى يستجيب: يجيب، والذين آمنوا مفعول والفاعل ضمير يعود على الله تعالى أي يجيبهم فيما يطلبون منه، وقال الزمخشري أي أصله يستجيب للذين آمنوا فحذف اللام.

والثاني: أن معناه يجيب، والذين آمنوا فاعل أي يستجيب المؤمنون لربهم باتباع دينه.

والثالث: أن معناه يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم واستفعل على هذا على بابه من الطلب.

والأول أرجح لدلالة قوله: (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِه) ولأنه قول ابن عباس ومعاذ بن جبل{١}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- أن الله تعالى يجيب المؤمنين فيما يطلبون وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ومعاذ بن جبل رضي الله عنه والسدي والواحدي { ورجحه الرازي، وابن عطية والثعالبي وابن الجوزي وقاله أبو السعود والبغوي والبيضاوي، والسمرقندي

٢- أن المؤمنين يستجيبون لمراد الله تعالى ذكره الثعالبي، وابن عطية في المحرر، وأبو السعود

٣- أن المؤمنين يطلبون الإجابة من الله تعالى وهو قول المبرد وذكره ابن عطية والشوكاني والنحاس {٢}

---

(١) التسهيل ٤ / ٢٠

(٢) ينظر في هذه الأقوال: تفسير ابن عباس ١ / ٤٠٨، تفسير البحر المحيط ٧ / ٤٩٥، تفسير الواحدي ٢ / ٩٦٥، تفسير ابن كثير ٤ / ١١٦، التفسير الكبير ١٤٥/٢٧، المحرر الوجيز ٥ / ٣٥، الثعالبي ٨ / ٣١٧، زاد المسير ٧ / ٢٨٧، تفسير أبي السعود ٨ / ٣١، روح المعاني ٢٥ / ٣٧ تفسير البغوي ١٢٧/٤ تفسير البيضاوي ٥ / ١٣٠ تفسير السمرقندي ٣ / ٢٣١ تفسير القرطبي ٢٦/١٦ فتح القدير ٥٣٥/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد من قوله " وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آَمَنُوا " إجابة الله تعالى إياهم الدعاء لأنفسهم وإخوانهم وهو قول راجح لدلالة السياق عليه، فالآية قبلها قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (١)،والآية بعدها قوله: (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِه) (فيزيد) عطف على (ويستجيب) وعلى الأول ويجيب الله العبد ويزيده الله من فضله، والمفسر الصحابي الإمام ابن عباس رضي الله عنهما وقول معاذ بن جبل في هذا المعنى كما ورد في صدر المسألة

وعليه فقول الإمام ابن جزي في هذه المسألة قول راجح، والله أعلم

ما المراد بالسيما في قوله: (سيماهم في وجوههم؟

قال الله تعالى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا {٢}

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

"سيماهم في وجوههم" السيما: العلامة، وفيه ستة أقوال:

الأول: أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود.

والثاني: أنه أثر التراب في الوجه.

الثالث: أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة.

(١) سورة الشورى آية: (٢٥).

(٢) الآية ٢٩ من سورة الفتح

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والرابع: حسن الوجه، لما ورد في الحديث " من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار " وهذا الحديث غير صحيح، بل وقع فيه غلط من الراوي رفعه إلى النبي، وهو غير مروي عنه {١}.

الخامس: أنه الخشوع

السادس: أن ذلك يكون في الآخرة يجعل الله لهم نورًا من أثر السجود كما يجعل غرة من أثر الوضوء، وهذا بعيد؛ لأن قوله " تراهم ركعًا سجدًا " وصف حالهم في الدنيا، فكيف يكون سيماهم في وجوههم كذلك. والأول أظهر وقد كان بوجه علي بن عبد الله بن العباس {٢} أثر ظاهر من أثر السجود{٣}

الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

الأول: أن المراد بسيماهم: الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود، وهو قول جابر بن عبد الله{٤} قتادة {٥}، السدي{٦}

---

(١) ينظر سنن ابن ماجة - باب ما جاء في قيام الليل - ١ / ٤٢٢ برقم ١٣٣٣، وهو حديث موضوع، ينظر علل الحديث للرازي ١ / ٧٤، الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة لمرعي بن يوسف الكرمي ١ / ١٣٩ تحقيق د/ محمد بن لطفي الصباغ، تنزيه الشريعة عن الأحاديث الموضوعة لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني ٢ / ١٠٦، الموضوعات لابن الجوزي ٢ / ٣٦.

(٢) علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، ولد أيام قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسمي باسمه، روى عن أبيه وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري وابن عمر وجماعة، وروى عنه مسلم والأربعة، ينظر التاريخ الكبير ٦ / ٢٨٢، تقريب التهذيب ١ / ٤٠٣، العبر في أخبار من غبر ١ / ٢٧، الوافي بالوفيات ٦ / ٤٢٣

(٣) التسهيل ٤ / ٥٥.

(٤) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٠٥.

(٥) تفسير الطبري ٢٦ / ١١٢.

(٦) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٠٥.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ورجحه الطبري {١} وذكره الإمام الرازي في تفسيره {٢}.

والثاني: أن المراد بسيماهم: أثر التراب في الوجه، وهو قول سعيد بن جبير {٣} وعكرمة {٤}، وأبو العالية{٥} والأوزاعي {٦}

الثالث: أن المراد بسيماهم: صفرة الوجه من السهر والعبادة، وهو قول الضحاك {٧}، والحسن البصري {٨}، وقول لسعيد بن جبير{٩} وعكرمة {١٠}، شمر بن عطية {١١}

والرابع: أن المراد بسيماهم: حسن الوجه بالنهار لما كان منهم من العبادة في الليل، وهو قول جابر بن عبد الله {١٢}، وعطاء {١٣}، والضحاك {١٤} ذكره الرازي {١٥}، وأبو السعود في تفسيره {١٦}

---

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ١١٢
(٢) التفسير الكبير ٩٣/٢٨
(٣) تفسير الطبري ٢٦ / ١١٢، الدر المنثور ٧ / ٥٤١، زاد المسير ٤٤٦/٧
(٤) تفسير الطبري ١١٢/٢٦
(٥) زاد المسير ٤٤٦/٧
(٦) المرجع السابق
(٧) الدر المنثور ٥٤١/٧
(٨) تفسير الطبري ١١١/٢٦، زاد المسير ٤٤٧/٧
(٩) زاد المسير ٤٤٧/٧
(١٠) الدر المنثور ٥٤٣/٧
(١١) تفسير الطبري ١١١/٢٦
(١٢) المحرر الوجيز ٥ / ١٤١،
(١٣) تفسير الكشاف ٤ / ٤٣٩(؟)
(١٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤ / ١٤١
(١٥) التفسير الكبير ٩٣/٢٨
(١٦) تفسير أبي السعود ٨ / ١١٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الخامس: أن المراد بسيماهم: الخشوع والسمت الحسن وهو قول ابن عباس{١}، مجاهد {٢}.

السادس: أن المراد بسيماهم: نور يجعله الله تعالى لهم يوم القيامة من أثر السجود كما يجعل غرة من أثر الوضوء وهو قول أبي بن كعب {٣} وابن عباس{٤}، والحسن{٥} وعطية العوفي {٦}، ومقاتل بن حيان {٧}، والزهري {٨}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله: (سيماهم " أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود.

وأرى أن ترجيح الإمام ابن جزي متفق مع السياق القرآني الظاهر حيث جعل الله تعالى أثر السجود سببًا في حصول هذه السيما " سيماهم في وجوههم من أثر السجود "،وحمل النص على ظاهره أولى من تأويله وهو أيضًا يجمع بقية الآراء فالصلاة تورث الخشوع والسمت الحسن ومن ثمراتها نور الوجه، وأثر محل السجود من التراب أمر ظاهر، ويختم كل هذا الخير بالتشريف يوم القيامة فتكون علامتهم في وجوههم فيعرفون بها بين أهل الطاعة والرحمة، كما يعرف

---

(١) تفسير الطبري ١١٠/٢٦، الدر المنثور ٥٤١/٧، تفسير ابن أبي حاتم ٣٣٠١/١٠، زاد المسير ٤٤٦/٧، تفسير ابن كثير ٢٠٥/٤

(٢) تفسير الطبري ١١١/٢٦، الدر المنثور ٥٤١/٧، تفسير ابن كثير ٢٠٥/٤، زاد المسير ٤٤٧/٧

(٣) الدر المنثور ٥٤١/٧

(٤) تفسير الطبري ١١٠/٢٦، الدر المنثور ٥٤١/٧

(٥) تفسير الطبري ١١٠/٢٦، الدر المنثور ٥٤١/٧، زاد المسير ٧ / ٤٤٧

(٦) تفسير الطبري ١١٠/٢٦، الدر المنثور ٥٤١/٧، زاد المسير ٧ / ٤٤٧

(٧) تفسير الطبري ١١٠/٢٦

(٨) زاد المسير ٧ / ٤٤٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

غيرهم بسواد الوجه والعياذ بالله يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ(١).

ويستشهد لذلك بقول الطبري في تفسيره قال: وأُولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود ولم يخص ذلك على وقت دون وقت.

وإذ كان ذلك كذلك فذلك على كل الأوقات فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته وآثار أداء فرائضه وتطوعه وفي الآخرة ما أخبر - صلى الله عليه وسلم - أنهم يعرفون به وذلك الغرة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجوه من أثر السجود {٢}

والله تعالى أعلم

ما المراد بالجاريات في قوله تعالى: (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا؟
قال الله تعالى فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى قوله تعالى:(فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا) هي السفن تجري في البحر..... وقيل: جميع الحيوان الحامل وقيل: إن الجاريات يسرا السحاب وقيل الجواري من الكواكب والأول أشهر وهو قول علي بن أبي طالب{٤}
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:
(١) سورة الرحمن آية: (٤١)
(٢) تفسير الطبري ٢٦/ ١١٢
(٣) سورة الذاريات آية: (٣)
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٦٧/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأول: أن المراد بالجاريات: السفن تجري في البحر، وهو قول علي رضي الله عنه {١} وابن عباس رضي الله عنهما {٢} أكثر المفسرين {٣} الزمخشري {٤} وأبو حيان {٥} وأبو السعود {٦}، والبغوي {٧}، والبيضاوي {٨}، والسمرقندي {٩}، والسمعاني {١٠}، وابن الجوزي {١١}، والألوسي {١٢}

الثاني: أن المراد بالجاريات: كل ما يجري من الدواب التي تحمل الناس والمتاع، ذكره أبو حيان في التفسير {١٣}

الثالث: أن المراد بالجاريات: السحاب، ذكره أبو حيان في التفسير{١٤} وابن عطية في تفسيره {١٥}

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٣٢/٤، تفسير السمعاني ٢٥٠/٥
(٢) تفسير السمعاني ٢٥٠/٥، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ج١ص٤٤٠
(٣) أضواء البيان ٤٣٥/٧، تفسير السمعاني ٢٥٠/٥
(٤) الكشاف ٣٩٨/٤
(٥) تفسير البحر المحيط ١٣٢/٨
(٦) تفسير أبي السعود ١٣٦/٨
(٧) تفسير البغوي ٢٢٨/٤
(٨) تفسير البيضاوي ٢٣٤/٥
(٩) تفسير السمرقندي ٣٢٤/٣
(١٠) تفسير السمعاني ٢٥٠/٥
(١١) زاد المسير ٨/ ٢٨
(١٢) روح المعاني ٢٧/ ٢
(١٣) تفسير البحر المحيط ١٣٢/٨
(١٤) المرجع السابق
(١٥) المحرر الوجيز ٥ / ١٧١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الرابع: أن المراد بالجاريات:الكواكب، ذكره أبو السعود في تفسيره {١}، والبيضاوي {٢}والسمعاني {٣}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله تعالى " فالجاريات يسرا " هي السفن تجري في البحر مستدلًا على ذلك بأنه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونصه كما أخرجه الحاكم في المستدرك بسنده: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قام على المنبر فقال: سلوني قبل أن لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي قال: فقام ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين ما (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) قال الرياح قال فما (فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا) قال السحاب قال فما (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا) قال: السفن، قال: فما (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا)(٤) قال: الملائكة، قال: فمن (الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ) (٥) قال: منافقوا قريش؛ هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه {٦}

والقاعدة: أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم، وعلى هذا الترجيح جمهور المفسرين كما سبق.

ومن ثم فإني أرى رحجان قول الإمام ابن جزي في هذه المسألة، والله أعلم

---

(١) تفسير أبي السعود ١٣٦/٨
(٢) تفسير البيضاوي ٢٣/٥
(٣) تفسير السمعاني ٥/ ٢٥٠
(٤) سورة الذاريات آية: (٤)
(٥) سورة إبراهيم آية: (٢٨).
(٦) المستدرك على الصحيحين - تفسير سورة الذاريات - ٥٠٦/٢، تخريج الأحاديث والآثار ٣٦٥/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هل كان انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم هو كائن يوم القيامة؟

يقول الله تعالى: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله

قوله تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) هذا إخبار بما جرى في زمان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وذلك أن قريشًا سألته آية، فأراهم انشقاق القمر، فقال: اشهدوا، وقال ابن مسعود: انشق القمر فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه. وقيل: معنى انشق القمر: أنه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطل ترده الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله {٢}

الأقوال كما عرضها ابن جزي:

١-أن انشقاق القمر كان على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو قول عبد الله بن عباس {٣} أنس بن مالك{٤}، عبد الله بن عمر{٥}، عبد الله بن مسعود {٦}، ومجاهد {٧}،

---

(١) سورة القمر آية: (١).
(٢) التسهيل ٤ / ٧٨
(٣) تفسير ابن عباس ٤٤٨/١، زاد المسير ٨/ ٨٧، تفسير الطبري ٢٧/ ٨٤
(٤) تفسير الطبري ٢٧/ ٨٤، الدر المنثور ٧٦٠/٧، تفسير الصنعاني ٢٥٧/٣، تفسير البغوي ٢٥٨/٤، زاد المسير ٨٨/٨
(٥) تفسير الطبري ٨٤/٢٧، الدر المنثور ٦٧٠/٧، زاد المسير ٨/ ٨٧
(٦) تفسير الطبري ٨٤/٢٧، الدر المنثور ٧ / ٦٧٠، تفسير الصنعاني ٣/ ٢٥٧، زاد المسير ٨/ ٨٧
(٧) تفسير مجاهد ٢ / ٦٥٣، تفسير الطبري ٨٤/٢٧، الدر المنثور ٦٧٠/٧ تفسير الصنعاني ٢٥٧/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قتادة {١}، مسروق {٢}، والواحدي {٣} وهو قول الجمهور من العلماء{٤}

٢- أن انشقاق القمر كائن يوم القيامة، وهو قول عثمان بن عطاء{٥} عن أبيه {٦} وذكره الشوكاني في تفسيره {٧}، ابن الجوزي في تفسيره {٨} والبيضاوي في تفسيره {٩}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن انشقاق القمر إنما كان على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -، واستدل عليه بما ورد في الأحاديث الصحيحة ومنها ما أخرجه البخاري بسنده عن ابن مَسْعُودٍ قال انْشَقَّ الْقَمَرُ على عَهْدِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ وَفِرْقَةً دُونَهُ فقال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اشْهَدُوا

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " انْشَقَّ الْقَمَرُ في زَمَانِ النبي صلى الله عليه وسلم " {١٠}

---

(١) تفسير الطبري ٨٤/٢٧، الدر المنثور ٦٧٠/٧، تفسير الصنعاني ٣/ ٢٥٧، تفسير البغوي ٤/ ٢٥٨

(٢) تفسير الطبري ٢٧/ ٨٤، الدر المنثور ٧/ ٦٧٠، تفسير البغوي ج٤ص٢٥٨

(٣) تفسير الواحدي ٢/ ١٠٤٥

(٤) تفسير القرطبي ١٧/ ١٢٥، زاد المسير ج٨ص٨٨(؟)، فتح القدير ج٥ص١٢٠

(٥) عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني أبو مسعود المقدسي ضعيف من السابعة، سكن(؟) الشام مولى لآل المهلب بن أبي صفرة الأزدي مات عثمان بن عطاء سنة خمس وخمسين ومائة (تقريب التهذيب ٣٨٥/١، التاريخ الكبير للبخاري ٢٤٤/٦)

(٦) تفسير أبو السعود ٦/ ٢٣٥، تفسير البيضاوي ٢٤٦/٥

(٧) فتح القدير ٥/ ١٢٠

(٨) زاد المسير ٨/ ٨٧

(٩) تفسير البيضاوي ٥/ ٢٦٣

(١٠) صحيح البخاري- كتاب التفسير، باب" وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا "١٨٤٣/٤ برقم ٤٥٨٣، ٤٥٨٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ويؤيد ما ذهب إليه الإمام ابن جزي، سياق الآية لأن " قوله " وانشق " لفظ ماض وحمل اللفظ الماضي على المستقبل يفتقر إلى قرينة تنقله ودليل وليس ذلك موجودًا وفي قوله " وإن يروا آية يعرضوا " دليل على أنه قد كان ذلك "{١}

ويؤيده أيضًا: إجماع أهل العلم عليه.

قال الإمام الشوكاني: زعم قوم عدوا عن القصد وما عليه أهل العلم أن القمر ينشق يوم القيامة والأمر بين في اللفظ وإجماع أهل العلم {٢}

ويقول ابن الجوزي في زاد المسير: وهذا القول الشاذ لا يقاوم الإجماع {٣}

وبهذا يتبين رجحان القول بأن القمر قد انشق على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وكانت تلك آية له عليه السلام وحجه على المشركين والله أعلم.

ما المراد بالبيت المعمور؟
يقول الله تعالى: وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى
قوله تعالى: (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ): هو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدًا، وبهذا عمرانه وهو حيال الكعبة وقيل: البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجاج والطائفين، والأول أظهر وهو قول علي وابن عباس{٥}
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:
(١) زاد المسير ٨٧/٨
(٢) فتح القدير ٥/ ١٢٠
(٣) زاد المسير ٨٧/٨
(٤) سورة الطور آية: (٤)
(٥) التسهيل ٤ / ٦٣(؟)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأول: أن المراد بالبيت المعمور: هو البيت الذي في السماء السابعة وهو قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - {١}، ابن عباس رضي الله عنهما {٢}، وعلي كرم الله تعالى وجهه {٣} وأنس {٤} ومجاهد {٥} وقتادة {٦}،والبغوي {٧} والشوكاني {٨} والثعالبي {٩}، وأبو السعود {١٠} وقاله عامة المفسرين {١١}

الثاني: أن المراد بالبيت المعمور: هو بيت الله الحرام في مكة المكرمة الحسن بن أبي الحسن البصري{١٢}، وذكره البيضاوي{١٣} والشوكاني {١٤}

---

(١) صحيح البخاري ١١٧٣/٣
(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١ / ٤٤٣، تفسير السمعاني ٢٦٧/٥، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٨٦/٥
(٣) روح المعاني ٢٧/ ٢٧، تفسير السمعاني ٥/ ٢٦٧، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٨٦/٥
(٤) تفسير مجاهد ٦٢٣/٢، روح المعاني ٢٧/٢٧
(٥) تفسير مجاهد ٢/ ٦٢٣
(٦) تفسير الصنعاني ٦٤٢/٣
(٧) تفسير البغوي ٢٣٧/٤
(٨) فتح القدير ٩٤/٥
(٩) تفسير الثعالبي ٩/ ١٢٤
(١٠) تفسير أبي السعود ١٤٦/٨
(١١) تفسير السمعاني ٥/ ٢٦٧
(١٢) روح المعاني ٢٧/ ٢٧، تفسير الثعالبي ٩/ ١٢٤، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥/ ١٨٦
(١٣) تفسير البيضاوي ٥/ ٢٤٤
(١٤) فتح القدير ٥ / ٩٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام القول بأن المراد بالبيت المعمور هو بيت في السماء وليس المراد به الكعبة المشرفة، واستدل على ذلك بقول السلف ومنهم علي وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

وهذا القول ثابت بالحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري بسنده عن أنس بن مالك في حديث ذكر الإسراء والمعراج، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: " فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ: من هذا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ من مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وقد أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جاء فَأَتَيْتُ على إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عليه فقال مَرْحَبًا بِكَ من نَبِيٍّ فَرُفِعَ لي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فقال هذا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فيه كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إذا خَرَجُوا لم يَعُودُوا إليه آخِرَ ما عليهم.... الحديث " {١}

ويصير قول ابن جزي راجحًا لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذه المسألة حيث القاعدة أنه متى صح الحديث كان مرجحًا للقول على ما سواه، ولأقوال الصحابة رضوان الله عليهم والقاعدة أن فهم السلف للنص القرآني مقدم على فهم غيرهم.

---

(١) صحيح البخاري- كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة ٣/ ١١٧٣ (برقم) (٣٠٣٥)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ثالثًا: الترجيحات بأقوال السلف وآثار العلماء

قال تعالى " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ "{١}

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

"ومما رزقناهم ينفقون " فيه ثلاثة أقوال:

الأول: قيل: الزكاة لاقترانها مع الصلاة، والثاني: أنه التطوع، والثالث: العموم وهو الأرجح؛ لأنه لا دليل على التخصيص{٢}

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

المراد بقوله " ومما رزقناهم ينفقون" الزكاة وهو قول الإمام ابن عباس{٣} وابن مسعود{٤} وقتادة {٥}

المراد بقوله " ومما رزقناهم ينفقون " التطوع وهو قول السدي والضحاك{٦}، ومجاهد {٧}

المراد بقوله " ومما رزقناهم ينفقون " أنها عامة في كل نفقة وهو قول قتادة {٨}، وذكره السمعاني {٩}

---

(١) سورة البقرة آية ٣
(٢) التسهيل ١ / ٣٦
(٣) تفسير ابن عباس ١ / ٣ تفسير الطبري ١ / ١٠٤، تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٣٧، روح المعاني ١ / ١١٠، تفسير ابن عطية ١ / ٨٥
(٤) تفسير ابن عطية ١ / ٨٥
(٥) زاد المسير ١ / ٢٦،
(٦) تفسير الطبري ١ / ١٠٤، تفسير ابن عطية ١ / ٨٥، روح المعاني ١ / ١١٠
(٧) زاد المسير ١ / ٢٦
(٨) تفسير ابن أبي حاتم ج١ ص٣٧
(٩) تفسير السمعاني ١ / ٤٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ورجحه الإمام ابن عطية وقال هذه الأقوال تمثيل لا خلاف {١}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله تعالى " ومما رزقناهم ينفقون " الزكاة المفروضة، اعتمادًا على اقترانها بالصلاة المفروضة.

وأرى والله أعلم أن المراد في الآية الكريمة العموم دون تخصيص الإنفاق بالزكاة أو الصدقة أو الإنفاق على الأهل والعيال ذلك أن اللفظ يشملها جميعًا والعبرة بعموم اللفظ وشموله.

وأضاف الطبري رحمه الله تعالى: أن هذا المعنى متفق مع السياق القرآني في صفة هؤلاء المؤمنين فقال رحمه الله تعالى:

وأولى التأويلات بالآية وأحقها بصفة القوم أن يكونوا كانوا لجميع اللازم لهم في أموالهم مؤدين زكاة كان ذلك أو نفقة من لزمته نفقته من أهل وعيال وغيرهم ممن تجب عليهم نفقته بالقرابة والملك وغير ذلك لأن الله جل ثناؤه عم وصفهم إذ وصفهم بالإنفاق مما رزقهم فمدحهم بذلك من صفتهم فكان معلومًا أنه إذ لم يخصص مدحهم ووصفهم بنوع من النفقات المحمود عليها صاحبها دون نوع بخير(؟) ولا غيره أنهم موصوفون بجميع معاني النفقات المحمود عليها صاحبها من طيب ما رزقهم ربهم من أموالهم وأملاكهم وذلك الحلال منه الذي لم يشبه حرام {٢}.

وقول الطبري هنا يتفق مع القاعدة التي مفادها: " إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له {٣}

---

(١) تفسير ابن عطية ١ / ٨٥
(٢) تفسير الطبري ١ / ١٠٠
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين ١ / ١٢٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال أبو السعود: والمراد بهذا الانفاق الصرف إلى سبيل الخير فرضًا كان أو نفلًا ومن فسر بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه أو خصصه بها لاقترانه بما هما شقيقتان(؟)[١]

وقال النسفي: " ينفقون " يتصدقون أدخل من التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهي عنه وقدم المفعول دلالة على كونه أهم، والمراد به الزكاة؛ لاقترانه بالصلاة التي هي أختها أو هي وغيرها من النفقات في سبيل الخير؛ لمجيئه مطلقًا[٢]

معنى قوله تعالى " يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ " [٣]
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:
"يخادعون " أي: يفعلون فعل المخادع ويرومون الخدع بإظهار خلاف ما يسرون، وقيل معناه: يخدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم والأول أظهر [٤]
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:
١-" يخادعون " أي يفعلون فعل المخادع ويرومون الخدع وهو قول ابن عباس[٥] ابن زيد [٦]، والواحدي[٧]

(١) تفسير أبي السعود ١ / ٣٢
(٢) تفسير النسفي ١ / ١٣
(٣) سورة البقرة الآية ٩
(٤) التسهيل ١ / ٣٧
(٥) تفسير ابن عباس ١ / ٤
(٦) تفسير الطبري ١ / ١١٨، الدر المنثور ١ / ٧٥٠
(٧) تفسير الواحدي ١ / ٩٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- " يخادعون " أي يخدعون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو قول الحسن {١}، والزجاج {٢}، وابن جريج {٣}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن يكون المراد بقوله تعالى " يخادعون الله " أنهم يظهرون خلاف ما يضمرون وهم بذلك يمارسون أفعال المخادعين

وأرى والله أعلم أن أفعال المخادعين ظهرت منهم نحو الله تعالى إما لجهلهم أن الله تعالى لا يعلم سرائر أنفسهم، وإما لظنهم أن ما يفعلونه ذلك نافعهم عند ربهم وأنه لا يروج عليه سبحانه كما قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون){٤} ويؤيده أيضًا ختام الآية الكريمة حيث قال الله تعالى " وما يشعرون " فدل ذلك على غفلة متحققة فيهم إما عن إدراكهم أن الله يعلم سرائرهم، وإما ظنهم أن شيئًا مما يفعلونه من الطاعات الظاهرة - مع إضمارهم الكفر - نافع لهم

وإذا ظهرت منهم المخادعة نحو الله تعالى، فلا يمنع حصولها منهم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ومع أصحابه فيحمل اللفظ على ظاهره مع اشتماله على عموم المخادعة وإذا كان المراد أنهم يخادعون الرسول والمؤمنين فإن ذلك خداع لله سبحانه وتعالى حيث أنزل الله تعالى طاعة النبي منزلة طاعته فقال " ومن يطع الرسول فقد أطاع الله " وكذلك يكون الخبر من خادع الرسول فقد خادع الله، والله أعلم.

---

(١) تفسير البغوي ١ / ٥٠، تفسير ابن عطية ١ / ٩٠

(٢) زاد المسير ١ / ٢٩،

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٤٢، تفسير السمعاني ١ / ٤٧

(٤) تفسير القرطبي ج١ ص١٩٥

تفريغ pdf.422-374

[ملاحظة: النطاق الفعلي للقطات ٣٧٤-٤٢٢ مع سقوط صفحة ٣٧٦ من التصوير]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

المراد بالشياطين في قوله (وإذا خلوا إلى شياطينهم)

قال تعالى: وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: "خلوا إلى شياطينهم" هم رؤساء الكفر وقيل شياطين الجن وهو بعيد(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- المراد بالشياطين: شياطين الإنس وهو قول ابن عباس(٣)، وابن مسعود(٤) رضي الله عنهم، والحسن(٥)، والسدي(٦) وقتادة(٧) ومجاهد(٨) والربيع بن أنس(٩)، والواحدي(١٠).

٢- المراد بالشياطين: شياطين الجن وهو قول وابن عطية(١١) القرطبي(١٢) وأبو حيان(١٣)، والآلوسي(١٤).

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤
(٢) التسهيل ١ / ٣٨
(٣) تفسير ابن عباس ١ / ٤، الطبري ١ / ١٢٩، تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٤٧، تفسير القرطبي ١ / ٢٠٧، زاد المسير ١ / ٣٥
(٤) الطبري ١ / ١٢٩، زاد المسير ١ / ٣٥
(٥) زاد المسير ١ / ٣٥
(٦) تفسير القرطبي ١ / ٢٠٧، زاد المسير ١ / ٣٥، تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٤٧
(٧) الطبري ١ / ١٣٠، تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٤٧،
(٨) تفسير مجاهد ١ / ٩٦، تفسير الطبري ١ / ١٣٠
(٩) الطبري ١ / ١٣٠
(١٠) تفسير الواحدي ١ / ٩٣
(١١) تفسير ابن عطية ١ / ٩٦
(١٢) تفسير القرطبي ١ / ٢٠٧
(١٣) البحر المحيط ١ / ٢٠١
(١٤) تفسير الآلوسي ١ / ١٥٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

أجمع أهل التفسير على ما ذهب إليه الإمام ابن جزي في هذه المسألة، أن المراد بقوله "وإذا خلوا إلى شياطينهم" المراد بهم شياطين الإنس، والقاعدة أن القول الذي عليه جمهور المفسرين مقدم على غيره، ولأنهم دائما مع شياطينهم من الجن، لا يحتاجون إلى خلوة بهم. والله أعلم

قوله تعالى " إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ "(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

" فما فوقها في الكبر، وقيل في الصغر والأول أصح"(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله " فما فوقها " أي فما فوقها في الكبر والظاهر أنه راعى ظاهر اللفظ حيث دلالة لفظ الفوق على الزيادة، وأرى أن اللفظ يحتمل كلا المعنيين الفوقية في الكبر والصغر معا.

قال السمرقندي: وقال بعضهم (فما فوقها) يعني فما دونها في الصغر) وهذا من أسماء الأضداد يذكر الفوق ويراد به دونه كما يذكر الوراء ويراد به الأمام مثل قوله " ويذرون وراءهم يوما ثقيلا "(٣) يعني أمامهم، فكذلك يذكر الفوق ويراد به ما دونه يعني يضرب المثل بالبعوضة وبما دون البعوضة بعد أن يكون فيه إظهار الحق(٤)

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦.
(٢) التسهيل ١ / ٤٢.
(٣) سورة الإنسان الآية ٢٧.
(٤) تفسير السمرقندي ١ / ٦٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

[صفحة ساقطة من التصوير — اللقطات تنتقل من ٣٧٥ إلى ٣٧٧ مباشرة، ويبدو أن بداية مسألة «المراد بالخليفة» (الآية وقول الإمام ابن جزي وأوائل الأقوال) كانت عليها]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

المراد بالخليفة في قوله تعالى " إني جاعل في الأرض خليفة " ذرية آدم عليه السلام وهو قول الحسن(١)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بالخليفة في الآية الكريمة هو آدم عليه السلام لدلالة لفظ (خليفة) بالمفرد ولو أراد ذريته لقال (خلفاء)، وبمثل قوله قال الشوكاني: والخليفة هنا معناه: الخالف لمن كان قبله من الملائكة، ويجوز أن يكون بمعنى المخلوف، أي: يخلفه غيره. قيل: هو آدم. وقيل: كل من له خلافة في الأرض، ويقوى الأول قوله: (خليفة) دون خلائف، واستغني بآدم عن ذكر من بعده.(٢)

وأرى أن اللفظ أعم من أن يوصف به آدم عليه السلام وحده وأنه يشمل من بعده من ذريته خاصة أن بني آدم قد وصفوا بهذا الوصف في غير ما آية من كتاب الله تعالى ومن ذلك قوله تعالى: " ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ "(٣)، و"اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء"(٤)

وقد وصف باللفظ ذاته في القرآن الكريم غير آدم عليه السلام كما في خطاب الله تعالى نبيه داود عليه السلام بقوله " يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ "(٥)

فإن قيل لم أفرد اللفظ ولم يأت بصيغة الجمع، فالجواب أنه متسق مع مقتضى الحال حيث إن الخليفة الأول هو آدم عليه السلام ثم من يليه.

---

(١) تفسير الرازي ٢ / ١٥٢.
(٢) تفسير أبي السعود ١ / ٨١
(٣) [يونس: ١٤]
(٤) [الأعراف: ٦٩]
(٥) سورة ص الآية ٢٦.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال أبو السعود " وإنما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر أبيها كمضر وهاشم، ومنه «الخلافة في قريش»(١) " خليفة " اسم يصلح للواحد والجمع كما يصلح للذكر والأنثى، وذكر الإمام البيضاوي أن الخليفة من يخلف غيره وينوب منابه "(٢) فآدم وبنوه قد نابوا عن الله بأمر الله في إقامة شرع الله تعالى وحدوده في الأرض وإذا كان البشر في حاجة إلى شرع الله إلى أن تقوم الساعة كانت الخلافة في آدم وذريته إلى أن تقوم الساعة. والله أعلم

قال تعالى: وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: والفرقان أي المفرق بين الحق والباطل، وهو صفة للتوراة عطف عليها لاختلاف اللفظ، وقيل الفرقان هنا فرق البحر، وقيل آتينا موسى التوراة وآتينا محمدا الفرقان وهذا بعيد لما فيه من الحذف من غير دليل عليه(٤)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- المراد بالفرقان في الآية: صفة للتوراة وصفه الله بأنه مفرق بين الحق والباطل وهو قول ابن عباس وأبو العالية(٥) والربيع بن أنس والطبري(٦) وهو قول الزجاج(١) ذكره السمعاني(٢) ورجحه الزمخشري في الكشاف(٣) والنسفي في التفسير(٤) ذكره الآلوسي في تفسيره(٥)

---

(١) تفسير أبي السعود ١ / ٨١.
(٢) تفسير البيضاوي ١ / ٢٨٠.
(٣) سورة البقرة الآية ٥٣
(٤) التسهيل ١ / ٤٨
(٥) زاد المسير ١ / ٨١، الطبري ١ / ٢٨٤
(٦) قال الطبري ١ / ٢٨٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- المراد بالفرقان في الآية: هو فرق البحر وهو قول ابن زيد، وعزاه الرازي إلى قطرب، وذكره السمعاني، النسفي(٦)

٣- المراد بالفرقان في الآية: هو القرآن الكريم وهو قول الفراء وقطرب(٧)

الترجيح في الميزان:

ضعف الإمام ابن جزي القول بأن المراد بالفرقان في الآية الكريمة هو القرآن الكريم، ورجح أن المراد به هو التوراة، وقد ذهب إلى هذا القول جمع من المفسرين وفيما يلي بعض من أقوالهم:

قال الطبري: قال أبو جعفر وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ما روي عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد من أن الفرقان الذي ذكر الله أنه آتاه موسى في هذا الموضع هو الكتاب الذي فرق به بين الحق والباطل وهو نعت للتوراة وصفة لها... فيكون الكتاب نعتا للتوراة أقيم مقامها استغناء به عن ذكر التوراة ثم عطف عليه بالفرقان إذ كان من نعتها

وإنما قلنا هذا التأويل أولى بالآية وإن كان محتملا غيره من التأويل لأن الذي قبله ذكر الكتاب وأن معنى الفرقان الفصل... فإلحاقه إذ كان كذلك بصفة ما وليه أولى من إلحاقه بصفة ما بعد منه(٨)

---

(١) تفسير ابن عطية ١ / ١٤٤.
(٢) تفسير السمعاني ١ / ٨٠.
(٣) تفسير الكشاف ١ / ١٦٨.
(٤) تفسير النسفي ١ / ٤٤
(٥) تفسير الآلوسي ١ / ٢٥٩.
(٦) تفسير القرطبي ١ / ٣٩٩، زاد المسير ١ / ٨١، تفسير الرازي ٣ / ٧٣، تفسير السمعاني ١ / ٨٠، تفسير النسفي ١ / ٤٤
(٧) السمرقندي ١ / ٨٠، تفسير القرطبي ١ / ٣٩٩، تفسير الرازي ٣ / ٧٣، زاد المسير ١ / ٨١
(٨) تفسير الطبري ١ / ٢٨٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال النحاس: هذا خطأ في الإعراب والمعنى أما الإعراب فإن المعطوف على الشيء مثله وعلى هذا القول يكون المعطوف على الشيء خلافه وأما المعنى فقد قال تعالى: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان(١)

وأما توجيه الآية، فقد أحسن الإمام الرازي في وصف ذلك حيث قال رحمه الله: والمراد من الفرقان يحتمل أن يكون هو التوراة وأن يكون شيئاً داخلاً في التوراة وأن يكون شيئاً خارجاً عن التوراة فهذه أقسام ثلاثة لا مزيد عليها

وتقرير الاحتمال الأول: أن التوراة لها صفتان كونها كتاباً منزلاً وكونها فرقاناً تفرق بين الحق والباطل فهو كقولك: رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونظيره قوله تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا(٢).

وأما تقرير الاحتمال الثاني: فهو أن يكون المراد من الفرقان ما في التوراة من بيان الدين لأنه إذا أبان ظهر الحق متميزاً من الباطل، فالمراد من الفرقان بعض ما في التوراة وهو بيان أصول الدين وفروعه.

وأما تقرير الاحتمال الثالث: أن يكون المراد من الفرقان ما أوتي موسى عليه السلام من اليد والعصا وسائر الآيات وسميت بالفرقان لأنها فرقت بين الحق والباطل (٣)

قال البيضاوي: "وأنزل الفرقان " يعني: التوراة الجامع بين كونه كتابا منزلا وحجة تفرق بين الحق والباطل(٤).

قال أبو السعود: أي التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل (٥)

---

(١) القرطبي ١ / ٣٩٩.
(٢) سورة الأنبياء الآية ٤٨
(٣) تفسير الرازي ٣ / ٧٢، ٧٣
(٤) تفسير البيضاوي ١ / ٣٢٣
(٥) تفسير أبو السعود ١ / ١٠٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الواحدي: " وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان " عطف تفسيري يعني التوراة الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام (١)

قال البغوي: (والفرقان) قال مجاهد هو التوراة أيضا ذكرها باسمين وقال الكسائي الفرقان نعت الكتاب والواو زائدة يعني الكتاب الفرقان أي الفرق بين الحلال والحرام (٢)

ومن خلال ما سبق من ذكرنا من أقوال يتبين أن المراد بالفرقان في الآية الكريمة: هو التوراة التي آتاها الله تعالى نبيه موسى عليه السلام وهو القول الذي تؤيده قرينة السياق كما ذكر الطبري والقاعدة أن القول الذي تؤيده قرائن السياق مرجح على ما خالفه.

وأن القول بأن المراد به القرآن قول بعيد متكلف يحتاج إلى تقدير محذوف، والقاعدة أنه يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة، وأنه إذا دار الكلام بين الزيادة والتأصيل فحمله على التأصيل أولى. والله أعلم

قال تعالى " وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ "(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

المراد بالأميين في قوله " ومنهم أميون " أي: الذين لا يقرون ولا يكتبون فهم لا يعلمون الكتاب، والمراد قوم من اليهود، وقيل: من المجوس، وهذا غير صحيح؛ لأن الكلام كله عن اليهود(٤)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

---

(١) تفسير الواحدي ١ / ١٠٥
(٢) تفسير البغوي ١ / ٧٣
(٣) سورة البقرة الآية ٧٨.
(٤) التسهيل ١ / ٥١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١- أن المراد بالأميين في الآية قوم من اليهود وهو قول أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية، وهو قول مجاهد، وابن زيد، وابن أبي حاتم(١) والواحدي(٢) والبغوي(٣)، والشوكاني(٤)

٢- أن المراد بالأميين في الآية قوم من المجوس عزاه ابن عطية وأبو السعود إلى سيدنا علي بن أبي طالب (٥)، وذكره الطبري بصيغة التضعيف(٦) وكذا الإمام الشوكاني (٧)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بالأميين في الآية الكريمة هم اليهود لدلالة السياق عليه، وهو القول الراجح حيث لم يرد للمجوس في السياق ذكر، والقاعدة أن القول الذي تؤيده قرائن في السياق القرآني مرجح على ما خالفه "، وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له " والله أعلم.

---

(١) يراجع في هذه الأقوال: تفسير الطبري ١ / ٣٧٣، تفسير الدر المنثور ١ / ٢٠٠، تفسير ابن أبي حاتم ١ / ١٥٢

(٢) تفسير الواحدي ١ / ١١٤

(٣) تفسير البغوي ١ / ٨٨

(٤) فتح القدير ١ / ١٠٤

(٥) تفسير أبي السعود ١ / ١١٩

(٦) تفسير الطبري ١ / ٣٧٣

(٧) فتح القدير ١ / ١٠٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأمر في قوله تعالى " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "

قال تعالى: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

الخاطب بالأمر في قوله " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " واتخذوا..... بالكسر إخبار لهذه الأمة وافق قول عمر رضي الله عنه لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى، وقيل: أمر لإبراهيم وشيعته، وقيل: لبني إسرائيل فهو على هذا عطف على قوله اذكروا نعمتي وهذا بعيد(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

الأول: أنه خطاب لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو قول ابن عباس وقتادة(٣) قال به جمهور المفسرين(٤)

الثاني: أنه خطاب لإبراهيم عليه السلام وشيعته حكاه الرازي

الثالث: أنه خطاب لبني إسرائيل (٥)

الترجيح في الميزان:

استبعد الإمام ابن جزي أن يكون الخطاب بالأمر في قوله " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " لبني إسرائيل، وهو قول راجح حيث وافق سبب النزول الوارد في الآية الكريمة برواية " عن جابر قال لما طاف النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له عمر هذا مقام

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٥.
(٢) التسهيل ١ / ٦٠.
(٣) تفسير الطبري ١ / ٥٣٧، الدر المنثور ١ / ٢٩٢
(٤) تفسير ابن عباس ١ / ١٨
(٥) تفسير الرازي ٤ / ٤٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أبينا إبراهيم قال نعم أفلا نتخذه مصلى فأنزل الله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى "(١)

وقد ورد في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه خطاب لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وكذا قال أهل العلم من المفسرين.

ومن ذلك ما قاله البيضاوي: واتخذوا على أن الخطاب لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو أمر استحباب

قال الآلوسي رحمه الله: ": { واتخذوا من مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } عطف على جعلنا أو حال من فاعله على إرادة القول أي وقلنا أو قائلين لهم اتخذوا والمأمور به الناس كما هو الظاهر أو إبراهيم عليه السلام وأولاده كما قيل، أو عطف على ذكر المقدر عاملاً ل { إِذْ }، أو معطوف على مضمر تقديره ثوبوا إليه { واتخذوا }، أو معترض باعتبار نيابته عن ذلك بين { جعلنا } و { عهدنا } ولم يعتبر الاعتراض من دون عطف مع أنه لا يحتاج إليه ليكون الارتباط مع الجملة السابقة أظهر، والخطاب على هذين الوجهين لأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وهو رأس المخاطبين "(٢)

وقال الرازي: هذا أمر من الله تعالى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وهو كلام اعترض في خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، وكأن وجهه: { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا واتخذوا } أنتم من مقام إبراهيم مصلى والتقدير أنا لما شرفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأمنا فاتخذوه أنتم قبلة لأنفسكم (٣)

وقال ابن عطية في تفسيره: فهذا أمر لأمة محمد(٤)

---

(١) العجاب في بيان الأسباب ١ / ٣٧٦، ٣٧٧، لباب النقول في أسباب النزول ١ / ٢٨، تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٢٢٦، السمرقندي ١ / ١١٨، تفسير الثعلبي ١ / ٢٧٠.

(٢) تفسير الآلوسي ١ / ٣٧٩

(٣) تفسير الرازي ٤ / ٤٤

(٤) تفسير ابن عطية ١ / ٢٠٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والقاعدة أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم "، والقول الذي عليه جمهور المفسرين مقدم على غيره ".

قال تعالى " الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ "(١)

قال الإمام ابن جزي:

المراد بقوله: "وتزودوا" قيل احملوا زادا في السفر، وقيل: تزودوا للآخرة بالتقوى وهو الأرجح لما بعده (٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

المراد بقوله تزودوا: زاد السفر

المراد بقوله تزودوا: حقيقة التقوى

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بقوله تعالى " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى " هو حقيقة التقوى واستدل لما ذهب إليه بدلالة السياق حيث قال تعالى بعدها " فإن خير الزاد التقوى "

وأرى والله أعلم، أن السياق يحتمل القولين وقد كان أهل اليمن يحجون إلى بيت الله الحرام بغير زاد زاعمين أن ذلك نوع من التوكل(٣)،

---

(١) الآية ١٩٧ من سورة البقرة

(٢) التسهيل ١ / ٧٥

(٣) ورد في سبب نزول الآية الكريمة روايات منها:

ما ورد عن عبد الله بن عباس قوله: وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب كان اناس يخرجون من اهليهم ليست معهم ازودة يقولون: نحج بيت الله فلا يطعمنا فقال الله: وتزودوا ما [يتبع في الصفحة التالية]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وغيرهم كانوا يحرمون الزاد(١) فنزلت الآيات لتخبر أن التزود بالطعام والشراب من أصل التقوى وبمثل ذلك ينبئ السياق حيث الآيات التي تليها " ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس " جاءت تمنع أهل مكة من استكبارهم حيث كانوا لا يفيضون من حيث يفيض بقية الناس

فإن قيل كيف توجه قوله تعالى " فإن خير الزاد التقوى " فالجواب أنه قد ورد مثله في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى " يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ "(٢)

فكما أن المراد بلباس التقوى هنا هو ستر العورة فكذا المراد بالتزود هو زاد الدنيا الذي هو وسيلة لتحقيق التقوى وحفظ النفس.

قال الطبري رحمه الله تعالى: فتأويل الآية: إذا فمن فرض في أشهر الحج الحج فأحرم فيهن فلا يرفث ولا يفسق فإن أمر الحج قد استقام لكم وعرفكم ربكم

[تتمة هامش (٣) من الصفحة السابقة:] يكف وجوهكم عن الناس. (تفسير ابن عباس ١ / ٢٧، تفسير الطبري ٢ / ٢٧٨، تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٣٤٩، فتح القدير ١ / ٢٠٣، العجاب في بيان الأسباب ١ / ٤٩٧) وروي أيضا أنها نزلت في أناس من أهل اليمن كانوا يحجون بغير زاد فيصيبون في الطريق من أهل المنزل ظلما نهاهم الله عن ذلك (تفسير ابن عباس ١ / ٢٧) وما ورد عن الربيع، قتادة قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى فكان ناس من أهل اليمن يحجون ولا يتزودون فأمرهم الله أن يتزودوا وأنبأ أن خير الزاد التقوى (تفسير الصنعاني ١ / ٧٧، تفسير الطبري ٢ / ٢٧٩، تفسير الثعلبي ٢ / ١٠٧، الدر المنثور ١ / ٥٣١، فتح القدير ١ / ٢٠٣) وما ورد عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال: ان اناسا كانوا يحجون بغير زاد فانزل الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى (تفسير الصنعاني ٢ / ٢٧٩، تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٣٥٠، تفسير ابن كثير ١ / ٢٤٠، الدر المنثور ١ / ٥٣١، فتح القدير ١ / ٢٠٣)

---

(١) حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى قال كانت قبائل من العرب يحرمون الزاد إذا خرجوا حجاجا وعمارا لأن يتضيفوا الناس فقال الله تبارك وتعالى لهم وتزودوا فإن خير الزاد التقوى (تفسير الطبري ٢ / ٢٧٩)
(٢) الآية ٢٦ من سورة الأعراف

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ميقاته وحدوده، فاتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه من أمر حجكم ومناسككم فإنكم مهما تفعلوا من خير أمركم به أو ندبكم إليه يعلمه

وتزودوا ما فيه بلاغكم إلى أداء فرض ربكم عليكم في حجكم ومناسككم فإنه لا بر لله جل ثناؤه في تركككم التزود لأنفسكم ومسألتكم الناس ولا في تضييع أقواتكم وإفسادها ولكن البر في تقوى ربكم باجتناب ما نهاكم عنه في سفركم لحجكم وفعل ما أمركم به فإنه خير التزود فمنه تزودوا(١)

وقال الرازي رحمه الله تعالى: قوله " فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى " راجع إلى قوله: "وَتَزَوَّدُواْ" فكان تقديره: وتزودوا من التقوى والتقوى في عرف الشرع والقرآن عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات قال: فإن أردنا تصحيح هذا القول ففيه وجهان أحدهما: أن القادر على أن يستصحب الزاد في السفر إذا لم يستصحبه عصى الله في ذلك، فعلى هذا الطريق صح دخوله تحت الآية والثاني: أن يكون في الكلام حذف ويكون المراد: وتزودوا لعاجل سفركم وللآجل فإن خير الزاد التقوى (٢).

وخلاصة القول في المسألة أنه لا يبعد أن يكون المراد بقوله وتزودوا " هو زاد الدنيا الذي هو مبلغ إلى زاد الآخرة، والقاعدة أن كلام الله يحمل على العموم مالم يرد نص بالتخصيص "

---

(١) تفسير الطبري ٢ / ٢٨١
(٢) تفسير الرازي ٥ / ١٤٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هل يعلم الراسخون في العلم تأويل المتشابه؟

قال الله تعالى: " هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ "(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

والراسخون.....والمعنى أن الراسخين لا يعلمون تأويل المتشابه وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته وقيل إنه معطوف على ما قبله، وأن المعنى أنهم يعلمون تأويله، وكلا القولين مروى عن ابن عباس والقول الأول قول أبي بكر الصديق وعائشة وعروة بن الزبير وهو أرجح(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه وهو قول مجاهد عن ابن عباس(٣)

٢- أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه وهو قول أبو بكر وعائشة وابن عباس في أحد قوليه (٤)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن الراسخين في العلم لا يعلمون ما تشابه من آيات الله تعالى وإنما يقولون آمنا به على وجه التسليم والانقياد والاعتراف بالعجز عن معرفته، وأرى أنه الراجح من الأقوال،

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧
(٢) التسهيل ١ / ١٠٠.
(٣) تفسير الطبري ٣ / ١٨٣، المحرر الوجيز ١ / ٤٠٣، فتح القدير ١ / ٣١٩، زاد المسير ١ / ٣٥٤
(٤) تفسير الطبري ٣ / ١٨٣، المحرر الوجيز ١ / ٤٠٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حيث إنه قول كبار الصحابة كأبي بكر رضي الله عنه، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قوله: "والراسخون في العلم يقولون آمنا به"، كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه، ولم يعلموا تأويله(١)

وعروة بن الزبير قال: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم" إن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله، ولكنهم يقولون: "آمنا به كل من عند ربنا"(٢)

وقال عمر بن عبد العزيز: "الراسخون في العلم " انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا "آمنا به كل من عند ربنا "(٣)

وعلق الإمام ابن بطال على قول الله تعالى " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا "(٤) بقوله " قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي " يريد أن الروح خلق من خلقه تعالى، خلقه بقوله: كن، وكن: كلامه الذي هو أمره الذي لم يزل ولا يزال.

وقوله: " وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً "(٥) فيه دليل على أنه لا تبلغ حقيقة العلم بالمخلوقات فضلا عن العلم بالخالق سبحانه، وأن من العلم ما يلزم التسليم فيه لله تعالى ويجب الإيمان بمشكله، وأن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويل المتشابه كما يزعم المتكلمون، إذ قد أعلمنا الله أن السؤال عن الروح ابتغاء ما لم يؤته من العلم "، مع أنه وصف قلوب المتبعين ما تشابه منه بالزيغ وابتغاء الفتنة، ووصف الراسخين في العلم بالإيمان به، وأن كله من عند ربهم، مستعيذين من الزيغ الذي وسم الله به من اتبع تأويل المتشابه منه، داعين إلى الله لا يزيغ قلوبهم بابتغاء تأويله، بعد إذ هداهم إلى الإيمان به.(٦)

---

(١) تفسير الطبري ٣ / ١٨٣
(٢) تفسير الطبري ٣ / ١٨٣، تفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٥٩٩
(٣) تفسير الطبري ٣ / ١٨٣
(٤) سورة الإسراء الآية ٨٥
(٥) [الإسراء: ٨٥]
(٦) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠ / ٤٨٨.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

من المخاطب في قوله قد كان لكم آية في فئتين؟

قال تعالى " قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ "(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

المخاطب في قوله " قد كان لكم آية في فئتين " قيل خطاب للمؤمنين وقيل لليهود وقيل لقريش والأول أرجح(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أن الآية الكريمة خطاب للمؤمنين: قاله ابن مسعود والحسن (٣).

٢- أن الآية الكريمة خطاب لليهود وقيل: الخطاب لليهود، قاله الفراء، وابن الأنباري وابن جرير(٤)

٣- أن الآية الكريمة خطاب لقريش. وهو قول ابن عباس (٥) وبه قال النسفي(٦) والزمخشري(٧) وذكره ابن الجوزي(٨).

الترجيح في الميزان:

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٣
(٢) التسهيل ١ / ١٠١.
(٣) البحر المحيط ٢ / ٤١٠، زاد المسير ١ / ٣٥٦
(٤) البحر المحيط ٢ / ٤١٠، زاد المسير ١ / ٣٥٦
(٥) تفسير ابن عباس ١ / ٤٣
(٦) تفسير النسفي ١ / ١٤٤
(٧) تفسير الكشاف ١ / ٣٦٩
(٨) زاد المسير ١ / ٣٥٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

رجح الإمام ابن جزي أن الآية الكريمة خطاب للمؤمنين، وقد خالفه في ذلك جمع من المفسرين حين قالوا إن المراد بالآية خطاب لليهود الذين أظهروا التمرد حين دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام وقالوا لسنا أمثال قريش في الضعف وقلة المعرفة بالقتال بل معنا من الشوكة والمعرفة بالقتال ما يغلب كل من ينازعنا فإنه تعالى قال لهم: إنكم وإن كنتم أقوياء وأرباب العدد والعدة فإنكم ستغلبون ثم ذكر الله تعالى ما يجري الدلالة على صحة ذلك الحكم، فقال: " قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ " يعني واقعة بدر كانت كالدلالة على ذلك لأن الكثرة والعدة كانت من جانب الكفار والقلة وعدم السلاح من جانب المسلمين ثم إن الله تعالى قهر الكفار وجعل المسلمين مظفرين منصورين وذلك يدل على أن تلك الغلبة كانت بتأييد الله ونصره، ومن كان كذلك فإنه يكون غالباً لجميع الخصوم، سواء كانوا أقوياء أو لم يكونوا (١)

وبمثل هذا قال الإمام الطبري(٢)، وأبو السعود (٣)، والآلوسي(٤)، وابن كثير (٥)

ومع هذه الأقوال فإني أرى - والله أعلم أن الآية عامة - في الجميع ومحتملة أن تكون خطابا للمؤمنين ولليهود ولقريش، فهي تناسب حال الجميع، وحمل لفظ الوحي على العموم أولى من تخصيصه إلا بدليل

قال ابن عطية: قوله تعالى: { قد كان لكم آية في فئتين } الآية تحتمل أن يخاطب بها المؤمنون وأن يخاطب بها جميع الكفار وأن يخاطب بها يهود المدينة، وبكل احتمال منها قد قال قوم، فمن رأى أن الخطاب بها للمؤمنين فمعنى الآية تثبيت النفوس وتشجيعها، إذ قد رأى ذلك جمهور منهم، والهاء والميم في "

---

(١) تفسير الرازي ٧ / ١٦٤
(٢) تفسير الطبري ٣ / ١٩٣
(٣) تفسير أبي السعود ٢ / ١٢
(٤) روح المعاني ٣ / ٩٥
(٥) تفسير ابن كثير ١ / ٣٥١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يرونهم " لجمع المشركين، وفي «مثلهم» لجمع المؤمنين، ومن رأى أن الخطاب لجميع الكفار ومن رأى أنه لليهود فالآية عنده داخلة فيما أمر محمد عليه السلام أن يقوله لهم احتجاجاً عليهم، وتبييناً لصورة الوعيد المتقدم في أنهم سيغلبون

المراد بالمرابطة في قوله " اصبروا وصابروا ورابطوا "

قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ "(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

المراد بالمرابطة في قوله تعالى " اصبروا وصابروا ورابطوا " ورابطوا أقيموا في الثغور مرابطين خيلكم مستعدين للجهاد وقيل هو مرابطة العبد فيما بينه وبين الله أي معاهدته على فعل الطاعة وترك المعصية والأول أظهر قال " رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه وأما قوله في انتظار الصلاة فذلكم الرباط(٢) فهو تشبيه بالرباط في سبيل الله لعظم أجره (٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أن المراد بالمرابطة في الآية: مرابطة الخيل استعدادا للجهاد وهو قول ابن عباس(٤) وقتادة (١) والواحدي(٢)، ونسبه البغوي إلى أبي عبيدة (٣)

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٠٠

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ (كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ١ / ٢١٩ برقم ٢٥١)

(٣) التسهيل ١ / ١٢٧.

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١ / ٦٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ونسبه الشوكاني إلى جمهور المفسرين (٤)

٢- أن المراد بالمرابطة في الآية: مرابطة العبد فيما بينه وبين الله قاله الحسن البصري (٥)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بالمرابطة في الآية الكريمة مرابطة الخيل في سبيل الله مؤيدا رأيه في ذلك بالحديث الشريف الذي أخرجه الإمام البخاري بسنده عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا(٦) والقاعدة أنه إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على غيره"(٧)

ويؤيده قول أهل اللغة في تعريف الرّباط أنه: ملازمة ثغر العدو، والرجُلُ مُرابِطٌ"(٨)، والرِّباط اسْمٌ مِنْ رابَطَ مُرابَطَةً مِنْ بَابِ قَاتَلَ إِذَا لَازَمَ ثَغْرَ الْعَدُوِّ(١)

---

(١) تفسير الصنعاني ١ / ١٤٤
(٢) الواحدي ١ / ٢٥٠.
(٣) تفسير البغوي ١ / ٣٨٨
(٤) فتح القدير ١ / ٤١٥
(٥) تفسير ابن كثير ١ / ٤٤٥
(٦) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله - ٣ / ١٠٥٩ برقم ٢٧٣٥
(٧) قواعد الترجيح ١ / ٢٠٦.
(٨) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ٢ / ٤٢٢ (دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي)، المحيط في اللغة ٩ / ١٦٨ (لأبي القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، دار النشر: عالم الكتب - بيروت / لبنان - ١٤١٤ه - ١٩٩٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين)، مقاييس اللغة ٢ / [تتمة الهامش في الصفحة التالية]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والقاعدة أن القول الذي يؤيده تصريف الكلمة وأصل اشتقاقها أولى بتفسير الآية "(٢)

وعلى ذلك فالقول عندي هو ما ذهب إليه الإمام ابن جزي في هذه المسألة - والله أعلم -

المراد بالذين يتبعون الشهوات

يقول تعالى: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا)(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

الذين يتبعون الشهوات: وهم هنا الزناة عند مجاهد، وقيل: المجوس لنكاحهم ذات المحارم(٤) وقيل عام في كل متبع شهوة وهو أرجح (٥)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- الذين يتبعون الشهوات هم الزناة قاله مجاهد (٦) والضحاك (٧)

[تتمة هامش (٨) من الصفحة السابقة:] ٤٧٨ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار النشر: دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠ه - ١٩٩٩م، ط - ٢، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ١ / ٢١٥.

(٢) قواعد الترجيح ٢ / ٣٦٣.

(٣) سورة النساء آية: (٢٧).

(٤) ذكر الإمام الرازي في ذلك ولم(؟) والله يريد أن.....: قيل: المجوس كانوا يحلون الأخوات وبنات الاخوة والأخوات، فلما حرمهن الله تعالى قالوا: إنكم تحلون بنت الخالة والعمة، والخالة والعمة عليكم حرام، فانكحوا أيضا بنات الأخ والأخت، فنزلت هذه الآية (التفسير الكبير ١٠ / ٥٥)

(٥) التسهيل ١ / ١٣٧، ١٣٨.

(٦) تفسير الطبري ٢٩/٥، تفسير ابن أبي حاتم ٩٢٦/٣، تفسير السمعاني ٤١٨/١، المحرر الوجيز لابن عطية ٤٠/٢.

(٧) تفسير الماوردي ٤٧٤/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- الذين يتبعون الشهوات هم المجوس ذكره الطبري في تفسيره(١)، وكذا الإمام الماوردي في النكت والعيون(٢)، وابن عطية في تفسيره(٣)، والرازي(٤)

٣- الذين يتبعون الشهوات " عام في كل متبع شهوة وهو قول ابن زيد (٥)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن يكون المراد بقوله تعالى "الذين يتبعون الشهوات " كل متبع شهوة في دينه لغير الذي أبيح له وهو القول الذي يتفق مع عمو ماللفظ القرآني وليس في السياق ما يحمل على تخصيصه

قال الطبري رحمه الله ": ويريد الذين يتبعون الشهوات " يقول: يريد الذين يطلبون لذات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها أن تميلوا عن أمر الله تبارك وتعالى فتجوروا عنه بإتيانكم ما حرم عليكم وركوبكم معاصيه....

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك ويريد الذين يتبعون شهوات أنفسهم من أهل الباطل وطلاب الزنى ونكاح الأخوات من الأنساء وغير ذلك مما حرمه الله أن تميلوا ميلا عظيما عن الحق وعما أذن الله لكم فيه فتجوروا عن طاعته إلى معصيته وتكونوا أمثالهم في اتباع شهوات أنفسكم فيما حرم الله وترك طاعته ميلا عظيما

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن الله عز وجل عم بقوله "ويريد الذين يتبعون الشهوات " فوصفهم باتباع شهوات أنفسهم المذمومة وعمهم بوصفهم بذلك من غير وصفهم باتباع بعض الشهوات المذمومة "(٦)

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/٥.
(٢) النكت والعيون ٤٧٤/١
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٤٠/٢.
(٤) تفسير الرازي ٥٥/١٠.
(٥) تفسير الطبري ٢٩/٥، تفسير ابن أبي حاتم ٩٢٦/٣.
(٦) تفسير الطبري ٢٩/٥.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقرر الطبري القاعدة في ذلك بقوله: فأولى المعاني بالآية ما دل عليه ظاهرها دون باطنها الذي لا شاهد عليه من أصل أو قياس

فإذا كان ذلك كذلك كان داخلا في الذين يتبعون الشهوات اليهود والنصارى والزناة وكل متبع باطلا لأن كل متبع ما نهاه الله عنه فمتبع شهوة نفسه

فإذ كان ذلك كذلك بتأويل الآية أولى وجبت صحة ما اخترنا من القول في تأويل ذلك (١)

وقال الشيخ ابن عاشور: وأراد بالذين يتّبعون الشهوات الذين تغلبهم شهواتهم على مخالفة ما شرعه الله لهم: من الذين لا دين لهم، وهم الذين لا ينظرون في عواقب الذنوب ومفاسدها وعقوبتها، ولكنهم يرضون شهواتهم الداعية إليها.(٢)

قال تعالى " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا "(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

"كلما نضجت جلودهم الآية " قيل: تبدل لهم جلود بعد جلود أخرى إذ نفوسهم هي المعذبة، وقيل: تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار، وقيل: الجلود السرابيل وهو بعيد (٤)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

المراد بقوله " كلما نضجت جلودهم الآية ": تبدل لهم جلود بعد جلود أخرى إذ نفوسهم هي المعذبة وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما (٥) وعزاه الطبري

---

(١) تفسير الطبري ٢٩/٥
(٢) التحرير والتنوير ٢١/٥
(٣) سورة النساء الآية (٥٦).
(٤) التسهيل ١ / ١٤٥.
(٥) تنوير المقباس ١ / ٧٢، تفسير البغوي ١ / ٤٤٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

إلى ابن عمر رضي الله عنهما، وقتادة (١) وهو قول والشوكاني(٢) والسمرقندي(٣) وغيرهم

المراد بقوله " كلما نضجت جلودهم الآية ": تبديل الجلود تغيير صفاتها بالنار قاله الواحدي(٤) والنسفي(٥)

المراد بقوله " كلما نضجت جلودهم ": تبديل الجلود بالسرابيل وهو بعيد ذكره الطبري (٦) ابن عطية والشوكاني بصيغة التضعيف(٧)

الترجيح في الميزان:

ضعف الإمام ابن جزي القول بأن المراد بنضج الجلود: تبديلها بالسرابيل. وهو ترجيح سديد قاعدته: " حمل اللفظ القرآني على حقيقته أولى من القول برأي لم يرد عليه دليل، "وكذا " لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه "، وقد أيده في ذلك جمع من المفسرين وهذه بعض أقوالهم:

قال الإمام أبو حيان الأندلسي: وأبعد من ذهب إلى أن الجلود هي سرابيل من قطران تخالط جلودهم مخالطة لا يمكن إزالتها.(٨)

وقال الشوكاني: والمعنى أنها كلما احترقت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها أي أعطاهم مكان كل جلد محترق جلدا آخر غير محترق فإن ذلك ابلغ في العذاب للشخص لأن إحساسه لعمل النار في الجلد الذي لم يحترق أبلغ من إحساسه لعملها في الجلد المحترق وقيل المراد بالجلود السرابيل التي ذكرها في قوله '

---

(١) تفسير الطبري ٥ / ١٤٣.
(٢) تفسير الشوكاني ١ / ٤٧٩.
(٣) تفسير السمرقندي ١ / ٤٣٨.
(٤) تفسير الواحدي ١ / ٢٦٩.
(٥) تفسير النسفي ١ / ٢٢٨.
(٦) تفسير الطبري ٥ / ١٤٢
(٧) تفسير ابن عطية ٢ / ٦٩، فتح القدير ١ / ٤٧٩.
(٨) البحر المحيط ٣ / ٢٨٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

سرابيلهم من قطران " ولا موجب لترك المعنى الحقيقي ها هنا وإن جاز إطلاق الجلود على السرابيل مجازاً(١)

وقال الآلوسي: وأنكر بعضهم نضج الجلود بالمعنى المتبادر وتبديلها زاعماً أن التبديل إنما هو للسرابيل التي ذكرها الله سبحانه بقوله: { سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ }(٢) وسميت السرابيل جلوداً للمجاورة، وفيه أنه ترك للظاهر، ويوشك أن يكون خلاف المعلوم ضرورة، وأن السرابيل لا توصف بالنضج وكأنه ما دعاه إلى هذا الزعم سوى استبعاد القول بالظاهر، وليس هو بالبعيد عن قدرة الله سبحانه وتعالى (٣)

فإن سأل سائل فقال: هل يجوز أن يبدلوا جلودا غير جلودهم التي كانت لهم في الدنيا فيعذبوا فيها، فإن جاز ذلك عندك فأجز أن يبدلوا أجساما وأرواحا غير أجسامهم وأرواحهم التي كانت لهم في الدنيا فتعذب وإن أجزت ذلك لزمك أن يكون المعذبون بالنار غير الذين أوعدهم الله العقاب على كفرهم به وبمعصيتهم إياه، وأن يكون الكفار قد ارتفع عنهم العذاب فالجواب كما يلي:

إن مثل ذلك جائز، تقول العرب: صغت من خاتمي خاتما غيره، وإن كان الثاني إعادة للأول (٤)

يحتمل أن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا أو بأن لم يزل عنه أثر الإحراق ليعود إحساسه للعذاب كما قال " ليذوقوا العذاب " أي ليدوم لهم ذوقه(٥)

يحتمل أنه سبحانه يخلق لهم مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس

---

(١) فتح القدير ١ / ٤٧٩.
(٢) [إبراهيم: ٥٠]
(٣) روح المعاني ٥ / ٦٠.
(٤) تفسير السمعاني ١ / ٤٣٨
(٥) تفسير البيضاوي ٢ / ٢٠٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

العاصية المدركة لا لآلة إدراكها فلا محذور، فالجلود آلة في إيصال العذاب إليهم كما كانت آلة في إيصال اللذة وهم المعاقبون لا الجلود (١) والله أعلم -

المراد بقوله " وليأخذوا أسلحتهم

قال تعالى " وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا "(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: " وليأخذوا أسلحتهم " اختلفوا في المأمور بأخذ الأسلحة فقيل الطائفة المصلية، وقيل: الحارسة، والأول أرجح؛ لأنه قد قال بعد ذلك في الطائفة الأخرى " وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم " (٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- المأمور بأخذ الأسلحة هم الطائفة المصلية وهو قول رجحه أبو حيان (٤) وذكره البغوي(٥)، الرازي(٦)، السمرقندي(٧)، ابن عادل(٨) والعز بن عبد

---

(١) تفسير البيضاوي ٢ / ٢٠٤
(٢) سورة النساء الآية (١٠٢)
(٣) التسهيل ١ / ١٥٤
(٤) البحر المحيط ٣ / ٣٥٤
(٥) تفسير البغوي ١ / ٤٧٤
(٦) تفسير الرازي ١١ / ٢١
(٧) تفسير السمرقندي ١ / ٣٥٩
(٨) تفسير اللباب ٦ / ٦٠٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

السلام(١)، وعزاه الماوردي والخازن إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه. (٢)

٢ - المأمور بأخذ الأسلحة هم الطائفة الحارسة ذكره الرازي(٣) والبغوي(٤) وأبو حيان(٥) والسمرقندي(٦)، والشوكاني(٧) بصيغة التضعيف (٨)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي ابن جزي أن يكون المراد بقوله تعالى " وليأخذوا أسلحتهم " الطائفة المصلية مع النبي - صلى الله عليه وسلم - لدلالة السياق على ذلك حيث قال سبحانه بعد ذلك في الطائفة الأخرى " وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ".

وأرى والله أعلم أن الأولى أن يقال في هذا الموطن بعموم الخطاب في الآية لكلتا الطائفتين؛ لأن ذلك أقرب إلى الاحتياط وأمنع للعدو من الإقدام عليهم وأقطع لرجاء العدو من إمكان فرصته فيهم دون أن يكون في حمل السلاح المصلي ولمن جاوره، وقد قال بهذا القول جمع من المفسرين وتلك بعض أقوالهم:

قال الرازي: وليأخذوا أسلحتهم، والضمير إما للمصلين وإما لغيرهم، فإن كان للمصلين فقالوا: يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر، وذلك لأن ذلك أقرب إلى الاحتياط وأمنع للعدو من الإقدام عليهم، وإن كان لغير المصلين فلا كلام فيه. ويحتمل أن يكون ذلك أمراً للفريقين بحمل السلاح لأن ذلك أقرب إلى الاحتياط (٩).

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام ١ / ٣٤٩
(٢) النكت والعيون ١ / ٥٢٤، تفسير الخازن ١ / ٥٨٨
(٣) تفسير الرازي ١١ / ٢١
(٤) تفسير البغوي ١ / ٤٧٤
(٥) البحر المحيط ٣ / ٣٥٤
(٦) تفسير السمرقندي ١ / ٣٥٩
(٧) فتح القدير ١ / ٥٠٨
(٨) الرازي ١١ / ٢١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال ابن عادل: «وليأخذوا أسلحتهم» والضمير إمّا للمصلّين، أو لغيرهم، فإن كان للمصلّين: فقالوا: يأخُذون من السلاح ما لا يَشغَلُهم عن الصلاة: كالسَّيف والخنجر؛ لأن ذلك أقْرب إلى الاحْتِيَاط، وأمْنَع للعَدُوِّ من الإقْدام علَيْهم، وإن كان لغَيْر المصَلِّين، فلا كَلام. واختار الزَّجَّاج عوْدَه على الجَمِيع؛ قال: «لأنَّه أهْيَب للعَدُوّ» (١)

وقال الإمام النيسابوري: { وليأخذوا أسلحتهم } فإن كان الضمير لغير المصلين فلا كلام، وإن كان للمصلين فليأخذوا من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر، ويحتمل أن يكون أمراً للفريقين بحمل السلاح لأن ذلك أقرب إلى الاحتياط(٢)

وأما أخذ المصلين السلاح فقد وضع العلماء له ضوابط منها: ما ذكره الإمام البغوي في تفسيره قال: " فعلى هذا إنما يأخذه إذا كان لا يشغله عن الصلاة، ولا يُؤذِي مَنْ بجنبه فإذا(؟) شغلته حركته وثقلته عن الصلاة كالجعبة والترس الكبير أو كان يؤذي من جنبه كالرمح فلا يأخذه (٣)، وأبعد من قال: " المراد بهم الحراس، إذ أن الحارس ما سمي حارسا إلا لحمله ما يحرس به من السلاح، والله أعلم.

قال تعالى " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ "(٤)

قال الإمام ابن جزي: المراد بقوله تعالى " ولا تتبعوا أهواء قوم " قيل: هم أئمتهم في دين النصرانية كانوا على ضلال في عيسى وأضلوا كثيرا من الناس ثم ضلوا بكفرهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، وقيل: هم اليهود، والأول أرجح

---

(١) تفسير اللباب ٦ / ٦٠٩
(٢) تفسير النيسابوري ٢ / ٤٨٩
(٣) تفسير البغوي ١ / ٤٧٤، تفسير الخازن ١ / ٥٨٨
(٤) سورة المائدة الآية (٧٧)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لوجهين: أحدهما أن الضلال وصف لازم للنصارى ألا ترى قوله تعالى "ولا الضالين" والآخر أنه يبعد نهي النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق(١)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

المراد بقوله تعالى " ولا تتبعوا أهواء قوم " أئمة النصارى الذين كانوا على ضلال في عيسى وأضلوا كثيرا من الناس ثم ضلوا بكفرهم بمحمد

المراد بقوله تعالى " ولا تتبعوا أهواء قوم " اليهود (٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بقوله بقوله تعالى " ولا تتبعوا أهواء قوم " أئمة النصارى الذين كانوا على ضلال في عيسى وأضلوا كثيرا من الناس ثم ضلوا بكفرهم بمحمد ورجحه لوجهين:

أحدهما: أن الضلال وصف لازم للنصارى ألا ترى قوله تعالى "ولا الضالين "

والآخر: أنه يبعد نهي النصارى عن اتباع اليهود مع ما بينهم من الخلاف والشقاق

والقاعدة في هذا الترجيح " أن القول الذي تؤيده آيات القرآن الكريم مقدم على غيره "

---

(١) التسهيل ١ / ١٨٣، ١٨٤
(٢) التسهيل ١ / ١٨٣، ١٨٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال تعالى " قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ "(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله " من فوقكم أو من تحت أرجلكم " قيل: الذي من فوق إمطار الحجارة ومن تحت الخسف. وقيل: من فوقكم تسليط أكابركم ومن تحت أرجلكم تسليط سفلاتكم وهذا بعيد(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

المراد بقوله تعالى " من فوقكم ومن تحت أرجلكم " الذي من فوق إمطار الحجارة ومن تحت الخسف

المراد بقوله تعالى " من فوقكم أومن تحت أرجلكم " الذي من فوقكم تسليط أكابركم ومن تحت أرجلكم تسليط سفلاتكم

الترجيح في الميزان:

ذكر الإمام ابن جزي أن المراد بقوله تعالى " من فوقكم أومن تحت أرجلكم " تسليط الأكابر والأسافل وقال هو بعيد،

وأرى أن النص الكريم يمكن حمله على العموم، وحمله على العموم أولى وقد رصد لنا القرآن صورة لملك يحكم قبضته على من تحته فقال سبحانه ' فاستخف قومه فأطاعوه " ولعل الواقع ينطق بما هو قريب من ذلك أو أشد.

---

(١) سورة الأنعام الآية (٦٥)
(٢) التسهيل ٢ / ١٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال تعالى: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ "(١)

قال الإمام ابن جزي:

" وقالت اليهود عزير ابن الله " قال ابن عباس: إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود وهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف وقيل لم يقلها إلا فنحاص ونسب ذلك إلى جميعهم لأنهم متبعون لمن قالها والظاهر، أن جماعتهم قالوها إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم (٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- القائل من اليهود " عزير بن الله " أربعة نفر هم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف

٢- القائل من اليهود " عزير بن الله " فنحاص اليهودي

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن يكون القائل من اليهود " عزير بن الله " هو جماعتهم باعتبارهم متبعين لمن قالها وإن لم يكونوا جميعا قد ابتدأوا القول بها إلا أن اتباعهم إياها يعد إيمانا منهم بها وتأييدا لقائلها،

وهو قول يتّفق مع الأصل العام في التعامل مع المبادئ التي تحكم حركة المجتمعات، فإن القول إذا شاع في قوم فهو قولهم جميعا ما لم يعترض عليه بعضهم، ويظهر ذلك الاعتراض فيهم

والأولى من ذلك في الاستدلال لهذا الترجيح أن يقال إنه يوافق العموم في اللفظ القرآني وشموله لجميع أفراد المخاطبين به - والله أعلم.

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٠
(٢) التسهيل ٢ / ٧٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال تعالى " وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ "(١)

قال الإمام ابن جزي: "فضحكت " قيل: معناه حاضت وهو ضعيف، وقال الجمهور: هو الضحك المعروف(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- معنى قوله تعالى " فضحكت " أي: حاضت

٢- معنى قوله تعالى " فضحكت " هو الضحك المعروف وهو قول الجمهور

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله تعالى " فضحكت " هو الضحك المعروف وهو الأولى حيث إن حمل كلام الله تعالى على المعروف من لغة العرب أولى من حمله على غيره، وحمل اللفظ على ظاهره أولى من تأويله

قال الإمام الشوكاني: والضحك هنا هو الضحك المعروف الذي يكون للتعجب أو للسرور كما قاله الجمهور

قال الطبري: ضحكت الضحك المعروف، تعجبًا من أنّها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما، تكرمة لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون.

---

(١) سورة هود الآية (٧١)
(٢) التسهيل ٢ / ١٠٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال تعالى " وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ "(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى " ومن الأحزاب " قيل: هم بنو أمية وبنو المغيرة من قريش والأظهر: أنها في سائر كفار العرب وقيل: هم اليهود والنصارى لأنهم لا ينكرون القصاص والأشياء التي في كتبهم وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو حرفوه(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أن المراد بقوله تعالى " ومن الأحزاب " بنو أمية وبنو المغيرة من قريش

أن المراد بقوله تعالى " ومن الأحزاب " سائر كفار العرب وهو قول الماوردي

أن المراد بقوله تعالى " ومن الأحزاب " اليهود وهو قول مجاهد وقتادة ابن زيد وهو قول الطبري (٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله تعالى " ومن الأحزاب " سائر كفار العرب

وأرى أن الأرجح في هذه المسألة: أن يقال فيها بالعموم حيث إن جميعهم أنكر بعض القرآن فاليهود والنصارى أنكروا ما في القرآن من صفة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وما ورد فيه من أحكام مثل الرجم، وأنكر مشركو قريش ما فيه من أسماء الله سبحانه مثل إنكارهم اسم الرحمن يوم الحديبية وغيره.

قال الإمام الرازي: فإن قيل: الأحزاب ينكرون كل القرآن.

---

(١) سورة الرعد الآية (٣٦)
(٢) التسهيل ٢ / ١٣٥
(٣) تفسير الطبري ١٢ / ٢٠، والبغوي ٣ / ٢٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قلنا: الأحزاب لا ينكرون كل ما في القرآن، لأنه ورد فيه إثبات الله تعالى وإثبات علمه وقدرته وحكمته وأقاصيص الأنبياء، والأحزاب ما كانوا ينكرون كل هذه الأشياء.

وقال رحمه الله: والأحزاب بقية أهل الكتاب وسائر المشركين قال القاضي: وهذا الوجه أولى من الأول.(١)

قال تعالى "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: " وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة " الآية، قيل: إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التي ذكرها الله فكفرت بأنعم الله يعني بنبوة محمد فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي.

وقيل: إنما قصد قرية غير معينة ذلك أصابها فضرب الله بها مثلا لمكة وهذا أظهر لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم(٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

المراد بالقرية في قوله تعالى " وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ' مكة عزاه الطبري إلى ابن عباس رضي الله عنهما، وهو قول ابن زيد(عبد الرحمن بن زيد بن أسلم) وقتادة ومجاهد (٤)، وحكاه مالك عن الزهري رحمهم الله، نقله عنهم ابن كثير وغيره(٥)

---

(١) تفسير الرازي ١٩ / ٤٨
(٢) سورة النحل الآية (١١٢)
(٣) التسهيل ٢ / ١٦٣
(٤) تفسير الطبري ١٤ / ١٨٦، والماوردي ٣ / ٢٠٤.
(٥) تفسير الشنقيطي ٢ / ٤٥٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

المراد بالقرية في قوله تعالى " وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة " قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلا

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أنها قرية غير معينة، لكن ما ورد عن السلف وجمهور المفسرين يرجح أنها مكة وفيما يلي بعض أقوال السلف وأهل التفسير مما يؤكد أن المراد بها مكة

ذكر الإمام الطبري:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ) يعني: مكة.

وعن مجاهد (قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) قال: مكة.

وعن قتادة، قوله (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً) قال: ذكر لنا أنها مكة.

وقال ابن زيد - في قوله: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً)... إلى آخر الآية -: هذه مكة.(١)

وقال الإمام ابن الجوزي في زاد المسير: أنها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح(٢)

وأرى رجحان ما ذهب إليه الإمام ابن جزي من القول بالعموم في كل قرية تكفر بأنعم الله عليها فيذيقها الله ما يريد من أنواع العقاب، قال تعالى " وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧)"(٣) فرتب الإهلاك على الفسق الكائن في القرية وهي عامة.

---

(١) تفسير الطبري ١٤ / ١٨٦.
(٢) زاد المسير ٤ / ٤٩٩، ونقله عنه ابن عادل في لباب التأويل ٤ / ١١٩
(٣) سورة الإسراء الآيتان (١٦، ١٧)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى " وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا "(١)

قال الإمام ابن جزى رحمه الله:

في قوله تعالى " جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون حجابا مستورا " في معناه قولان أحدهما أن الله أخبر نبيه أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شرا ويحجبه منهم والآخر أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن وهذا أرجح لما بعده. (٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أن الله أخبر نبيه أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شرا.

أن الله يحجب الكفار عن فهم القرآن وهو قول قتادة، وابن زيد (٣).

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله تعالى " جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون حجابا مستورا " أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن واستدل لما ذهب إليه بالسياق القرآني

ويلاحظ من خلال هذا النص أن هذا الترجيح سديد وموفق حيث إنه تؤيده القاعدة الترجيحية التي تقول: (القول الذى تؤيده قرائن فى السياق مقدم على ماعدم ذلك)

وذهب الطبري إلى ذلك فقال: القول في تأويل قوله تعالى: { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ".

---

(١) سورة الإسراء الآية (٤٥)
(٢) التسهيل ٢ / ١٧١
(٣) تفسير الطبري ١٥ / ٩٣، زاد المسير ٥ / ٤٠، ابن كثير ٣ / ٤٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يقول تعالى ذكره: وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يصدقون بالبعث، ولا يقرّون بالثواب والعقاب، جعلنا بينك وبينهم حجابا، يحجب قلوبهم عن أن تفقه ما تقرؤه عليهم، فينتفعوا به، عقوبة منا لهم على كفرهم(١).

وقال الإمام ابن كثير: يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا قرأت -يا محمد- على هؤلاء المشركين القرآن، جعلنا بينك وبينهم حجابا مستورا.(٢)

وقال الإمام البغوى قوله عز وجل: { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا } يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به(٣).

قوله تعالى: "وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا "(٤)

قال الإمام ابن جزى رحمه الله:

في معنى قوله تعالى (سلطانا نصيرا) قيل: معناه حجة تنصرني بها وتظهر بها صدقي، وقيل: قوة ورياسة تنصرني بها على الأعداء وهذا أظهر(٥)

الأقوال كما ذكرها ابن جزى:

قال الشعبي وعكرمة أي حجة ثابتة وقال مجاهد أي حجة، وذهب إلى أنه العز والنصر وإظهار دينه على الدين كله

---

(١) تفسير الطبري ١٥ / ٩٣.
(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٤.
(٣) تفسير البغوي ٣ / ١١٧، لباب التأويل ٤ / ١٦٢، تفسير الثعالبي ٦ / ١٠٣.
(٤) سورة الإسراء الآية (٨٠)
(٥) التسهيل ٢ / ١٧٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١- معناه حجة تنصرنى بها وهو قول الشعبي وعكرمة وكذا هو قول مجاهد في التفسير(١)

٢- معناه قوة ورياسة تنصرنى بها وهو قول الحسن (٢)

الترجيح فى الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بالسلطان النصير هنا القوة والرياسة التي يستعين بهما على النصر على الأعداء.

وهذا القول مؤيد بالسياق كما ذكر الطبري في قوله: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال ذلك ذلك أمر من الله تعالى نبيه بالرغبة إليه في أن يؤتيه سلطانا نصيرا له على من بغاه وكاده وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لأن ذلك عقيب خبر الله عما كان المشركون هموا به من إخراجه من مكة فأعلمه الله عز وجل أنهم لو فعلوا ذلك عوجلوا بالعذاب عن قريب ثم أمره بالرغبة إليه في إخراجه من بين أظهرهم إخراج صدق يحاوله عليهم ويدخله بلدة غيرها بمدخل صدق يحاوله عليهم ولأهلها في دخولها إليها وأن يجعل له سلطانا نصيرا على أهل البلدة التي أخرجه أهلها منها وعلى كل من كان لهم شبيها وإذا أوتي ذلك فقد أوتي لا شك حجة بينة(٣)

وأرى أن كلا القولين قد ورد وأن كلاهما مطلوب لنصرة الدعوة فسلطان القوة ورباط الخيل حماية للأرض والدولة وسلطان الحجة والبرهان حماية للعقيدة والفكرة.

---

(١) تفسير مجاهد ١ / ٣٦٨

(٢) ينظر في نسبة الأقوال: الطبري ١٥ / ١٥٠، ١٥١، معاني القرآن للنحاس ٤ / ١٨٦، تفسير ابن أبي زمنين ٣ / ٣٦، النكت والعيون ٣ / ٢٦٧

(٣) تفسير الطبري ١٥ / ١٥١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقد قال بالقولين معا الرازى وكأنه يشير بذلك الى القول بالعموم وهذا نصه رحمه الله: " سلطانا نصيرا " أي حجة بينة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني. وبالجملة فقد سأل الله تعالى أن يرزقه التقوية على من خالفه بالحجة وبالقهر والقدرة، وقد أجاب الله تعالى دعاءه وأعلمه بأنه يعصمه من الناس فقال: { واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ الناسِ }(١).(٢)

قوله تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا "(٣)

قال الإمام ابن جزى رحمه الله:

"الروح " هنا عند الجمهور هو الذي في الجسم وقد يقال فيه النفس وقيل: الروح هنا جبريل وقيل: القرآن، والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك(٤)

الأقوال كما ذكرها ابن جزى رحمه الله:

١- الروح هو الذى فى الجسم وقد يقال له النفس.

٢- وقيل: جبريل.

٣- وقيل: القرآن. والقول الأول هو الأصوب لدلالة مابعده عليه

الترجيح فى الميزان:

ذكر الماوردي في الآية الكريمة خمسة أقوال ذكرها على النحو التالي: أحدها: أنه جبريل عليه السلام، قاله ابن عباس. كما قال تعالى { نزل به الروح الأمين }(٥).

---

(١) [المائدة: ٦٧]
(٢) تفسير الرازي ١٢ / ٢٨. وينظر أيضا تفسير الواحدي ٢ / ٦٤٥.
(٣) سورة الإسراء الآية ٨٥.
(٤) التسهيل (٢ / ١٧٧)
(٥) [الشعراء: ١٩٣]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الثاني: ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بجميع ذلك، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

الثالث: أنه القرآن، قاله الحسن، كما قال تعالى: { وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا }(١) فيكون معناه أن القرآن من أمر الله تعالى ووحيه الذي أنزل علَيّ وليس هو مني.

الرابع: أنه عيسى بن مريم هو من أمر الله تعالى وليس كما ادعته النصارى أنه ابن الله، ولا كما افترته اليهود أنه لغير رشدة.

الخامس: أنه روح الحيوان، وهي مشتقة من الريح. قال قتادة سأله عنها قوم من اليهود وقيل في كتابهم أنه إن أجاب عن الروح فليس بنبي فقال الله تعالى {قل الروح من أمر ربي} فلم يجبهم عنها (٢)

وقد رجح الإمام ابن جزي في هذه الآية أن المراد بالروح هو: الروح الذي هو سبب الحياة والذي لايعلم حقيقة أمره إلا الله وأرى أن الترجيح سديد لأنه قول الجمهور ولأنه موافق للسياق.

قال الإمام أبو حيان: والروح على قول الجمهور هنا: الروح التي في الحيوان وهو اسم جنس وهو الظاهر "(٣)

وقال الإمام النسفي: الجمهور على أنه الروح الذي في الحيوان(٤)

قال الإمام الرازى: للمفسرين في الروح المذكورة في هذه الآية أقوال أظهرها أن المراد منه الروح الذي هو سبب الحياة (٥)

وبين ابن عاشور ذلك فقال: والروح جوهر نوراني لطيف أي غير مدرك بالحواس فيطلق على النفس الإنساني الذي به حياة الإنس، ولا يطلق على ما به

---

(١) [الشورى: ٥٢]
(٢) النكت والعيون (٤٥٢/٢)
(٣) البحر المحيط ٦ / ٧٤.
(٤) تفسير النسفي ٢ / ٢٩٨.
(٥) تفسير الرازي (١١٥/١٠)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حياة العجماوات إلا لفظ نفس، قال تعالى: { ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي }(١)، ويطلق على قوة من لدن الله تعالى يكون بها عمل عجيب ومنه قوله: { فنفخنا فيها من روحنا }(٢)، ويطلق على جبريل كما في قوله: { نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين }(٣)

وهو المراد في قوله تعالى: { تنزل الملائكة والروح فيها }(٤)

وقوله: { يوم يقوم الروح والملائكة }(٥).(٦)

قلت: ومن خلال هذه الأقوال لجماهير المفسرين،يظهر أن المراد بالروح فى هذا الموطن هو هذا الجوهر اللطيف الذى به قوام الحياة،وهذا هو الذى يدل عليه السياق.

قوله تعالى (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا "(٧)

قال الإمام ابن جزى رحمه الله:

(وكان تحته كنز لهما) قيل: مال عظيم وقيل: كان علما في صحف مدفونة والأول أظهر(٨)

---

(١) الإسراء: ٨٥
(٢) التحريم: ١٢
(٣) الشعراء: ١٩٣، ١٩٤
(٤) القدر: ٤
(٥) النبأ: ٣٨
(٦) التحرير والتنوير (٥٩٥/١).
(٧) سورة الكهف الآية ٨٢.
(٨) التسهيل ٢ / ١٩٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزى:

١- المراد بالكنز: المال العظيم.

٢- كان الكنز علما فى صحف مدفونة.

الترجيح فى الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بالكنز في الآية الكريمة هو المال العظيم وأرى أنه ترجيح سديد يتسق مع سياق الآيات، وقاعدة الترجيح تقول: (لايجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل)

قال الطبرى: اختلف أهل التأويل فى ذلك الكنز،فقال بعضهم: كان صُحُفًا فيها علم مدفونة،وقال آخرون: بل كان مالا مكنوزا.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب: القول بأنه المال، لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال، وإن كلَّ ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك، لعلل قد بيّناها في غير موضع.(١)

وقال الإمام القرطبى: قوله تعالى: (وكان تحته كنز لهما) اختلف الناس في الكنز، فقال عكرمة وقتادة: كان مالا جسيما وهو الظاهر من اسم الكنز إذ هو في اللغة المال المجموع(٢)

وقال الإمام الآلوسى: { وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا } مال مدفون من ذهب وفضة(٣).

وقال الإمام الشوكانى: " { وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا } قيل: كان مالاً جسيماً كما يفيده اسم الكنز، إذ هو المال المجموع. قال الزجاج: المعروف في اللغة أن

---

(١) جامع البيان (١٦ / ٦) بتصرف.
(٢) تفسير القرطبي (٣٨/١١) وينظر (١٢٣/٨) من تفسير القرطبى، فى معنى الكنز.
(٣) تفسير الآلوسى (١٦ / ١٣).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الكنز إذا أفرد فمعناه: المال المدفون، فإذا لم يكن مالاً قيل: كنز علم وكنز فهم.. "(١)

قوله تعالى " يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا "(٢)

قال الإمام ابن جزى رحمه الله:

(ولا يحيطون به علما) قيل: المعنى لا يحيطون بمعلوماته كقوله(ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) (٣) والصحيح عندي أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله ولو أراد المعنى الأول لقال ولا يحيطون بعلمه ولذلك استثني إلا بما شاء هناك ولم يستثن هنا(٤)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزى:

١- المعنى لايحيطون بمعلوماته.

٢- الصحيح لايحيطون بمعرفة ذاته. إذ لايعرف الله على الحقيقة إلا الله

الترجيح فى الميزان:

رجح الإمام ابن جزى القول الثانى،وهو أن الناس لايحيطون بمعرفة الله تبارك وتعالى، وهذا الترجيح أشار إليه كثير من المفسرين.

قال ابن جرير: وقوله: (وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) يقول تعالى ذكره: ولا يحيط خلقه به علما. ومعنى الكلام: أنه محيط بعباده علما، ولا يحيط عباده به علما، وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم، وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيدي أنفسهم وما خلفهم، وقال: إنما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة، أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها،

---

(١) فتح القدير ٣ / ٣٠٤.
(٢) سورة طه الآية ١١٠.
(٣) البقرة الآية (٢٥٥)
(٤) التسهيل ٣ / ١٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

موبخهم بذلك ومقرّعهم بأن من كان كذلك، فكيف يعبد، وأن العبادة إنما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.(١)

وقال ابن كثير: وقوله: { وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ } أي: لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه. ويحتمل أن يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه كقوله: { وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا }(٢). (٣)

وقال القرطبى: قوله تعالى: (ولا يحيطون به علما) الهاء في " به " لله تعالى، أي أحد لا يحيط به علما، إذ الاحاطة مشعرة بالحد وبتعالى الله عن التحديد،وقيل: تعود على العلم، أي أحد لا يحيط علما بما يعلمه الله.

وقال الطبري: الضمير في " أيديهم " و " خلفهم " و " يحيطون " يعود على الملائكة، أعلم الله من يعبدها أنها لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها.(٤)

وأقوال هؤلاء المفسرين تؤيد ما ذهب إليه الإما ابن جزي في هذه المسألة والله أعلم

قوله تعالى (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)(٥)

قال الإمام ابن جزى رحمه الله تعالى:

فى معنى قوله " معيشة ضنكا " أي ضيقة، فقيل: إن ذلك في الدنيا فان الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه وإن كان واسع الحال وقد قال بعض الصوفية لا يعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته وتكدر عليه عيشه وقيل: إن ذلك

---

(١) تفسير الطبرى (٣٧٦/١٨)
(٢) [طه: ١١٠]
(٣) تفسير ابن كثير(٦٨٠/١)
(٤) تفسير القرطبى(٢٦٨/١١)
(٥) سورة طه الآية (١٢٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

في البرزخ وقيل: في جهنم بأكل الزقوم وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة (١)

الأقوال كما ذكرها ابن جزى:

قال رحمه الله إن معنى (ضنكا) أى:ضيقة،وهل ذلك فى الدنيا أم فى الآخرة؟ذكر فى ذلك ثلاثة أقوال:

١-قيل: إن ذلك فى الدنيا.

٢-وقيل: إن ذلك فى البرزخ.

٣-وقيل: فى جهنم بأكل الزقوم.

الترجيح فى الميزان:

ضعف الإمام ابن جزى هذا القول الأخير، محتجا بأن الله تعالى ذكر بعد ذلك يوم القيامة وعذاب الآخرة فقال (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى)(٢).

وقد أيد هذا الرأي الطبري حيث قال: واختلف أهل التأويل في الموضع الذي جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك، والحال التي جعلهم فيها، فقال بعضهم: جعل ذلك لهم في الآخرة في جهنم، وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم. وقال آخرون: بل عنى بذلك: أن ذلك لهم في البرزخ، وهو عذاب القبر.

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هو عذاب القبر وإن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك بقوله: (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة، لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله: (وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) معنى مفهوم، لأن ذلك إن لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه، بطل معنى قوله(وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى)، فإذ كان ذلك كذلك، فلا

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٣ / ٢١

(٢) سورة طه الآية (١٢٧)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بيّنا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كلّ من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القائلين له المؤمنين في ذلك، ما يدلّ على أن ذلك ليس كذلك، وإذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صحّ الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ.(١)

وأرى أنه لو حمل اللفظ على عمومه ليشمل الدنيا والآخرة لكان أولى حيث إن ذكر عذاب الآخرة بعد هذه الآية لايمنع أن يراد بها عذاب الدنيا والآخرة

ويكون ذكر الآخرة بعد ذلك قد ورد على سبيل التأكيد على أن الله أشد أنواع هذا الضنك

- ونعوذ بالله من الخذلان -.

قوله تعالى (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) (٢)

قال الإمام ابن جزى رحمه الله:

" السجل " الصحيفة والكتاب مصدر أي كما يطوي السجل ليكتب فيه أو لضمان(؟) الكتاب الذي فيه وقيل: السجل رجل كاتب وهذا ضعيف، وقيل:هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال وهذا أيضا ضعيف(٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- معنى السجل: الصحيفة.

---

(١) جامع البيان (٣٩٤/١٨) بتصرف.
(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٤
(٣) التسهيل ٣ / ٣٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- معنى السجل: رجل كاتب.

٣- معنى السجل: ملك فى السماء الثانية.

الترجيح فى الميزان:

ضعف الإمام ابن جزي أن يكون المراد بالسجل رجلا أو ملكا، وأرى أن هذا الترجيح سديد إذ هو موافق لأصل اللغة وظاهر النص وقول جمهور المفسرين

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجلّ، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه.

فإن قال قائل: وكيف نطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة؟ قيل: ليس المعنى كذلك، وإنما معناه: يوم نطوي السماء كطيّ السجل على ما فيه من الكتاب، ثم جعل نطوي مصدرا، فقيل (كطي السجل للكتاب) واللام في قوله للكتاب بمعنى على.(١)

وقال الإمام البغوى: وقال ابن عباس ومجاهد والأكثرون: السجل الصحيفة للكتب أي لأجل ما كتب معناه كطي الصحيفة على مكتوبها، والسجل اسم مشتق من المساجلة وهي المكاتبة، والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر(٢)

وقال الإمام الشوكاني: والطيّ ضد النشر. وقيل: المحو، والمراد بالسماء: الجنس، والسجل: الصحيفة(٣)

---

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٠٠.
(٢) تفسير البغوي ٣ / ٢٧١، وينظر أيضا تفسير الثعلبي ٦ / ٣١١.
(٣) فتح القدير ٣ / ٤٢٩، وينظر أيضا اللباب في علوم القرآن ١٣ / ٦١٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ "(١)

قال الإمام ابن جزى رحمه الله:

في معنى " الزبور " قولان: أحدهما: ا أنه كتاب داود و" الذكر " هنا على هذا التوراة التي أنزل الله على موسى وما في الزبور من ذكر الله تعالى

والقول الثاني: أن " الزبور " جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء و" الذكر "على هذا هو اللوح المحفوظ أي كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرد له بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها والأول أرجح لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهر، وأكثر استعمالا ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع ولأن النص ورد في زبور داود بأن الأرض يرثها الصالحون)(٢)

الترجيح فى الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد ب " الزبور " في الآية هو الكتاب الذي أنزله الله على داود عليه السلام، وقال بهذا الترجيح كثير من المفسرين،لاتفاقه مع ظاهر السياق، والقاعدة أنه (لايجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل)، والظاهر أيضا أن هذا غالب أسلوب القرآن في التعامل مع اللفظة الكريمة، قال تعالى " إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا "(٣)، وقال تعالى " وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا "(٤)

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٥.
(٢) التسهيل ٣ / ٣٢.
(٣) سورة النساء الآية ١٦٣
(٤) سورة الإسراء الآية ٥٥.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وخالفه الطبري فيما ذهب إليه فقال:

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بالزّبور والذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: عُني بالزبور: كتب الأنبياء كلها التي أنزلها الله عليهم، وعُني بالذكر: أم الكتاب التي عنده في السماء. وقال آخرون: بل عني بالزبور: الكتب التي أنزلها الله على من بعد موسى من الأنبياء، وبالذكر: التوراة. وقال آخرون: بل عني بالزّبور زبور داود، وبالذكر توراة موسى - صلى الله عليه وسلم -.

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أمّ الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض، وذلك أن الزبور هو الكتاب، يقال منه: زبرت الكتاب وذبرته: إذا كتبته، وأن كلّ كتاب أنزله الله إلى نبيّ من أنبيائه، فهو ذِكْر. فإذْ كان ذلك كذلك، فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر، الدلالة البيّنة أنه معنيّ به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة(١)

وقال الإمام البغوى: قوله عز وجل: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ } قال سعيد بن جبير ومجاهد: الزبور جميع الكتب المنزلة، والذكر أم الكتاب الذي عنده، والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ. (٢)

وأرى أن ما ذهب إليه الطبري وما ذكره الإمام البغوي وغيره(٣)، أليق ببناء هذه القاعدة القرآنية أن الأرض يورثها الله عباده الصالحين على مر العصور إلى يوم القيامة، وهذا في ذاته يستوجب أن تكون هذه الحقيقة قد

---

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٠٤.
(٢) تفسير البغوي (٣ / ٢٧١)
(٣) ينظر تفسير البغوي ٣ / ٢٧١، ابن الجوزي ٥ / ٣٩٧، تفسير الخازن ٤ / ٣٢٥، اللباب ١٣ / ٦١٨
تفريغ صفحات ٤٢٣-٤٦٨ (الملف المرمم repaired-423-468.pdf)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

تقررت في كل الكتب السماوية بعد ما أثبتها المولى عز وجل في اللوح المحفوظ والله أعلم.

قوله تعالى: وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: في معنى قوله: ولقد أخذناهم بالعذاب:

قيل: إن هذا العذاب هو الجوع بالقحط وأن الباب ذا العذاب الشديد المتوعد به بعد هذا يوم بدر وهذا مردود بأن العذاب الذي أصابهم إنما كان بعد بدر

وقيل: إن العذاب الذي أخذهم هو يوم بدر والباب المتوعد به هو القحط

وقيل: الباب ذو العذاب الشديد عذاب الآخرة وهذا أرجح ولذلك وصفه بالشدة لأنه أشد من عذاب الدنيا (٢)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

١- العذاب المذكور هو الجوع والقحط، والباب ذو العذاب ما أصابهم يوم بدر.

٢- العذاب: ما كان يوم بدر، والباب المتوعد به هو القحط.

٣- الباب ذو العذاب الشديد هو عذاب الآخرة.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن يكون المراد بالعذاب الشديد في الآية هو عذاب الآخرة وهذا الترجيح قال به كثير من المفسرين:

قال السمعاني: قوله تعالى: (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) قيل: بالموت، ويقال: بقيام الساعة. (٣)

(١) سورة المؤمنون الآيتان ٧٦، ٧٧.

(٢) التسهيل ٣ / ٥٣

(٣) تفسير السمعاني ٣ / ٤٨٦.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الرازي: أما قوله تعالى: (حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد) ففيه وجهان: أحدهما: حتى إذا فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من القتل والأسر، والثاني: إذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ والإبلاس اليأس من كل خير، وقيل السكون مع التحسير. (١)

وقال العز بن عبد السلام: (بابًا ذا عذاب شديد): (السبع التي دعا بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقحطوا سبع سنين حتى أكلوا العلهز من الجوع وهو الوبر بالدم، أو قتلهم يوم بدر، أو بابًا من عذاب جهنم. (٢)

وقال أبو السعود وبمثله الألوسي: (حتى إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد): (هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة) (٣)

قوله تعالى وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٤)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله في معنى (لا يرجون لقاءنا) قيل: معناه لا يخافون، والصحيح: أنه على بابه لأن لقاء الله يرجى ويخاف (٥)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

١- لا يرجون بمعنى لا يخافون.

٢- لا يرجون على أصل بابها من الجمع بين الخوف والطمع

(١) تفسير الرازي ٢٣ / ٩٩.

(٢) تفسير العز بن عبد السلام ٢ / ٣٨١.

(٣) تفسير أبي السعود ٦ / ١٤٦، تفسير الألوسي ١٨ / ٥٦.

(٤) سورة الفرقان الآية ٢١.

(٥) التسهيل ٣ / ٦٧.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة أن قوله تعالى " لا يرجون " على بابها وهو ترجيح سديد وموفق حيث إنه يتفق مع ظاهر السياق.

وكذا يوافق القاعدة التي تنص على أنه " إذا دار اللفظ بين أن يكون مقيدًا أو مطلقًا فإنه يحمل على إطلاقه ".

قال الإمام القرطبي: فالرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع، أي لا يخافون عقابًا ولا يرجون ثوابًا، وجعل لقاء العذاب والثواب لقاء له تفخيمًا لهما.

وقيل: يجري اللقاء على ظاهره، وهو الرؤية، أي لا يطمعون في رؤيتنا.(١)

وقال الرازي: واعلم أن حمل الرجاء على الخوف بعيد، لأن تفسير الضد بالضد غير جائز، ولا مانع ههنا من حمل الرجاء على ظاهره، والدليل عليه أن لقاء الله إما أن يكون المراد منه تجلي جلال الله تعالى للعبد وإشراق نور كبريائه في روحه، وإما أن يكون المراد منه الوصول إلى ثواب الله تعالى وإلى رحمته. فإن كان الأول فهو أعظم الدرجات وأشرف السعادات وأكمل الخيرات، فالعاقل كيف لا يرجوه، وكيف لا يتمناه؟ وإن كان الثاني فكذلك، لأن كل أحد يرجو من الله تعالى أن يوصله إلى ثوابه ومقامات رحمته، وإذا كان كذلك فكل من آمن بالله فهو يرجو ثوابه، وكل من لم يؤمن بالله ولا بالمعاد فقد أبطل على نفسه هذا الرجاء، فلا جرم حسن جعل عدم هذا الرجاء كناية عن عدم الإيمان بالله واليوم الآخر (٢).

---

(١) تفسير القرطبى (٣١٢/١)
(٢) تفسير الرازي ١٧ / ٣٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

(" يعلمون ظاهرًا " قيل: معناه يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم في ذلك مثل البهائم وقيل: الظاهر ما يعلم بأوائل العقول والباطن ما يعلم بالنظر والدليل وقيل: من الظهور بمعنى العلو في الدنيا والأظهر: أنه أراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها لأنه وصفهم بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها (٢)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

١- دلالة قوله " يعلمون ظاهرًا " أي يعلمون ما يدرك بالحواس دون ما يدرك بالعقول فهم في ذلك مثل البهائم

٢- دلالة قوله " يعلمون ظاهرًا " الظاهر ما يعلم بأوائل العقول والباطن ما يعلم بالنظر والدليل.

٣- دلالة قوله " يعلمون ظاهرًا " من الظهور بمعنى العلو في الدنيا (٣)

٤- دلالة قوله " يعلمون ظاهرًا " أراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة أن المراد بالظاهر المعرفة بأمور الدنيا ومصالحها، واستدل بالسياق حيث وصفهم الله تعالى بعد ذلك بالغفلة عن الآخرة، وذلك يقتضي عدم معرفتهم بها وتلك قرينة في السياق تدل على رجحان

---

(١) سورة الروم الآية ٧

(٢) التسهيل ٣ / ١١٩.

(٣) ينظر في هذه الأقوال: تفسير مقاتل ٣ / ٦، تفسير الثوري ١ / ١٣٧، تفسير الصنعاني ٣ / ١٠٢، تفسير الطبري ٢١ / ٢٢، وما بعدها، تفسير السمرقندي ٣ / ٥، تفسير ابن زمنين ٣ / ٣٥٥، تفسير الماوردي ٤ / ٢٩٩، ٣٠٠، وغيرها.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ما ذهب إليه الإمام ابن جزي، والقاعدة أن: (القول الذي تؤيده قرائن في السياق مقدم على ما عدم ذلك) (١)

قال الإمام ابن كثير: وقوله: يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ أي: أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشئونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مُغَفَّل لا ذهن (٢)

وقال الماوردي: ثم بين تعالى مقدار ما يعلمون فقال: " يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا " يعني أمر معايشهم ودنياهم: متى يزرعون ومتى يحصدون، وكيف يغرسون وكيف يبنون، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة.(٣)

وقال الضحاك: هو بنيان قصورها، وتشقيق أنهارها وغرس أشجارها، والمعنى واحد. (وهم عن الآخرة) أي عن العلم بها والعمل لها (هم غافلون) (٤)

قال الرازي رحمه الله كلامًا طيبًا في هذا المعنى: يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يعني علمهم منحصر في الدنيا وأيضًا لا يعلمون الدنيا كما هي وإنما يعلمون ظاهرها وهي ملاذها وملاعبها، ولا يعلمون باطنها وهي مضارها ومتاعبها ويعلمون وجودها الظاهر، ولا يعلمون فناءها وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ والمعنى هم عن الآخرة غافلون، وذكرت هم الثانية لتفيد الغفلة منهم وإلا فأسباب التذكر حاصلة وهذا كما يقول القائل لغيره غفلت عن أمري، فإذا قال هو شغلني فلان فيقول ما شغلك ولكن أنت اشتغلت. (٥)

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٩٩/١)
(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ٤٢٨)
(٣) النكت والعيون للماوردي ٤ / ٢٩٩، وينظر تفسير السمعاني ٤ / ١٩٨، تفسير القرطبي ١٤ / ٧.
(٤) تفسير القرطبي (٨/١٤)
(٥) تفسير الرازي ٢٥ / ٨٦.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

(ظهر الفساد في البر والبحر) قيل: البر البلاد البعيدة من البحر والبحر هو البلاد التي على ساحل البحر، وقيل: البر اللسان والبحر القلب وهذا ضعيف، والصحيح: أن البر والبحر المعروفان فظهور الفساد في البر بالقحط والفتن وشبه ذلك وظهور الفساد في البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات وشبه ذلك وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان (٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- المراد بالبر البلاد البعيدة من البحر، والبحر هو البلاد التي على ساحل البحر.

٢- المراد بالبر اللسان، وبالبحر القلب.

٣- المراد: البر والبحر المعروفان.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بالبر والبحر: المعروفان، وهذا الترجيح هو الظاهر من سياق النص والقاعدة تقول:

(لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل سليم) وحمل اللفظ على ظاهره أولى من تأويله.

قال الألوسي: وأيًا ما كان فالبر والبحر على ظاهرهما (٣)

---

(١) [الروم: ٤١]
(٢) التسهيل ٣ / ١٢٣
(٣) تفسير الألوسي ٢١ / ٤٨.
[اللقطة الرابعة في الملف تكرار تصوير للقطة الثالثة نفسها — الصفحتان ٤٢٧/٤٢٨ مكررتان]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

في معنى قوله (يزيد في الخلق ما يشاء) قيل: يعني حسن الصوت وقيل: حسن الوجه وقيل: حسن الحظ والأظهر: أنه يرجع إلى أجنحة الملائكة أو يكون على الإطلاق في كل زيادة في المخلوقين (٢)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي

١- المراد بقوله (يزيد في الخلق ما يشاء): حسن الصوت.

٢- المراد بقوله (يزيد في الخلق ما يشاء): حسن الوجه.

٣- المراد بقوله (يزيد في الخلق ما يشاء): حسن الحظ.

٤- المراد بقوله (يزيد في الخلق ما يشاء): أجنحة الملائكة، أو هو على العموم في كل زيادة في الخلق (٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن يكون المراد بقوله تعالى " يزيد في الخلق ما يشاء " أجنحة الملائكة لدلالة السياق أو أن يكون المراد بها العموم لأن اللفظ يحتمل ولا يوجد مخصص وكلا القولين صحيح تؤيده قواعد الترجيح

قال الإمام ابن جرير: وقوله يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب، وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص

---

(١) سورة فاطر الآية ١

(٢) التسهيل ٣ / ١٥٣

(٣) ينظر في هذه الأقوال: تفسير الطبري ٢٢ / ١٤، تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣١٧٠، تفسير ابن زمنين ٤ / ٢٣، تفسير الماوردي ٤ / ٤٦٢، تفسير البغوي ٣ / ٥٦٤، زاد المسير ٦ / ٤٧٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ما شاء من خلق ما شاء، له الخلق والأمر وله القدرة والسلطان إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يقول: إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء، ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى. (١)

وقد بين الألوسي توجيه ذلك فقال رحمه الله: يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ استئناف مقرر لما قبله من تفاوت الملائكة عليهم السلام في عدد الأجنحة ومؤذن بأن ذلك من أحكام مشيئته تعالى لا لأمر راجع إلى ذواتهم ببيان كلي ناطق بأنه عز وجل يزيد في أي خلق كان كل ما يشاء أن يزيده بموجب مشيئته سبحانه ومقتضى حكمته من الأمور التي لا يحيط بها الوصف. (٢)

قوله تعالى ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
" تختصمون " قيل يعني الاختصام في الدماء وقيل في الحقوق.
والأظهر: أنه اختصام النبي مع الكفار في تكذيبهم له فيكون من تمام ما قبله، ويحتمل: أن يكون على العموم في اختصام الخلائق فيما بينهم من المظالم وغيرها (٤)
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:
المراد بقوله تعالى " تختصمون " أي في الدماء
المراد بقوله تعالى " تختصمون " أي في الحقوق
(١) جامع البيان (١١٤/٢٢).
(٢) تفسير الألوسي (١٦٤/٢٢).
(٣) سورة الزمر الآية (٣١).
(٤) التسهيل ٣ / ١٩٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

المراد بقوله تعالى " تختصمون " أي فيما كان بين الكفار مع النبي - صلى الله عليه وسلم - من تكذيبهم له، أو هي على العموم في كل خصومة

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في المسألة أن يكون المراد بقوله تعالى " تختصمون " أي فيما كان بين الكفار مع النبي - صلى الله عليه وسلم - من تكذيبهم له أو هي على العموم في كل خصومة

وأرى أن الأولى بالترجيح في هذه المسألة هو القول بالعموم حيث يشمل ما وقع بين المشركين والنبي - صلى الله عليه وسلم - من خصومة وما يقع بين أتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - وأتباع المشركين، ويشمل كذلك ما كان بين الناس من خصومات ويؤيده ما ورد في الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ" (١)

وما ورد في الأثر " لما نزلت ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أيكرر علينا الذي كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب فقال نعم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه " (٢)

وفي الحديث «أتدرون من المفلس» قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وكان قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا فيقضى هذا من حسناته فإن

---

(١) صحيح البخاري - كتاب المظالم والغصب، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته - ٢ / ٨٦٥ برقم ٢٣١٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٦٧، المستدرك على الصحيحين ٢ / ٤٧٢، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» (١)

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: عني بذلك: إنك يا محمد ستموت، وإنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومحقوكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يأخذ لكل منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب لأن الله عم بقوله: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ خطاب جميع عباده، فلم يخصص بذلك منهم بعضًا دون بعض، فذلك على عمومه على ما عم الله به، وقد تنزل الآية في معنى، ثم يكون داخلًا في حكمها كل ما كان في معنى ما نزلت به (٢).

وقال الإمام النحاس: وقوله جل وعز ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ أي يخاصم المظلوم الظالم والمؤمن الكافر (٣)

قوله تعالى قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

" وما أدري ما يفعل بي ولا بكم " فيها أربعة أقوال:

الأول: أنها في أمر الآخرة وكان ذلك قبل أن يعلم أنه في الجنة وقبل أن يعلم أن المؤمنين في الجنة وأن الكفار في النار وهذا بعيد لأنه لم يزل يعلم ذلك من أول ما بعثه الله

(١) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم - ١٩٩٧/٤، برقم ٢٥٨١.

(٢) تفسير الطبري ٢٤ / ٢.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٦ / ١٧٢.

(٤) سورة الأحقاف الآية (٩)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والثاني: أنها في أمر الدنيا أي لا أدري بما يقضي الله علي وعليكم فإن مقادير الله مغيبة وهذا هو الأظهر

الثالث: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم من الأوامر والنواهي وما تلزمه الشريعة

الرابع: أن هذا كان في الهجرة إذ كان رسول الله قد رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض بها نخل فقلق المسلمون لتأخير ذلك فنزلت هذه الآية (١)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة أن يكون المراد بقوله تعالى " وما أدري ما يفعل بي ولا بكم " أمور الدنيا وما يتعلق بها من تقلب الدهر وتداول الأيام وهو الراجح حيث إنه - صلى الله عليه وسلم - يعلم أنه من أهل الجنة منذ أن بعثه الله تعالى، ويعلم كذلك أن الله ناصره ومؤيده في أمر الهجرة، وخير شاهد على ذلك قوله لأبي بكر رضي الله عنه " لا تحزن إن الله معنا " (٢)

وكذا النبي - صلى الله عليه وسلم - يعلم ما تقتضيه الأوامر والنواهي، ويبقى أن يكون المراد ما ذهب إليه الإمام ابن جزي رحمه الله

قال الحسن في قوله: " وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ": أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل، ولكن قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلي أو أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي، ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم، أمتي المكذبة، أم أمتي المصدقة، أم أمتي المرمية بالحجارة من السماء قذفًا، أم مخسوف بها خسفًا (٣)

وقال ابن عطية: معنى الآية " وما أدري ما يفعل بي ولا بكم " في الدنيا من

---

(١) التسهيل ٤ / ٤٠، ٤١.
(٢) من الآية (٤٠) سورة التوبة.
(٣) تفسير الطبري ٢٦ / ٨، تفسير الثعلبي ٩ / ٨، تفسير القرطبي ١٦ / ١٨٧، الدر المنثور ٧ / ٤٣٧.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أن أنصر عليكم أو من أن تمكنوا مني ونحو هذا من المعنى (١)

قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " (٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
"لا تقدموا بين يدي الله ورسوله " فيه ثلاثة أقوال:
أحدها: لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به ولا تقطعوا في أمر إلا بنظره.
والثاني: لا تقدموا قدامه بمحضره فإنه يقدم من شاء.
والثالث: لا تتقدموا بين يديه إذا مشى وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والقاف والدال، والأول هو الأظهر؛ لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له فربما ظهر منهم خلاف ذلك مع النبي فنهاهم الله عن ذلك ولذلك قال مجاهد معناه لا تفتاتوا على الله شيئًا حتى يذكره على لسان رسوله (٣) (٤)
الترجيح في الميزان:
رجح الإمام ابن جزي أن يكون المراد بقوله تعالى " لا تقدموا بين يدي الله ورسوله " لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به ولا تقطعوا في أمر إلا بنظره؛ لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له.
وأرى أن ترجيحه **يتفق مع عموم دلالة اللفظة القرآنية**، فالتقدم بين يديه - صلى الله عليه وسلم - إن أريد به عدم التقدم بين يديه إذا مشى (٥) لم يكن للنص القرآني أثره بعد
(١) المحرر الوجيز ٥ / ٩٤.
(٢) سورة الحجرات الآية (١)
(٣) تفسير مجاهد ٢ / ٦٠٥، الكشاف ٤ / ٣٥٢، البحر المحيط ٨ / ١٠٥.
(٤) التسهيل ٤ / ٥٦.
(٥) إلا ما كان من أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه أن يتقدموا بين يديه وقوله " خلوا ظهري للملائكة " (مسند أحمد ٣ / ٣٩٨ برقم ١٥٣١٦، مجمع الزوائد للهيثمي ٤ / ١٣٦)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

موت النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد قال الله تعالى بعدها " واعلموا أن فيكم رسول الله " فدل السياق أن عدم التقدم مستمر ولا يستقيم ذلك بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم -، وكذا لو أريد به عدم تقديم الولاة بين يديه - صلى الله عليه وسلم - حتى يقدم من شاء، فيبقى أن المراد عدم تقديم الرأي على رأيه أو الأمر بين أمره، والتأول عليه - صلى الله عليه وسلم - بغير إحداث في الدين ما ليس منه، وقد قال - صلى الله عليه وسلم - عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ (١)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة (٢)

وروي عن الحسن في رواية أخرى أنه قال لا تعملوا بخلاف الكتاب والسنة (٣)

ويتفق هذا القول مع الدلالة اللغوية واستعمال العرب:

قال أبو عبيدة: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ " تقول العرب: فلان يقدم بين يدي الإمام وبين يدي أبيه يعجل بالأمر والنهي دونه (٤)

ورجح الجصاص هذا العموم في الآية بقوله: قال أبو بكر اعتبرت عموم الآية في النهي عن مخالفة النبي - صلى الله عليه وسلم - في قول أو فعل وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى لا تعجلوا بالأمر والنهي دونه قال أبو بكر يحتج بهذه الآية في امتناع جواز مخالفة النبي - صلى الله عليه وسلم - في تقديم الفروض على أوقاتها وتأخيرها عنها في تركها وقد يحتج بها من يوجب أفعال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأن في ترك ما فعله - صلى الله عليه وسلم - تقدما بين يديه كما أن في ترك أمره تقدما بين يديه، وليس ذلك كما ظنوا لأن التقدم بين يديه إنما هو

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود - ٢ / ٩٥٩ برقم ٢٥٥٠.
(٢) تفسير الطبري ٢٦ / ١١٦، تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣٣٠٢، تفسير الثعلبي ٩ / ٦٩.
(٣) تفسير السمرقندي ٣ / ٣٠٦.
(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١ / ١١٥.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فيما أراد منا فعله ففعله غيره فأما ما لم يثبت أنه مراد منه فليس في تركه تقديم بين يديه (١)

قوله تعالى وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
" سائق وشهيد " السائق ملك يسوقه، وأما الشهيد فقيل: ملك آخر يشهد عليه وهو الأظهر وقيل صحائف الأعمال وقيل جوارح الإنسان (٣)
الترجيح في الميزان:
أورد الماوردي في المراد من الشهيد في الآية الكريمة ثلاثة أقوال:
قال رحمه الله: وأما الشهيد ففيه ثلاثة أقاويل:
أحدها: أنه ملك يشهد عليه بعمله، وهذا قول عثمان بن عفان والحسن.
الثاني: أنه الإنسان، يشهد على نفسه بعمله، رواه أبو صالح.
الثالث: أنها الأيدي والأرجل تشهد عليه بعمله بنفسه، قاله أبو هريرة (٤).
وذكر الطبري أقوال من قال بأن المراد بالشهيد ملك فقال رحمه الله:
عن مجاهد سائق وشهيد سائق يسوقها إلى أمر الله وشاهد يشهد عليها بما عملت.
عن قتادة قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها إلى ربها وشاهد يشهد عليها بعملها.
عن الحسن معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها.
عن الربيع بن أنس سائق وشهيد قال سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها.
(١) أحكام القرآن للجصاص ٥ / ٢٧٧.
(٢) سورة ق الآية (٢١)
(٣) التسهيل ٤ / ٦٣
(٤) النكت والعيون للماوردي ٥ / ٣٤٩، زاد المسير ٨ / ١٣.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

عن الضحاك يقول في قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد السائق من الملائكة والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل والملائكة أيضا شهداء عليهم

قال ابن زيد في قوله سائق وشهيد قال ملك وكل به يحصي عليه عمله وملك يسوقه إلى محشره حتى يوافي محشره يوم القيامة (١)

وبعد فقد رجح الإمام ابن جزي أن المراد بالشهيد في الآية الكريمة ملكًا آخر يشهد عليه وهو قول يرجحه أقوال السلف كما ذكر الطبري وغيره، وكذا قال بذلك من المفسرين كثير، وتلك بعض أقوالهم:

قال السمرقندي: وشهيد (يعني الملك يشهد عليها (٢)

قال ابن زمنين: وشاهد يشهد عليها بعملها، وتفسير بعضهم: هو ملكه الذي كتب عمله في الدنيا هو شاهد عليه بعمله (٣)

وأرى أن ترجيح الإمام ابن جزي في هذه المسألة متفق مع ما ذهب إليه كثير من السلف - كما سبق - إلا أني أرى العموم في الآية أولى وذلك لدلالة عموم اللفظ فقد يكون الشاهد الملك، وقد يكون صحيفة العمل، وقد يكون الجوارح كما ورد في قوله تعالى يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ (٤)

وكذا ورد في الحديث عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا وبالكرام الكاتبين شهودًا قال فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي قال فتنطق

---

(١) تفسير الطبري ٢٦ / ١٦٢ - بتصرف يسير -.
(٢) تفسير السمرقندي ٣ / ٣١٩.
(٣) تفسير ابن زمنين ٤ / ٢٧٢.
(٤) سورة النور (٢٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدًا لكن وسحقًا فعنكن كنت أناضل (١)

قوله تعالى " كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ " (٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
الهجوع: النوم، وفي معنى الآية قولان أحدهما: وهو الصحيح أنهم كانوا ينامون قليلا من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرع والدعاء والآخر أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلا ولا كثيرا (٣)
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:
المراد بقوله تعالى " كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ " أنهم كانوا ينامون قليلا من الليل
المراد بقوله تعالى " كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ " أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلا ولا كثيرا
الترجيح في الميزان:
رجح الإمام ابن جزي في الآية الكريمة أن يكون المراد بقوله تعالى " كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ " أنهم ينامون من الليل النذر اليسير ويقضون بقية ليلهم في معية ربهم، ورد القول بأنهم كانوا لا ينامون في ليلهم قليلا ولا كثيرا؛ وهو ترجيح سديد حيث يتفق مع أصل التشريع في التخفيف على العباد، وكان هذا هدي النبي - صلى الله عليه وسلم -، ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - فلما أُخْبِرُوا كأنهم تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَدْ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ
(١) صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق - ٤ / ٢٢٨٠، برقم ٢٩٦٩.
(٢) سورة الذاريات الآية (١٧)
(٣) التسهيل ٤ / ٦٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال أحدهم أَمَّا أنا فإني أُصَلِّي الليلَ أبدًا وقال آخر أنا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ وقال آخر أنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ أبدًا فجاء رسول اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فقال أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وكذا أَمَا والله إني لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ له لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي " (١)

وقال الطبري في تأييد هذا القول وبيان وجهه:

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله كانوا قليلا من الليل ما يهجعون قول من قال كانوا قليلا من الليل هجوعهم لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحًا لهم وأثنى عليهم به فوصفهم بكثرة العمل وسهر الليل ومكابدته فيما يقربهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل وكثرة النوم مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل (٢)

وقال السمرقندي: قال " كانوا قليلا من الليل ما يهجعون " يعني قليلا من الليل ما ينامون (٣)

وقال الجصاص: " كانوا قليلا من الليل ما يهجعون " تفسير الحسن: يقول: كانوا لا ينامون منه إلا قليلا (٤).

وقال الواحدي: "كانوا قليلا من الليل ما يهجعون 'كانوا ينامون قليلا من الليل(٥)

---

(١) صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح - ٥ / ١٩٤٩ برقم ٤٧٧٦.
(٢) تفسير الطبري ٢٦ / ٢٠٠.
(٣) تفسير السمرقندي ٣ / ٣٣٦.
(٤) تفسير الجصاص ٥ / ٢٩٤.
(٥) تفسير الواحدي ٢ / ١٠٢٨.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: " وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى " (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى " وأنه هو أضحك وأبكى

قيل: معناه أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار وهذا تخصيص لا دليل عليه

وقيل: أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات وهذا مجاز

وقيل: خلق في بني آدم الضحك والبكاء، والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن لأن الضحك دليل على السرور، والفرح كما أن البكاء دليل على الحزن والمعنى أن الله تعالى أحزن من شاء من عباده وأسر من شاء (٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة أن يكون المراد بقوله تعالى " وأنه هو أضحك وأبكى " عبارة عن الفرح والحزن حيث إن الضحك والبكاء دليل عليهما. وهذا الترجيح سديد؛ لأنه ظاهر القرآن، والقاعدة تقول (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل سليم)

قال الإمام ابن كثير: وقوله: وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى أي: خلق في عباده الضحك، والبكاء وسببيهما وهما مختلفان.(٣)

وقال الإمام القرطبي: يعني أفرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء، وقيل لعمر: هل كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان - والله - أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي.(٤)

وقال أبو حيان: "وأنه هو أضحك وأبكى" الظاهر حقيقة الضحك والبكاء.(٥)

---

(١) سورة النجم الآية (٤٣)
(٢) التسهيل ٤ / ٧٨
(٣) تفسير ابن كثير (٢٦٠/٤)
(٤) تفسير القرطبي (١١٦/١٧)
(٥) البحر المحيط (١٦٥/٨)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الإمام البقاعي: "أضحك وأبكى" أي ولا يعلم أحد قبل وقت الضحك أو البكاء أنه يضحك أو يبكي ولا أنه يأتيه ما يعجبه أو يحزنه، ولو قيل له حالة الضحك أنه بعد ساعة يبكي لأنكر ذلك، وربما أدركه ما أبكاه وهو في الضحك وبالعكس. (١)

قوله تعالى يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٢)

قال الإمام ابن جزي:

قوله تعالى: (أيديهم وبأيمانهم قيل: إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة وقد روى ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٣) والمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضيء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم وقيل يكون أصله في أيمانهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم وروى أن نور كل أحد على قدر إيمانه فمنهم من يكون نوره كالنخلة ومنهم من يضيء ما قرب من قدميه ومنهم من يضيء مرة ويهم بالإطفاء مرة (٤)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي: أن المراد من النور في قوله تعالى (يسعى نورهم) هو النور الحقيقي ولا مجال إلى القول بالمجاز، وهذا الترجيح سديد حيث تؤيده

(١) نظم الدرر للبقاعي (٣٣٢/٧).

(٢) سورة الحديد الآية (١٢).

(٣) روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن جبير إنه سمع من أبي ذر وأبي الدرداء أن رسول الله قال إني لأعرف أمتي يوم القيامة من بين الأمم قالوا يا رسول الله وكيف تعرف أمتك قال أعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم) مسند أحمد ١٩٩/٥ رقم: ٢١٧٨٨.

(٤) التسهيل ٤ / ٩٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

القاعدة الترجيحية التي تقول: (إذا ثبت الحديث وكان نصا في أحد الأقوال فهو مرجح له على غيره)

قال الإمام ابن جرير: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ

فقال بعضهم: معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يضيء نورهم بين أيديهم وبأيمانهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى إيمانهم وهداهم بين أيديهم، وبأيمانهم: كتبهم

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن الضحاك، وذلك أنه عنى بذلك النور الضوء المعروف، لم يخص عنه الخبر بالسعي بين الأيدي والأيمان دون الشمائل، لأن ضياء المؤمنين الذي يؤتونه في الآخرة يضيء لهم جميع ما حولهم، وفي خصوص الله جل ثناؤه الخبر عن سعيه بين أيديهم وبأيمانهم دون الشمائل، ما يدل على أنه معني به غير الضياء، وإن كانوا لا يخلون من الضياء. (١)

وقال الإمام ابن كثير:

وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يعطى الناس النور بحسب إيمانهم، فمنهم من يعطى من النور ما يضيء له مسيرة فراسخ، وأكثر من ذلك وأقل من ذلك، ومنهم من يطفأ نوره تارة ويضيء له أخرى، فيمشي على الصراط تارة ويقف أخرى، ومنهم من يطفأ نوره بالكلية وهم الخلص من المنافقين، الذين قال تعالى فيهم: يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا (٢) وقال في حق المؤمنين: يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) جامع البيان (٢٢٢/٢٧)
(٢) سورة الحديد آية: ١٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

[فُرّغت الصفحات ٤٤٣-٤٤٨ من تصوير مباشر للنسخة الورقية بعد تلف لقطاتها في الملف الممسوح]

والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات(١) الآية،

وقال تعالى: يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير(٢)

ذكر الحديث الوارد في ذلك:

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن، أو بين صنعاء ودون ذلك، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه". رواه ابن جرير. ورواه ابن أبي حاتم من حديث عمران بن داور القطان، عن قتادة، بنحوه.

وعن عبد الله بن مسعود، قال: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يرى نوره كالنخلة، ومنهم من يرى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نورًا على إبهامه يطفأ مرة ويقد مرة.(٣)

قال الإمام البغوى: بين أيديهم وبأيمانهم يعني عن أيمانهم. قال بعضهم: أراد جميع جوانبهم، فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم إلى الجنة.

وقال قتادة: ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه"(٤) (٥)

---

(١) سورة الحديد آية: ١٢]
(٢) سورة التحريم آية: (٨)
(٣) تفسير ابن كثير (٥٦/١)
(٤) أخرجه عبد الرازق: ٢/٢٧٥، والطبري: ٢٧/٢٢٢. وعزاه السيوطي في الدر: ٨/٥٢ لعبد الرزاق وعبد بن حميد، وابن المنذر وانظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين: ٤/١٥٥.
(٥) تفسير البغوى (٢٩٥/٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا(١)

قال الإمام ابن جزى رحمه الله:

فى قوله تعالى: (فحاسبناها حسابا شديدا)" أي حاسبنا أهلها قيل: يعني الحساب في الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده.

وقيل: يعني في الدنيا وهذا أرجح لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله أعد الله لهم عذابا شديدا.

أو لأن قوله حاسبناها وعذبناها بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع فمعنى حاسبناها أي آخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شئ من صغائرها}(٢)

الأقوال كما ذكرها ابن جزى:

١- قيل: الحساب فى الآخرة، وكذلك العذاب فى الآخرة.

٢- وقيل: العذاب فى الدنيا، وهذا أرجح، لأن عذاب الآخرة ذكر بعده.

الترجيح فى الميزان:

هذا الترجيح سديد وموفق، حيث إنه ظاهر السياق، والقاعدة الترجيحية: (إدخال الكلام فى معانى ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل)

قال الإمام ابن كثير: هذا إخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتبه عنده في اللوح المحفوظ: أنه ما من قرية إلا سيهلكها، بأن يبيد أهلها جميعهم أو يعذبهم عذابا شديدا إما بقتل أو ابتلاء بما يشاء، وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم، كما قال عن الأمم الماضين: وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم [هود: ١٠١](٣)

---

(١) سورة الطلاق آية: ٨
(٢) التسهيل ٤/١٢٩
(٣) تفسير ابن كثير (٤٨/٣)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الإمام القرطبى: (فحاسبناها حسابا شديدا) أي جازيناها بالعذاب في الدنيا (وعذبناها عذابا نكرا) في الآخرة.

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، فعذبناها عذابا نكرا في الدنيا بالجوع والقحط والسيف

والخسف والمسخ وسائر المصائب، وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا.

والنكر: المنكر.(١)

وقال الإمام البغوى: فحاسبناها حسابا شديدا بالمناقشة والاستقصاء، قال مقاتل: حاسبها بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب، وهو قوله: وعذبناها عذابا نكرا منكرًا فظيعًا، وهو عذاب النار. لفظهما ماضٍ ومعناهما الاستقبال.(٢)

وقال الإمام الشوكانى: فحاسبناها حسابا شديدا أي: شددنا على أهلها في الحساب بما عملوا. قال مقاتل: حاسبها الله بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب، وهو معنى قوله: وعذبناها عذابا نكرا أي: عذبنا أهلها عذابا عظيمًا منكرًا في الآخرة، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، أي: عذبنا أهلها عذابا نكرًا في الدنيا بالجوع والقحط، والسيف والخسف والمسخ، وحاسبناهم في الآخرة حسابا شديدًا. والنكر: المنكر(٣)

وقال الإمام الرازى: فحاسبناها حسابا شديدًا، فحاسبها الله بعملها في الدنيا فجازاها العذاب، وهو قوله: وعذبناها عذابا نكرا أي عذابا منكرًا عظيمًا، فسر المحاسبة بالتعذيب. وقال الكلبي: هذا على التقديم والتأخير، يعني فعذبناها في الدنيا وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا، والمراد حساب الآخرة وعذابها(٤)

---

(١) تفسير القرطبى (١٧٣/١٨)
(٢) تفسير البغوى (٣٦١/٤)
(٣) فتح القدير (٢٤٨/٥)
(٤) تفسير الرازى (٣٤/٣٠)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قلت: هذه الأقوال من كبار المفسرين تدل على صحة القول الذى قال به الإمام ابن جزى، وأن هذا الحساب الشديد فى الدنيا والعذاب الأكبر فى الآخرة. نسأل الله السلامة.

قوله تعالى ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا(١)
قال الإمام ابن جزى رحمه الله:
الفاعل بيعلم فيه أقوال ثلاثة:
الأول: أي ليعلم الله أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم أي يعلمه موجودا وقد كان علم ذلك قبل كونه
الثاني: ليعلم محمد أن الملائكة الرصد أبلغوا رسالات ربهم.
الثالث: ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة والأول أظهر {٢}
الأقوال كما ذكرها ابن جزى:
١- ليعلم الله أن الرسل قد بلغوا. وهو قد علمه قبل كونه.
٢- ليعلم محمد أن الملائكة أبلغوا رسالات ربهم.
٣- ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة.
الترجيح فى الميزان: رجح الإمام ابن جزي أن عود الضمير في قوله تعالى "ليعلم أن قد أبلغوا" عائد إلى الله تعالى وهو ترجيح سديد يتفق مع سياق الآية الكريمة وله في القرآن شواهد، ويكون المعنى في ذلك: أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته، ويحفظ ما بُيِّن إليهم من الوحي؛ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، ويكون ذلك كقوله: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من
(١) سورة الجن آية: ٢٨
(٢) التسهيل ٤/١٥٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه}(١) وكقوله: وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين(٢) إلى أمثال ذلك، مع العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعا لا محالة؛ ولهذا قال بعد هذا: وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا(٣)

قال القرطبى: قوله تعالى: "ليعلم": قال الزجاج: أي ليعلم الله أن رسله قد أبلغوا رسالاته بفتح الياء، كقوله تعالى: "ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين"(٤) المعنى: ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبا.(٥)

قوله تعالى نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا(٦)

قال الإمام ابن جزى رحمه الله

قوله تعالى: (أو زد عليه): في معنى هذا الكلام أربعة أقوال الأول وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل، وقوله نصفه بدل من الليل أو من قليلا وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع والضميران في قوله أو انقص منه أو زد عليه عائدان على النصف والمعنى أن الله خيره بين ثلاثة أحوال وهو أن يقوم نصف الليل أو ينقص من النصف قليلا أو يزد عليه الثاني قال الزمخشري إلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال نصف الليل إلا قليلا فخيره على هذا بين حالتين وهما أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه وهذا ضعيف لأن قوله أو انقص منه قليلا تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف القول الثالث قال الزمخشري أيضا يجوز أن يريد بقوله أو انقص منه

(١) [البقرة: ١٤٣]

(٢) [العنكبوت: ١١]

(٣) تفسير ابن كثير (٤/٤٣٤) بتصرف.

(٤) [آل عمران: ١٤٢]

(٥) تفسير القرطبى (١٩/٣١)

(٦) سورة المزمل آية: (٣، ٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قليلا نصف النصف وهو الربع ويكون الضمير في قوله أو زد عليه يعود على ذلك أي زد على الربع فيكون ثلثا فيكون التخيير على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع وهذا أيضا بعيد القول الرابع قال ابن عطية يحتمل أن يكون معنى إلا قليلا الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها والمراد بالليل على هذا الليالي فهو جنس وهذا بعيد لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه قيل ذلك على أن المراد بالليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالي فإن قيل لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال أو أنقص منه قليلا وأطلق في الزيادة فقال أو زد عليه ولم يقل قليلا فالجواب أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيدها بالقلة بخلاف القص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرا}(١)

الترجيح فى الميزان:

الأظهر والأشهر من هذه الأقوال أن الإستثناء من الليل.

قال الإمام القرطبى: قال تعالى: (نصفه أو أنقص منه قليلا) فكان ذلك تخفيفا إذ لم يكن زمان القيام محدودا، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: "علم أن لن تحصوه"

وقال الاخفش: "نصفه" أي أو نصفه، يقال: أعطه درهما درهمين ثلاثة: يريد: أو درهمين أو ثلاثة. وقال الزجاج: "نصفه" بدل من الليل و"إلا قليلا" استثناء من النصف.

والضمير في "منه" و"عليه" للنصف.

المعنى: قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث أو زد عليه قليلا إلى الثلثين، فكأنه قال: قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه. وقيل: إن "نصفه" بدل من قوله: "قليلا" وكان مخيرا بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه، وبين

---

(١) التسهيل ٤/١٥٦، ١٥٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه، كأن تقدير الكلام: قم الليل إلا نصفه، أو أقل من نصفه، أو أكثر من نصفه.(١)

وقال الإمام القرطبي أيضا: قال العلماء: كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة، ثم خوطب بعد بالنبي والرسول. قُمِ اللَّيْلَ أي للصلاة إِلَّا قَلِيلًا وكان قيام الليل فريضة في الابتداء وبين قدره فقال: نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا إلى الثلث. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ على النصف إلى الثلثين، خيره بين هذه المنازل، وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقومون على هذه المقادير، وكان الرجل لا يدري متى ثلث الليل ومتى نصف الليل ومتى الثلثان، فكان [الرجل] يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ القدر الواجب، واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله: "فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى" الآية (٢)

قوله تعالى (عليها تسعة عشر) (٣)
قال الإمام ابن جزي - رحمه الله - في معنى قوله " تسعة عشر ": يعني الزبانية خزنة جهنم فقيل: هم تسعة عشر ملكا وقيل: تسعة عشر صفا من الملائكة والأول أشهر (٤)
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:
١- المراد تسعة عشر ملكا
٢- المراد تسعة عشر صفا
(١) تفسير القرطبي (٣٥/١٩)
(٢) تفسير البغوي (٤٠٦/٤)
(٣) سورة المدثر آية: ٣٠.
(٤) التسهيل ٤ / ١٦١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن المراد بقوله: "تسعة عشر " أنهم تسعة عشر ملكا وهذا ترجيح سديد حيث إنه تفسير جمهور السلف والقاعدة الترجيحية تقول " تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم "

قال القرطبي: قوله تعالى: (عليها تسعة عشر) أي على سقر تسعة عشر من الملائكة يقفون فيها أهلها. ثم قيل: على جملة النار تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها، مالك وثمانية عشر ملكا.

ويحتمل أن تكون التسعة عشر نقيبا، ويحتمل أن يكون تسعة عشر ملكا بأعيانهم،

وعلى هذا أكثر المفسرين.(١)

وفي تفسير الألوسي: عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ الظاهر ملكًا ألا ترى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه ذلك فقد روى عن ابن عباس أنها لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع أن ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال له أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١)□ (٢)

وقال الإمام أبو حيان: عليها تسعة عشر: التمييز محذوف، والمتبادر إلى الذهن أنه ملك. ألا ترى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه أن المراد

---

(١) تفسير القرطبي (٧٩/١٩)
(٢) تفسير الألوسي (١٢٥/٢٩ - ١٢٦)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ملك حين سمعوا ذلك؟ فقال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟ فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين، فأنزل الله تعالى: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي ما جعلناهم رجالًا من جنسكم يطاقون (١)

قوله تعالى بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
" البنان: الأصابع وفي المعنى قولان:
أحدهما: أنه إخبار بالقدرة على البعث أي قادرين على أن نسوي أصابعه أي نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفرقها.
والآخر: أنه تهديد في الدنيا أي قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار وخف الجمل فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه والأول أليق بسياق الكلام (٣)
الأقوال كما ذكرها ابن جزي
١- المراد بالبنان الأصابع، وهذا إخبار بالقدرة على البعث.
٢- أن هذا تهديد في الدنيا، والمعنى: قادرون على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كخف الجمل، فلا يستطيع العمل.
(١) البحر المحيط (٣٦٧/٨)
(٢) سورة القيامة آية: (٤)
(٣) التسهيل ٤ / ١٦٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

هذا الترجيح هو ظاهر السياق الكريم، وهو الذي عليه جمهور السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

قال ابن جرير الطبري: وقوله: أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ: أيظن ابن آدم أن لا نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها؟ بلى قادرين على أعظم من ذلك، أن نسوي بنانه، وهي أصابع يديه ورجليه، فنجعلها شيئا واحدا كخف البعير، أو حافر الحمار، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها، ويتناول، ويقبض إذا شاء ويبسط، فحسن خلقه (١)

قال الشوكاني: ومعنى: عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ: على أن نجمع بعضها إلى بعض، فنردها كما كانت مع لطافتها وصغرها، فكيف بكبار الأعضاء، فنبه سبحانه بالبنان، وهي الأصابع على بقية الأعضاء، وأن الاقتدار على بعثها وإرجاعها كما كانت أولى في القدرة من إرجاع الأصابع الصغيرة اللطيفة المشتملة على المفاصل والأظافر والعروق اللطاف والعظام الدقاق، فهذا وجه تخصيصها بالذكر (٢) قال السمرقندي:

يقول الله تعالى: بلى قادرين يعني: إن الله تعالى قادر على أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ يعني: يجعل أصابعه ملتزقة، وألحق الراحة بالأنامل. وهذا قول ابن عباس. وقال القتبي: فكأنه يقول: أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه في الآخرة، بلى قادرين على أن نسوي بنانه، يعني: أن نجمع ما صغر منه، ونؤلف بينه، أي: نعيد السلاميات على صغرها، ومن قدر على جمع هذا،

---

(١) جامع البيان (١٧٥/٢٩)
(٢) فتح القدير (٣٣٦/٥)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فهو على جمع كبار العظام أقدر. وقال مجاهد: على أن نسوي خفه كخف البعير، لا يعمل به شيئًا (١)

قوله تعالى (عَبَسَ وَتَوَلَّى)
قال الإمام ابن جزي - رحمه الله -:
" عَبَسَ وَتَوَلَّى " (٢) أي عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه قال ابن عطية في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب لأن في ذلك بعض الإعراض وقال الزمخشري في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار.
وقال غيرهما: هو إكرام للنبي وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن (٣)
الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:
١- في مخاطبته بلفظ الغيبة مبالغة في العتب.
٢- مخاطبته بلفظ الغيبة زيادة في الإنكار.
٣- هو إكرام للنبي - صلى الله عليه وسلم - لأن في ذلك تنزيه له عن المخاطبة بالعتاب.(٤)
الترجيح في الميزان:
رجح الإمام ابن جزي أن يكون الخطاب هنا على سبيل الإكرام للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وهو الأنسب بالقاعدة التي نصها (القول الذي يعظم مقام النبوة أولى من القول الذي يقدح في مقام النبوة) ولكن هذا لا يعني انتفاء احتمالية العتاب من الله تعالى
(١) بحر العلوم للسمرقندي (٤٩٨/٣)
(٢) سورة عبس، الآية: ١
(٣) التسهيل ٤ / ١٧٨
(٤) ينظر في هذه الأقوال: تفسير الطبري ٣٠ / ٥٠، وما بعدها، تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣٣٩٩، ابن زمنين ٥ / ٩٣، الماوردي ٦ / ٢٠٨، الواحدي ٢ / ١١٧٣، ابن عطية ٥ / ٤٣٦، زاد المسير ٩ / ٢٦.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لنبيه - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحال، فإنما سيقت الآيات لتشير إلى ذلك، والعتاب لا يوجب مذمة في حقه - صلى الله عليه وسلم -، بل إنه يدل على مكانة النبي - صلى الله عليه وسلم - عند ربه سبحانه، ومثله قوله تعالى " عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ" (١)

قال القرطبي: أنزل الله في حقه على نبيه - صلى الله عليه وسلم -: " عبس وتولى " بلفظ الإخبار عن الغائب، تعظيما له، ولم يقل: عبست وتوليت، ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيسا له فقال: " وما يدريك " أي يعلمك " لعله " يعني ابن أم مكتوم " يزكى " بما أستدعى منك تعليمه إياه من القرآن والدين، بأن يزداد طهارة في دينه، وزوال ظلمة الجهل عنه.(٢)

وقال أبو حيان: وجاء بضمير الغائب في عبس وتولى إجلالًا له عليه الصلاة والسلام، ولطفًا به أن لا يخاطبه في المشافهة بتاء الخطاب مما لا يخفى، وجاء لفظ الأعمى إشعارًا بما يناسب من الرفق به والصغو لما يقصده (٣)

وقال السمرقندي: عبس وتولى. وهو بلفظ المغايبة، تعليما للنبي صلى الله عليه وسلم عَبَسَ محمد صلى الله عليه وسلم وجهه وتولى يعني: وأعرض أَن جَاءهُ الأعمى يعني: إن جاءه الأعمى. ويقال: حين جاء الأعمى، وهو ابن أم مكتوم.(٤)

---

(١) الآية ٤٣ من سورة التوبة
(٢) تفسير القرطبي (٢١٣/١٩)
(٣) البحر المحيط (٥٢٤/٣)
(٤) بحر العلوم للسمرقندي (٣٦٩/٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) (١)

قال الإمام ابن جزي: " فيه ستة أقوال:

أحدها: وجدك ضالا عن معرفة الشريعة فهداك إليها فالضلال عبارة عن التوقيف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله فهو كقوله "ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان " وهذا هو الأظهر وهو الذي اختاره ابن عطية وغيره ومعناه أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به لأنه كان معصوما من ذلك قبل النبوة وبعدها

والثاني: وجدك في قوم ضلال فكأنك واحد منهم وإن لم تكن تعبد ما يعبدون وهذا قريب من الأول.

والثالث: وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها وهذا ضعيف؛ لأن السورة نزلت قبل الهجرة.

الرابع: وجدك خامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك وهذا بعيد عن المعنى المقصود.

الخامس: أنه من الضلال عن الطريق وذلك أنه ضل في بعض شعب مكة وهو صغير فرده الله إلى جده، وقيل: بل ضل من مرضعته حليمة فرده الله إليها، وقيل: بل ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب

السادس: أنه بمعنى الضلال من المحبة أي وجدك محبا لله فهداك إليه (٢).

الأقوال كما ذكرها ابن جزي

١-وجدك ضالا عن أحكا الشريعة فهداك لذلك.

٢-وجدك في قوم ضلال فهداك من بينهم.

٣-وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها.

٤-وجدك خامل الذكر فهدى الناس إليك.

---

(١) سورة الضحى الآية: (٧)
(٢) التسهيل ٤ / ٢٠٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٥-أن النبي ضل في بعض شعاب مكة فهداه إلى الطريق، وهذا من ضل إذا لم يهتد إليه.

٦-أنه من ضلال المحبة، أي وجدك محبا لله فهداك إليه.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي من هذه الأقوال الستة القول الأول الذي هو أحسن هذه الوجوه وأقواها، وهو أن الله وجد النبي لا يعرف عن أحكام الشريعة شيئا فهداه الله إلى هذه الأحكام وتصديق ذلك قوله تعالى (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) والقاعدة تقول (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك)

وهذا القول تؤيده قاعدة أخرى (القول الذي يعظم مقام النبوة أولى من غيره)

قال ابن كثير: وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به.

وقوله: وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى كقوله وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ومنهم من قال: المراد بهذا أنه، عليه السلام، ضل في شعاب مكة وهو صغير، ثم رجع. وقيل: إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام، وكان راكبًا ناقة في الليل، فجاء إبليس يعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة، ثم عدل بالراحلة إلى الطريق. (١)

وقال القرطبي: قوله تعالى: " ووجدك ضالا فهدى" أي غافلا، في أحد التأويلات، يحقق قوله تعالى: " ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان (٢)

وقال ابن الجوزي في زاد المسير: قوله تعالى: ووجدك ضالًا فهدى فيه ستة أقوال:

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٢٤/٤

(٢) تفسير القرطبي (٣٣٧/٨)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أحدها: ضالًا عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، فهداك إليها، قاله الجمهور، منهم الحسن، والضحاك.

والثاني: أنه ضل وهو صبي صغير في شعاب مكة، فرده الله إلى جده عبد المطلب، رواه أبو الضحى عن ابن عباس.

والثالث: أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إبليس بزمام ناقته، فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة، ورده إلى القافلة، فمن الله عليه بذلك، قاله سعيد بن المسيب.

والرابع: أن المعنى: ووجدك في قوم ضلال، فهداك للتوحيد والنبوة، قاله ابن السائب.

والخامس: ووجدك نسيا، فهداك إلى الذكر. ومثله: أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهما فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهما الْأُخْرَى (١)

والسادس: ووجدك خاملًا لا تذكر ولا تعرف، فهدى الناس إليك حتى عرفوك (٢)

وجاء في أضواء البيان (وقوله تعالى في نبينا صلى الله عليه وسلم: وَوَجَدَكَ ضَالًّا فهدى (٣) أي لست عالمًا بهذه العلوم التي لا تعرف إلا بالوحي، فهداك إليها (٤)

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٢
(٢) زاد المسير (١٥٨/٩)
(٣) سورة الضحى: ٧
(٤) أضواء البيان (٢٠٣/٢)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى " لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ " (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

معنى "منفكين " منفصلين ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال:

أحدها: أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة لتقوم عليهم الحجة

الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوة سيدنا محمد حتى بعثه الله.

الثالث: اختاره ابن عطية وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى بعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة

الرابع: وهو الأظهر عندي أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله إليهم النبي صلى الله عليه وسلم (١)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي:

١-لم ينفصلوا عن كفرهم حتى تأتيهم البينة.

٢-لم يكونوا منفصلين عن نبوة سيدنا محمد.

٣-لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته.

٤-لم ينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم -.

قلت: الكلام للباحث لو حملنا معنى الانفصال على هذه الأقوال الأربعة فلا بأس، لأن الوجوه الأربعة قريبة من بعضها، والله أعلم

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أنهم لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهو الأولى بالسياق القرآني وقول الله تعالى " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " (٢)

---

(١) سورة البينة الآية (١)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال ابن جرير " وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: معنى ذلك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد، حتى تأتيهم البينة، وهي إرسال الله إياه رسولا إلى خلقه (٣)

قال ابن كثير: حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ أي: هذا القرآن؛ ولهذا قال تعالى: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ثم فسر البينة بقوله: رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم، وما يتلوه من القرآن العظيم، الذي هو مكتوب في الملأ الأعلى، في صحف مطهرة كقوله: فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ (٤).(٥)

وقال الإمام البغوي: حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ لفظه مستقبل ومعناه الماضي، أي: حتى أتتهم البينة، الحجة الواضحة، يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم، أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالاتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإيمان. فهذه الآية فيمن آمن من الفريقين، أخبر أنهم لم ينتهوا عن الكفر حتى أتاهم الرسول فدعاهم إلى الإيمان فآمنوا فأنقذهم الله من الجهل والضلالة. ثم فسر البينة فقال: رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو يقرأ صُحُفًا كتبًا، يريد ما يتضمنه الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن؛ لأنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن، قوله: مُطَهَّرَةً من الباطل والكذب (٦)

---

(١) التسهيل ٤ / ٢١٠.
(٢) من الآية ١٥ من سورة الإسراء.
(٣) جامع البيان (٢٦٢/٣٠)
(٤) [سورة عبس آية: ١٣ - ١٦]
(٥) تفسير ابن كثير (٥٣٨/٤)
(٦) تفسير البغوي (٥١٣/٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

في معنى قوله تعالى (يصدر الناس): صدر الناس هو انصرافهم من موضع وردهم، فقيل: الورد هو الدفن في القبور، والصدر هو القيام للبعث وقيل: الورد القيام للحشر والصدر الانصراف إلى الجنة والنار وهذا أظهر وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتًا (٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن الورد هو القيام من القبور للحشر، والصدر هو الانصراف إلى الجنة والنار، قال: وهذا أظهر،

قال الإمام ابن جرير: وقوله يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا عن موقف الحساب فرقًا متفرقين، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة، وآخذ ذات الشمال إلى النار. (٣)

وعند ابن كثير: قوله: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا أي: يرجعون عن موقف الحساب، أَشْتَاتًا أي: أنواعًا وأصنافًا، ما بين شقي وسعيد، مأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار.(٤)

قال صاحب أضواء البيان: والمقام في هذا السياق يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا، وهو يوم البعث، وليس هناك مجال للعمل، وكان مقتضى السياق أن يقال: فمن عمل مثقال ذرة خيرًا يره. ولكن الصيغة هنا صيغة مضارع، والمقام ليس مقام عمل، ولكن في السياق ما يدل على أن المراد بعمل مثقال ذرة أي من الصنفين ما كان من قبل ذلك، لقوله تعالى يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا

---

(١) سورة الزلزلة آية: ٦
(٢) التسهيل ٤ / ٢١٣
(٣) جامع البيان (٢٦٧/٣٠)
(٤) تفسير ابن كثير (٤٦١/٨)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ، فهم إنما يروا في ذلك اليوم أعمالهم التي علموها من قبل، فتكون صيغة المضارع هنا من باب الالتفات، حيث كان السياق أولًا من أول السورة في معرض الإخبار عن المستقبل: إذا زلزلت الأرض زلزالها، وإذا أخرجت الأرض أثقالها، وإذا قال الإنسان ما لها. في ذلك اليوم الآتي تحدث أخبارها، وفي ذلك اليوم يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم التي عملوها من قبل كما في قوله: يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ (١)، وقوله: وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا (٢) ثم جاء الالتفات بمخاطبتهم على سبيل التنبيه والتحذير، فمن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة خيرًا يره، ومن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة شرًا يره في الآخرة (٣)

وقال الإمام الرازي: قوله تعالى: يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعمالهم الصدور ضد الورد فالوارد الجائي والصادر والمنصرف وأشتاتًا متفرقين، فيحتمل أن يردوا الأرض، ثم يصدرون عنها إلى عرصة القيامة، ويحتمل أن يردوا عرصة القيامة للمحاسبة ثم يصدرون عنها إلى موضع الثواب والعقاب، فإن قوله: أَشْتَاتًا أقرب إلى الوجه الأول ولفظة الصدر أقرب إلى الوجه الثاني، وقوله: لِيُرَوْا أَعمالهم أقرب إلى الوجه الأول لأن رؤية أعمالهم مكتوبة في الصحائف أقرب إلى الحقيقة من رؤية جزاء الأعمال، وإن صح أيضًا أن يحمل على رؤية جزاء الأعمال.

وقوله: أَشْتَاتًا فيه وجوه:

أحدها: أن بعضهم يذهب إلى الموقف راكبًا مع الثياب الحسنة وبياض الوجه والمنادي ينادي بين يديه: هذا ولي الله، وآخرون يذهب بهم سود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والأغلال والمنادي ينادي بين يديه هذا عدو الله.

---

(١) سورة النبأ آية: ٤٠
(٢) سورة الكهف: ٤٩
(٣) أضواء البيان (٥٩/٩)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وثانيها: أَشْتَاتًا أي كل فريق مع شكله اليهودي مع اليهودي والنصراني مع النصراني وثالثها: أشتاتًا من أقطار الأرض من كل ناحية، ثم إنه سبحانه ذكر المقصود وقال: لِيُرَوْا أَعمالهم قال بعضهم: ليروا صحائف أعمالهم، لأن الكتابة بوضع بين يدي الرجل فيقول: هذا طلاقك وبيعك هل تراه والمرئي هو الكتاب وقال آخرون: ليروا جزاء أعمالهم، وهو الجنة أو النار، وإنما أوقع اسم العمل على الجزاء لأنه الجزاء وفاق، فكأنه نفس العمل بل المجاز في ذلك أدخل من الحقيقة، وفي قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم -: لِيُرَوْا بالفتح (١)

- وأرى أن اللفظ محتمل لكل ما ذكر - والله أعلم -

---

(١) تفسير الرازي (٥٧/٣٢)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

المطلب الثاني: الترجيحات بالرأي

أحمد محمد علي أبوسيف — «ترجيحات الإمام ابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل» (رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١- ما المراد بالكتاب في قوله تعالى " ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ "

قال تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

"ذلك الكتاب " هو هنا القرآن، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: اللوح المحفوظ وهو الصحيح الذي يدل عليه سياق الكلام ويشهد له مواضع من القرآن، والمقصود منها إثبات أن القرآن من عند الله كقوله تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) يعني: القرآن باتفاق (٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أن المراد بالكتاب هنا: القرآن الكريم وهو قول ابن عباس (٤) ومجاهد وعكرمة والسدي وابن جريج (٥) وهو ما ذهب إليه الطبري رحمه الله (٦)، وعزاه ابن أبي حاتم إلى الحسن (٧)

١- أن المراد بالكتاب هنا: التوراة والإنجيل ذكره الماوردي (٨)، والقرطبي (٩) وابن عطية (١٠)

٢- أن المراد بالكتاب هنا: اللوح المحفوظ وهو قول الكسائي وابن عطية (١١)

---

(١) سورة البقرة آية: (٢)
(٢) سورة السجدة آية: (٢)
(٣) التسهيل ١ / ٣٥
(٤) تفسير الطبري ١ / ٩٧، تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٣٩
(٥) تفسير الطبري ١ / ٩٧
(٦) تفسير الطبري ١ / ٩٧
(٧) تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٣٩
(٨) تفسير الماوردي ٦٧/١
(٩) تفسير القرطبي ١٥٨/١
(١٠) المحرر الوجيز ٨٣/١
(١١) المحرر الوجيز ٨٣/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ذكره القرطبي بصيغة التضعيف (١) وابن عطية (٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بقوله تعالى " ذلك الكتاب " هو اللوح المحفوظ، وذلك لدلالة السياق عليه، والقاعدة أن القول الذي يؤيده سياق الآيات مقدم على غيره، لكن جمهور المفسرين على أن المراد بالكتاب في الآية الكريمة هو القرآن الكريم،

قال الطبري: قال عامة المفسرين تأويل قول الله تعالى " ذلك الكتاب " هذا الكتاب

وروى ذلك عن مجاهد وعكرمة والسدي وابن جريج وابن عباس

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن في قول الله "ذلك الكتاب " قال: القرآن (٣).

وقال الكسائي " ذلك " إشارة إلى القرآن الذي في السماء لم ينزل بعد "

والقاعدة أن **القول الذي عليه جمهور المفسرين مقدم على غيره**، وليس في السياق القرآني ما يمنع أن يكون المراد بالكتاب في الآية هو القرآن الكريم وبذلك يتبين أن قول الإمام ابن جزي في هذه المسألة قول مرجوح - والله أعلم -

---

(١) تفسير القرطبي ١٥٨/١
(٢) المحرر الوجيز ٨٣/١
(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٣٩/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

"ختم الآية تعليل لعدم إيمانهم وهو عبارة عن إضلالهم فهو مجاز وقيل: حقيقة وأن القلب كالكف ينقبض مع زيادة الضلال أصبعا أصبعا حتى يختم عليه والأول أرجح (٢)

الأقوال كما ذكرها ابن جزي

١- أن هذا مجاز عن إضلالهم والآية تعليل لعدم الإيمان.

٢- أن هذا حقيقة، وأن القلب ينقبض بزيادة الضلال (٣).

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة حمل القول في الآية على المجاز لا على الحقيقة، وأرى أن الإمام ابن جزي رحمه الله ليس على حق في هذا الترجيح لأنه من قواعد الأصول الثابتة "لا يصار إلى المجاز إلا عند استحالة الحمل على الحقيقة، ووجود قرينة تدل على أن المراد المجاز وليس الحقيقة"، وكذا القاعدة أنه (يجب حمل ألفاظ الوحي على الحقيقة حتى يقوم دليل على إرادة المجاز)

وقد وردت النصوص عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تفيد بأن العبد إذا أذنب ذنبا نكت في قلبه نكتة سوداء، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر وتاب

---

(١) سورة البقرة الآية (٧).

(٢) التسهيل ١ / ٣٧.

(٣) ينظر في هذه الأقوال: مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي ت ٢٠٩ ه - ١ / ١٠٤، تفسير ابن زمنين ١ / ١٢١، النكت والعيون ١ / ٧١، تفسير البغوي ١ / ٤٩، المحرر الوجيز ٢ / ٢٩٤.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

صقلت، فإن عاد زيد فيها، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو فيه، فهو الران الذي ذكر الله:

(كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (١)» (٢)

فدل ظاهر الحديث على أن القلوب تشرح بزيادة الطاعة وتنقبض بزيادة المعصية (٣)

من المراد بقوله تعالى: (يود أحدهم)؟

قال تعالى: وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٤)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

والمعنى (من الذين أشركوا) قوم يود أحدهم لو يعمر ألف سنة فحذف الموصوف، وقيل: أراد به المجوس لأنهم يقولون لملوكهم عش ألف سنة، والأول أظهر لأن الكلام إنما هو في اليهود وعلى الثاني يخرج الكلام عنهم (٥)

(١) سورة المطففين الآية (١٤)

(٢) صحيح ابن حبان - كتاب الرقائق، باب الأدعية - ٣ / ٢١٠، برقم ٩٣٠، نوادر الأصول في أحاديث الرسول للترمذي ٤ / ٢٠٨، المستدرك على الصحيحين ١ / ٤٥ وقال هذا حديث صحيح لم يخرج في الصحيحين

(٣) ويؤيده أيضا قول النبي - صلى الله عليه وسلم - " تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرْضَ الْحَصِيرِ فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فيه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حتى يَصِيرَ الْقَلْبُ عَلَى قَلْبَيْنِ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا لَا يَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَدٌّ كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا وَأَمَالَ كَفَّهُ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ [مسند أحمد بن حنبل ٥ / ٣٨٦ برقم ٢٣٣٢٨]

(٤) سورة البقرة الآية: (٩٦)

(٥) التسهيل ١ / ٥٤، ٥٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- المراد بقوله: (أحدهم) اليهود قاله ابن عباس وابن قتيبة والزجاج (١)

٢- أو أن الكلام على المجوس قاله الماوردي (٢) والثاني مشركو العرب قاله مقاتل (٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله تعالى " يود أحدهم لو يعمر ألف سنة " الذين أشركوا ومنهم اليهود، وذلك لدلالة السياق، والقاعدة أن القول الذي يؤيده السياق القرآني مقدم على سواه.

وأيد ابن جزي فيما ذهب إليه الزمخشري في الكشاف فقال:

والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزير ابن الله (٤)

وكذا ابن عطية قال: والضمير في " أحدهم " يعود في هذا القول على اليهود، وقيل إن الكلام تم في قوله حياة ثم استؤنف الإخبار عن طائفة من المشركين أنهم يود أحدهم وهي المجوس لأن تسميتهم للعاطس لفظ بلغتهم معناه عش ألف سنة فكأن الكلام ومن المشركين قوم يود أحدهم وفي هذا القول تشبيه بني إسرائيل بهذه الفرقة من المشركين وقصد الألف بالذكر لأنها نهاية العقد في الحساب (٥)

وكذا الإمام ابن الجوزي قال:

قوله تعالى ولتجدنهم المعنى: ولتجدن اليهود في حال دعائهم إلى تمني الموت أحرص الناس على حياة وأحرص من الذين أشركوا (٦)

---

(١) زاد المسير ١١٧/١
(٢) النكت والعيون للماوردي ١٦٢/١
(٣) زاد المسير ١١٧/١
(٤) الكشاف للزمخشري ١٩٤/١
(٥) المحرر الوجيز ١٨٢/١
(٦) زاد المسير ١١٧/١

— صفحة (ساقطة - اللقطة 24 تالفة) —
[اللقطة 24 تالفة كليًا: صفحة الPDF الأخيرة تُرندر 1×1 بكسل ولا تحتوي على أي مجرى صورة قابل للاستخراج (Kid object is wrong type). نص صفحة ٤٦٨ ينقطع داخل مبحث «يود أحدهم» ويُرجح أن هذه اللقطة كانت تحمل الصفحتين التاليتين ٤٦٩/٤٧٠]
تفريغ الصفحات ٤٦٩ - ٥١٦ [فُرّغ هذا النطاق من الصور الفوتوغرافية الواضحة التي أرسلها الباحث للنسخة الورقية، بعد تعذر قراءة ملف pdf.516-469 (ملف فارغ). فُرّغ المطبوع فقط مع تجاهل التعليقات اليدوية.]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الإمام القرطبي: قوله تعالى: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) يعني اليهود(١)

وعلى هذا فالقول في هذه المسألة ما ذهب إليه الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى - والله أعلم -

٤- ما المراد بالسؤال في قوله: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم.)؟

قال تعالى: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) (١٠٨)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

تسألوا رسولكم: أي تطلبوا الآيات ويحتمل السؤال عن العلم والأول أرجح لما بعده فإنه شبهه بسؤالهم لموسى وهو قولهم له "أرنا الله جهرة"{٢}

الآراء كما ذكرها ابن جزي رحمه الله:

١- أن السؤال معناه: طلب الآيات

٢- أن السؤال إنما هو عن العلم

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن سؤالهم الرسول طلب للآيات وليس سؤال العلم وذلك لدلالة السياق عليه،

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن ابن عباس قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فأنزل الله في ذلك من قولهم أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل الآية {٣}

---

(١) تفسير القرطبي ٣٤/٢
(٢) التسهيل ١ / ٥٦
(٣) تفسير الطبري ٤٨٣/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وورد عن مجاهد قال: قوله "أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل" أن يريهم الله جهرة، فسألت قريش محمدا - صلى الله عليه وسلم - أن يجعل لهم الصفا ذهبا قال: نعم وهو لكم كمائدة بني إسرائيل إن كفرتم فأبوا ورجعوا(١)

وقال السمعاني: والمراد بالآية: منعهم عن السؤالات المفتوحة بعد ظهور البراهين.(٢) فدل ذلك مع دلالة السياق على رجحان قول الإمام ابن جزي رحمه الله.

٥- بم يتعلق قوله تعالى: (كما أرسلنا..)؟

قال تعالى: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون)(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

(كما أرسلنا) متعلق بقوله: (ولأتم)، أو بقوله: (فاذكروني) والأول أظهر{٤}

الأقوال كما ذكرها ابن جزي رحمه الله:

١- قوله تعالى: (كما أرسلنا) متعلق بقوله: (ولأتم) ذكره الرازي(٥).

٢- قوله تعالى: (كما أرسلنا) متعلق بقوله: (فاذكروني) ذكره ابن عطية بصيغة التضعيف(٦) وعزاه ابن الجوزي إلى الأئمة علي وابن عباس ومجاهد مقاتل(٧)

---

(١) تفسير الطبري ٤٨٣/١
(٢) تفسير السمعاني ١٢٥/١
(٣) سورة البقرة آية: (١٥١)
(٤) التسهيل ١ / ٦٣
(٥) قال الرازي ١٢٩/٤
(٦) تفسير المحرر الوجيز ٢٢٦/١
(٧) زاد المسير ١٥٩/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن قوله تعالى: (كما أرسلنا) متعلق بقوله: (ولأتم) والمعنى: ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم، وأيده في ذلك الإمام ابن عطية قال: والكاف في قوله "كما" رد على قوله "ولأتم" أي إتماما كما، وهذا أحسن الأقوال أي: لأتم نعمتي عليكم في بيان سنة إبراهيم عليه السلام "كما أرسلنا فيكم رسولا منكم" إجابة لدعوته في قوله "ربنا وابعث فيهم رسولا منهم" الآية(١)

قوله تعالى: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) قال الزجاج: (كما) لا تصلح أن تكون جوابا لما قبلها والأجود أن تكون معلقة بقوله: (فاذكروني) وقد روي معناه عن علي و ابن عباس و مجاهد مقاتل والآية خطاب لمشركي العرب(٢)

٦- ما المراد بقوله تعالى: (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ)؟

قال تعالى: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا)(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

"إلا ما قد سلف" قيل: المعنى: إلا ما قد سلف فانكحوه إن أمكنكم وذلك غير ممكن فالمعنى المبالغة في التحريم.

وقيل: إلا ما قد سلف: إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهليه وانقطع بالإسلام فقد عفى عنكم فلا تؤاخذون به، وهذا أرجح الأقوال{٤}

---

(١) تفسير المحرر الوجيز ٢٢٦/١
(٢) زاد المسير ١٥٩/١
(٣) سورة النساء آية: (٢٢)
(٤) التسهيل ١ / ١٣٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال رحمه الله أيضا: إلا ما قد سلف المعنى إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهليه وانقطع بالإسلام فقد عفى عنكم فلا تؤاخذون به وهذا أرجح الأقوال حسبما تقدم في الموضع الأول{١}

الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- معنى قوله (إلا ما قد سلف) أي: إلا ما قد سلف إن أمكنكم وذلك غير ممكن فالمعنى المبالغة في التحريم

٢- إلا ما قد سلف: إلا ما فعلتم من ذلك في الجاهليه وانقطع بالإسلام فقد عفى عنكم فلا تؤاخذون به عزاه الماوردي إلى ابن عباس, وقتادة وعطاء, وعكرمة(٢) وهو قول الواحدي(٣) وابن أبي زمنين(٤)، ورجحه ابن العربي(٥) في أحكام القرآن.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله (إلا ما قد سلف) بيان العفو عما كان من فعلهم ذلك في الجاهلية، وهو القول الذي يتفق مع سياق القرآن العام حيث ورد في غير ما موطن من الآيات الكريمة أن الله يغفر الذنوب جميعا عدا أن يشرك به سبحانه،

وبمثل هذا قال جمع من المفسرين منهم:

ابن أبي زمنين قال: إلا ما قد سلف يعني: ما قد مضى قبل التحريم(١)

والواحدي قال: وقوله "إلا ما قد سلف" يعني لكن ما قد سلف فإن الله تجاوز عنه(٢)

---

(١) التسهيل ١ / ١٣٦
(٢) الماوردي ٤٦٨/١
(٣) تفسير الواحدي ٢٥٨/١
(٤) تفسير ابن أبي زمنين ٣٥٧/١
(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤٧٥/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الإمام ابن العربي: قوله تعالى "إلا ما قد سلف" يعني من فعل الأعراب في الجاهلية فإن بعضهم كانت الحمية تغلب عليه فيكره أن يعمر فراش أبيه فيعلو هو عليه ومنهم من كان يستمر على العادة وهو الأكثر فعطف الله تعالى بالعفو عما مضى.

وقال علماؤنا: هو استثناء منقطع وصدقوا فإنه ليس بإباحة المحظور وإنما هو خبر عن عفو سحب ذيله عما مضى من عملهم القبيح فصار تقديره إلا ما قد سلف فإنكم غير مؤاخذين به (٣)

٧- ما نوع الرؤية في قوله تعالى: (تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ)؟

قال تعالى: (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون)(٤)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: في قوله تعالى (ترى كثيرا منهم): إن أراد أسلافهم فالرؤية بالقلب، وإن أراد المعاصرين للنبي وهو الأظهر فهي رؤية عين{٥}

الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- المراد بالرؤية رؤية القلب.

٢- المراد بالرؤية رؤية العين.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام بان جزي في هذه المسألة أن تكون الرؤية في قوله تعالى (ترى كثيرا منهم) رؤية العين وأن الخطاب للمعاصرين له عليه السلام، وهذا

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين ٣٥٧/١
(٢) تفسير الواحدي ٢٥٨/١
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤٧٥/١
(٤) سورة المائدة آية: (٨٠)
(٥) التسهيل ١ / ١٨٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح سديد وموفق تؤيده القاعدة الترجيحية التي تقول: (تفسير السلف وفهمهم حجة على غيرهم)

فقد قال في ذلك مقاتل بن سليمان: (ترى كثيرا منهم) هم من كان بحضرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتولون الكفار وعبدة الأوثان(١)

وقال البغوي: قوله تعالى (ترى كثيرا منهم) قيل: من اليهود كعب بن الأشرف وأصحابه (يتولون الذين كفروا) مشركي مكة حين خرجوا إليهم يجيشون على النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال ابن العباس ومجاهد المحسن منهم يعني من المنافقين يتولون اليهود(٢)

وقال الزمخشري: ترى كثيرا منهم هم منافقوا أهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم(٣)

وقال كثير من أهل التفسير: باحتمال الأمرين في المراد بقوله "ترى كثيرا منهم" أي الرؤية المعاصرة رؤيا العين أو رؤيا القلب ومنهم:

ابن عطية قال: (ترى كثيرا) يحتمل أن يكون رؤية قلب وعلى هذا فيحتمل أن يريد من الأسلاف المذكورين أي ترى الآن إذا خبرناك، ويحتمل أن يريد من معاصري محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه كان يرى ذلك من أمورهم ودلائل حالهم ويحتمل أن تكون الرؤية رؤية عين فلا يريد إلا معاصري محمد - صلى الله عليه وسلم -(٤)

وقال أبو حيان: "ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا" الظاهر عود الضمير في: منهم، على بني إسرائيل فقال مقاتل: (كثيرا منهم) هو من كان بحضرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتولون الكفار وعبدة الأوثان، والمراد كعب بن الأشرف وأصحابه الذين استجلبوا المشركين على الرسول، وعلى هذا يكون ترى بصرية

---

(١) تفسير مقاتل ١ / ٣١٥
(٢) تفسير البغوي ٥٦/٢
(٣) الكشاف ٧٠٠/١
(٤) ابن عطية ٢٢٤/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

، ويحتمل أن تكون من رؤية القلب، فيحتمل أن يراد أسلافهم أي: أخبرناك.(١)

وأرى والله أعلم أن المراد بالرؤية هنا رؤية البصر وأن الضمير هنا عائد على عموم المشركين وأهل الكتاب حيث يقتضي السياق الحديث عن بني إسرائيل، ويؤيد هذا القول أن في الكلام إشارة إلى امتداد ما كان في أسلاف بني إسرائيل إلى أحفادهم وأنهم على عهد آبائهم الذين كانوا يتولون الذين كفروا، فهي إذا على العموم - والله أعلم -

٨- ما المراد بالإحسان في قوله تعالى: (ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا)؟

قال تعالى: (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين)(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (..وأحسنوا..) يحتمل: أن يريد الإحسان إلى الناس، أو الإحسان في طاعة الله وهو المراقبة وهذا أرجح لأنه درجة فوق التقوى ولذلك ذكره في المرة الثالثة وهي الغاية ولذلك قالت الصوفية: المقامات ثلاثة مقام الإسلام ثم مقام الإيمان ثم مقام الإحسان {٣}

الآراء كما ذكرها ابن جزي رحمه الله:

١- أن المراد بقوله (وأحسنوا) أي وأحسنوا إلى الناس.

٢- أن المراد بقوله (وأحسنوا) أي وأحسنوا في طاعة الله بمراقبته.

---

(١) البحر المحيط ٥٤٩/٣
(٢) سورة المائدة آية: (٩٣)
(٣) التسهيل ١ / ١٨٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله "وأحسنوا" أي إلى ربهم في طاعتهم ومراقبتهم له سبحانه، وأرى والله أعلم أن الإحسان إلى الناس فرع عن الإحسان في طاعة الله سبحانه، وقد اقترن الإحسان إلى الآخرين بالتقوى في غير ما موطن من كتاب الله تعالى، ومن ذلك قوله سبحانه: (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا)(١) أي وإن تحسنوا إلى الزوجات وتتقوا.

وممن قال بمثل هذا من أهل التفسير:

الطبري قال: ثم خافوا الله فدعاهم خوفهم من الله إلى الإحسان وذلك الإحسان هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال ولكنه نوافل تقربوا بها إلى ربهم طلبا لرضاه وهربا من عقابه "والله يحب المحسنين" يقول والله يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاها

فالاتقاء الأول هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل والاتقاء الثاني الاتقاء بالثبات على التصديق وترك التبديل والتغيير والاتقاء الثالث هو الاتقاء بالإحسان والتقرب بنوافل الأعمال(٢)

وقال الزمخشري: "ثم اتقوا وأحسنوا" ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا أعمالهم أو احسنوا إلى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات(٣)

فدل ذلك على العموم في مراد الآية الكريمة.

---

(١) سورة النساء الآية (١٢٨)
(٢) تفسير الطبري ٣٦/٧
(٣) الكشاف ٧٠٩/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ومن خلال هذه الأقوال نرى أن ترجيح الإمام ابن جزي صحيح تؤيده القاعدة التي تقول (يجب حمل ألفاظ الوحي على العموم حتى يقوم دليل صحيح على التخصيص) وبذلك يصح حمل الإحسان الوارد في الآية الكريمة على الوجهين الإحسان إلى الناس والإحسان في طاعة الله، وقصر الإحسان على واحد منهما تخصيص بلا مخصص وهو خلاف الأصل.

٩- ما المراد بقوله تعالى: (مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ)؟

قال تعالى: (قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين)(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: في قوله تعالى

(ما عندي ما تستعجلون به) أي: العذاب الذي طلبوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء.

وقيل: الآيات التي اقترحوها والأول أظهر{٢}

الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- أن المستعجل به: العذاب.

٢- أن المستعجل به: الآيات.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في المسألة أن المراد بقوله تعالى (ما عندي ما تستعجلون به) هو العذاب الذي طلبوه في قولهم "فأمطر علينا حجارة من السماء" الأنفال

وهو ترجيح سديد يتفق مع الغالب من أسلوب القرآن الكريم في الحديث عن استعجالهم، وذلك أن الاستعجال لم يأت في القرآن إلا للعذاب؛ لأنهم لم

---

(١) سورة الأنعام آية: (٥٧)
(٢) التسهيل ٢ / ١٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يستعجلوا بالآيات المقترحة. والقاعدة تقول (حمل كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عنهما)

قال أبو حيان: (ما عندي ما تستعجلون به) الذي استعجلوا به قيل الآيات المقترحة قاله الزجاج(١). وقيل: العذاب ورجح بأن الاستعجال لم يأت في القرآن إلا للعذاب لأنهم لم يستعجلوا بالآيات المقترحة وبأن لفظ (وكذبتم به) يتضمن أنكم واقعتم ما أنتم تستحقون به العذاب إلا أن ذلك ليس لي(٢).

وقال الزمخشري: يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم: فأمطر علينا حجارة من السماء(٣).

وقال الثعالبي: ما عندي ما تستعجلون به (يعني العذاب)(٤)

وقال الزجاج: وقوله جل وعز (قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به) أي ما تستعجلون من اقتراح الآيات ويجوز أن يكون المعنى ما تستعجلون به من العذاب(٥)

فتبين من خلال أقوال المفسرين رجحان ما ذهب إليه الإمام ابن جزي - والله أعلم -

---

(١) معاني القرآن ٤٣٣/٢
(٢) البحر المحيط ١٤٦/٤
(٣) الكشاف ٣٠/٢
(٤) تفسير الثعالبي ١٥٣/٤
(٥) معاني القرآن ٤٣٣/٢، وينظر في المسألة أيضا زاد المسير لابن الجوزي ٥١/٣، النكت والعيون ١٢١/٢، زاد المسير لابن الجوزي ٣/ ٥١، تفسير الواحدي ٣٥٦/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١٠- هل الخطاب في قوله: (جعلا له شركاء) خاص أم عام؟

قال تعالى: (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون)(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (جعلا له شركاء) أي سموا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف وهذا القول بعيد لوجهين أحدهما أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصي من قريش والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم والآخر أن قوله (وجعل منها زوجها) فإن هذا يصح في حواء لأنها خلقت من ضلع آدم ولا يصح في زوجة قصي{٢}

الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- أن الخطاب في قوله: (جعلا له شركاء) خاص بذرية قصي من قريش.

٢- أن الخطاب في قوله: (جعلا له شركاء) عام لبني آدم.

الترجيح في الميزان:

ضعف الإمام ابن جزي القول بأن الخطاب في قوله "جعلا له شركاء" خاص بذرية قصي من قريش ورجح أن الخطاب في الآية عام لبني آدم، وهو القول الراجح اللائق بعموم الخطاب القرآني

قال الإمام ابن العربي: "المراد بهذا جنس الآدميين فإن حالهم في الحمل وخفته وثقله وتنقله إلى صفة واحدة وإذا خف عليهم الحمل استمروا به فإذا ثقل عليهم نذروا كل نذر فيه فإذا ما ولد لهم ذلك الولد جعلوا فيه شركاء لغير الله في تسميته وعمله حتى إن منهم من ينسبه إلى الأصنام ويجعله لغير الله وعلى غير دين الإسلام، وهذا القول أشبه بالحق وأقرب إلى الصدق، وهو ظاهر الآية

---

(١) سورة الأعراف آية: (١٩٠)
(٢) التسهيل ٢ / ٥٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وعمومها الذي يشمل جميع متناولاتها ويسلم فيها الأنبياء عن النقص الذي لا يليق بجهال البشر فكيف بسادتهم وأنبيائهم(١)

ولقد جعل الله تعالى مثل هذا التصرف من الآدميين صفة تغلب على النفس في كثير من الأحوال، فقال سبحانه (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون)(٢)، وقال تعالى "وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا"(٣)

وقال تعالى "وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار"(٥)

وذكر الإمام الثعالبي: أن الله تعالى ذكر هذه القصة على تمثيل ضرب المثل وبيان أن هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم، وقولهم بالشرك،

وتقرير هذا الكلام كأنه تعالى يقول: هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنسانا يساويه في الإنسانية، فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل، دعا الزوج والزوجة ربهما لئن آتيتنا ولدا صالحا سويا لنكونن من الشاكرين لالائك ونعمائك. فلما آتاهما الله ولدا صالحا سويا، جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاهما، لأنهم تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطبائع كما هو قول الطبائعيين، وتارة إلى الكواكب كما هو قول المنجمين، وتارة إلى الأصنام والأوثان كما هو قول عبدة الأصنام.(٦)

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٣٥٥/٢)
(٢) سورة يونس الآية (١٢)
(٣) سورة الإسراء الآية (٦٧)
(٤) سير ابن أبي حاتم ١٦٣٤/٥، تفسير الثعلبي ٣١٥/٤
(٥) سورة الزمر الآية (٨)
(٦) تفسير الرازي ٧٠/٥-٧٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وبعد عرض هذه الأقوال يتبين لنا أن القول الذي رجحه ابن جزي ترجيح سديد حيث تشهد له القاعدة الترجيحية "يجب حمل ألفاظ الوحي على العموم ما لم يرد دليل بالتخصيص" والله أعلم.

١١- ما المراد بالسورة في قوله تعالى: (وإذا أنزلت سورة)؟

قال الله تعالى: "وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين"(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (وإذا أنزلت سورة) قيل: يعني براءة والأرجح أنه على الإطلاق{٢}

الآراء كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

١- أن المراد بالسورة سورة التوبة وهو قول مقاتل(٣)

٢- أن لفظ (سورة) مطلق يشمل كل سورة.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن المراد بالسورة مطلق السورة وهو الأصل في اللفظ القرآني، أنه على عمومه في الدلالة، وقد أيده في قوله هذا

قال الإمام ابن عطية: (وإذا أنزلت سورة) والسورة المشار إليها هي براءة فيما قال بعضهم.

ويحتمل: أن يكون إلى كل سورة فيها الأمر بالإيمان والجهاد مع الرسول(٤)

---

(١) سورة التوبة آية: (٨٦).
(٢) التسهيل ٢ / ٨١
(٣) تفسير مقاتل ٦٤/٢، تفسير السمرقندي ٨٠/٢.
(٤) المحرر الوجيز (٦٨/٣)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الإمام ابن الجوزي: قوله تعالى "وإذا أنزلت سورة"، هذا عام في كل سورة(١)

وهذا الترجيح السديد موافق لقاعدة العموم ونصها: (يجب حمل ألفاظ الوحي على العموم حتى يرد دليل بالتخصيص)، ومما يقتضى ترجيح القول أن هذا القول هو قول جمهور المفسرين.

١٢- ما المقصود بقوله تعالى: (...أكبرنه..)؟

قال تعالى: (فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم)(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

"أكبرنه" أي: عظمن شأنه وجماله، وقيل: معنى أكبرن: حضن والهاء للسكت وهذا بعيد جدا{٣}

الآراء كما ذكرها ابن جزي رحمه الله:

١- أكبرنه أي: عظمن شأنه وجماله.

٢- أكبرن: حضن.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن معنى أكبرنه: أي أعظمن شأنه وهذا الترجيح اعتمد فيه ابن جزي على قاعدة من قواعد الترجيح وهي (يجب حمل ألفاظ الوحي على المشهور من لغة العرب)

---

(١) زاد المسير (٤٨١/٣).
(٢) سورة يوسف آية: (٣١).
(٣) التسهيل ٢ / ١١٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال ابن جرير الطبري: فلما رأينه أكبرنه يقول جل ثناؤه فلما رأين يوسف أعظمنه وأجللنه

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

عن مجاهد وقتادة والسدي وابن زيد قوله أكبرنه: أعظمنه

وقيل في قوله فلما رأينه أكبرنه أي: حضن

وهذا القول أعني القول الذي في معنى (أكبرنه) أنه حضن إن لم يكن عنى به أنهن حضن من إجلالهن يوسف وإعظامهن لما كان الله قسم له من البهاء والجمال ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معاينتهن إياه فقول لا معنى له(١)

قال ابن دريد في جمهرة اللغة: وأكبرت الشيء أكبره إكبارا إذا عظم في صدرك وعجبت منه. وكذا فسر في التنزيل: فلما رأينه أكبرنه (فهذا معنى الإعظام والله أعلم). قال أبو بكر: قال بعض المفسرين: أي حضن وهذا شيء لا يعرف في اللغة(٢).

فلما رأينه أكبرنه أي: أعظمن أمره وأجللنه ووقع في قلوبهن مثل الذي وقع في قلبها من محبته فبهتن وتحيرن وأدمن النظر إليه حتى حززن أيديهن بتلك السكاكين التي كن يقطعن بها طعامهن وقلن ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم(٣)

قال الأزهري: وأما قول الله جل وعز: "فلما رأينه أكبرنه"{٤} فأكثر المفسرين يقولون: أعظمنه.

وروي عن مجاهد أنه قال: أكبرنه: حضن، وليس ذلك بالمعروف في اللغة.

---

(١) تفسير الطبري ٢٠٤/١٢
(٢) جمهرة اللغة ٣٢٧/١
(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٣١٨/١ -ط- دار الجيل -بيروت ١٣٩٣ه/١٩٧٢م
(٤) سورة يوسف: ٣١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

(قلت): وإن صحت هذه اللفظة بمعنى الحيض فلها مخرج حسن، وذلك أن المرأة إذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر فقيل لها: أكبرت أي حاضت فدخلت في حد الكبر الموجب عليها الأمر والنهي.

وأما قول الله جل وعز: (فلما رأينه أكبرنه) (يوسف: ٣١) فأكثر المفسرين يقولون: أعظمنه.(١)

وروي عن مجاهد أنه قال: أكبرنه: حضن، وليس ذلك بالمعروف في اللغة.

عن ابن عباس في قوله: (فلما رأينه أكبرنه) قال: حضن.

(قلت): وإن صحت هذه اللفظة بمعنى الحيض فلها مخرج حسن، وذلك أن المرأة إذا حاضت أول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر فقيل لها: أكبرت أي حاضت فدخلت في حد الكبر الموجب عليها الأمر والنهي.

قال الماوردي:

(فلما رأينه أكبرنه) وفيه ثلاثة تأويلات: أحدها: معناه: أعظمنه, قاله ابن عباس. الثاني: معناه وجدن شأنه في الحسن والجمال كبيرا, قال ابن بحر. الثالث: معناه: حضن عند رؤيته، وهو قول رواه عبد الصمد بن علي الهاشمي عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس. وقيل: إن المرأة إذا جزعت أو خافت حاضت, وقد يسمى الحيض إكبارا (٢) وهناك قاعدة ترجيحية تقول (يجب حمل ألفاظ الوحى على المشهور من لغة العرب)

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١٢٠/١٠
(٢) النكت والعيون ٣٢/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١٣- قوله تعالى: (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون)(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

"لسارقون" خطاب لإخوة يوسف وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه، وقيل: إن حافظ السقاية نادى إنكم لسارقون بغير أمر يوسف، وهذا بعيد لتفتيش الأوعية{٢}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن الخطاب في قوله تعالى (إنكم لسارقون) لإخوة يوسف وهذا ترجيح مبناه على قاعدة (حمل ألفاظ الوحي على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله) هذا بالإضافة إلى قاعدة الظاهر وبالرجوع إلى كتب التفسير نجد ما يلي:

قال الزجاج: قوله تعالى: (إنكم لسارقون) كان النداء عن غير أمر يوسف - عليه السلام - لأنه كذب(٣)

وقال الفراء: (إنكم لسارقون) ولم يسرقوا الصواع

قيل: لأنهم أخذوا يوسف فباعوه فاستجاز ان يقول لهم إنكم لسارقون

وقيل: يجوز أن يكون الصواع جعل في رحالهم ولم يعلم الذي ناداهم بذلك فيكون كاذبا

وقيل: حالكم حال السراق وهكذا كلام العرب وكان المنادي حسب أن القوم سرقوه ولم يعلم بصنيع يوسف

وقيل: يجوز ان يكون أذان المؤذن عن امر يوسف واستجاز ذلك بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقة في بعض الأحوال يعني بذلك تلك السرقة لا سرقتهم الصواع

---

(١) سورة يوسف آية: (٧٠)
(٢) التسهيل ٢ / ١٢٣
(٣) إعراب القرآن ٣٣٦/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال بعض أهل التأويل: كان ذلك خطأ من فعل يوسف فعاقبه الله عز وجل إذ قالوا له (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)(١)

قال الجصاص: إنكم لسارقون (قيل أمر يوسف بعض أصحابه بأن يجعل الصاع في رحل أخيه ثم قال قائل من الموكلين بالصيعان وقد فقدوه ولم يدروا من أخذه أيتها العير إنكم لسارقون على ظن منهم أنهم كذلك ولم يأمرهم يوسف بذلك فلم يكن قول هذا القائل كذبا إذ كان مرجعه إلى غالب ظنه وما هو عنده وفيما توصل يوسف عليه السلام به إلى أخذ أخيه دلالة على أنه جائز للإنسان التوصل إلى أخذ حقه من غيره بما يمكنه الوصول إليه بغير رضا من عليه الحق(٢)

أخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وقوله للرجل اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين فأنساه الشيطان ذكر ربه وقوله لهم إنكم لسارقون هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(٣)

قال القاضى عياض:

وقوله تعالى: إنكم لسارقون، ولم يسرقوا. فاعلم أكرمك الله أن الآية تدل على أن فعل يوسف كان عن أمر الله، لقوله تعالى: كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم"{٤}. فإذا كان كذلك فلا اعتراض به، كان فيه ما فيه. و أيضا فإن يوسف كان أعلم أخاه بأني أنا أخوك فلا تبتئس، فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته، وعلى يقين من عقبى الخير له به، وإزاحة السوء والمضرة عنه

---

(١) معاني القرآن ٤٤٤/٣
(٢) أحكام القرآن للجصاص ٣٩٠/٤
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك- تفسير سورة يوسف عليه الصلاة والسلام- ٣٧٧/٢ رقم: (٣٣٢٣)
(٤) [سورة يوسف الآية: ٧٦]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بذلك. وأما قوله: أيتها العير إنكم لسارقون، فليس من قول يوسف. جواب لحل شبهه. ولعل قائله إن حسن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال ذلك (١)

قلت: يجب علينا تجاه الأقوال التى تقدح فى الأنبياء وعصمتهم أن نستحفظ عنها، وأن نقول بما يتفق مع مقام النبوة، فالقاعدة (القول الذى يعظم مقام النبوة ولا ينسب لها مالا يليق مقدم على القول الذى لا يعظم مقام النبوة)

وأرى أن لا مانع من أن يكون القائل هو نبي الله يوسف عليه السلام وأنه قال ذلك مع علمه التام بكل أبعاد الموقف، وأن ذلك كان منه حيلة مشروعة في محاولة رد الحق إلى أهله وإيقافهم على جرمهم السابق حين سرقوه من أبيهم وادعوا أن الذئب أكله، ويحتمل أنه عليه السلام وصفهم بذلك على الحقيقة حيث لا يعدوا ما فعلوه معه في صغره أن يكون سرقة، والله أعلم

١٤- ما المراد بالكفر في قوله (وَلَئِن كَفَرْتُمْ)؟

قال تعالى: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قوله تعالى: (ولئن كفرتم) يحتمل: أن يريد كفر النعم، أو الكفر بالإيمان والأول أرجح لمقابلته بالشكر{٣}

الآراء كما ذكرها ابن جزي رحمه الله:

١- المراد بالكفر في قوله (ولئن كفرتم) كفر النعم.

٢- المراد بالكفر في قوله (ولئن كفرتم) الكفر بالإيمان.

---

(١) الشفا للقاضي عياض ١٧٧/٢
(٢) سورة إبراهيم آية: (٧)
(٣) التسهيل ٢ / ١٣٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

القول الذى رجحه الإمام ابن جزى هو ترجيح صائب وموفق حيث إنه موافق للظاهر من النص. والقاعدة تنص على أنه لا يجوز العدول عن هذا الظاهر إلا بدليل، وحمل الكفر هنا على كفر النعمة أولى، لأن سابق الآيات ولاحقها يتحدث عن تذكير بنى إسرائيل بنعم الله عليهم قال تعالى (.. وذكرهم بأيام الله...) إلى أن قال تعالى (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم.....) الآية وهى محل الترجيح. قال صاحب قوت القلوب: قوله تعالى: (ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) قيل: إن كفرتم النعمة فقد يكون العذاب في الدنيا تبديل النعمة عقوبات وتغييرها هوان ومذلات، وقد يكون العذاب مؤجلا كقوله تعالى: (إن عذابها كان غراما)(١)،

قال: طالبهم على النعم بالشكر فلم يكن عندهم فأغرمهم ثمن النعمة فحبسهم في جهنم(٢)

قال الإمام الرازى: قوله: (ولئن كفرتم إن عذابى لشديد) فالمراد منه الكفران، لا الكفر، لأن الكفر المذكور في مقابلة الشكر ليس إلا الكفران، والسبب فيه أن كفران النعمة لا يحصل إلا عند الجهل بكون تلك النعمة نعمة من الله، والجاهل بها جاهل بالله، والجهل بالله من أعظم أنواع العقاب والعذاب(٣)

قال ابن عاشور: والكفر مراد به كفر النعمة وهو مقابلة المنعم بالعصيان. وأعظم الكفر جحد الخالق أو عبادة غيره معه وهو الإشراك، كما أن الشكر مقابلة النعمة بإظهار العبودية والطاعة.(٤)

---

(١) سورة الفرقان: ٦٥
(٢) قوت القلوب ٣٤٤/١
(٣) التفسير الكبير ٦٨/١٩
(٤) التحرير والتنوير ١٩٣/١٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١٥- قال الله تعالى: (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين)(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا) يحتمل أن يكون قولهم استبعادا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة، أو يكون إحالة لنبوة البشر والأول أظهر لطلبهم البرهان في قولهم "فأتونا بسلطان مبين" ولقول الرسل "ولكن الله يمن على من يشاء من عباده" أي بالتفضيل بالنبوة{٢}

الترجيح فى الميزان:

هذا الترجيح هو الأليق والأوفق وذلك لدلالة النص على ان الكلام عن النبوة، وان اعتراض القوم إنما هو بسبب أن الله فضل هؤلاء بالنبوة والرسالة، كما حكى الله ذلك عن قريش قال تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) فالاعتراض بسبب الاصطفاء بالرسالة، والدليل أنهم طلبوا دليلا على صدقهم فى هذا الأمر قال تعالى (فأتونا بسلطان مبين)

قال الزمخشرى: (إلا بشر مثلنا) لا فضل بيننا وبينكم، ولا فضل لكم علينا، فلم تخصون بالنبوة دوننا، ولو أرسل الله إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة(٣)

قال ابن عاشور: (إن أنتم إلا بشر مثلنا) من جحد كونهم رسلا من الله بالدّين الذي جاءوهم به مخالفا لدينهم القديم، فبذلك الاعتبار كان موقع التفريع لجملة(٤)

---

(١) سورة إبراهيم آية: (١٠)
(٢) التسهيل ٢ / ١٣٨
(٣) الكشاف ٥١٠/٢
(٤) التحرير والتنوير ٢٠٠/١٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١٦- قوله تعالى: (إنا كفيناك المستهزئين){١}

قال الإمام ابن جزى فى قوله تعالى:

(إنا كفيناك المستهزئين) يعني قوما من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي وكانوا خمسة الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن عبد المطلب والأسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس وقصة هلاكهم مذكورة في السير وقيل الذين قتلوا ببدر كأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعقبة بن معيط أي وغيرهم والأول أرجح لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة{٢}

الترجيح فى الميزان:

بالرجوع الى كتب السير والتاريخ ثبت أن هذا الترجيح صحيح وأن هذه الآية نازلة فى أشخاص كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرى أنها عامة فى كل مستهزئ، فالله عز وجل قد كفى نبيه المستهزئين بالإهلاك فى الدنيا وجهنم فى الآخرة وبئس القرار. قال الإمام عبد الرازق الصنعانى:

(إنا كفيناك المستهزئين) قال هم خمسة كلهم هلك قبل يوم بدر العاصي بن وائل والوليد بن المغيرة وأبو زمعة بن الأسود والحارث بن قيس أبن العيطلة والأسود بن عبد يغوث(٣)

قال ابن هشام فى السيرة النبوية:

ما فعل الله بالمستهزئين قال ابن اسحاق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جنبه فمر به الأسود بن المطلب فرمي في وجهه بورقة خضراء فعمي ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٥
(٢) التسهيل ٢ / ١٤٨
(٣) تفسير عبد الرزاق الصنعاني ٣٥٢/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بطنه فمات منه حبنا ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه ذلك قبل ذلك بسنين وهو يجر سبله وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل فأشار إلى اخمص رجله وخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبارقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته ومر به الحارث ابن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا فقتله(١)

قال ابن جرير: عن سعيد بن جبير في قوله إنا كفيناك المستهزئين قال هم خمسة رهط من قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأبو زمعة والأسود والحارث ابن عيطلة والأسود بن قيس

وعن سعيد بن جبير في قوله إنا كفيناك المستهزئين قال الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب والحارث ابن عيطلة

وعن عكرمة في قوله: إنا كفيناك المستهزئين قال هم خمسة كلهم هلك قبل بدر العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأبو زمعة بن عبد الأسود والحارث بن قيس والأسود بن عبد يغوث. (٢)

---

(١) السيرة النبوية ٢٥٧/٢
(٢) تفسير الطبري ٧١/١٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١٧- من هم الذين أوتوا العلم فى هذه الآية؟

قال الله تعالى: (ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين){١}

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: فيمن هم الذين أوتوا العلم

(قال الذين أوتوا العلم) هم الأنبياء والعلماء من كل أمة، وقيل: يعني الملائكة

واللفظ أعم من ذلك{٢}

الترجيح فى الميزان:

رجح الإمام ابن جزى رحمه الله فى هذه المسألة القول بالعموم وهو ترجيح قوى وسديد، نظرا لأن القاعدة تقول (حمل ألفاظ الوحى على العموم أولى من اختصاصه)

غير أن تفسير القرآن بالقرآن أولى فقد قال الله تعالى في موطن آخر "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون (٥٥) وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون (٥٦){٣} فالآية تدل على محاورة بين المجرمين ومن في مقبلهم وأراها مفسرة للآية التي معنا، والله أعلم

قال الزمخشرى: "قال الذين أوتوا العلم" هم الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم، فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم، يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه. وقيل: هم الملائكة.(٤)

---

(١) سورة النحل الآية ٢٧
(٢) التسهيل ٢ / ١٥١
(٣) الآيتان من سورة الروم
(٤) الكشاف ٥٦٣/٢، أبو السعود ١٠٨/٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال ابن الجوزى: قوله تعالى (قال الذين أوتوا العلم) فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الملائكة قاله ابن عباس.

والثاني: الحفظة من الملائكة قاله مقاتل.

والثالث: أنهم المؤمنون(١)

قال الإمام الرازى: "قال الذين أوتوا العلم" قال ابن عباس: يريد الملائكة.

وقال آخرون: هم المؤمنون يقولون حين يرون خزي الكفار يوم القيامة: إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين، والفائدة فيه أن الكفار كانوا ينكرون على المؤمنين في الدنيا فإذا ذكر المؤمن هذا الكلام يوم القيامة كان وقع هذا الكلام على الكافر وتأثيره في إيذائه أكمل وحصول الشماتة به أقوى.(٢)

١٨- قال تعالى: (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم)(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) الآية مثل لله تعالى وللأصنام كالذي قبله والمقصود منهما إبطال مذاهب المشركين وإثبات الوحدانية لله تعالى.

وقيل: إن الرجل الأبكم أبو جهل والذي يأمر بالعدل عمار بن ياسر والأظهر عدم التعيين{٤}

---

(١) زاد المسير ٤٤١/٤
(٢) الرازي ١٨/٢٠
(٣) سورة النحل الآية (٧٦)
(٤) التسهيل ٢ / ١٥٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح فى الميزان:

هذا ترجيح من الإمام ابن جزى مبنى كالمعتاد على القول بالعموم وعدم تعيين أفراد هم المختصون بهذا المثل، وكما هو مقرر في القواعد فإن القول بالعموم أولى

قال الإمام القرطبى: قوله تعالى: (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هذا مثل آخر ضربه الله تعالى لنفسه وللوثن فالأبكم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى قاله قتادة وغيره(١)

وقال الإمام ابن جرير: وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تعبد من دونه فقال تعالى ذكره وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئا ولا ينطق لأنه إما خشب منحوت وإما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه ولا دفع ضر عنه

وعن الضحاك ومجاهد.... كل هذا مثل إله الحق وما يدعى من دونه من الباطل (٢)

قال النحاس فى معانى القرآن: هذه الآية مشكلة وفيها أقوال:

قال مجاهد والضحاك هذا المثل لله جل ذكره ومن عبد من دونه وقال قتادة هذا المثل للمؤمن والكافر يذهب قتادة إلى أن العبد المملوك هو الكافر لأنه لا ينتفع في الآخرة بشيء من عبادته والى أن معنى "ومن رزقناه منا رزقا حسنا" المؤمن

وقال بعض أهل اللغة: القول الأول أحسن؛ لأنه وقع بين كلامين لا نعلم بين أهل التفسير اختلافا إلا من شذ منهم انهما لله جل وعز وهما "فلا تضربوا لله

---

(١) تفسير القرطبي ١٤٩/١٠

(٢) تفسير الطبري ١٥٠/١٤ - بتصرف يسير -

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأمثال " وبعده "وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه " يعني الوثن لأنه كل على من عنده ونقل.(١)

وقال السمرقندي: وقال السدي المثلان ضربهما الله لنفسه وللآلهة(٢)

وقال ابن الجوزى: وفيه قولان:

أحدهما: انه مثل للمؤمن والكافر (فالذي لا يقدر على شيء) هو الكافر لأنه لا خير عنده وصاحب الرزق هو المؤمن لما عنده من الخير هذا قول ابن عباس وقتادة

والثانى: أنه مثل ضربه الله تعالى لنفسه وللأوثان لأنه مالك كل شيء وهي لا تملك شيئا هذا قول مجاهد والسدي وذكر في التفسير أن هذا المثل ضرب بقوم كانوا في زمن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيهم قولان:

أحدهما: أن المملوك أبو الجوار وصاحب الرزق الحسن سيده هشام ابن عمرو رواه عكرمة عن ابن عباس وقال مقاتل المملوك أبو الحواجر

والثانى: أن المملوك أبو جهل بن هشام وصاحب الرزق الحسن أبو بكر الصديق(٣)

١٩- قال تعالى: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)(٤)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: فى قوله تعالى (والذين هم محسنون)

الإحسان هنا: يحتمل أن يراد به فعل الحسنات والمعنى الذي أشار له النبي بقوله الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا هو الأظهر لأنه رتبة فوق التقوى{٥}

---

(١) معاني القرآن ٩١/٤
(٢) تفسير السمرقندي ٢٨٣/٢
(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٤٧٢/٤
(٤) سورة النحل آية: (١٢٨)
(٥) التسهيل ٢ / ١٦٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح فى الميزان:

رجح الإمام ابن جزى ان المراد من الإحسان المذكور فى قوله تعالى (والذين هم محسنون) وأشار بذلك إلى الحديث المذكور فى البخارى فى معنى الإحسان، وهذا الترجيح صحيح لأنه يستند إلى قاعدة من قواعد الترجيح وهى (إذا صح الحديث وكان نصا فى أحد الأقوال فهو مرجح له على غيره)

وهنا قد ورد نص صريح وصحيح فى معنى الإحسان، وهو أداء العبادات بإخلاص وإتقان كأنى أرى الله. فمن ذلك ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده المتصل إلى أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال يا رسول الله ما الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الإحسان قال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها إذا ولدت المرأة ربتها فذاك من أشراطها وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) ثم انصرف الرجل فقال ردوا علي فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئا فقال هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم(١)

---

(١) صحيح البخاري -كتاب التفسير- باب (إن الله عنده علم الساعة)- ١٧٩٣/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢٠- قال الله تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا)(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

"يهدي للتي هي أقوم" أي الطريقة والحالة التي هي أقوم، وقيل: يعني لا إله إلا الله واللفظ أعم من ذلك{٢}

الترجيح فى الميزان:

هذا الترجيح مبناه على قاعدة العموم أيضا وهو صواب

وقد ورد في تفسير الثعلبى وأضواء البيان: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" أي الطريقة التي هي أسد وأعدل وأصوب(٣)

وقال السمعانى: قوله تعالى: ("إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) فيه قولان:

أحدهما: للكلمة التي هي أقوم، وأقوم أي: أعدل، والكلمة هي شهادة أن لا إله إلا الله.

والقول الثانى: قاله الزجاج ("يهدي للتي هي أقوم) أي: للحال التي هي أقوم، والحال التي هي أقوم: توحيد الله، واتباع رسله، وطواعيته في أوامره.(٤)

وقال البغوى وابن عادل: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) أي إلى الطريقة التي هي أصوب وقيل الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله(٥)

---

(١) سورة الإسراء آية: (٩)
(٢) التسهيل ٢ / ١٦٧
(٣) تفسير الثعلبي ٨٦/٦، أضواء البيان ١٧/٣
(٤) تفسير السمعاني ٢٢٢/٣
(٥) تفسير البغوي ١٠٧/٣، لباب التأويل ١٥١/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢١- قال تعالى: (ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا)(١)

قال ابن جزى رحمه الله فى قوله تعالى (وكان الإنسان عجولا) الإنسان هنا اسم جنس وفي الذي قبله، وقيل: يعني هنا آدم وهو بعيد{٢}

الترجيح فى الميزان:

قال ابن جزى المراد من الإنسان فى قوله (وكان الإنسان) جنس الإنسان وليس المراد آدم عليه السلام، وادعاء هذا القول فى الآية تخصيص بلا مخصص والأصل فى ألفاظ الوحى أنها على العموم.

قال ابن الجوزى: وفي المراد بالإنسان هاهنا ثلاثة اقوال:

أحدها: انه اسم جنس يراد به الناس قاله الزجاج وغيره

والثانى: آدم فاكتفى بذكره من ذكر ولده ذكره ابن الأنباري

والثالث: انه النضر بن الحارث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء قاله مقاتل(٣)

وقال النيسابورى: "وكان الإنسان عجولا" يستعجل بالعذاب مع أنه آتيه أو يتسرع إلى طلبه كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله معتقدا أن خيره فيه وإن كان ذلك عند التأمل مضرا له، وقيل: أراد بهذا الإنسان آدم(٤)

وفى تفسير مقاتل: وكان الإنسان عجولا [آية: ١١]، يعنى آدم، عليه السلام.(٥)

وقال أبو حيان:

وقال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي والضحاك ومقاتل والكلبي (الإنسان) هنا آدم وقال الأخفش (من عجل) لأن الله قال له كن فكان.

---

(١) سورة الإسراء: (١١)
(٢) التسهيل ٢ / ١٦٧
(٣) زاد المسير ١٣/٥
(٤) النيسابوري ٣٢٩/٤
(٥) تفسير مقاتل ٢٥١/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقيل: (الإنسان) هنا النضر بن الحارث والذي ينبغي أن تحمل الآية عليه هو القول الأول وهو الذي يناسب آخرها.(١)

٢٢- قال تعالى: (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا)(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة..) يحتمل هذا الهلاك وجهين:

أحدهما: أن يكون بالموت والفناء الذي لا بد منه.

والآخر: أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة فيهلكها وهذا أظهر لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به{٣}

الترجيح في الميزان:

والملاحظ من خلال النص أن الإمام ابن جزي رجح القول الثاني وهو أن الله يهلك القرية قبل يوم القيامة وليس المراد به الموت والفناء لأن الموت والفناء معلوم لكل أحد ولا يفتقر إلى إخبار عنه وهذا الترجيح صائب وموفق بدليل السياق القرآني حيث قال تعالى في آخر الآية (قبل يوم القيامة)، فهذا دليل على أن الإهلاك كائن في الدنيا، وقاعدة الترجيح تقول (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما) والقاعدة الثانية تقول: (القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه)

وقد ذكر الطبري هذا الرأي عن قتادة رضي الله عنه قال: قوله (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها) قضاء من الله كما تسمعون

---

(١) تفسير البحر المحيط ٢٩١/٦
(٢) سورة الإسراء آية: (٥٨)
(٣) التسهيل ٢ / ١٧٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ليس منه بد إما أن يهلكها بموت وإما أن يهلكها بعذاب مستأصل إذا تركوا أمره وكذبوا رسله (١)

وكذلك الإمام سفيان الثورى قال: عن مجاهد في قوله (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) قال مبيدوها(٢)

٢٣- قال تعالى: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

وما أوتيتم من العلم إلا قليلا خطاب عام لجميع الناس لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله، وقيل: خطاب لليهود خاصة والأول أظهر لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح{٤}

الترجيح فى الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن يكون الخطاب في قوله: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" عام لجميع الناس وهذا ترجيح مبني على قاعدة الترجيح وهي القول بالعموم (يجب حمل ألفاظ الوحي على العموم إلا بدليل يخصص).

وقد تأيد قول الإمام ابن جزي فيما ذهب إليه بقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله حيث قال:

"وأما قوله "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بقوله: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا"

---

(١) تفسير الطبري ١٠٦/١٥
(٢) تفسير سفيان الثوري ١٧٤/١
(٣) سورة الإسراء آية: (٨٥)
(٤) التسهيل ٢ / ١٧٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فقال بعضهم: عنى بذلك الذين سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الروح وجميع الناس غيرهم ولكن لما ضم غير المخاطب إلى المخاطب خرج الكلام على المخاطبة لأن العرب كذلك تفعل إذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب أخرجوا الكلام خطابا للجمع

وقال آخرون: بل عنى بذلك الذين سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الروح خاصة دون غيرهم

وعن قتادة: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) يعني: اليهود

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطابا لمن خوطب به والمراد به جميع الخلق لأن علم كل أحد سوى الله وإن كثر في علم الله قليل وإنما معنى الكلام وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا قليلا من كثير مما يعلم الله (١) - والله أعلم -

٢٤- قال تعالى: (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا)(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (إن يظهروا عليكم يرجموكم) أي إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة وقيل المعنى يرجموكم بالقول والأول أظهر{٣}

الترجيح فى الميزان:

رجح ابن جزي رحمه الله أن معنى (يرجموكم) يقتلوكم بالحجارة، وهذا الترجيح اعتمد فيه ابن جزي على قاعدة (حمل كلام الله على الغالب من اسلوب القرآن ومعهود استعماله) فالغالب والمشهور أن لفظ الرجم يراد به الرجم

---

(١) تفسير الطبري ١٥٧/١٥
(٢) سورة الكهف آية: (٢٠)
(٣) التسهيل ٢ / ١٨٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بالحجارة إلا إذا قام دليل يقيد الرجم بأنه رجم بالكلام أو بغيره، لأن كلمة الرجم عند الإطلاق يراد منها الرجم بالحجارة وقد أيده فيما ذهب إليه مقاتل بن سليمان حيث قال: (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم)، يعنى يقتلوكم (١).

وحكى الإمام القرطبى ترجيح الزجاج لهذا القول أيضا فقال: (إنهم ان يظهروا عليكم يرجموكم) قال الزجاج: معناه بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل: يرموكم بالسب والشتم والأول أصح لأنه كان عازما على قتلهم كما تقدم في قصصهم والرجم فيما سلف هي كانت على ما ذكر قبله عقوبة مخالفة دين الناس إذ هي أشفى لجملة أهل ذلك الدين من حيث إنهم يشتركون فيها (٢)

وكذلك الشنقيطي قال: يرجموهم بالحجارة، وذلك من أشنع أنواع القتل.

وقيل: يرجموهم بالشتم والقذف (٣).

وقال بالرأى الآخر الإمام ابن جرير الطبري قال: وقوله: (إنهم إن يظهروا عليكم) أي: إن يعلموا عليكم فيعلموا مكانكم يرجموكم شتما بالقول

وعن ابن جريج في قوله: (إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم) قال: يشتموكم بالقول يؤذوكم (٤)

وأرى أن القذف باللسان قد يكون أشد على الإنسان من القذف بالحجارة وعليه فإني أرى أن الآية أعم من ذلك. والله أعلم.

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨٤
(٢) تفسير القرطبي ٣٧٥/١٠
(٣) أضواء البيان ٢٥٠/٣
(٤) الطبري ٢٢٤/١٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢٥- قوله تعالى: (إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى)(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

(فاخلع نعليك) قيل: إنما أمر بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار ميت فأمر بخلع النجاسة

واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب ويعظم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله وهذا أحسن {٢}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله القول الثاني وهو أن الله عز وجل أمر موسى بخلع نعليه لتعظيم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله وهذا ترجيح مبني على قاعدة (القول الذي يعظم مقام النبوة ولا ينسب لها ما لا يليق أولى بتفسير الآية) وقاعدة (كل قول طعن في عصمة النبوة ومقام الرسالة فهو مردود) وهذا ما رجحه الطبري رحمه الله فهو حيث قال:

قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي إذ كان واديا مقدسا

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة وإن في قوله إنك بالواد المقدس بعقبه دليلا واضحا على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا (٣)

وأرى أن الصواب من القول هو ما ذكره الإمام ابن جزي رحمه الله في هذه المسألة حيث إنه تفويض للنص القرآني وهو أصوب من التأويلات التي لم يرد فيها نص ثابت - والله أعلم -

---

(١) سورة طه آية: (١٢)
(٢) التسهيل ٣ / ١٠
(٣) تفسير الطبري ١٤٣/١٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢٦- قوله تعالى: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس) الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه كأنه يقول: لولا القتال والجهاد لاستولى الكفار على المسلمين وذهب الدين.

وقيل: المعنى لولا دفع ظلم الظلمة بعدل الولاة والأول أليق بسياق الآية{٢}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي -رحمه الله- أن الآية تقوية للإذن في القتال وإظهار للمصلحة التي فيه وهذا الترجيح هو الذي يتناسب مع سياق الآية ويتناسب مع السابق واللاحق حيث إن الآيات السابقة واللاحقة تتحدث عن الإذن بالقتال والدفاع وقاعدة الترجيح تقول (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما) والقاعدة الثانية تقول: (القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه) وسأذكر أقوال المفسرين منهم:

قال أبو حيان: (ولولا دفع الله الناس) الآية فيها تحريض على القتال المأذون فيه قبل، وأنه تعالى أجرى العادة بذلك في الأمم الماضية بأن ينتظم به الأمر وتقوم الشرائع وتصان المتعبدات من الهدم وأهلها من القتل والشتات، وكأنه لما قال (أذن للذين يقاتلون) قيل: فليقاتل المؤمنون، فلولا القتال لتغلب على الحق في كل أمة وانظر إلى مجيء قوله: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) لفسدت الأرض إثر قتال طالوت لجالوت، وقتل داود جالوت. وأخبر تعالى أنه لولا ذلك الدفع فسدت الأرض فكذلك هنا.

---

(١) سورة الحج آية: ٤٠.
(٢) التسهيل ٣ / ٤١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال عليّ بن أبي طالب: ولولا دفع الله بأصحاب محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم، وأخذ الزمخشري قول عليّ وحسنه وذيل عليه فقال: دفع الله الناس ببعض إظهاره وتسليط المؤمنين منهم على الكافرين بالمجاهدة، ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع، ولا لليهود صلوات، ولا للمسلمين مساجد، ولغلب المشركون في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم، وهدموا متعبدات الفريقين انتهى.

وقال مجاهد: "ولولا دفع الله" ظلم قوم بشهادات العدول ونحو هذا. وقال قوم (دفع) ظلم الظلمة بعدل الولاة. وقالت فرقة (دفع) العذاب بدعاء الأخيار. وقال قطرب: بالقصاص عن النفوس. وقيل: بالنبيين عن المؤمنين. وقال الحسن: لولا أمان الإسلام لخربت متعبدات أهل الذمة، ومعنى الدفع بالقتال أليق بالآية وأمكن في دفع الفساد.(١)

وقال الطبري: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين.

وعن ابن جريج قوله "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض" دفع المشركين بالمسلمين

وقال آخرون: معنى ذلك ولولا القتال والجهاد في سبيل الله قاله ابن زيد

وقال آخرون: بل معنى ذلك ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمن بعدهم من التابعين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك لولا أن الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوق تكون لبعض.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفعه الناس بعضهم ببعض لهدم ما ذكر من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٣٤٧/٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

كفه المشركين بالمسلمين عن ذلك ومنه كفه ببعضهم التظالم كالسلطان الذي كف به رعيته عن التظالم بينهم ومنه كفه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق ونحو ذلك.

وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض لولا ذلك لتظالموا فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعهم وما سمى جل ثناؤه.

ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل على أنه عني من ذلك بعضا دون بعض ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له فذلك على الظاهر والعموم(١)

وقال القرطبي: أي لولا هذا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد عليه السلام المساجد (لهدمت) من هدمت البناء أي نقضته فانهدم قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل في تأويل الآية(٢)

والذي أقول: إن حمل الآية على العموم أولى من قصرها على معنى دون آخر والله أعلم.

٢٧- قوله تعالى: (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين)(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قوله تعالى: (رزقا حسنا) يحتمل: أن يريد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة أو رزق الشهداء في البرزخ والأول أرجح لأنه يعم الشهداء والموتى{٤}

---

(١) تفسير الطبري ١٧٤/١٧
(٢) قال القرطبي ٧٠/١٢
(٣) سورة الحج آية: ٥٨
(٤) التسهيل ٣ / ٤٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن قوله تعالى: (رزقا حسنا) يريد به الرزق في الجنة بعد يوم القيامة وهو ترجيح يتوافق مع قاعدة الترجيح التي تقول (أن يكون القول قول أئمة التفسير وجمهور السلف) فقد ذهب إلى ما رجحه ابن جزي كثير من المفسرين قال الطبري رحمه الله قال:

يقول تعالى ذكره والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك ليرزقنهم الله يوم القيامة في جناته رزقا حسنا يعني بالحسن الكريم وإنما يعني بالرزق الحسن الثواب الجزيل ينفق منه سرا وجهرا (فأثابه الله الجنة على ذلك) (١)

وكذلك الثعلبي قال:

(ليرزقنهم الله رزقا حسنا) في الجنة (وإن الله لهو خير الرازقين) وقيل: هو قوله سبحانه (بل أحياء عند ربهم يرزقون) ثم قرأ (قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) في الجنة (٢)

وقال البغوي: والرزق الحسن الذي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة (٣) وقال الرازي: لا شبهة في أن الرزق الحسن هو نعيم الجنة لأنه تعالى جعله جزاء على هجرتهم في سبيل الله بعد القتل والموت وبعدهما لا يكون إلا نعيم الجنة.(٤)

---

(١) الطبري ١٩٤/١٧
(٢) تفسير الثعلبي ٣١/٧، الواحدي ٧٣٩/٢
(٣) تفسير البغوي ٢٩٥/٣، تفسير البحر المحيط ٣٥٤/٦
(٤) الرازي ٥٠/٢٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢٨- قوله تعالى: (قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون)(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى "مستمعون" لفظه جمع وورد مورد تعظيم الله تعالى.

ويحتمل: أن تكون الملائكة هي التي تسمع بأمر الله لأن الله لا يوصف بالاستماع وإنما يوصف بالسمع والأول أحسن وتأويله أن في الاستماع اعتناء واهتماما بالأمر ليست في صفة سامعون{٢}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن قوله تعالى: (مستمعون) لفظه جمع وورد مورد تعظيم الله تعالى وهذا ترجيح سديد وقوي وموفق مبني على قاعدة الترجيح التي تقول (يجب حمل كلام الله تعالى على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله) فقوله مستمعون جمع أريد به التعظيم لله تعالى كما قال في سورة الحجر (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)(٣) فلله تعالى أن يعظم نفسه بما شاء وليس ذلك لأحد من خلقه.

قال الشنقيطي: صيغة الجمع في قوله: (إنا معكم مستمعون)، للتعظيم(٤)

وقال البغوي: "فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون" سامعون ما يقولون ذكر معكم بلفظ الجمع وهما اثنان أجراهما مجرى الجماعة وقيل أراد معكما ومع بني إسرائيل نسمع ما يجيبكم فرعون (٥)

وقال صاحب لباب التأويل: "فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون" أي سامعون ما تقولون وما يقال لكم. فإن قلت: كيف ذكرهم بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان.

---

(١) سورة الشعراء آية: ١٥
(٢) التسهيل ٣ / ٨٣
(٣) سورة الحجر آية: ٩
(٤) أضواء البيان ٨٧/٦
(٥) تفسير البغوي ٣٨٢/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قلت: أجراهما مجرى الجماعة, وهو جائز في لغة العرب (١)

وقال أبو السعود في تفسيره: وقوله تعالى: (إنا معكم مستمعون) تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى إنني معكما أسمع

وقيل: أجريا مجرى الجماعة ويأباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية أي سامعون ما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه (٢)

٢٩- قوله تعالى: (أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الأخسرون)(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

سوء العذاب يعني في الدنيا وهو القتل يوم بدر ويحتمل أن يريد عذاب الآخرة والأول أرجح لأنه ذكر الآخرة بعد ذلك{٤}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن المراد ب(سوء العذاب) يعني: في الدنيا هو القتل يوم بدر وهذا ترجيح اعتمد فيه ابن جزي على قرائن السياق والقاعدة تقول: (القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه) والقرينة هنا قول الله في آخر الآية (وهم في الآخرة هم الأخسرون) فهذه قرينة تبين أن سوء العذاب الذي أصابهم إنما كان في الدنيا يوم بدر

وقد رجح ابن عاشور هذا القول قال رحمه الله: والظاهر أن المراد به عذاب الدنيا وهو عذاب السيف وخزي الغلب يوم بدر (٥)

---

(١) لباب التأويل ١١٥/٥، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ١٢/١٥، تفسير الجلالين ٤٨٠/١
(٢) تفسير أبو السعود ٢٣٧/٦
(٣) سورة النمل آية: ٥
(٤) التسهيل ٣ / ٩١
(٥) التحرير والتنوير ٢٢٢/١٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الثعلبي: (أولئك الذين لهم سوء) شدة (العذاب) في الدنيا القتل والأسر بيده.(١)

وقال أبو حيان: (سوء العذاب): الظاهر أنه ليس مقيدا بالدنيا، بل لهم ذلك في الدنيا والآخرة. وقيل: المعنى في الدنيا، وفسر بما نالهم يوم بدر من القتل والنهب. وقيل: ما ينالونه عند الموت وما بعده من عذاب القبر. وسوء العذاب: شدته وعظمه

وبهذا أرى صحة ما ذهب إليه ابن جزي والله أعلم.

٣٠- قوله تعالى: (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

ويحتمل قوله: (لا يوقنون) بخروج الدابة، ولا يوقنون بالآخرة وأمور الدين وهذا أظهر{٣}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن يكون معنى (لا يوقنون) أي: لا يوقنون بالآخرة وأمور الدين وهذا الذي رجحه ابن جزي رحمه الله قد أصاب فيه وتؤيده القاعدة الترجيحية التي تقول (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل)

والظاهر من الآيات هنا أنها أمور الدين والآخرة وما يتعلق بها

وقد أيد الزجاج ما قاله ابن جزي.

---

(١) تفسير الثعلبي ١٨٩/٧
(٢) سورة النمل آية: ٨٢
(٣) التسهيل ٣ / ١٠٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الزجاج: ومن أحسن ما قيل فيه أن المعنى لا يوقنون بالوعيد وما أعد الله جل وعز من العذاب للكفار يوم القيامة فهم يكفرون ويعصون لأنهم لا يوقنون بعذاب ذلك (١)

وقال ابن أبي حاتم: عن ابن عباس قوله: دابة من الأرض تكلمهم يقول: تحدثهم - وروي عن قتادة مثل ذلك

عن الحسن قال: تخرج دابة الأرض اذا فسد الناس، ولهم دابة تكلمهم كلاما.

وعن عطاء: واما دابة الأرض فكلامها يعني اياهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون. (٢)

وقال مقاتل: (كانوا بئاياتنا) يعنى بخروج الدابة (لا يوقنون) (٣)

٣١- قوله تعالى: (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون)(٤)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

(أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) هذا رد عليهم فيما طلبوه والمعنى أنهم كفروا بما أوتي موسى فلو آتينا محمدا مثل ذلك لكفروا به (من قبل) على هذا يتعلق بقوله (أوتي موسى)

ويحتمل: أن يتعلق بقوله (أولم يكفروا) إن كانت الآية في بني إسرائيل والأول أحسن{٥}

---

(١) إعراب القرآن للزجاج ٢٦٠/٤
(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٢٩٢٦/٩
(٣) تفسير مقاتل ٤٨٥/٢
(٤) سورة القصص آية: ٤٨
(٥) التسهيل ٣ / ١٠٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن قوله تعالى: (ومن قبل) يتعلق بقوله (أوتي موسى) وهذا ترجيح سديد اعتمد فيه الإمام ابن جزي على قاعدة (القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير) فبنو اسرائيل كفروا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وقد كفروا من قبل بما أوتي موسى فهذا هو الترتيب الأليق بسياق النظم الكريم

وقال السمرقندي: يقول الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) يعني بالتوراة فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد - صلى الله عليه وسلم - (قالوا سحران تظاهرا) يعني تعاونا وذلك أن أهل مكة سألوا اليهود عنه فأخبروهم أنهم يجدون في كتبهم نعته وصفته فأمروهم بأن يسألوه عن أشياء فلما أجابهم قالوا "ساحران تظاهرا"(١)

وقال الإمام الألوسي: وقوله تعالى: (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) رد عليهم وإظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم إلى الحق (ومن قبل) متعلق بيكفروا وتعلقه بأوتي لا يظهر له وجه لائح إذ هو تقييد بلا فائدة لأنه معلوم أن ما أوتي موسى عليه السلام من قبل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أو من قبل هؤلاء الكفرة نعم أمر الرد عليه على حاله أي ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتي موسى عليه السلام كما كفروا بهذا الحق (٢)

وقال البيضاوي: "فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى" من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا "أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل" يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى أو كان فرعون عربيا من أولاد عاد (قالوا سحران) يعني موسى وهارون أو موسى ومحمدا عليهما السلام (تظاهرا) تعاونا بأظهار تلك الخوارق

---

(١) تفسير السمرقندي ٦١١/٢
(٢) روح المعاني ٩١/٢٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أو بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون (سحران) بتقدير مضاف أو اسناد تظاهرهما إلى فعلهما مبالغة أو جعلهما سحرين دلالة على فعلهما على سبب الاعجاز وقرئ ظاهرا (وقالوا إنا بكل كافرون) أي بكل منهما أو بكل الأنبياء (١)

٣٢- قوله تعالى: (قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون)(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون) هذا رد عليه في اغتراره بالدنيا وكثرة جمعه للمال، أو جمعه للخدم والأول أظهر{٣}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن معنى الآية بيان اغتراره بالدنيا وكثرة جمعه للمال وبهذا قال جمع من المفسرين وهذا الترجيح قوي وصائب حيث تؤيده قاعدة الترجيح التي تقول (القول الذي تؤيده قرائن السياق مقدم على غيره) فالآية تتحدث عما أوتي قارون من مال وصرف الكلام إلى غير المحدث عنه لا يجوز إلا بدليل والذي يؤيد ذلك قوله تعالى (قال إنما أوتيته على علم..) يقصد المال.

قال الواحدي: تعالى (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) للمال منه(٤)

---

(١) تفسير البيضاوي ٢٩٦/٤
(٢) سورة القصص آية: ٧٨
(٣) التسهيل ٣ / ١١٠
(٤) تفسير الواحدي ٨٢٥/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال كثير من المفسرين: وقوله: (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أي: للمال (١).

قال الرازي: أما قوله: (وأكثر جمعا) فالمعنى أكثر جمعا للمال أو أكثر جماعة وعددا، وحاصل الجواب أن اغتراره بماله وقوته وجموعه من الخطأ العظيم، وأنه تعالى إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك ولا يزيد عليه أضعافا (٢).

وقال القرطبي: (من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أي: للمال ولو كان المال يدل على فضل لما أهلكهم وقيل: القوة الآلات والجمع الأعوان والأنصار والكلام خرج مخرج التقريع من الله تعالى لقارون أي أو لم يعلم قارون (أن الله قد أهلك من قبله من القرون) (٣)

قال البيضاوي: (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لأنه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ أو رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم عنه أي أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين (٤)

---

(١) تفسير السمعاني ١٥٧/٤، تفسير البغوي ٣٥٥/٤، الكشاف ٤٣٥/٣
(٢) التفسير الكبير ١٥/٢٥
(٣) القرطبي ٣١٦/١٣
(٤) تفسير البيضاوي ٣٠٤/٤، تفسير أبو السعود ٢٥/٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٣٣- قوله تعالى: (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين)(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) الرسل هنا: الملائكة

والبشرى: بشارة إبراهيم بالولد وهو قوله: (فبشرناه بغلام حليم)(٢)، أو بشارته بنصر سيدنا لوط والأول أظهر{٣}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن البشرى هي بشارة إبراهيم بالولد وهذا ترجيح سديد تؤيده قاعدة: (تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحى حجة على غيرهم) وبالرجوع لآراء المفسرين ألفيت هذا الرأي هو الراجح عندهم قال الإمام السمرقندي: قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) يعني بالبشارة بالولد (٤)

وقال الإمام البيضاوي: (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) بالبشارة بالولد والنافلة (٥)

وقال الإمام النسفي: (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) بالبشارة لإبراهيم بالولد والنافلة يعني إسحاق ويعقوب (٦)

وقال الإمام الشوكاني: (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) أي: بالبشارة بالولد وهو إسحاق وبولد الولد وهو يعقوب (٧)

---

(١) سورة العنكبوت آية: ٣١
(٢) سورة الصافات آية: ١٠١
(٣) التسهيل ٣ / ١١٥
(٤) تفسير السمرقندي ٦٣٢/٢
(٥) تفسير البيضاوي ٣١٤/٤، تفسير أبو السعود ٣٨/٧
(٦) تفسير النسفي ٢٥٧/٣، لباب التأويل ١٩٢/٥
(٧) فتح القدير للشوكاني ٢٠١/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وبهذا أرى أن القول المقبول هو بشارة إبراهيم بالولد بدليل قوله تعالى (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم)(١) وقوله تعالى: (فبشرناه بغلام حليم) وإن كان لا مانع من أن تشمل البشارة غير الولد والله أعلم

٣٤- قوله تعالى: (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور)(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (من كان يريد العزة) الآية تحتمل ثلاثة معان:

أحدها وهو الأظهر: من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله فإن العزة كلها لله.

والثاني: من كان يريد العزة بمغالبة الإسلام فلله العزة جميعا فالمغالب له مغلوب.

والثالث: من كان يريد أن يعلم لمن العزة فليعلم أن العزة لله جميعا{٣}

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن معنى الآية: من كان يريد نيل العزة فليطلبها من عند الله فإن العزة كلها لله. القول الأول الذي رجحه ابن جزي قول قوي وموفق اعتمد فيه ابن جزي على القاعدة التي تقول (لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل) وقاعدة الترجيح التي تقول (القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار) وعلى القول الذي رجحه ابن جزي رحمه الله لا نحتاج إلى تقدير وهو الأولى في ألفاظ الوحي.

---

(١) سورة الذاريات آية: ٢٩
(٢) سورة فاطر آية: ١٠
(٣) التسهيل ٣ / ١٥٤
تفريغ صفحات ٥١٧-٥٦٤ — «ترجيحات الإمام ابن جزي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل - دراسة وتقويم»

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الطبري رحمه الله: اختلف أهل التأويل في معنى قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا فقال بعضهم: معنى ذلك: من كان يريد العزة بعبادة الآلهة والأوثان فإن العزة لله جميعا عن مجاهد في قول الله من كان يريد العزة يقول من كان يريد العزة بعبادة الآلهة فإن العزة لله جميعا

وقال آخرون معنى ذلك: من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله

عن قتادة قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا يقول فليتعزز بطاعة الله

وقال آخرون: بل معنى ذلك من كان يريد علم العزة لمن هي فإنه لله جميعا كلها أي كل وجه من العزة فلله

والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزة فبالله فليتعزز فلله العزة جميعا دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لأن الآيات التي قبل هذه الآية جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان وتوبيخه إياهم ووعيده لهم عليها فأولى بهذه أيضا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك فكانت قصتها شبيهة بقصصها(؟) وكانت في سياقها(١)

وقال السمرقندي: (قوله عز وجل) من كان يريد العزة فلله العزة جميعا يعني من طلب العزة بعبادة الأوثان فليتعزز بطاعة الله عز وجل فإن العزة لله جميعا

يقول من يتعزز بإذن الله ويقال معناه من كان يريد أن يعلم لمن تكون العزة فليعلم بأن العزة لله جميعا

ويقال من كان يطلب لنفسه العزة فإن العزة لله جميعا(٢)

وقال ابن عطية: وقوله تعالى: (من كان يريد العزة) يحتمل ثلاثة معان:

---

(١) تفسير الطبري ١١٩/٢٢، معاني القرآن للزجاج ٤٣٩/٥
(٢) تفسير السمرقندي ٩٥/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أحدها: أن يريد: (من كان يريد العزة) بمغالبة (فلله العزة) أي: ليست لجزء(؟) ولا تتم إلا لله وهذا المغالب مغلوب ونحا إليه مجاهد وقال: (من كان يريد العزة) بعبادة الأوثان، وهذا تمسك بقوله تعالى: (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا)(١)

والمعنى الثاني (من كان يريد العزة) وطريقها القويم ويجب نيلها على وجهها (فلله العزة) أي به وعن أوامره لا تنال عزته إلا بطاعته ونحا إليه قتادة.

والمعنى الثالث وقاله الفراء (من كان يريد) علم العزة (فلله العزة) أي هو المتصف بها(٢)

وبذلك بعد عرض الأقوال أرى رجحان ما ذهب إليه الإمام ابن جزي رحمه الله والله أعلم.

---

٤٥ قوله تعالى: وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ(٣)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون معنى المشحون: المملوء والفلك هنا يحتمل أن يريد به جنس السفن أو سفينة نوح عليه السلام، وأما الذرية فقيل: إنه يعني الآباء الذين حملهم الله في سفينة نوح عليه السلام وسمى الآباء ذرية لأنها تناسلت منهم وأنكر ابن عطية ذلك وقال: إنه يعني النساء وهذا بعيد.
والأظهر: أنه أراد بالفلك جنس السفن فيعني بني آدم وإنما خص ذريتهم بالذكر لأنه أبلغ في الامتنان عليهم ولأن فيه إشارة إلى حمل أعقابهم إلى يوم القيامة وإن أراد بالفلك سفينة نوح فيعني بالذرية من كان في السفينة وسماهم
(١) سورة مريم: ٨١
(٢) المحرر الوجيز ٤٣١/٤
(٣) سورة يس آية: ٤١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ذرية لأنهم ذرية آدم ونوح فالضمير في ذريتهم على هذا النوع بني آدم كأنه يقول الذرية منهم(١)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن معنى المشحون: المملوء وأنه أراد بالفلك جنس السفن فيعني بني آدم وهذا الترجيح سديد وموفق ومبني على قاعدة الترجيح التي تقول (يجب حمل ألفاظ الوحي على العموم حتى يرد دليل على التخصيص) قلت: وتخصيص السفينة بأنها سفينة نوح وأن الذرية من كانوا معه تخصيص بلا مخصص والأولى أن يكون جنس السفن وجنس الذرية.

قال الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره ودليل لهم أيضا وعلامة على قدرتنا على كل ما نشاء حملنا ذريتهم يعني من نجا من ولد آدم في سفينة نوح وإياها عنى جل ثناؤه بالفلك المشحون والفلك هي السفينة والمشحون المملوء الموقر

فعن ابن عباس قوله أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون يقول الممتلئ

وعن قتادة قوله وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون الموقر يعني سفينة نوح(٢)

وقال الماوردي: "أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون"

فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن الذرية الآباء حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام، قاله أبان بن عثمان، وسمى الآباء ذرية لأن منهم ذرء الأبناء.

الثاني: أن الذرية الأبناء والنساء لأنهم ذرء الآباء حملوا في السفن، والفلك هي السفن الكبار، قاله السدي.

---

(١) التسهيل ٣ / ١٦٣
(٢) الطبري ٢٣/٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الثالث: أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون، قاله علي رضي الله عنه.(١)

وقال أبو حيان: و(الفلك)، اسم جنس من عليهم بذلك. وكون الفلك مرادا به الجنس. قاله ابن عباس أيضا، ومجاهد والسدي ومن مثله الإبل وسائر ما يركب

وقيل: الضميران مختلفان. أي: ذرية القرون الماضية قاله علي بن سليمان وكان آية لهؤلاء، إذ هم نسل تلك الذرية.

وقيل: الذرية: النطف، و(الفلك المشحون) بطون النساء. ذكره الماوردي ونسب إلى علي بن أبي طالب. وهذا لا يصح، لأنه من نوع تفسير الباطنية، وغلاة المتصوفة الذين يفسرون كتاب الله على شيء لا يدل عليه اللفظ بجهة من جهات الدلالة، يحرفون الكلم عن مواضعه. ويدل على أنه أريد ظاهر الفلك قوله (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) يعني: الإبل والخيل والبغال والحمير. والمماثلة في أنه مركوب مبلغ للأوطان فقط. هذا إذا كان الفلك جنسا، وأما إن أريد به سفينة نوح فالمماثلة تكون في كونها سفنا مثلها، وهي الموجودة في بني آدم ويبعد قول من قال "الذرية في الفلك: قوم نوح في سفينته والمثل: الأجل وما يركب".(٢)

---

(١) النكت والعيون للماوردي ١٩/٥
(٢) تفسير البحر المحيط ٣٢٣/٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ما المراد بقوله "وأنزل لكم من الأنعام"؟

قوله تعالى: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

وأما (أنزل) ففيه ثلاثة أوجه:

الأول: أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها

الثاني: أن معنى أنزل قضى وقسم فالإنزال عبارة عن نزول أمره وقضائه

الثالث: أنه أنزل المطر الذي ينبت به النبات فتعيش منه هذه الأنعام فعبر عن إنزالها بإنزال أرزاقها وهذا بعيد(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن الله خلق أول هذه الأزواج في السماء ثم أنزلها إلى الأرض وهذا ما قال به القرطبي والشوكاني وغيرهم من المفسرين

وهذا الترجيح هو أقرب إلى الصواب من غيره وذلك لأنه قال به جمع كبير من المفسرين بالإضافة إلى أنه هو المتبادر إلى الذهن من سياق الآية والقاعدة الترجيحية تقول: (يجب حمل كلام الله تعالى على الحقيقة ولا يصار إلى المجاز إلا بدليل صحيح)

قال القرطبي: (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) أخبر عن الأزواج بالنزول لأنها تكونت بالنبات والنبات بالماء المنزل وهذا ما يسمى التدريج ومثله قوله تعالى: قد أنزلنا عليكم لباسا الآية.

وقيل: أنزل أنشأ وجعل وقال سعيد بن جبير: خلق وقيل: إن الله تعالى خلق هذه الأنعام في الجنة ثم أنزلها إلى الأرض(١). [كذا ترقيم الهامش في الأصل، وبيانه في هامش الصفحة التالية]

---

(١) سورة الزمر آية: ٦
(٢) التسهيل ٣ / ١٩٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الشوكاني: (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) وهو معطوف على خلقكم وعبر بالإنزال لما يروى أنه خلقها في الجنة ثم أنزلها فيكون الإنزال حقيقة ويحتمل أن يكون مجازا لأنها لم تعش إلا بالنباتات والنبات إنما يعيش بالماء الماء منزل من السماء فكانت الأنعام كأنها منزلة لأن من السماء نزل سببها

وقيل: إن أنزل بمعنى أنشأ وجعل أو بمعنى أعطى. وقيل: جعل الخلق إنزالا لأن الخلق إنما يكون بأمر ينزل من السماء والثمانية الأزواج هي ما في قوله: (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين)، (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) ويعني بالاثنين في الأربعة المواضع الذكر والأنثى(٢)

وبذلك يتبين أن القول الذي رجحه ابن جزي هو أعدل الأقوال وأصوبها وأقربها إلى القبول لصحة معناها وعدم التأويل فيها لأن الأصل عدم التأويل إلا إذا اضطررنا إليه إلا عند الضرورة.

قوله تعالى: قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(٣)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
قوله تعالى: (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يحتمل: أن يتعلق (في هذه الدنيا) (بأحسنوا) والمعنى: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة
أو يتعلق بحسنة، والحسنة على هذا حسن الحال والعافية في الدنيا والأول أرجح(٤)
(١) تفسير القرطبي ٢٣٥/١٥
(٢) فتح القدير ٤٥٠/٤
(٣) سورة الزمر آية: ١٠
(٤) التسهيل ٣ / ١٩١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن معنى قوله تعالى: (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يحتمل: أن يتعلق قوله (في هذه الدنيا) ب(أحسنوا) والمعنى: الذين أحسنوا في الدنيا لهم حسنة في الآخرة وهذا الترجيح هو الذي يناسب سياق الآية الكريمة وتؤيده آيات أخر والقاعدة الترجيحية تقول (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) فالحسنة في هذه الدنيا من حسن الحال والعافية والحسنة في الآخرة الجنة ورؤية الله عز وجل قال تعالى: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(١)

وقد رجح الزجاج هذا المعنى فقال: قوله جل وعز (للذين أحسنوا في هذه الدنيا) الحسنة الجنة، وقيل: المعنى لهم حسنة في الدنيا أي ثناء حسن وطمأنينة بما لهم(٢)

قال العز بن عبد السلام: (حسنة) في الآخرة وهي الجنة، أو في الدنيا زيادة على ثواب الآخرة وهو ما رزقهم من خير الدنيا أو العافية والصحة أو طاعة الله في الدنيا وجنته في الآخرة، أو الظفر والغنيمة(٣)

وقال صاحب اللباب: (للذين أحسنوا) أي: آمنوا وأحسنوا العمل في الدنيا حسنة في الآخرة أي في دخول الجنة، والتنكير في "حسنة" للتعظيم أي حسنة لا يصل العقل إلى كنه كمالها، قاله مقاتل. ويحتمل أن يكون صلة لقوله: "حسنة" وعلى هذا قال السدي: معناه في هذه الدنيا حسنة يريد الصحة.

وقال بعضهم: الأول أولى لوجوه:

---

(١) سورة يونس آية: ٢٦
(٢) معاني القرآن ١٦٠/٦، النكت والعيون ١١٨/٥
(٣) تفسير العز بن عبد السلام ٩٥/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أحدها: أن التنكير يفيد النهاية في التعظيم والرفعة، وذلك لا يليق بأحوال الدنيا لأنها خسيسة منقطعة وإنما يليق بأحوال الآخرة.

وثانيها: أن الثواب للتوحيد والأعمال الصالحة إنما يحصل في الآخرة، وأما الأمن والصحة والكفاية فحاصل للكافر أكثر من حصولها للمؤمنين كما قال - عليه (الصلاة و) السلام -: "الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ."

وقال تعالى: لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ(١)

وثالثها: قوله: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) يفيد الحصر، ومعناه أن حسنة هذه الدنيا لا تحصل إلا للذين أحسنوا وهذا باطل، أما لو حملنا هذه الحسنة على حسنة الآخرة صح هذا الحصر فكان حمله على حسنة الآخرة أولى(٢).

قوله تعالى: فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قال إنما أوتيته على علم يحتمل وجهين:

أحدهما وهو الأظهر: أن يريد على علم مني بالمكاسب والمنافع

والآخر: على علم الله باستحقاقي لذلك(٤)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن معنى قوله تعالى: (على علم) أي: على علم مني بالمكاسب والمنافع وهذا ترجيح اعتمد فيه ابن جزي على سابق

---

(١) [الزخرف: ٣٣].
(٢) اللباب ٤٨٦/١٤
(٣) سورة الزمر آية: ٤٩
(٤) التسهيل ٣ / ١٩٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الآيات ولاحقها حيث قال الله: ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا فسابق الآية يدل على أن الله هو المنعم على خلقه فسابق الآيات ولاحقها يدل على صحة ما رجحه ابن جزي والقاعدة الترجيحية تقول: (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل)

وبالرجوع لكتب التفسير وجدت على ترجيح هذا القول أكثرهم ومنهم:

الإمام الشوكاني قال رحمه الله: قال إنما أوتيته على علم (مني بوجوه المكاسب أو على خير عندي أو على علم من الله بفضلي وقال الحسن على علم علمني الله إياه.

وقيل: قد علمت أني إذا أوتيت هذا في الدنيا أن لي عند الله منزلة وجاء بالضمير في أوتيته مذكرا مع كونه راجعا إلى النعمة لأنها بمعنى الإنعام وقيل إن الضمير عائد إلى ما وهي موصولة والأول أولى(١)

ورجح الزجاج رأيا آخر قال: وقوله جل وعز "قال إنما أوتيته على علم عندي

والمعنى: إنما أوتيته على علم فيما أرى، فأما ما روي أنه كان يعمل الكيمياء فلا يصح

وقيل: المعنى على علم بالوجوه التي تكسب منها الأموال وترك الشكر

وقال ابن زيد: قال أي قارون لولا رضى الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا، وهذا أولاها يدل عليه ما بعده(٢).

وقال الطبري: يقول تعالى ذكره قال قارون لقومه الذين وعظوه إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي علمه الله مني فرضي بذلك عني وفضلني بهذا المال عليكم لعلمه بفضلي عليكم(٣)

---

(١) فتح القدير ٤٦٩/٤
(٢) معاني القرآن ٢٠١/٥
(٣) الطبري ١١٣/٢٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقد ذكر ابن الجوزي الأقوال الواردة في معنى الآية فقال:

قوله تعالى: "إنما أوتيته" يعني المال "على علم عندي" فيه خمسة أقوال:

أحدها: على علم عندي بصنعة الذهب رواه أبو صالح عن ابن عباس قال الزجاج وهذا لا أصل له لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له

والثاني: برضى الله عني قاله ابن زيد

والثالث: على خير علمه الله عندي قاله مقاتل

والرابع: إنما أعطيته لفضل علمي قال الزجاج لأنه ادعى أنه أعطي المال لعلمه بالتوراة والخامس على علم عندي بوجوه المكاسب حكاه الماوردي(١)

قوله تعالى وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (والشهداء) يحتمل: أن يكون جمع شاهد أو جمع شهيد في سبيل الله والأول أرجح لأن فيه الوعيد معنى ولأنه أليق بذكر الأنبياء الشاهدين والمراد على هذا أمة محمد لأنهم يشهدون على الناس وقيل يعني الملائكة الحفظة(٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن الشهداء جمع شاهد وهذا الترجيح هو الذي يناسب سياق الآية حيث إن الآيات تتحدث عن هول يوم القيامة وما فيه ويشهد النبي صلى الله عليه وسلم على الأمم وتشهد أمته على الناس قال الله عز وجل:

(١) زاد المسير ٢٤٢/٦

(٢) سورة الزمر آية: ٦٩

(٣) التسهيل ٣ / ١٩٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا(١)

وقد روى البخاري في صحيحه بسنده المتصل عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "يُجَاءُ بِنُوحٍ يوم القيامة فيُقَالُ له هل بلَّغْتَ فيقول نعم يا رب فتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هل بلَّغَكُمْ فيقولون ما جاءنا من نذير فيقول من شهودك فيقول مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فيُجَاءُ بِكُمْ فتشهدون ثُمَّ قَرَأَ رسولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - "وكذلك جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" قال عدلا "لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ على الناس وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا"(٢) وهذا لا شك أنه كائن يوم القيامة فكون الشهداء جمع شاهد هو الأولى والأليق بالسياق في هذا الموطن.

قال ابن عطية: وقوله: (والشهداء) قيل: هو جمع شاهد والمراد أمة محمد الذين جعلهم الله شهداء على الناس وقال السدي: (الشهداء) جمع شهيد في سبيل الله وهذا أيضا يزول عنه معنى التوعد.

ويحتمل أن يريد بقوله: (والشهداء) الأنبياء أنفسهم عطف الصفة على الصفة بالواو.

وقال زيد بن أسلم: (الشهداء) الحفظة والضمير في قوله (بينهم) عائد على العالم بأجمعه إذ الآية تدل عليهم(٣)

وقال أبو حيان: وقد ضعف بأن الآية سيقت مقام التهديد في سياق الخير(؟). (وجيء بالنبيين) ليشهدوا على أممهم، و(الشُّهَدَاء): قيل: جمع شاهد، وهم الذين يشهدون على الناس بأعمالهم. وقيل: هم الرسل من الأنبياء. وقيل: أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -، يشهدون للرسل. وقال عطاء، ومقاتل، وابن زيد: الحفظة.

---

(١) سورة البقرة آية: ١٤٣
(٢) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب قول الله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ٢٦٧٥/٦ رقم: ٦٩١٧
(٣) المحرر الوجيز ٤٥٢/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال ابن زيد أيضًا: النبيون، والملائكة، وأمة محمد عليه السلام، والجوارح والشهداء جمع شهيد، وليس فيه توعد، وهو مقصود الآية(١)

وبعد ذكر الأحاديث والأقوال في المراد بقوله: (والشهداء) يتضح أن ما رجحه الإمام ابن جزي رحمه الله هو الصواب في هذه المسألة لأن القاعدة الترجيحية تقول: (إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه)، والله أعلم.

قوله تعالى: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ(٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
قوله تعالى: (إنا كل شئ خلقناه بقدر) المعنى: أن الله خلق كل شئ بقدر أي بقضاء معلوم سابق في الأزل.
ويحتمل: أن يكون معنى بقدر أي بمقدار في هيئته وصفته وغير ذلك والأول أرجح(٣)
الترجيح في الميزان:
رجح الإمام ابن جزي أن معنى قوله تعالى: (بقدر) بقضاء معلوم سابق في الأزل وهذا الترجيح صحيح وتؤيده آيات أخر والقاعدة الترجيحية تقول (القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك) قال الله تعالى: وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ(٤)
وبه قال العز بن عبد السلام قال رحمه الله: (بقدر) على قدر ما أردنا مِنْ غير زيادة ولا نقصان، أو بحكم سابق وقضاء محتوم(٥)
(١) البحر المحيط ٤٢٤/٧
(٢) سورة القمر آية: ٤٩
(٣) التسهيل ٤ / ٨١
(٤) سورة الحجر آية: ٢١
(٥) تفسير العز بن عبد السلام ٢٦٠/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال صاحب اللباب: إنا كل خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وإرادته فكل ذلك مقدر في الأزل معلوم لله تعالى مراد له(١)

وجعله الماوردي وجها من الوجوه المحتملة في معنى الآية قال: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" فيه وجهان:

أحدهما: على قدر ما أردنا من غير زيادة ولا نقصان.

الثاني: بحكم سابق وقضاء محتوم(٢)

أما الطبري فقد رجح الرأي الآخر وقال: قوله: (إنا كل شيء خلقناه بقدر) يقول تعالى ذكره إنا خلقنا كل شيء بمقدار قدرناه وقضيناه وفي هذا بيان أن الله جل ثناؤه توعد هؤلاء المجرمين على تكذيبهم في القدر مع كفرهم به(٣)

وقد حكى القرطبي الإجماع على هذا فقال:

الذي عليه أهل السنة أن الله سبحانه قدر الأشياء أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا من علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه سبحانه لا إله إلا هو ولا خالق غيره كما نص عليه القرآن والسنة(٤)

---

(١) لباب التأويل ٢٨٠/٦
(٢) النكت والعيون ٤٢٠/٥
(٣) تفسير الطبري ٢٧/١١٠
(٤) تفسير القرطبي ١٤٨/١٧، واللباب ١٨ / ٢٨٤، شرح الزرقاني ٣٠٣/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (مولاه) هنا: يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم، فيوقف على مولاه ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخبر ما عطف عليه.

ويحتمل: أن يكون المولى هنا بمعنى الولي الناصر فيكون جبريل معطوف فيوصل مع ما قبله ويوقف على صالح المؤمنين ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره، وهذا أظهر وأرجح لوجهين:

أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبي وتشريفا له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي مع غيره لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس في ذلك إظهار مزية له.

الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله فقال يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل ومعك وأبو بكر ومعك وأنا معك فنزلت الآية موافقة لقول عمر فقوله يقتضي معك النصرة(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن يكون معنى (مولاه) الولي الناصر ويكون جبريل معطوف فيوصل مع ما قبله ويوقف على صالح المؤمنين ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره وهذا الترجيح هو الذي يتناسب مع سياق الآيات والقاعدة الترجيحية تقول: (حمل معاني كلام الله على الأوجه الإعرابية المشهورة أولى من الضعيف والشاذ)

---

(١) سورة التحريم آية: ٤
(٢) التسهيل ٤ / ١٣٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال صاحب أضواء البيان: قوله تعالى: وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ. قال أبو حيان: الوقف على (مولاه)، وتكون الولاية خاصة بالله، ويكون (جبريل) مبتدأ وما بعده عطف عليه، و(ظهير) خبر، وعليه يكون جبريل ذكر مرتين بالخصوص أولاً وبالعموم ثانياً

وقيل: الوقف على (جبريل) معطوفاً على لفظ الجلالة في الولاية، ثم ابتدئ بصالح المؤمنين وعطف عليهم الملائكة، ويدخل فيهم جبريل ضمناً(١).

وكذلك قال الإمام الطبري - رحمه الله - قال: وقوله فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين يقول فإن الله هو وليه وناصره وصالح المؤمنين وخيار المؤمنين أيضا مولاه وناصره

وبه قال أيضا الإمام الرازي قال: (ومولاه) أي وليه وناصره(٢)

وقال البيضاوي: فإن الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه(٣)

وقال الشوكاني: (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) أي: فإن الله يتولى نصره وكذلك جبريل ومن صلح من عباده المؤمنين فلن يعدم ناصرا ينصره (والملائكة بعد ذلك) أي بعد نصر الله له ونصر جبريل وصالح المؤمنين (ظهير) أي أعوان يظاهرونه(٤)

وبعد ما ذكر من الأقوال يتبين أن القول الذي قال به الإمام ابن جزي رحمه هو الأصوب لأن الوقف على جبريل أتم والله أعلم.

---

(١) أضواء البيان ٢٢٠/٨
(٢) التفسير الكبير للرازي ٤٠/٣٠
(٣) تفسير البيضاوي ٣٥٥/٥
(٤) فتح القدير ٢٥١/٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (سمعوا لها شهيقا) الشهيق: أقبح ما يكون من صوت الحمار ويعني به هنا ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها، أو شهيق أهلها والأول أظهر(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح ابن جزي أن يكون معنى: (شهيقا): ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها وهذا الترجيح أصاب فيه الإمام ابن جزي واعتمد في ترجيحه ذلك على قاعدة من قواعد الترجيح وهي سابق الآيات ولاحقها فإنها تتحدث عن جهنم وما يعانيه أهلها من عذاب فالضمير هنا يرجع إلى جهنم قال مقاتل وغيره من المفسرين قال:

(سمعوا لها شهيقا) يعني مثل نهيق الحمار (وهي تفور) يعني: تغلي(٣)

وقال الطبري: وقوله إذا ألقوا فيها يعني إذا ألقي الكافرون في جهنم سمعوا لها يعني لجهنم شهيقا يعني بالشهيق الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار(٤)

قال الرازي: وفي قوله: (سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا) وجوه:

أحدها: قال مقاتل: سمعوا لجهنم شهيقاً، ولعل المراد تشبيه صوت لهب النار بالشهيق، قال الزجاج: سمع الكفار للنار شهيقاً، وهو أقبح الأصوات، وهو كصوت الحمار، وقال المبرد: هو والله أعلم تنفس كتنفس المتغيظ

وثانيها: قال عطاء: سمعوا لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها شهيقاً

---

(١) سورة الملك آية: ٧
(٢) التسهيل ٤ / ١٣٣، ١٣٤
(٣) تفسير مقاتل ٣٨٢/٣
(٤) تفسير الطبري ٢٩/٤، تفسير ابن أبي زمنين ١٢/٥، النكت والعيون ٥٣/٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وثالثها: سمعوا من أنفسهم شهيقاً، كقوله تعالى: لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ(١) والقول هو الأول(٢).

قلت: وهذا ما أميل إليه من بين الأقوال ولفظ الآية يشعر بأنه هو المراد نعوذ بالله منها أو أن نكون من أهلها.

قوله تعالى: قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

وأما أصحاب الأخدود فيحتمل: أن يريد بهم الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود.

أو يريد المؤمنين الذين حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبر والأول أظهر(٤)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن المراد بأصحاب الأخدود في قوله تعالى: (قتل أصحاب الأخدود) الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود وهذا ترجيح سديد وصائب اعتمد فيه ابن جزي على القاعدة التي نصها "إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على غيره" ومن ذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن صهيب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال كان مِلِكٌ فيمن كان قبلَكُمْ وكان له ساحرٌ فلما كَبِرَ قال للملك إني قد كَبِرْتُ فابعث إلي غلاما أُعَلِّمْهُ السحْرَ فبعث إليه غلاما يُعَلِّمُهُ فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مرّ بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل

(١) سورة هود آية: ١٠٦

(٢) التفسير الكبير ٥٦/٣٠

(٣) سورة البروج آية: ٤

(٤) التسهيل ٤ / ١٨٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذْ أتى على دابَّةٍ عظيمةٍ قد حَبَسَتِ الناس فقال اليومَ أعْلَمُ الساحرُ أفضلُ أمْ الراهبُ أفضلُ فأخذ حجرًا فقال اللهم إن كان أمْرُ الراهبِ أحبَّ إليكَ من أمْرِ الساحرِ فاقْتُلْ هذه الدابَّةَ حتى يمضي الناسُ فرماها فقتلها ومضى الناسُ فأتى الراهبَ فأخبره فقال له الراهبُ أيْ بُنيَّ أنت اليومُ أفضلُ مني قد بَلَغَ من أمرِكَ ما أرى وإنك ستُبْتَلَى فإن ابتُليتَ فلا تَدُلَّ عَلَيَّ وكان الغلامُ يُبرئُ الأكمَهَ والأبْرَصَ ويداوي الناس من سائرِ الأدْواءِ فسَمِعَ جليسٌ للملِكِ كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرةٍ فقال ما ها هنا لك أجْمَعُ إن أنت شفيتني فقال إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله فإنْ أنت آمنتَ بالله دَعَوْتُ اللَّهَ فشَفَاكَ فآمَنَ بِاللَّهِ فشفاهُ الله فأتى الملِكَ فجلسَ إليه كما كان يجلِسُ فقال له الملِكُ مَن رَدَّ عَلَيْكَ بصرَكَ قال ربي قال ولَكَ ربٌّ غيري قال ربي وربُّكَ الله فأخَذَهُ فلم يزلْ يُعَذِّبُهُ حتى دَلَّ على الغُلامِ فجيءَ بالغُلامِ فقال له الملِكُ أيْ بُنَيَّ قد بَلَغَ من سحركَ ما تُبرئُ الأكمَهَ والأبْرَصَ وتَفْعَلُ وتَفْعَلُ فقال إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله فأخَذَهُ فلم يزلْ يُعَذِّبُهُ حتى دلَّ على الراهبِ فجيءَ بالراهبِ فقيل له ارْجِعْ عن دينكَ فأبى فدعا بالمِنْشارِ فوَضَعَ المِنْشارَ في مَفْرِقِ رأسِه فشَقَّهُ حتى وقع شِقَّاهُ ثمَّ جيءَ بجليسِ الملِكِ فقيل له ارْجِعْ عن دينكَ فأبى فوُضِعَ المِنْشَارُ في مَفْرِقِ رأسِهِ فشَقَّهُ

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

به حتى وقع شِقَّاهُ ثم جيءَ بالغُلامِ فقيل له ارْجِعْ عن دينكَ فأبى فدفعهُ إلى نَفَرٍ من أصحابِه فقال اذْهَبُوا به إلى جَبَلِ كذا وكذا فاصْعَدُوا به الجَبَلَ فإذا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فإنْ رَجَعَ عن دينِه وإلَّا فاطْرَحُوهُ فذهبوا به فصَعَدُوا به الجَبَلَ فقال اللهم اكْفِنيهم بما شئتَ فرَجَفَ بهمُ الجَبَلُ فسقطُوا وجاءَ يمشي إلى الملِكِ فقال له الملِكُ ما فَعَلَ أصْحَابُكَ قال كفانيهمُ الله فدَفَعَهُ إلى نَفَرٍ من أصْحَابِه فقال اذْهَبُوا به فاحْمِلُوهُ في قُرْقُورٍ فتَوَسَّطُوا به البَحْرَ فإنْ رَجَعَ عن دينِه وإلَّا فاقْذِفُوهُ فذَهَبُوا بِه فقال اللهم اكْفِنيهم بما شئتَ فانْكَفَأَتْ بهمُ السفينةُ فغَرِقُوا وجاءَ يمشي إلى الملِكِ فقال له الملِكُ ما فَعَلَ أصْحَابُكَ قال كفانيهمُ الله فقال للملِكِ إنَّكَ لستَ بقاتلي حتى تفعَلَ ما آمُرُكَ به قال وما هو قال تجمَعُ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ وتَصْلُبُني على جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا من كِنانتي ثم ضَعِ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ ثم قُلْ باسْمِ اللَّهِ رَبِّ الغُلَامِ ثم ارْمِنِي فإنَّكَ إذا فَعَلْتَ ذلك قَتَلْتَنِي فجَمَعَ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ وصَلَبَهُ على جِذْعٍ ثم أَخَذَ سَهْمًا من كِنَانَتِهِ ثم وضَعَ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوْسِ ثم قال باسْمِ اللَّهِ رَبِّ الغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغِهِ فوَضَعَ يَدَهُ في صُدْغِهِ في مَوْضِعِ السَّهْمِ فمات فقال الناسُ آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ فأتى الملِكُ فقِيلَ له أَرَأَيْتَ ما كُنْتَ تَحْذَرُ قد والله نزَلَ بكَ حَذَرُكَ قد آمَنَ الناسُ فأمَرَ بالأُخْدُودِ في أفْوَاهِ السِّكَكِ فخُدَّتْ وأضْرِمَ النِّيرَانُ وقال من لم يرجِعْ عن دينِه فأحْمُوهُ فيها أو قيل له اقْتَحِمْ ففَعَلُوا حتى جاءَتْ امرأةٌ ومعَهَا صبيٌّ لها فتَقَاعَسَتْ أنْ تَقَعَ فيها فقال لها الغُلَامُ يا أُمَّهْ اصبري فإنك على الحَقِّ(١)

وقد انتصر لهذا الرأي ابن جرير الطبري رحمه الله فقال:

وقد اختلف أهل العلم في أصحاب الأخدود من هم فقال بعضهم قوم كانوا أهل كتاب من بقايا المجوس

وقال آخرون بل الذين أحرقتهم النار هم الكفار الذين فتنوا المؤمنين

وأولى التأويلين بقوله "قتل أصحاب الأخدود" لعن أصحاب الأخدود الذين ألقوا المؤمنين والمؤمنات في الأخدود

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالصواب للذي ذكرنا عن الربيع من العلة وهو أن الله أخبر أن لهم عذاب الحريق مع عذاب جهنم ولو لم يكونوا أحرقوا في الدنيا لم يكن لقوله ولهم عذاب الحريق معنى مفهوم مع إخباره أن لهم عذاب جهنم لأن عذاب جهنم هو عذاب الحريق مع سائر أنواع عذابها في الآخرة والأخدود الحفرة تحفر في الأرض(٢)

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الزُهْد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود - ٤ / ٢٢٩٩، برقم ٣٠٠٥.
(٢) تفسير الطبري ١٣١/٣٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الزجاج في إعراب القرآن: وفي معنى أصحاب الأخدود قولان: أحدهما أنهم المؤمنون قتلهم الكفار والآخر أنهم الكفار ويكون معنى قتلوا أو لعنوا أو أهلكوا وأجاز النحويون قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود بالرفع(١)

وبعد ذكر الحديث وهذه الأقوال أرى والله أعلم أحقية الإمام ابن جزي رحمه الله في هذا الترجيح.

قوله تعالى سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى(٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
والأعلى يحتمل أن يكون صفة للرب أو للاسم والأول أظهر(٣)
الترجيح في الميزان:
رجح الإمام ابن جزي رحمه الله أن قوله تعالى "الأعلى" صفة للرب تبارك وتعالى وعليه عامة المفسرين ومنهم:
الزجاج قال: (الأعلى في موضع خفض نعت لربك(٤)
والزمخشري قال: (ويجوز أن يكون) الأَعْلَى (صفة للرب، والاسم(٥)
وضعف أبو حيان أن يكون (الأعلى) صفة لاسم فقال:
(الأَعْلَى) يصح أن يكون صفة لربك، وأن يكون صفة لاسم فيكون منصوباً، وهذا الوجه لا يصح أن يعرب(٦)
ورجحه أيضاً الإمام أبو السعود عند تفسيره للآية قال: و(الأعلى) أما
(١) إعراب القرآن ١٩٢/٥
(٢) سورة الأعلى آية: ١
(٣) التسهيل ٤ / ١٩٢
(٤) إعراب القرآن للزجاج ٢٠٤/٥
(٥) الكشاف ٧٣٩/٤
(٦) البحر المحيط ٤٥٢/٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

صفة للرب وهو الأظهر أو للاسم(١)

وبهذا يتضح رجحان هذا القول الذي تؤيده القاعدة الترجيحية ونصها "القول الذي عليه جمهور المفسرين مقدم على ما سواه" - والله أعلم -.

---

٤٥ قوله تعالى: وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى(٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
قوله تعالى: (وللآخرة خير لك من الأولى) أي: الدار الآخرة خير لك من الدنيا.
قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة ويريد بالأولى حاله قبل نزولها وهذا بعيد، والأول أظهر وأشهر(٣)
الترجيح في الميزان:
رجح الإمام ابن جزي أن معنى قوله تعالى (وللآخرة خير لك من الأولى): أي الدار الآخرة خير لك من الدنيا وقد أيده في ذلك جمع من المفسرين
قال الإمام القشيري: (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى). أي: ما يعطيك في الآخرة خيرٌ لك مما يعطيك في الدنيا. ويقال: ما أعطاك من الشفاعة والحوض وما يُلْبِسُك من لباس التوحيد - غدًا - خيرٌ مما أعطاك اليوم. (٤)
وقال الرازي: (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) أي هذا التشريف وإن كان عظيماً إلا أن مالك عند الله في الآخرة خير وأعظم(٥)
وقال أبو حيان: لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك، وأنك حبيب الله، ولا ترى كرامة أعظم من ذلك، ولا نعمة أجل
(١) تفسير أبو السعود ١٤٣/٩
(٢) سورة الضحى آية: ٤
(٣) التسهيل ٤ / ٢٠٣
(٤) تفسير القشيري ٤٣٠/٣
(٥) التفسير الكبير ١٩١/٣١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

منه، أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل، وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله، وشهادة أمته على سائر الأمم، ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته(١).

ومن خلال ذلك تبين أن القول موافق للسياق العام في القرآن من دلالة القرآن للفظي الدنيا والآخرة، والقاعدة أن القول الذي يؤيده سياق القرآن مقدم على غيره

وكذا هو متفق مع ظاهر النص القرآني في دلالته أيضا على المراد بالدنيا والآخرة والقاعدة أنه "لا يجوز العدول عن ظاهر النص القرآني إلا بدليل صحيح".

---

(١) البحر المحيط ٨ / ٤٨١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الثاني

ترجيحات القراءات

أحمد محمد علي أبوسيف — «ترجيحات الإمام ابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل» (رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

القراءات الواردة في قوله تعالى "مالك يوم الدين"

قال تعالى "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"(١).

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: "ملك" قراءة الجماعة بغير ألف من الملك، وقرأ عاصم والكسائي بالألف، والتقدير على هذا مالك مجيء يوم الدين أو مالك الأمر يوم الدين، وقراءة الجماعة أرجح من ثلاثة أوجه:

الأول: أن الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله وأما الملك فهو سيد الناس.

والثاني: قوله: وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ(٢)

والثالث: أنها لا تقتضي حذفا والأخرى تقتضيه لأن تقديرها مالك الأمر أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل.

وأما قراءة الجماعة فإضافة ملك إلى يوم الدين فهي على طريقة الاتساع وأجرى الظرف مجرى المفعول به والمعنى على الظرفية أي الملك في يوم الدين ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين فيكون فيه حذف وقد رويت القراءتان في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قرئ (ملك) بوجوه كثيرة إلا أنها شاذة(٣)

القراءات الواردة في الآية كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

القراءة الأولى: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" قراءة الخمسة نافع(٤)

---

(١) سورة الفاتحة آية: ٤

(٢) سورة الأنعام آية: ٧٣

(٣) التسهيل ١ / ٣٣

(٤) نافع بن عبد الرحمن المدني، إمام المدينة في الإقراء، قرأ على سبعين من التابعين، توفي سنة (١٦٩)ه. طبقات القراء الكبرى ١ / ١٠٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وابن كثير(١) وأبو عمرو(٢)، ابن عامر(٣)، حمزة(٤)

القراءة الثانية "مالك يوم الدين" وهي قراءة عاصم(٥) والكسائي(٦).(٧)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي قراءة "ملك" مستندا إلى أنها قراءة الجماعة عدا عاصم والكسائي، وأن الملك أعظم من المالك، ولشواهد القرآن الكريم من مثل قوله: (وله الملك يوم ينفخ في الصور)، وأن قراءة "ملك" لا تقتضي حذفا والأخرى تقتضيه؛ لأن تقديرها مالك الأمر أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل.

وأما إضافة ملك إلى يوم الدين فهي على طريقة الاتساع والمعنى على الظرفية أي الملك في يوم الدين

---

(١) عبد الله بن كثير المكي، أبو معبد، إمام المكيين في القراءة، توفى سنة (١٢٠)ه. طبقات القراء الكبرى ١ / ٨٦

(٢) زبان بن العلاء المازني البصري، أبو عمرو، إمام القراءات والنحو واللغة، توفى سنة (١٥٤)ه

(٣) عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي، أبو عمران، إمام أهل الشام في القراءة، أعلى القراء السبعة سندا، توفى سنة (١٢٨)ه. طبقات القراء الكبرى ١ / ٨٢

(٤) هو حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمارة الكوفي، أحد القراء السبعة، أدرك بعض الصحابة. إليه صارت إمامة القراءة في الكوفة بعد عاصم، قرأ عليه الكسائي من السبعة، توفى سنة (١٥٦ه). ينظر طبقات القراء ١ / ١١١.

(٥) عاصم بن أبي النجود الكوفي، أبو بكر. معدود من التابعين قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، وزر بن حبيش. توفى سنة (١٢٧)ه. ينظر طبقات القراء ١ / ٨٨

(٦) على بن حمزة الكسائي الكوفي، أبو الحسن، إمام العربية المشهور، قرأ على حمزة الزيات، توفى سنة (١٨٩)ه. ينظر طبقات القراء ١ / ١٢٠

(٧) الحجة في علل القراءات السبع لابن أحمد الفارسي ١ / ٦ ط دار الكتب المصرية بالقاهرة، تفسير القرطبي: ١٠/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وأرى أن الترجيح بين قراءتين متواترتين لا يصار إليه، فالقاعدة أنه إذا ثبتت القراءتان لم ترجح إحداهما على الأخرى ترجيحا يكاد يسقط الأخرى كما لا يقال بأن إحدى القراءتين أجود من الأخرى

وأرى كذلك أن كلا من القراءتين لها من الشواهد ما يؤيد قوتها مثل ما للأخرى، كما يلي:

أولا: في قراءة "مالك"

١- زيادة الحرف تؤدي إلى زيادة ثواب القارئ

٢- انتفاء الملك لأحد يوم القيامة غير الله تعالى، ويبقى لملوك الدنيا وصفهم وحسابهم

٣- المالك قد يكون ملكا وقد لا يكون كما أن الملك قد يكون مالكا وقد لا يكون فالملكية والمالكية قد تنفك كل واحدة منهما عن الأخرى إلا أن المالكية سبب لإطلاق التصرف والملكية ليست كذلك فكان المالك أولى

٤- أن الملك ملك للرعية والمالك مالك للعبيد والعبد أدون حالا من الرعية فوجب أن يكون القهر في المالكية أكثر منه في الملكية فوجب أن يكون المالك أعلى حالا من الملك

٥- أن الرعية يمكنهم إخراج أنفسهم عن كونهم رعية لذلك الملك باختيار أنفسهم، أما المملوك فلا يمكنه إخراج نفسه عن كونه مملوكا لذلك المالك باختيار نفسه فثبتت أن القهر في المالكية أكمل منه في الملكية

٦- أن الملك يجب عليه رعاية حال الرعية، ولا يجب على الرعية خدمة الملك أما المملوك فإنه يجب عليه خدمة المالك وأن لا يستقل بأمر إلا بإذن مولاه حتى إنه لا يصح منه القضاء والإمامة والشهادة وإذا نوى مولاه السفر يصير هو مسافرا وإن نوى مولاه الإقامة صار هو مقيما فعلمنا أن الانقياد والخضوع في المملوكية أتم منه في كونه رعية فهذه هي الوجوه الدالة على أن المالك أكمل من الملك.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٧- قد يدخل في الملك ما لا يجوز ولا يصح دخوله في الملك، وذلك أنه صحيح في الكلام أن يقال: فلان مالك الدراهم والطير، وغير صحيح أن يقال فلان ملك الدراهم والدنانير، وعليه قالوا: فالوصف بالملك أعم من الوصف بالملك، والله سبحانه وتعالى مالك كل شيء

٨- للمختار "لمالك" أن يقول: قرأت مالك؛ لأن المعنى: يملك يوم الدين، وهو يوم الجزاء، ولا يملك ذلك اليوم ولا يأتي به ولا سائر الأيام غير الله سبحانه، وهذا ما لا يشاركه فيه مخلوق في لفظ ولا معنى الشواهد القرآنية لهذه القراءة: ومنها قوله تعالى

وحجة من قال: إن الملك أولى من المالك وجوه:

الأول: أن كل واحد من أهل البلد يكون مالكا أما الملك لا يكون إلا أعظم الناس وأعلاهم فكان الملك أشرف من المالك.

الثاني: أنهم أجمعوا على أن قوله تعالى: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ(١) لفظ الملك فيه متعين ولولا أن الملك أعلى حالا من المالك وإلا لم يتعين

الثالث: الملك أولى لأنه أقصر والظاهر أنه يدرك من الزمان ما تذكر فيه هذه الكلمة بتمامها بخلاف المالك فإنها أطول فاحتمل أن لا يجد من الزمان ما يتم فيه هذه الكلمة هكذا نقل عن أبي عمرو، وأجاب الكسائي بأن قال: إني أشرع في ذكر هذه الكلمة فإن لم ألفها(؟) فقد عزمت عليها حيث عزمت عليها نظيره في الشرعيات من نوى صوم الغد قبل غروب الشمس من اليوم في أيام رمضان لا يجزيه لأنه في هذا اليوم مشتغل بصوم هذا اليوم فإذا نوى صوم الغد كان ذلك تطويلا للأمل أما إذا نوى بعد غروب الشمس فإنه لا يجزيه لأنه وإن كان ذلك تطويلا للأمل إلا أنه خرج عن الصوم بسبب غروب الشمس ويجوز أن يموت في تلك الليلة فيقول إن لم أبلغ إلى اليوم فلا أقل من أكون على عزم الصوم كذا

---

(١) سورة الناس آية (١، ٢)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هنا يشرع في ذكر قوله مالك فإن تممها فذاك وإن لم يقدر على إتمامها كان عازما على الإتمام وهو المراد(١)

وأرى: أن كلا القراءتين صحيحة متواترة، ولا منافاة بينهما وأن كلا من القائلين بأحد القولين يعترف بصحة القول الآخر ولا ينكره.

القراءات في قوله تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ(٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله: "ستغلبون وتحشرون"
قرئ بتاء الخطاب، لليهود المدينة، وقيل: لكفار قريش
وقرئ بالياء إخبارا عن يهود المدينة، وقيل: عن قريش وهو صادق على كل قول أما اليهود فغلبوا يوم قريظة والنضير وقينقاع، وأما قريش ففي بدر وغيرها والأشهر أنها في بني قينقاع(٣)
القراءات كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:
القراءة الأولى: "سيَغْلَبُونَ ويُحْشَرُونَ" بالياء فيهما، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف(٤).
القراءة الثانية: "ستُغْلَبُونَ وتُحْشَرُونَ" بالتاء فيهما، وهي قراءة الباقين(٥).
الترجيح في الميزان:
حجة من قرأ "ستغلبون ويحشرون" بالتاء فيهما
(١) أضواء البيان ٦/١، وينظر الكشاف للزمخشري ٥٤/١
(٢) سورة آل عمران آية: ١٢
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ١٠١
(٤) السبعة في القراءات لابن مجاهد البغدادي ٢٠١/١ ط - دار المعارف - مصر - ١٤٠٠ه - الطبعة الثانية تحقيق/ شوقى ضيف
(٥) المبسوط ص٨٨، الغاية ص٦٧، التيسير ص٦٥، الكافي ص٧٥، تحبير التيسير ص١٠٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١- أنه أراد: قل لهم يا محمد، موجهاً لهم الخطاب: ستغلبون، وأيضاً قوله "قَدْ كان لكم آيَة" "ولم يقل لهم"(١)

قال ابن زنجلة في حجة القراءات: قرأ نافع "ترونهم مثليهم" بالتاء على مخاطبة اليهود وحجته أن الكلام قبل ذلك جرى بمخاطبة اليهود وهو قوله "قد كان لكم"، (فالحاق هذا أيضا بما تقدم أولى ومعنى الكلام قد كان

يامعشر اليهود، آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وهم رسول الله صلى الله عليه وأصحابه وأخرى كافرة ببدر وهم مشركون ترونهم أنتم أيها اليهود مثلي الفئة التي تقاتل في سبيل الله(٢).

٢- وأيضاً للتاء على الياء مزية في الحسن، وهو أنه إذا قيل: "سيغلبون" قد يمكن أن يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين، أنهم قوم آخرون، فإذا كان بالخطاب لم يجز أن يظن هذا(٣) ومن قرأ بالياء احتج بأنهم غُيِّب حين أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - والمراد إما اليهود وإما المشركون، وكلاهما غائب

ويقوي ذلك قوله تعالى "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ"(٤)

وحجة من قرأ "سيغلبون ويحشرون" بالياء فيهما.

أن المعنى: بلغهم يامحمد بأنهم سيغلبون وحجتها إجماع الجميع على قوله "قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف"(٥) ويقوي الياء أن تعجلوا بتصديقه حتى تكون وقعة أخرى فلما اصاب المسلمين يوم أحد ما أصابهم شكوا في أمره وخالفوه فأنزل الله قل يا محمد سيغلبون ويحشرون(٦)

---

(١) الحجة لابن خالويه ص٥٠، الموضح ٣٦٢/١، معاني القراءات ١/ ٢٤٤، معاني القرآن للزجاج ٣٢١/١.
(٢) حجة القراءات لابن زنجلة /١٥٤
(٣) الحجة للفارسي ٣٤٦/٢، شرح الهداية ٢١٤/١
(٤) الحجة للفارسي ٣٤٦/٢، معاني القراءات ٢٤٣/١، الكشف ٣٣٥/١
(٥) سورة الأنفال آية: ٣٨
(٦) حجة القراءات لابن زنجلة ١٥٣/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وعلى كل فالقراءتان متواترتان، ولا تعارض بين معنييهما، فلا يجوز رد واحدة منهما أو رد معناها.

قال الرازي: فمن قرأ بالياء المنقطة من تحت، فالمعنى: بلغهم أنهم سيغلبون ويدل على صحة الياء قوله تعالى: "يَتَفَكَّرُونَ(؟) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ"(١) و"قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا"(٢)، ولم يقل غضوا، ومن قرأ بالتاء فللمخاطبة، ويدل على حسن التاء قوله "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ"(٣) والفرق بين القراءتين من حيث المعنى أن القراءة بالتاء أمر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر إلى جهنم، والقراءة بالياء أمر بأن يحكي لهم(٤) والله أعلم

القراءات في قوله تعالى: قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ(٥)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: "يقص الحق" من القصص، وقرئ "يقضِ" بالضاد المعجمة من القضاء وهو أرجح، لقوله: "وهو خير الفاصلين"؛ أي: الحاكمين(٦)

القراءات كما ذكرها الإمام ابن جزي:

القراءة الأولى: "يقص الحق" من القصص وهي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم(٧)

(١) سورة الجاثية آية: ١٤

(٢) سورة النور آية: ٣٠

(٣) سورة آل عمران آية: ٨١

(٤) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ٧/ ١٦٣

(٥) سورة الأنعام آية: ٥٧

(٦) التسهيل ٢ / ١٠

(٧) إتحاف فضلاء البشر ٢٦٤/١، إتحاف فضلاء البشر ٢٦٤/١ [كذا مكرر في الأصل]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

القراءة الثانية: "يقضي" بالضاد المعجمة من القضاء، وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي(١)

الترجيح في الميزان:

حجة من قرأ بالصاد من القصص.

١- "يَقُصُّ الْحَقَّ" من قص الحديث أو الأثر، والمعنى: كل ما أنبأ الله به وأمر به فهو من أقاصيص الحق كقوله "نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ"(٢) وقوله "فَاقْصُصِ الْقَصَصَ"(٣)، "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ"(٤)

٢- لو كانت القراءة "يقض" بالضاد لأثبتت الياء(٥)

٣- ولو كانت القراءة "يقض" بالضاد، لكانت "يقضي بالحق" بإثبات الباء، فالعرب تقول: قضيت بالحق وقال تعالى: وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ(٦) وقوله وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٧)، قوله: وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ

---

(١) الحجة للفارسي ٣ / ١٦٥، إتحاف فضلاء البشر ٢٦٤/١
(٢) سورة يوسف آية: ٣
(٣) سورة الأعراف آية: ١٧٩
(٤) سورة الأنعام آية: ١٣٠
(٥) إتحاف فضلاء البشر ٢٦٤/١.
(٦) سورة الزمر آية: (٣٩)
(٧) سورة الزمر آية: (٧٥)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ(١) وقوله: فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ(٢)

والمستدل من قرأ "يقض" بالضاد بما يلي:

١- دلالة السياق في قوله تعالى "وهو خير الفاصلين" حيث إن الفصل في الحكم لا في القول، ولكن أجيب عنه أيضا بدلالة السياق حيث صدر الآية "قل إني على بينة من ربي" وبينة النبي - صلى الله عليه وسلم - هي القرآن وهو خير ما يفصل الله به بين الحق والباطل وبين الإيمان والشرك.

وإذا أعملنا القاعدة أن الضمير يعود على أقرب مذكور كان عود الضمير في قوله "وهو خير الفاصلين" إلى الحق ويؤيده المنطق السليم فالحق وحده هو الذي يفصل بين مشاحنات الناس وما يقوم عليه عمار الأرض بمن وما عليها وكما قال تعالى "فاقصص القصص" يريد به القرآن

٢- قالوا إن حذف الياء في قوله "يقض" لالتقاء الساكنين(٣)، كما في قوله تعالى "حجة بالغة فما تغن النذر"(٤)، وقوله "سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ"(٥)

خلاصة الترجيح:

كلا القراءتين متواترتين في سندهما، ليس بينهما تضاد في المعنى، لكل منهما دلالة وزيادة في الإعجاز، فلا ترجح إحداهما على الأخرى - والله أعلم

---

(١) سورة غافر آية: (٢٠)
(٢) سورة غافر آية: (٧٨)
(٣) التفسير الكبير ٧/١٣
(٤) سورة القمر آية: (٥)
(٥) سورة العلق آية: (١٨)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

القراءات الواردة في قوله تعالى: وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ(١)

قال "يا بشراي أي نادى بالبشرى كقولك يا حسرة وأضافها إلى نفسه وقرئ يا بشرى بحذف ياء المتكلم والمعنى كذلك وقيل على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى وهذا بعيد(٢)

القراءات كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

القراءة الأولى: "قال يا بشرى" - بألف بغير ياء - قراءة عاصم وحمزة والكسائي(٣)

القراءة الثانية: "قال يا بشراي" - بألف بعد الراء - قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر(٤)

الترجيح في الميزان:

ذكر الإمام ابن جزي لقراءة يابشرى توجيهين الأول: أي نادى بالبشرى كقوله: يا حسرة، والثاني: انه نادى رجلا اسمه بشرى واستبعد رحمه الله هذا التوجيه فقال: وهذا بعيد

وهو قول السدي، قال: اسم الغلام "بشرى"؛ قال: "يا بشرى"، كما تقول: يا زيد.(٥)

وقيل "كَانَ اسْمُ صاحِبِهِ" يَعْني قَوْلَهُ: "يَا بُشْرَى"(٦)، وكذا ذكره ابن الجوزي في زاد المسير(٧)

---

(١) سورة يوسف آية ١٩
(٢) التسهيل ٢ / ١١٥
(٣) التيسير في القراءات السبع ١٢٨/١، السبعة في القراءات ٣٤٦/١
(٤) التيسير في القراءات السبع ١٢٨/١، السبعة في القراءات ٣٤٦/١
(٥) تفسير الطبري ١٦٧/١٢
(٦) تفسير البحر المحيط ٥ / ٢٩١
(٧) زاد المسير ١٩٤/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والمغربون في هذا القول كثير حتى قال ابن الأنباري: إنه اسم امرأة(١)

وقال الإمام أبو حيان: وأبعد السدي في زعمه أن بشرى اسم رجل(٢)

وأرى أن استبعاد الإمام ابن جزي لهذا الرأي في هذه المسألة أولى بالقول لما يلي:

١- القول بأن "بشرى" اسم غلام قول يخرج بالنص القرآني عن ظاهر لفظه، والقاعدة أنه "لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه"(٣)

٢- القول بأن "بشرى" اسم غلام ليس عليه دليل من القرآن أو السنة، والقاعدة أنه "لا يصح حمل الآية على تفسيرات وتفصيلات لأمور مغيبة لا دليل عليها من القرآن والسنة"(٤)

وكلا القرائتين متواترتان في سندهما، ليس بينهما تضاد في المعنى، لكل منهما دلالة وزيادة في الإعجاز فلا ترجح إحداهما على الأخرى، والله أعلم

---

(١) زاد المسير ١٩٤/٤.
(٢) تفسير البحر المحيط ٥ / ٢٩١
(٣) قواعد الترجيح ١ / ١٣٧
(٤) قواعد الترجيح ١ / ٢٢٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

القراءات في قوله تعالى: وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ(١)

قال الإمام ابن جزي: قوله تعالى: (وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي) من كلام عيسى

وقرئ بفتح الهمزة تقديره: ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه

وبكسرها لابتداء الكلام، وقيل: هو من كلام النبي، والمعنى يا محمد قل لهم: ذلك عيسى ابن مريم، وأن الله ربي وربكم، والأول أظهر(٢)

القراءات كما ذكرها الإمام ابن جزي:

القراءة الأولى: "وأنّ الله" (بنصب الألف) قرأ بها ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابو جعفر ورويس ووافقهم ابن محيصن واليزيدي والحسن(٣)

القراءة الثانية: "وإنّ الله" (بكسر الألف) قرأ بها ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي(٤)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي قراءة "وأن الله ربي وربكم" بالفتح وأن هذا من كلام عيسى عليه السلام وهو ترجيح له شواهده من القرآن الكريم فلقد ذكر الله تعالى هذه الجملة على لسان نبيه عيسى عليه السلام في أكثر من موطن من القرآن الكريم، قال تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام: وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ(٥)

---

(١) سورة مريم آية: (٣٦)
(٢) التسهيل ٣ / ٤
(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١ / ٣٧٨، إملاء ما من به الرحمن من وجوه إعراب والقراءات ١١٤/٢
(٤) السبعة في القراءات ٤١٠/١، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ١١٤/٢
(٥) سورة آل عمران آية: (٥٠، ٥١)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال تعالى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ(١)

وقال تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام: مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(٢)

وقال تعالى: وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ(٣)

فدلت شواهد القرآن الكريم على أن جملة "وإن الله ربي وربكم فاعبدوه" قالا عيسى عليه السلام.

والقاعدة "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك"

وكذا "حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن الكريم ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك"

ويضاف إلى ما سبق ما قاله الإمام السمعاني: أن أكثر المفسرين على أن هذا بناء على قول عيسى عليه السلام، ومعناه: قال: إني عبد الله... إلى آخره وقال: إن الله ربي وربكم(٤)

وفي كلا القرائتين تواتر في السند، وليس بينهما تضاد في المعنى، بل لكل منهما وجه في المعنى فكأن القرائتين في الآية تقومان مقام الآيتين فلا ترجح إحداهما على الأخرى، والله أعلم

---

(١) سورة المائدة آية: (٧٢)
(٢) سورة المائدة آية: (١١٧)
(٣) سورة الزخرف آية: (٦٣، ٦٤)
(٤) تفسير السمعاني ٣ / ٢٩٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

القراءات الواردة في قول الله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ..) قرئ بكسر القاف ويحتمل وجهين:

أن يكون من الوقار أو من القرار في الموضع ثم حذفت الراء الواحدة كما حذفت اللام في ظلت وأما القراءة بالفتح فمن القرار في الموضع على لغة من يقول قررت بالكسر أقَر بالفتح والمشهور في اللغة عكس ذلك

وقيل: هي من قار يقار إذا اجتمع ومعنى القرار أرجح، لأن سودة رضي الله عنها قيل لها: لم لا تخرجين فقالت: أمرنا الله بأن نقر في بيوتنا وكانت عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي على خروجها أيام الجمل وحينئذ قال لها عمار إن الله أمرك أن تقري في بيتك

القراءات كما ذكرها الإمام ابن جزي رحمه الله:

القراءة الأولى: "وقرن" بفتح القاف وهي قراءة نافع وعاصم

القراءة الثانية: "وقرن" بكسر القاف وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي(٢)

الترجيح في الميزان:

ذكر الإمام ابن جزي أن توجيه قراءة قوله تعالى "وقرن" بالفتح: إنما هي من القرار، أو من الاجتماع في الموطن، ورجح أن تكون من القرار. وهذا ما ذهب إليه جمع من المفسرين:

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣
(٢) السبعة في القراءات ٥٢٢/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الإمام القرطبي: وأما قراءة أهل المدينة وعاصم، فعلى لغة العرب: قررت في المكان إذا أقمت فيه (بكسر الراء) أقر (بفتح القاف)، من باب حمد يحمد، وهي لغة أهل الحجاز(١)

وقال الفراء: "وقرأ عاصم وأهل المدينة "وقرن" بالفتح، ولا يكون ذلك من الوقار ولكنا نرى أنهم أرادوا: واقررن في بيوتكن "فحذفوا الراء الأولى فحولت فتحتها في القاف كما قالوا: هل أحست صاحبك، وكما قال: فظلْتُمْ يريد: فظلِلْتُمْ"(٢)

وجاء في تفسير الجلالين:) وقرن (بكسر القاف وفتحها) في بيوتكن (من القرار وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل(٣)

وقال الإمام ابن عباس رضي الله عنهما:) وقرن في بيوتكن (استقررن في بيوتكن ولا تخرجن من البيوت وليكن عليكن الوقار(٤)

وقال الإمام البغوي: (وقرن في بيوتكن) قرأ أهل المدينة وعاصم (وقرن) بفتح القاف وقرأ الآخرون بكسرها فمن فتح القاف فمعناه اقررن أي الزمن بيوتكن من قولهم قررت بالمكان اقر قرا(٥)

وقال الإمام الآلوسي: والمراد على جميع القراءات أمرهن رضي الله تعالى عنهن بملازمة البيوت(٦)

وأرى والله أعلم أن كلا المعنيين متفق فالقرار في البيوت يستلزم الاجتماع فيها والاجتماع في البيت نوع من القرار.

---

(١) تفسير القرطبي ١٤ / ١٧٨
(٢) معاني القرآن للفراء ٢ / ٣٤٢
(٣) تفسير الجلالين ١ / ٥٥٤
(٤) تفسير الإمام ابن عباس رضي الله عنهما ١ / ٣٥٣
(٥) تفسير البغوي ٣ / ٥٢٨
(٦) تفسير الآلوسي ٦/٢٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

جاء في إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع:

فتح القاف من - وقرن في بيوتكن - وكسرها: كلاهما فعل أمر لجماعة النساء فالمفتوح من قررت بالمكان أقَر بكسر الراء في الماضي وفتحها في المضارع في قول من أجاز ذلك ونظيره عض من عضضت وقيل من قار يقار إذا اجتمع فيكون مثل خفن الله أي اجتمعن في بيوتكن والمكسور من قررت بالمكان أقر بفتح الراء

في الماضي وكسرها في المضارع وهي اللغة المعروفة في قررت بالمكان فيكون مثل جدن في الأمر من جددت فيه أو من وقر يقر فيكون مثل عدن من وعد

واعتبار "قرن" من الوقار أو من القرار أو من الاجتماع كلها وجوه في اللغة لا مانع أن تكون شواهد لتنوع الدلالة القرآنية لتنوع دلالة الألفاظ

جاء في إبراز المعاني من حرز الأماني: "فإن أخذنا ذلك من "قرت" بفتح قاء وكسرها فتكون عين الفعل حذفت لأنه ألقيت حركتها على الفاء فحذف لالتقاء الساكنين هي ولام الفعل وحذفت همزة الوصل استغناء عنها بتحريك الفاء، والأصل: أقررن بفتح الراء الأولى وكسرها، وإن قلنا إن "قرن" بالكسر من وقر يقر فالمحذوف فاء الفعل وهي الواو، وإن قلنا إن قرن بالفتح من قار يقار فالمحذوف عين الفعل وهي واو أيضا وهذا الوجه حكاه الزمخشري عن أبي الفتح الهمداني

وقال أبو علي الوجه في - وقرن - بالكسر لأنه يجوز من وجهين لا إشكال في جوازه منهما وهما من القرار والوقار وفتح القاف على ما ذكرت من الخلاف زعم أبو عثمان أن قررت في المكان لا يجوز وقد حكى ذلك بعض البغداديين فيجوز الفتح في القاف على هذه اللغة إذا ثبتت(١)

---

(١) إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع ٦٤٩/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال ابن خالويه في الحجة في القراءات: "قوله تعالى "وقرن في بيوتكن" يقرأ بكسر القاف وفتحها، فالحجة لمن كسر أنه جعله من الوقار والحجة لمن فتح أنه جعله من الاستقرار(١)

وبهذا يتبين أن لكل قراءة توجيه في اللغة يفهم منه معنى جديدا وأنها وجوه تتفق مع الرسم العثماني

قال تعالى: قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ(٢)
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:
"قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم" هذا رد على الذين اتبعوا آباءهم، والمعنى: قل لهم: أتتبعونهم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم.
وقرئ: قال: أو لو جئتكم والفاعل ضمير يعود على النذير المتقدم
وأما قراءة "قل" بالأمر فهو خطاب لمحمد، أمره الله أن يقول ذلك لقريش، وقيل: هو للنذير المتقدم أمره الله أن يقول ذلك لقومه، والأول أظهر، وعلى هذا تكون هذه الجملة اعتراضا بين قصة المتقدمين، فإن قوله "قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون" حكاية عن الكفار المتقدمين وكذلك قوله "فانتقمنا منهم" يعني من المتقدمين(٣)
القراءات كما ذكرها الإمام ابن جزي:
القراءة الأولى: "قل أولو جئتكم" على الأمر وهي قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة عن عاصم
(١) الحجة في القراءات ١/ ٢٩٠
(٢) سورة الزخرف آية: (٢٤)
(٣) التسهيل ٤ / ٢٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

القراءة الثانية "قال أولو جئتكم" على الخبر وهي قراءة ابن عامر وحفص(١)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن الأمر في قراءة "قل" لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى هذا تكون هذه جملة "قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه أباءكم" اعتراضا بين قصة المتقدمين.

وقد ورد هذا التأويل عن حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "قال" اعنى: قل لهم يا محمد "أولو جئتكم" قد جئتكم "بأهدى" بأصوب دينا "مما وجدتم عليه أباءكم" ألا تقبلون ذلك(٢)

وقال به جمع من المفسرين:

قال الطبري رحمه الله: "القول في تأويل قوله تعالى: "قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ...." يقول تعالى ذكره لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون "أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ" أيها القوم من عند ربكم "بِأَهْدَى" إلى طريق الحق، وأدل لكم على سبيل الرشاد "مِمَّا وَجَدْتُمْ" أنتم عليه آباءكم من الدين والملة، فقال ذلك لهم، فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لأنبيائها: "إنا بما أرسلتم به "يا أيها القوم "كافرون"، يعني: جاحدون منكرون"(٣).

وقال الإمام الشوكاني: "ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم، فقال: قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ(٤)

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد البغدادي ١ / ٥٨٥، الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٣٢١/١، حجة القراءات ١ / ٦٤٨، التيسير في القراءات السبع ١ / ١٩٦، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات ٢ / ٢٢٧، العنوان في القراءات السبع ١ / ١٧١.

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٤١٢/١

(٣) تفسير الطبري ٢٥ / ٦١

(٤) فتح القدير ٤ / ٥٥٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الإمام الرازي: "ثم قال تعالى لرسوله: قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ أي بدين أهدى من دين آبائكم فعند هذا حكى الله عنهم أنهم قالوا إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى(١)

وقال الإمام أبو حيان في البحر: والظاهر أن الضمير في قال، أو في قل، للرسول، أي: قل يا محمد لقومك: أتتبعون آباءكم، ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم(٢)

وقيل: بأن المراد بالأمر في قوله "قل" هو نذير كل أمة جمع من المفسرين أيضا ومن ذلك ما قال الإمام ابن عطية:

قال: "قال" ضمير يعود على النذير، وباقي الآية يدل على أن "قل" في قراءة من قرأها ليست بأمر لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وإنما هي حكاية لما أمر به النذير(٣)

وقال الإمام أبو السعود: "وقرىء "قل" على أنه حكاية أمر ماض أوحي حينئذ إلى كل نذير لا على أنه خطاب للرسول - صلى الله عليه وسلم -، كما قيل لقوله تعالى "قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون" فإنه حكاية عن الأمم قطعا؛ أي قال كل أمة لنذيرها إنا بما أرسلتم به كافرون(٤)

وقال الإمام الآلوسي: وقرأ الأكثرون "قل" على أنه حكاية أمر ماض أوحي إلى كل نذير؛ أي: فقيل أو قلنا للنذير "قل" الخ، واستظهر في البحر كونه خطابا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والظاهر هو ما تقدم لقوله تعالى: قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فإنه ظاهر جدا في أنه حكاية عن الأمم السالفة أي قال كل أمة لنذيرها إنا بما أرسلتم به الخ(٥)

---

(١) تفسير الرازي ٢٧ / ١٧٨
(٢) تفسير البحر المحيط ١٢/٨
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥١/٥
(٤) تفسير أبي السعود ٤٤/٨
(٥) روح المعاني ٧٥/٢٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وأرى أن حجة القائلين بأن توجيه القراءة إلى نذير كل أمة أقوى من التوجيه بأنه أمر لنبينا - صلى الله عليه وسلم -، حيث إن القول الأول يتفق مع السياق القرآني ولا يستوجب اعتبار النص جملة اعتراضية بين أقوال المتقدمين من الأمم السابقة المكذبة لأنبيائها كما هو واضح في قول أهل التفسير ممن نقلنا عنهم هاهنا، والله أعلم.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الثالث

ترجيحات علوم القرآن

أحمد محمد علي أبوسيف — «ترجيحات الإمام ابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل» (رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)
© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

أول ما نزل من القرآن الكريم

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

وأول ما نزل عليه من القرآن صدر سورة العلق ثم المدثر والمزمل.

وقيل: أول ما نزل المدثر.

وقيل: فاتحة الكتاب، والأول هو الصحيح لما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة في حديثها "(١)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أول ما نزل من القرآن الكريم سورة العلق وهو قول جمهور العلماء

٢- أول ما نزل من القرآن الكريم سورة المدثر وهو قول جابر بن عبد الله رضي الله عنه(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن أول ما نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - هو صدر سورة العلق مستدلا بما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد أخذ في ذلك بما ذهب إليه الإمام ابن عطية، قال: "سورة العلق" وهي أول ما نزل من كتاب الله تعالى نزل صدرها في غار حراء حسبما ثبت في صحيح البخاري وغيره وروي من طريق جابر بن عبد الله أن أول ما نزل "يا أيها المدثر"(٣)

وقيل: أول ما نزل فاتحة الكتاب والقول الأول أصح والترتيب في أخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - يقتضي ذلك(٤)

---

(١) التسهيل ١ / ٤.

(٢) ينظر في هذه الأقوال أحكام القرآن للشافعي ٢ / ٧، فضائل القرآن للقاسم بن سلام ٢ / ٢٢٣، تفسير الطبري ٣٠ / ٢٥٢، تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٢٦، تفسير الماوردي ٦ / ٣٠٩، المحرر الوجيز ٥٠٥/٥، زاد المسير ١ / ٥، تفسير ابن زمنين ٥ / ٥٤ وغيرها.

(٣) سورة المدثر الآية (١)

(٤) المحرر الوجيز ٥ / ٥٠١. بتصرف يسير

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والحديث الثابت في ذلك ما رواه البخاري ومسلم بسندهما عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ما أنا بقارئ، قال: فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ: فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ ما لم يعلم، فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني، زملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة ما لي؟ وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت علي فقالت له: كلا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق(١)

ومن المتفق عليه أن القول الذي تؤيده السنة الصحيحة مقدم على غيره، فيكون ذلك مرجحا لقول من قال: إن أول ما نزل من القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - سورة العلق، غير أن حديثا آخر عند البخاري، بسنده عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن أول ما نزل سورة المدثر، ونصه: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ فلما قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ عن يَمِينِي فلم أَرَ شيئا وَنَظَرْتُ عن شمالي فلم أَرَ شيئا وَنَظَرْتُ أَمَامِي فلم أَرَ شيئا وَنَظَرْتُ خَلْفِي فلم أَرَ شيئا فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شيئا فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فقلت دَثِّرُونِي وصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا قال فَدَثَّرُونِي وصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا قال فَنَزَلَتْ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(٢)

---

(١) صحيح البخاري - بدْء الوحْي، باب كيف كان بدْء الوحْي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ٣/١، برقم ٣(؟)، صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب بدء الوحي ١ / ١٣٩، برقم ١٦٠.

(٢) صحيح البخاري ١ / ٥ - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقول الله جل ذكره

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقد أجاب الإمام النووي على ما ذكر الإمام البخاري فقال: قوله (أن أول ما أنزل قوله تعالى "يا أيها المدثر" ضعيف، بل باطل، والصواب: أن أول ما أنزل على الاطلاق "اقرأ باسم ربك" كما صرح به في حديث عائشة رضي الله عنها وأما "يا أيها المدثر" فكان نزولها بعد فترة الوحي، والدلالة صريحة فيه في مواضع منها قوله وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال فأنزل الله تعالى "يا أيها المدثر" ومنها قوله - صلى الله عليه وسلم - "فإذا الملك الذى جاءنى بحراء" ثم قال فأنزل الله تعالى "يا أيها المدثر"

وقال الإمام ابن الجوزي: واختلفوا في أول ما نزل من القرآن فأثبت المنقول أن أول ما نزل "اقرأ باسم ربك"(١)

وأرى والله أعلم أنه من الجمع بين القولين أن يقال: إن أول ما خوطب به النبي - صلى الله عليه وسلم - على الإطلاق هو صدر سورة العلق، وأول ما خوطب به النبي - صلى الله عليه وسلم - من التكليف هو سورة المثر [كذا] جمعا بين الأحاديث الصحيحة في المسألة - والله أعلم -

---

[تكملة هامش الصفحة السابقة:] إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده (من الآية ١٦٣ من سورة النساء)

(١) زاد المسير ١ / ٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ترتيب سور القرآن الكريم

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

فترتيب السور على ما هو الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف وقد قيل إنه من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ضعيف ترده الآثار الواردة في ذلك(١)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معهم رضي الله عنهم.

٢- أن ترتيب السور على ما هو عليه الآن من فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -(٢)

الترجيح في الميزان:

ضعف الإمام ابن جزي القول بأن ترتيب السور على ما هي عليه الآن في المصاحف من فعل النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهي مسألة للعلماء فيها أقوال،

وأرى أن الأرجح أن يقال إن ترتيب القرآن الكريم بصورته التي نراه عليها الآن إنما هو بتوقيف من النبي - صلى الله عليه وسلم - عن رب العزة سبحانه، وهو الأوفق مع قوله تعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" وإن من تمام الحفظ أن يكون على هيئته التي ارتضاها الله تعالى بتوقيف فيه لا اجتهاد فيه لبشر، فإن آفة الكتب السابقة

---

(١) التسهيل ١ / ٤.

(٢) ينظر في هذه الأقوال: البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني ١ /٤٠، ط: مركز المخطوطات والتراث - الكويت - ١٤١٤ه - ١٩٩٤م، الأولى، تحقيق: غانم قدوري الحمد. تفسير القرطبي ١ / ٦٠، البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٣٧، الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٧١، ١٧٢، أسرار ترتيب القرآن للإمام السيوطي ١ / ٧٠، ط: دار الاعتصام - القاهرة، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ١ / ٢٤٤ - ٢٤٦، دار النشر: دار الفكر - لبنان، ١٤١٦ه - ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى

تفريغ: ترجيحات الإمام ابن جزي في كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل» — الصفحات ٥٦٥-٦١٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

على القرآن إنما كانت في تدخل البشر، ولست أرمي في ذلك إلى شيء من القدح فيمن جمع القرآن أو سطره، فهم من حفظ الله بهم الدين، ولكني أستحضر قول الله تعالى: لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه، وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وفي ذلك إشارة إلى محاولة احتياط النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو المعصوم عليه السلام - من النسيان، أو فوت شيء من اللفظ القرآني منه - صلى الله عليه وسلم - فكانت هذه المتابعة التي عالجها رب العالمين بقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به إلى أن جاء التثبيت من الله تعالى في قوله سنقرئك فلا تنسى، فأخبر الله تعالى بأن الحفظ موكول إليه سبحانه، وأن الإقراء للنبي - صلى الله عليه وسلم - موكول إليه أيضا، وأن المحاولات البشرية ربما لن يسمح لها بالتدخل في هذا الأمر لأنه من اليسير أن ينتقد البشر في فعالهم، أما أن يكون من الله تعالى فلا.

ويستدل لهذا القول بما يلي:

١- أن الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان ولم يخالف منهم أحد، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم، لكنهم لم يتمسكوا بها بل عدلوا عنها وعن ترتيبهم وعدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعا.

٢- أن السور المتجانسة في القرآن لم يلتزم فيها الترتيب والولاء ولو كان الأمر بالاجتهاد للوحظ مكان هذا التجانس والتماثل دائما لكن ذلك لم يكن بدليل أن سور المسبحات لم ترتب على التوالي بينما هي متماثلة في افتتاح كل منها بتسبيح الله ثم فصل بين سورها بسورة قد سمع والممتحنة والمنافقين وبدليل أن طسم الشعراء وطسم القصص لم يتعاقبا مع تماثلهما بل فصل بينهما بسورة أقصر منها وهي طس.

٣- على هذا الترتيب، وعليه كان صلى الله عليه وسلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين،

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وكان آخر الآيات نزولاً واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين.

وأرى أنه القول الذي تميل إليه النفس ويطمئن إليه القلب فهو الأحفظ للقرآن الكريم وإن كان بعضهم قد أرجع الخلاف في هذه المسألة إلى أنه خلاف لفظي لا أكثر.

٤- قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم، فالخلاف إلى أنه أيتوقف قولي أو بمجرد إسناد فعلي بحيث لهم فيه مجال للنظر.

وقد أيد هذا المذهب أبو جعفر النحاس فقال المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (١).

وكذلك انتصر أبو بكر الأنباري لهذا المذهب فقال أنزل الله القرآن إلى سماء الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جوابا لمستخبر ويوقف جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - على موضع السورة والآيات والحروف كله من النبي - صلى الله عليه وسلم - فمن قدم سورة أو أخرها أفسد نظم القرآن (٢).

وهذا ما تميل إليه النفس ويتأكد معه الحفظ الرباني للكتاب العزيز، والله أعلم

---

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن ١ / ٢٥٨، الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٧٢، أسرار ترتيب القرآن ١ / ٧٠، مناهل العرفان ١ / ٢٤٦.
(٢) الإتقان ١ / ١٧١، مناهل العرفان ١ / ٢٤٦، روح المعاني ١ / ٢٦.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ترجيحات النسخ

١- قوله - عز وجل -: كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١):

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: الوصية للوالدين والأقربين كانت فرضا قبل الميراث ثم نسختها آية الميراث مع قوله صلى الله عليه وسلم "لا وصية لوارث"(٢) وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين (٣) وقيل (٤): معناها الوصية بتوريث الوالدين والأقربين على حسب الفرائض فلا تعارض بينها وبين المواريث ولا نسخ والأول أشهر (٥)

الترجيح في الميزان:

اختلف العلماء في حكم هذه الآية، هل هي من قبيل المنسوخ أم لا؟ علي

---

(١) البقرة ١٨٠.

(٢) أخرجه أبو داود ك/ الوصايا ب/ ما جاء في الوصية للوارث ١١٣/٣ رقم (٢٨٧٠)، الترمذي ك/ الوصايا ب/ ما جاء لا وصية لوارث ٤٣٣/٤ رقم (٢١٢٠، ٢١٢١)، وقال حسن صحيح، النسائي ك/ الوصايا ب/ إبطال الوصية للوارث ٢٤٧/٦ رقم (٣٦٤١، ٣٦٤٢، ٣٦٤٣)، ابن ماجة ك/ الوصايا ب/ لا وصية لوارث ٩٠٥/٢ رقم (٢٧١٣)، واللفظ عنده: عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول - في خطبته في حجة الوداع -: إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث. قال ابن حجر: وفي إسناده إسماعيل بن عياش وقد قوي حديثه عن الشاميين جماعة من الأئمة منهم أحمد والبخاري، وهذا من روايته عن شرحبيل بن مسلم، وهو شامي ثقة، وصرح في روايته بالتحديث عند الترمذي. فتح الباري ٤٣٨/٥، وممن صحح الحديث الإمام البغوي، حيث ذكر الحديث ولم يشر إليه بضعف، وقد نص في مقدمة كتابه على أنه ما كان فيه من ضعيف أو غريب أشار إليه. ينظر: مصابيح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي الشافعي ١ / ٢، ٢ / ١٨ (؟) ط/ دار العلوم الحديثة.

(٣) وهو قول الإمامين الشعبي والنخعي، الناسخ والمنسوخ للنحاس ١ / ٨٩.

(٤) قال الإمام الكرمي في الناسخ والمنسوخ ١ / ٥٩ هو قول الحسن البصري وقتادة وطاووس والعلاء بن زيد ومسلم بن يسار.

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٧٠.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال التالية (١):

١- قالت طائفة: "جميع ما في هذه الآية من إيجاب الوصية منسوخ" وهو قول الأئمة ابن عباس وابن عمر وأبي موسى الأشعري (٢) وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وعكرمة والحسن البصري، ومن الأئمة مالك (٣) والشافعي وأحمد وغيرهم كثير ورجحه ابن كثير في تفسيره (٤)

فعن ابن عباس قال: هذه الآية: إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ نَسَخَتْهَا هَذِهِ الْآيَةُ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (٥)

وعن عكرمة هذه الآية: إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ: نَسَخَتْهَا الْفَرَائِضُ (٦)

---

(١) المصفى من علم الناسخ والمنسوخ ١ / ١٨، ١٩، الناسخ والمنسوخ للمقري ١ / ٤٠، الناسخ والمنسوخ للكرمي ١ / ٥٩، الناسخ والمنسوخ لابن حزم ١ / ٢٤، الناسخ والمنسوخ للنحاس ١ / ٩٠، نواسخ القرآن لابن الجوزي ١ / ٥٨

(٢) هو: عبد الله بن قيس الأشعري، أبو موسى، مشهور باسمه وكنيته معاً، أسلم قديماً واستعمله النبي - صلى الله عليه وسلم - على بعض اليمن واستعمله عمر على البصرة ففتح الأهواز ثم أصبهان، ثم استعمله عثمان على الكوفة، وكان أحد الحكمين يوم صفين، ثم اعتزل الفتنة، مات سنة ٤٢ه وقيل سنة ٤٤ه {الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣٥٩/٢}.

(٣) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، أبو عبد الله شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة، أمير المؤمنين في علم الحديث، ولد سنة ثلاث وتسعين، وأخذ عن نافع، وابن المنكدر، والزهري، وغيرهم، وأخذ عنه الشافعي، وابن وهب، ويحي بن يحي الليثي، وغيرهم، قال ابن مهدي: ما رأيت أحداً أعقل من مالك كان ورعاً في الفتوى، له (الموطأ) في الحديث، و(المدونة) في الفقه، توفي سنة تسع وسبعين ومائة من الهجرة {ينظر سير أعلام النبلاء ٤٨/٨}.

(٤) النكت والعيون ١٦٧/١ بتصرف يسير، وكتاب في علوم القرآن للدكتور سليمان معرفي ص٢١٨ ط لجنة التأليف التعريب والنشر- الكويت ٢٠٠٣

(٥) تفسير ابن أبي حاتم ١ / ٤٥٢، الدر المنثور ١ / ٣٥٢، تفسير ابن كثير ١ / ٤٩٣

(٦) تفسير الطبري ٢ / ١١٩، أحكام القرآن للجصاص ١ / ٢٠٤، نواسخ القرآن لابن الجوزي ١ /

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ويضيف الجصاص قائلاً:

والذي أوجب نسخ الوصية عندنا للوالدين والأقربين قوله تعالى في سياق آية المواريث: من بعد وصية يوصى بها أو دين فأجازها مطلقة ولم يقصرها على الأقربين دون غيرهم، وفي ذلك إيجاب نسخها للوالدين والأقربين لأن الوصية لهم قد كانت فرضا، وفي هذه إجازة تركها لهم، والوصية لغيرهم وجعل ما بقي ميراثا للورثة على سهام مواريثهم، وليس يجوز ذلك إلا وقد نسخ تلك الوصية (١)

٢- وقالت طائفة أخرى: قد كانت الوصية واجبة للوالدين والأقربين فنسخت عمن يرث وجعلت للوالدين والأقربين الذين لا يرثون" وهو قول قتادة وابن عباس وطاوس والشعبي والحسن وإبراهيم النخعي. (٢)

٣- وقالت طائفة ثالثة: إنها محكمة، قالوا: وهي - وإن كانت عامة فمعناها الخصوص، والمراد بها من الوالدين منْ لا يرث كالأبوين الكافرين، ومنْ هو في الرق -، ومن الأقربين من عدا الورثة منهم. قاله الضحاك وطاوس والحسن، واختاره الطبري (٣)

قال ابن المنذر: أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن الوصية للوالدين الذين لا يرثان، والأقرباء الذين لا يرثون جائزة. (٤)

أدلة القائلين بأن الآية منسوخة:

١- أن هذه الآية دالة علي وجوب الوصية للقريب وترك العمل به في حق الوارث القريب بآية الميراث مع بيان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (١).

[تتمة هامش الصفحة السابقة] ٦٠

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ٤٠٧/١-٤١١
(٢) جامع البيان ١٤٣/٢، نواسخ القرآن ص٥٨.
(٣) النكت والعيون ١٢٥/١
(٤) فتح القدير للشوكني ٢٣٣/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- قوله - صلى الله عليه وسلم - "ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده" (٢) وهذه حجة من قال إنها منسوخة في حكم البعض دون البعض، وأجمعنا علي أن الوصية لغير الأقارب غير واجبة، فوجب أن تكون هذه الوصية الواجبة مختصة بالأقارب غير الوارثين، وصارت السنة مؤكدة للقرآن في وجوب هذه الوصية(٣).

أدلة القائلين بأن الآية محكمة:

١- أن هذه الأقوال ليست مخالفة لآية المواريث، ومعناها كتب عليكم ما أوصى به الله - عز وجل - من توريث الوالدين والأقربين، أو كتب علي المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصي به الله لهم، وأن لا ينقص من أنصبائهم.

٢- أنه لا منافاة بين ثبوت الميراث للأقرباء مع ثبوت الوصية بالميراث عطية من الله - عز وجل -، والوصية عطية ممن حضره الموت، فالوارث جمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين(٤).

٣- لو قدرنا حصول المنافاة لكان يمكن جعل آية الميراث مخصصة لهذه الآية، وذلك لأن هذه الآية توجب الوصية للأقربين، ثم آية الميراث تخرج القريب الوارث ويبقى القريب الذي لا يكون وارثاً داخلاً تحت هذه الآية(٥).

---

(١) أحكام القرآن، للشافعي ص١١٠، ١١١، تأويل مختلف الحديث للإمام: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى (٢٧٦ ه) ص١٧٦ تحقيق: عبد القادر أحمد عطا ط: دار الكتب الإسلامية القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٢ه - ١٩٨٢م

(٢) أخرجه البخاري ك / الوصايا ب / الوصايا وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - وصية الرجل مكتوبة عنده ٤١٩/٥ رقم (٢٧٣٨)، مسلم ك / الوصية ٧٤/١١

(٣) مفاتيح الغيب ٤٧/٣

(٤) تفسير البيضاوي "حاشية زادة" ٤٨٨/١، ٤٨٩، التسهيل ٩٧/١

(٥) مفاتيح الغيب ٤٥/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وبالنظر في أدلة القائلين كلا الفريقين نجد أنه لا تعارض بين النصين الكريمين

لأن أدلة السنة متوافرة على عدم جواز الوصية للوارث، محافظة علي كتلة الوارثين أن تتفتت، وحماية للرحم من القطيعة التي نري آثارها السيئة بين من زين الشيطان لمورثهم أن يزرع لهم شجرة الضغينة قبل موته، بمفاضلته بينهم في الميراث عن طريق الوصية

وبالنظر إلى الواقع فإن الآية تبقى ثابتة حكما لمن وجد بأرض لايستطيع فيها أن يقيم شرع الله في أمر الميراث، فالقوانين الغربية مثلا لا تعترف بالإرث كوسيلة لانتقال الأموال بين الأفراد في حين أنها تعترف بالوصية المكتوبة التي ينص فيها صاحبها على توزيع تركته بطريقة ما حتى ولو كانت وصيته لحيوان يربيه

وأرى: أنه في مثل هذه الحال فإن على من قارب الموت أن يكتب وصيته بتوزيع الأنصبة كما حدد الله تعالى في قرآنه المجيد وكما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام فالقول بالجمع بين الآيتين وإعمال كل منهما في موطنها التي تقتضيه الحاجة أولى من القول بالنسخ، والله أعلم

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- يقول الله تعالى: وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١):

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

كان القتال غير مباح في أول الإسلام ثم أمر بقتال الكفار الذين يقاتلون المسلمين دون من لم يقاتل وذلك مقتضى هذه الآية ثم أمر بقتال جميع الكفار في قوله: وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً، وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ فهذه الآية منسوخة.

وقيل: إنها محكمة وأن المعنى قاتلوا الرجال الذين هم بحال من يقاتلونكم دون النساء والصبيان الذين لا يقاتلونكم والأول أرجح وأشهر. (٢)

الترجيح في الميزان:

اختلف المفسرون في هذه الآية هل هي منسوخة أو محكمة على قولين:

القول الأول: أن هذه الآية هي أول آية نزلت في أمر المسلمين بقتال أهل الشرك. وقالوا: أمر فيها المسلمون بقتال من قاتلهم من المشركين والكف عمن كف عنهم، ثم نسخت بقول الله تعالى: وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً (٣)

وهذا قول الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (٤).

القول الثاني: أنها محكمة ومعناها عند أرباب هذا القول: وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وهم الذين أعدوا أنفسهم للقتال، فأما من ليس بمعد نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ الفناة والزمنى والمكافيف والمجانين فإن هؤلاء لا يقاتلون وهذا حكم باق غير منسوخ (٥).

---

(١) البقرة ١٩٠.
(٢) التسهيل ١ / ٧٣
(٣) من الآية ٣٦ من سورة التوبة
(٤) تفسير الثعلبي ٢ / ٨٧
(٥) زاد المسير ١ / ١٩٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما، بل هو قول الجمهور (١).

خلاصة الترجيح:

من خلال النظر في أقوال العلماء حول هذه الآية رأيت أنه يمكن الجمع بين النصين حيث الواقع يفرض نفسه لاستعمال أحد النصين خاصة وأن أحدهما خاص والآخر عام (٢) فالأمر بقتال المشركين كافة أمر بالجهاد ونشر الدعوة ومحاربة كل من يحول دون البلاغ المبين من رب العالمين إلى الناس أجمعين، فإن تغيرت وسائل الدعوة ولم يكن سبيلها الوحيد هو الانتقال إلى الشعوب في أوطانهم وأننا يمكننا بلوغهم في عقر دارهم بحركات الأصابع من خلال وسائل الاتصال الحديثة سواء كانت هواتف تنقل الأصوات أم رسائل إلكترونية عبر الإنترنت أم غيرها من وسائل الاتصال وفي هذا الواقع أغار على المسلمين في أرضهم من ليسوا على دينهم فيكون النص الفاعل في هذه الحالة هو قوله تعالى "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم" "وهذا ما انتظمه النبي - صلى الله عليه وسلم - سلوكا حيث كان قتاله من قاتله تطبيقا للنص الأول، ثم كانت محاربته لمن استوجب الحرب تطبيقا للنص الثاني ولعل هذا ما حمل الفقهاء على الاختلاف في سبب حرب الكفار هل هو ذات الكفر أم هو اعتداؤهم (٣)، فأقول والله تعالى أعلم إن النصوص تشمل الأحوال كلها ليعمل كل منها في الواقع الذي يناسبه (٤)

فإن صح ما ذكرت فالقول بالجمع أولى حيث لا تعارض بين النصين وعليه فالقول بالنسخ دعوى بغير دليل (٥) — والله أعلم.

---

(١) جامع البيان ٢ / ٢٣٣، ٢٣٤، النكت والعيون ١٩٣/١، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص١٥٥: ١٥٧
(٢) روح المعاني ٢ / ٧٤
(٣) بداية المجتهد - كتاب الجهاد - ١ / ٢٨١
(٤) تفسير السمعاني ١ / ١٩٢
(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين ٧١/١ مناهل العرفان ١٩٦/٢.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٣- قوله: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ (١):

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ أي: ممنوع ثم نسخه "فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" وذلك بعيد؛ فإن "حيث وجدتموهم" عموم في الأمكنة لا في الأزمنة، ويظهر أن ناسخه "وقاتلوا المشركين كافة" بعد ذكر الأشهر الحرم فكان التقدير وقاتلوا فيها، ويدل عليه: "فلا تظلموا فيهن أنفسكم"، ويحتمل أن يكون المراد وقوع القتال في الشهر الحرام أي إباحته حسبما استقر في الشرع فلا تكون الآية منسوخة بل ناسخة لما كان في أول الإسلام من تحريم القتال في الأشهر الحرم (٢)

الترجيح في الميزان:

اتفق الجمهور على أن حكم هذه الآية حرمة القتال في الشهر الحرام ثم اختلفوا هل بقي ذلك الحكم أم نسخ؟

١- فقالت طائفة: حكمُهُ باقٍ لم يُنسَخْ؛ وممن قال ذلك عطاءُ بنُ أبي رباح فعن ابن جريج(٣) قال: قلتُ لعطاء: قال: ما لهُمْ إنَّ ذلك لم يكنْ يحلُّ لهُمْ أنْ يغزُوا في الشهرِ الحرامِ ثم غزوْهُمْ بعدُ فيه.

قال: فحَلَفَ لي ما يَحِلُّ للناسِ أنْ يَغْزُوا في الحَرَمِ ولا في الشَّهْرِ الحَرَامِ إلَّا أنْ يُقَاتَلُوا، قال: وما نُسِخَتْ.

---

(١) البقرة ٢١٧

(٢) التسهيل ١ / ٧٨

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي أحد الأعلام، روى عن مجاهد وعطاء وطاووس والزهري، وخلق، قال يحيى بن سعيد: كنا نسمي كتب ابن جريج كتب الأمانة، وهو صدوق قال مخلد بن الحسين: ما رأيت أحداً أصدق لهجة من ابن جريج، وكان شيخ الحرم كان يصوم الدهر إلا ثلاثة أيام من الشهر، ولد سنه ثمانين عام الجحاف، ومات سنة خمسين ومائة عاش سبعين سنة- ينظر في ترجمته طبقات الحفاظ ٨١/١ سير أعلام النبلاء ٣٢٩/٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وروى جابر قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يُغزى.

وسئل سعيد بن المسيب هل يصلح للمسلمين أن يقاتلوا الكفار في الشهر الحرام؟ قال: نعم، قال أبو عبيد: والناس بالثغور اليوم جميعاً على هذا القول يرون الغزو مباحاً في الشهور كلها.

والحجة في إباحته قوله تعالى: فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتمُوهُمْ وهذه الآية ناسخة لتحريم القتال في الشهر الحرام

أنها تفيد تحريم القتال في الشهر الحرام، وهذا الحكم باق لم ينسخ(١)

والثاني: ما جاء عن الإمام الفخر الرازي في تفسيره قال:

قوله تعالى: قُلْ قتالٌ فيه كبيرٌ هذا نكرة في سياق الإثبات فيتناول فرداً واحداً، ولا يتناول كل الأفراد، فهذه الآية لا دلالة فيها على تحريم القتال مطلقاً في الشهر الحرام، فلا حاجة إلى تقدير النسخ فيها(٢)

قال الإمام الفخر الرازي: والذي عندي أن قوله تعالى: قُلْ قتالٌ فيه كبيرٌ هذا نكرة في سياق الإثبات فيتناول فرداً واحداً، ولا يتناول كل الأفراد، فهذه الآية لا دلالة فيها على تحريم القتال مطلقاً في الشهر الحرام، فلا حاجة إلى تقدير النسخ فيها(٣)

ونرى الإمام ابن العربي يعرض الآراء قائلاً: قولُهُ تَعَالَى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا اخْتَلَفَ النَّاسُ في نَسْخِ هذِهِ الآيَةِ؛ فكَانَ

---

(١) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخة ص١٦٠
(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢٦٤/٣
(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٢٦٤/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

عطاءٌ يحلِفُ أنَّها ثابتةٌ؛ لأنَّ الآياتِ التي بعْدَها عامَّةٌ في الأزْمِنَةِ وهذا خاصٌ؛ والعامُ لا يُنسَخُ بالخاصِ باتِّفاقٍ.

وقال سائرُ العُلَماءِ: هي منسوخةٌ؛ واخْتُلِفُوا في الناسِخِ؛ فقال الزُّهْرِيُّ: نسخَها قولُه تعالى: وقاتِلُوا المُشْرِكِينَ كافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وقال غيْرُهُ: نسخَها: قاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ، وقال غيْرُهُ: نسخَها غزْوُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ثقيفًا في الشَّهْرِ الحَرامِ وإغْزاؤُهُ أبا عامرٍ إلى أوْطاسٍ في الشَّهْرِ الحَرامِ؛ وهذِهِ أخْبارٌ ضعيفةٌ.

وقال غيْرُهُ: نسخَتْها بَيْعَةُ الرِّضْوانِ على القِتالِ في ذِي القَعْدَةِ، وهذا لَا حُجَّةَ فيهِ؛ لأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ بلَغَهُ أنَّ عُثْمانَ قُتِلَ بمكَّةَ، وأنَّهُمْ عازِمُونَ على حرْبِهِ، فبايَعَ على دفْعِهِمْ لَا على الابْتِداءِ.

وقال المُحَقِّقُونَ: نسخَها قولُهُ تعالى: فإذا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المُشْرِكِينَ حيْثُ وجَدْتُمُوهُمْ يَعْنِي أشْهُرَ التَّسْيِيرِ، فلَمْ يجْعَلْ حُرْمَةً إلَّا لِزَمَانِ التَّسْيِيرِ.

والصَّحِيحُ أنَّ هذِهِ الآيَةَ رَدٌّ على المُشْرِكِينَ حينَ أعْظَمُوا على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ القتالَ والحمايةَ(؟) في الشَّهْرِ الحَرامِ؛ فقالَ اللَّهُ تَعَالَى: وصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وكُفْرٌ بِهِ والمَسْجِدِ الحَرَامِ وإخْرَاجُ أهْلِهِ مِنْهُ أكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ والفِتْنَةُ وهِيَ الكُفْرُ في الشَّهْرِ الحَرَامِ أشَدُّ مِنَ القَتْلِ، فإذا فعَلْتُمْ ذلِكَ كُلَّهُ في الشَّهْرِ الحَرامِ تَعَيَّنَ قَتَالُكُمْ فيهِ. (١)

الترجيح في الميزان:

يقول صاحب تفسير المنار: معلوم أن العام يبني علي الخاص، والآية المذكورة هنا خاصة في بعض الأزمان، فهي تبين أن القتال في الأشهر الحرم المذكورة كبيرة، والآيات الأخرى عامة، فيقضي بهذه الآية الخاصة علي العامة، هذا

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٢٩٠/١، نواسخ القرآن لابن الجوزي ٨٠/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والآيات التي ظنوها ناسخة هي قوله وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً(١) عامة في الأشخاص، وقوله — فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ(٢) عامة في الأمكنة" وعموم الأشخاص وعموم الأمكنة لا يستلزم واحد منها عموم الأزمنة، وعليه فلا تعارض ولا نسخ "(٣)

والذي يظهر أن إثبات كون القتال في الشهر الحرام كبيراً تمهيد للحجة علي أن ما فعله عبد الله بن جحش وما عساه أن يفعله المسلمون من القتال فيه مبني علي قاعدة لا ينكرها عقل، وهي وجوب ارتكاب أخف الضررين إذا لم يكن بد من أحدهما، ولا شك أن القتال في نفسه أمر كبير وجرم عظيم، وإنما يرتكب لإزالة ما هو أعظم منه وذلك من قوله بقوله وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ أي صد الناس ومنعهم عن الطريق الموصل إليه — وهو الإسلام، وهو الذي يفعله المشركون من اضطهاد المسلمين وفتنتهم عن دينهم إذ يقتلون من يسلم ويؤذونه في نفسه وأهله وماله..... كل واحدة من هذه الجرائم التي عليها المشركون أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام فكيف بها وقد اجتمعت(٤).

وأما القول بأن السنة هي التي نسختها فقولٌ غير مقبول لأن خطبة الوداع متأخرة عن هذا كله، وهي قاطعة بالتحريم، وفيها ما يؤكد عدم قابلية التحريم للنسخ(٥) فيحمل ما وقع من النبي- علي أنه من باب ارتكاب أخف الضررين، وهذا حكمٌ باق إلي يوم القيامة، ألا تري قوله في الآية نفسها(وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وقد تقدم قول الإمام الرازي أن قوله: (قتالٌ) نكرة في حيز مثبت فلا تعم. ووضح ذلك فقال: "وفيه تنبيه علي أن القتال الذي يكون كبيراً ليس هو هذا القتال الذي سألتم عنه، بل هو قتال

---

(١) التوبة ٣٦
(٢) التوبة ٥
(٣) مناهل العرفان ٢٧٩/٢
(٤) تفسير المنار ٢٥١/٢
(٥) النسخ في القرآن ٦٦٤/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

آخر، لأن هذا القتال كان الغرض منه نصرة الإسلام وإذلال الكفر، فكيف يكون هذا من الكبائر؟ إنما القتال الكبير الذي يكون الغرض منه هدم الإسلام وتقوية الكفر"(١) وعلي هذا فلا نسخ، بل لا تعارض أصلاً لأنه حمل كل واحدة من تلك الآيات علي غير ما تحمل عليه الأخرى، والله أعلم

٤- قوله - عز وجل -: لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ(٢):
قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: لا إكراه في الدين (المعنى أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه بل يدخل فيه كل ذي عقل سليم من تلقاء نفسه دون إكراه ويدل على ذلك قوله: قد تبين الرشد من الغي أي: قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غي فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه وقيل(٣): معناها الموادعة وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول في الإسلام ثم نسخت بالقتال وهذا ضعيف لأنها مدنية وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة. (٤)
الأقوال كما عرضها الإمام ابن جزي:
اختلف في هذه الآية علي ثلاثة أقوال:
القول الأول: أن المراد الوضوح والظهور لآيات الكتاب وعليه فالآية محكمة لا نسخ فيها.
القول الثاني: أن المراد الموادعة وأن الآية منسوخة بالقتال وهذا قول زيد ابن أسلم وغيره(٥).
(١) مفاتيح الغيب٣/٢٩٩، حاشية زادة ٥٢٢/١، روح المعاني ١٦٣/٢، ١٦٤.
(٢) البقرة ٢٥٦
(٣) قال الإمام ابن الجوزي في زاد المسير ١ / ٣٠٥، وهذا مذهب الضحاك والسدي وابن زيد
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ١ / ٩٠
(٥) أخرجه: الطبري٢٢/٣، ابن أبي حاتم٤٩٣/٢، وينظر: النكت والعيون٢٦١/١، مفاتيح الغيب٥٥٠/٣، لباب التأويل١٩١/١، الجواهر الحسان١٥/١، الدر المنثور٢٠/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

يعرض الإمام ابن جزي هنا لقضية صارت في عصرنا هذا من القضايا الشائكة وهي هل قوله تعالى "لا إكراه في الدين" آية محكمة لا يزال العمل بها قائم أم أنها منسوخة والعمل على غيرها من نحو آية السيف أو الآيات التي تحض على الجهاد؟ وبناء عليه فهل للناس حرية اعتناق الإسلام أو عدم اعتناقه أم أنهم يجبرون على الدخول فيه؟ إن لم يكن طواعية فبالإكراه وإن لم يكن بالقول الحسن فبالقوة والسلاح

ولقد نسج المستشرقون على إثر هذا السؤال خيوطا قوية يستطيعون من خلالها إيقاع الإسلام في مأزق عندما ادعوا أن الإسلام قد انتشر بالسيف والجواب عن ذلك كله فيما يلي:

١- في الآية بيان لكمال هذا الدين الإسلامي وأنه لكمال براهينه واتضاح آياته وكونه هو دين العقل والعلم ودين الفطرة والحكمة ودين الصلاح والإصلاح ودين الحق والرشد فلكماله وقبول الفطرة له لا يحتاج إلى الإكراه عليه لأن الإكراه إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب ويتنافى مع الحقيقة والحق أو لما تخفى براهينه وآياته وإلا فمن جاءه هذا الدين ورده ولم يقبله فإنه لعناده فقد تبين الرشد من الغي فلم يبق لأحد عذر ولا حجة إذا رده ولم يقبله ولا منافاة بين هذا المعنى وبين الآيات الكثيرة الموجبة للجهاد فإن الله أمر بالقتال ليكون الدين كله لله ولدفع اعتداء المعتدين على الدين وأجمع المسلمون على أن الجهاد ماض مع البر والفاجر وأنه من الفروض المستمرة الجهاد القولي والفعلي

٢- من ظن أن هذه الآية تنافي آيات الجهاد فجزم بأنها منسوخة فقوله ضعيف لفظا ومعنى كما هو واضح بين لمن تدبر الآية الكريمة حيث يمكن الجمع بين النصين من خلال تخصيص الآية الكريمة بأهل الكتابين والمجوس وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٣- بين الآية الكريمة والأمر بالقتال عموم وخصوص حيث قال قتادة والضحاك بن مزاحم: هذه الآية محكمة خاصة في أهل الكتاب الذين يبذلون الجزية ويؤدونها عن يد صغرة قالا: أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقاتل العرب أهل الأوثان لا يقبل منهم إلا "لا إله إلا الله" أو السيف ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل الجزية ونزلت فيهم لا إكراه في الدين

٤- وهو خبر لا يقبل النسخ وإن أريد به النفي فإنه لا يعارض الأمر بالقتال من حيث إن غاية القتال ليست هي الإكراه

هذا والآية تقرر مبدأ من المبادىء التي يعتز بها الإسلام في تاريخه الطويل وهو الدين الذي حرر العقل من ربقة الهوى وربأ بالعقل عن عبودية التقليد (١)

٥- وأنه لم يقع في السيرة ولا في الخلافة الراشدة أن أحدا من الناس أكره على الدخول في الإسلام، ويستدرك على ذلك بأن القرآن الكريم أورد في موضع آخر ما يوضح هذه القضية في قوله تعالى: ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" (٢)

وقال القاضي أبو محمد: وعلى مذهب مالك في أن الجزية تقبل من كل كافر سوى قريش أي نوع كان فتجيء الآية خاصة فيمن أعطى الجزية من الناس كلهم لا يقف ذلك على أهل الكتاب كما قال قتادة والضحاك (٣)

وأرى والله أعلم أن إمامنا رحمه الله على صواب في قوله بعدم النسخ، إذ لا مندوحة في القول بنسخ هذه الآية بآية القتال حيث يمكن الجمع بينهما بل لأراهما ظاهرتي التكامل فإنه تعالى لما بيّن دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للعذر قال بعد ذلك إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار

---

(١) النسخ في القرآن الكريم للدكتور / مصطفى زيد ٥١٢/٢: ٥١٣ بتصرف يسير.
(٢) من الآية ٩٤ من سورة يونس
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١ / ٣٤٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الابتلاء إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان ونظير هذا قوله تعالى فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ (١) وقال في سورة أخرى وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ (٢) وقال في سورة الشعراء لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٣)

ومما يؤكد هذا القول أنه تعالى قال بعد هذه الآية قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ يعني ظهرت الدلائل ووضحت البينات ولم يبق بعدها إلا طريق القسر والإلجاء والإكراه وذلك غير جائز لأنه ينافي التكليف فهذا تقرير التأويل(٤)

٥- قوله.. وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ(٥)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قيل: معنى ذروا اتركوهم لا تحاجوهم ولا تتعرضوا لهم فالآية على هذا منسوخة بالقتال (٦).

وقيل: معنى ذروا الوعيد والتهديد كقوله وذرني والمكذبين وهو الأظهر لما بعده (٧).

الأقوال الواردة في المسألة:

١- أنها منسوخة بآية القتال، لأن قوله: وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ

(١) الكهف: ٢٩

(٢) يونس: ٩٩

(٣) الشعراء: ٣

(٤) التفسير الكبير للرازي ٧ / ١٣، ١٤

(٥) سورة الأعراف آية: ١٨٠.

(٦) وممن قال بذلك الإمام القرطبي ٧٦٤/٤ وابن الجوزي في نواسخ القرآن ١٦٢/١ وابن حزم في الناسخ والمنسوخ ٣٨/١

(٧) التسهيل / ٢ / ٥٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يقتضي الإعراض عن الكفار، وهذا قول ابن زيد (؟؟؟)ونقله الطبري وغيره (١)

٢- القول بعدم النسخ وقال به جمهور المفسرين (٢)

الترجيح في الميزان:

ذهب الإمام ابن زيد إلى أن المراد هنا عدم التعرض لمن يلحدون في أسماء الله تعالى ومن ثم جاءت آية السيف رافعة سلطان القوة في وجه كل من ألحد في أسمائه سبحانه

وذهب القائلون بأن الآية محكمة إلى أن المراد بالآية الإمساك عن الاسترسال في محاجتهم لظهور أنهم غير قاصدين معرفة الحق أو ترك الإصغاء لكلامهم لئلا يفتنوا عامة بشبهاتهم.

التعقيب:

وقد علق الإمام ابن جرير الطبري علي قول ابن زيد فقال رحمه الله:

ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من أنه منسوخ، لأن قوله: وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ، ليس بأمر من الله لنبيّه صلى الله عليه وسلم بترك المشركين أن يقولوا ذلك، حتى يأذن له في قتالهم، وإنما هو تهديدٌ من الله للملحدين في أسمائه، ووعيدٌ منه لهم، كما قال في موضع آخر: ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)

وكقوله: لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ(٤)، وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتهديد، ومعناه: أنْ مَهِّلْ الذين يلحدون، يا محمد، في أسماء الله إلى أجل هم بالغوه، فسوف يجزون، إذا جاءهم أجل الله

---

(١) زاد المسير ٦٢/٣

(٢) زاد المسير ٣ / ٢٩٣، البيضاوي ١ / ٧٧، روح المعاني ٩ / ١٢٥، التحرير والتنوير ١ / ١٦٧٨ (؟)

(٣) سورة الحجر: ٣

(٤) سورة العنكبوت: ٦٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الذي أجلهم إليه، جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك من الكفر بالله، والإلحاد في أسمائه، وتكذيب رسوله. (١)

قال ابن الجوزي في زاد المسير:

الجمهور علي أن هذه الآية محكمة، لأنها خارجة مخرج التهديد، كقوله: ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (٢). (٣)

وأرى أن الآية الكريمة غير منسوخة كما ذكر الإمام ابن جزي وأن ترك من يعمى عن الله(؟) وينحصر داخل مشاعره وقواه مادام لم يعتد علينا أو يصد الناس عن سبيل الله. والله أعلم.

٦- قوله تعالى: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ(٤)
هل هي منسوخة بالقتال أم هي ثابتة الحكم؟
قال الإمام ابن جزي رحمه الله:
قوله تعالى: (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) أي: لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم واحلم عنهم، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جبريل عنها فقال: لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال: يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك.
وعن جعفر الصادق أمر الله نبيه فيها بمكارم الأخلاق وهي على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح.
وقيل: كانت مداراة للكفار ثم نسخت بالقتال (٥).
(١) تفسير الطبري ١٣/ ٢٨٥
(٢) المدثر: ١١
(٣) زاد المسير ٦٢/٣
(٤) سورة الأعراف الآية ١٩٩.
(٥) التسهيل ٢ / ٥٧، ٥٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال في المسألة:

قال الإمام ابن الجوزي في زاد المسير (١) وفي قوله وأعرض عن الجاهلين قولان:

أحدهما: أنهم المشركون أمر بالإعراض عنهم ثم نسخ ذلك بآية السيف

والثاني: أنه عام فيمن جهل أمر بصيانة النفس عن مقابلتهم على سفههم وإن وجب عليه الإنكار عليهم أ ه.

والقول الأول لعطاء(٢) وابن زيد، والثاني لجمهور العلماء

الترجيح في الميزان:

يرى الإمام ابن جزي أن الآية محكمة لم يتطرق إليها النسخ، وأرى أن سبب اختلاف العلماء في كون الآية منسوخة أم لا هو اختلافهم في المخاطب بالآية الكريمة، فمن رأى أن الخطاب فيها للمشركين قال بنسخها بآية السيف، ومن قال بأن الخطاب فيها عام قال بإحكامها حيث هي تأمر بفضائل الأخلاق

والصواب ما ذهب إليه الإمام ابن جزي وقال به الجمهور من أنها محكمة.

قال ابن عاشور: ومن قال إن هذه الآية نسختها آيات القتال فقد وهم لأن العفو باب آخر، وأما القتال فله أسبابه، ولعله أراد من النسخ ما يشمل معنى البيان أو التخصيص في اصطلاح أصول الفقه (٣)

وقال ابن عطية: قوله وأعرض عن الجاهلين حكم مترتب حكم مستمر في الناس ما بقوا هذا قول الجمهور من العلماء (٤)

وقال الإمام الزركشي في البرهان: هذه جمعت مكارم الأخلاق كلها لأن في خذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين وفي الأمر بالمعروف تقوى الله

---

(١) زاد المسير ٣ / ٣٠٨
(٢) البغوي ٢ / ٢٢٤
(٣) التحرير والتنوير ٦/ ٥٢
(٤) المحرر الوجيز ٢ / ٤٩١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وصلة الأرحام وصرف اللسان عن الكذب وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مماراة السفيه

ويمكننا أن نجمل القول بأن قوله تعالى "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" نص عام مفتوح على ملايين الوقائع، وآية السيف تتعلق بواقعة محددة مع مشركي العرب الذين عرضت سورة التوبة لسائر التفاصيل المتعلقة بهم وبالأسباب التي أدت إلى صدور ذلك الحكم بحقهم

وعليه: فنتفق مع الإمام ابن جزي في ترجيحه أن الآية غير منسوخة وإنما هي محكمة والله أعلم.

٧- قوله تعالى: وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى: العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلاما لينا عجيبا(؟).

وقيل: أن يقولوه للمشركين ثم نسخ بالسيف. (٢)

يرى الإمام ابن جزي أن الآية غير منسوخة، وأن المخاطب بالقول الحسن هنا هم المؤمنون بعضهم مع بعض.

آراء العلماء في القول بنسخ الآية أو عدمه

الأول: قالت طائفة من العلماء (٣) بنسخ الآية بآية السيف.

وأرى: أنهم أرجعوا ذلك إلى سبب النزول ووقته، فروي أنها نزلت في عمر بن الخطاب..

(١) سورة الإسراء آية: (٥٣)

(٢) التسهيل ٢ / ١٧٢

(٣) زاد المسير ٥ / ٤٧، المحرر الوجيز ٣ / ٤٦٤، فتح القدير ٣ / ٢٣٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقيل: نزلت حين شكا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إليه أذى المشركين واستئذنوه في قتالهم فقيل له: قل لهم: يقولوا للكفار الكلمة التي هي أحسن وهو أن يقولوا: يهديكم الله (١)

الثاني: أنها غير منسوخة وأنها خطاب للمؤمنين مفاده قل يا محمد لعبادي يقل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة (٢)

الترجيح في الميزان:

أرى أن سبب اختلاف العلماء في كون هذه الآية منسوخة أم لا هو نظرهم إلى سبب النزول، فمن قيد النص بسبب النزول حكم بنسخها، ومن أطلق النص رآها عامة في مخاطبة أي أحد مشركا كان أم مسلما.

وإذا كانت العبرة في النص القرآني بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فإنه لا وجه لمن قال بالنسخ، لأنه لا يتوافق مع سبب النزول، هذا فضلا عن أن سبب النزول لا يستلزم النسخ، فمخاطبة المشركين لا يشترط لها الغلظة والرعونة في القول.

قال الإمام الشوكاني: قوله تعالى: وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

أي: قل يا محمد لعبادي المؤمنين إنهم يقولون عند محاورتهم للمشركين الكلمة التي هي أحسن من غيرها من الكلام الحسن كقوله سبحانه: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (٣) وقوله: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤)

---

(١) البغوي ٣ / ١١٩، الثعلبي ٦ / ١٠٧، الواحدي ٢ / ٦٣٧، السمرقندي ٢ / ٣١٥
(٢) الطبري ١٥ / ١٠٢، فتح القدير ٣ / ٣٣٧
(٣) سورة العنكبوت آية: (٤٦)
(٤) سورة طه آية: (٤٤)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

لأن المخاشنة لهم ربما تنفرهم عن الإجابة، أو تؤدي إلى ما قال سبحانه: "وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ"(١)

وجاء في التحرير والتنوير: هذه الآية شديدة الاتصال بالتي قبلها وليست بحاجة إلى تطلب سبب لنزولها. وهذا تأديب عظيم في مراقبة اللسان وما يصدر منه. وفي الحديث الصحيح عن معاذ بن جبل: أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بأعمال تدخله الجنة ثم قال له (ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟) قلت: بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا. قال: قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم (٢)

والمقصد الأهم من هذا التأديب تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضا بحسن المعاملة وإلانة القول. لأن القول ينم عن المقاصد. بقرينة قوله إن الشيطان ينزغ بينهم ثم تأديبهم في مجادلة المشركين اجتنابا لما تثيره المشادة والغلظة من ازدياد مكابرة المشركين وتصلبهم فذلك من نزغ الشيطان بينهم وبين عدوهم. (٣)

وعليه فأرى والله أعلم أنه لا داعي مطلقا للقول بالنسخ في الآية، وأن القول ما قاله الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى.

---

(١) سورة الأنعام آية (١٠٨)

(٢) مسند الإمام أحمد حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ٢٣١/٥، سنن الترمذي - كتاب الإيمان عن رسول الله - باب ما جاء في حُرْمة الصلاة ١١/٥، سنن النسائي الكبرى قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع ٤٢٨/٦

(٣) التحرير والتنوير ٢٥١/٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (١) هل هي منسوخة بالآية يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُن ۖ (٢) أم هي ناسخة لها؟

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ اختلف في حكم هذه الآية فقيل: إنها منسوخة بقوله: إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ على القول بأن المراد جميع النساء (٣)

وقيل: إن هذه الآية ناسخة لتلك على القول بأن المراد من كان في عصمته وهذا هو الأظهر لما ذكرنا عن ابن عباس ولأن التسع في حقه عليه الصلاة والسلام كالأربع في حق أمته(٤)

أقوال العلماء في المسألة (٥):

١- منهم من قال: هي منسوخة بالسنة يدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها.

---

(١) سورة الأحزاب آية: ٥٢
(٢) سورة الأحزاب آية: ٥٤
(٣) يقصد المراد بقوله تعالى "إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن...."
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٣ / ١٤٢
(٥) ينظر في هذه الأقوال: الدر المنثور ٦ / ٦٣٦، المحرر الوجيز ٤ / ٣٩٤، تفسير أبي السعود ٧ / ١١، تفسير ابن أبي حاتم ١٠ / ٣١٤٦، البغوي ٣ / ٥٣٣، الثعالبي ٨ / ٥٥، السمرقندي ٣ / ٦٥، الطبري ٢٢ / ٣٠، زاد المسير ٦ / ٤٠٩، المصفى من علم الناسخ والمنسوخ ١ / ٤٨، الناسخ والمنسوخ للمقري ١ / ٥٥، ٥٦، الناسخ والمنسوخ للكرمي ١ / ١٦٨، الناسخ والمنسوخ لابن حزم ١ / ٥١، الناسخ والمنسوخ للنحاس ١ / ٦٢٧، ٧٢٩، نواسخ القرآن ١ / ٢١٠، ٢١١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قالت: ما مات رسول الله حتى أحل له النساء "(١) فدل هذا الحديث على أن عائشة رضي الله عنها قد كان عندها أنه كان حظر عليه التزوج ثم أطلق له وأبيح وكان هذا على قول من أجاز أن ينسخ القرآن بالسنة

٢- ومنهم من قال: هي منسوخة بآية أخرى وكان الله قد حظر عليه التزوج بعد من كان عنده ثم أطلقه له وأباحه بقوله تعالى: تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ (٢) عن جماعة من جلة الصحابة والتابعين فعن أم سلمة قالت لم يمت رسول الله حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء من شاء إلا ذات محرم وذلك قول الله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء (٣) وهو مع هذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وعلي بن الحسين والضحاك (٤)

٣- ومن العلماء من قال: الآية محكمة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم أن يتزوج سوى من كان عنده ثوابا من الله عز وجل لهن حين اخترن الله عز وجل ورسوله والدار الآخرة هذا قول الحسن وابن سيرين وأبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام(٥)

٤- ومنهم من قال: هي محكمة ولكن لما حظر عليهن أن يتزوجن بعد موته حظر عليه أن يتزوج غيرهن قول أبي أمامة بن سهل بن حنيف(٦)

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب - ٥ / ٣٣٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه باب ما افترض الله عز وجل على رسوله - صلى الله عليه وسلم - وحرمه على خلقه ليزيده إن شاء قربة إليه ١٠ / ٢٩٥، الإمام أحمد في مسنده ٦ / ٤١ رقم ٢٤١٨٣.
(٢) الأحزاب ٥١
(٣) سورة الأحزاب آية: ٥١
(٤) تفسير القرطبي ١٤ / ٢١٩
(٥) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٢٠
(٦) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٢٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٥- ومنهم من قال: المعنى لا يحل لك النساء من بعد هذه القصة يعني إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الآية(١) قول ابن أبي رزين وهو يروي عن أبي بن كعب وهو اختيار محمد بن جرير(٢)

٦- ومنهم من قال: لا يحل لك النساء بعد المسلمات ولا تتزوج بيهودية ولا نصرانية قول مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة قال مجاهد لئلا تكون كافرة أما للمؤمنين(؟) وهذا القول يبعد لأنه يقدره من بعد المسلمات ولم يجر للمسلمات ذكر.

٧- ومنهم من قال: المعنى لا تبدل واحدة من أزواجك بيهودية ولا نصرانية.

٨- أن النبي لما قال الله عز وجل: مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣) كان له أن يتزوج من النساء من شاء بغير عدد محظور كما كان للأنبياء قبله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قول محمد بن كعب القرظي(٤)

الترجيح في الميزان:

من خلال استعراض أقوال العلماء في المسألة يتبين: أن بعضهم جعلها منسوخة بالحديث، وبعضهم جعلها منسوخة بقوله تعالى: تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ الآية " وبعضهم جعلها منسوخة بقوله "إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن... الآية"

---

(١) الناسخ والمنسوخ للنحاس ١ / ٦٢٧
(٢) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٢٠، الناسخ والمنسوخ ١ / ٦٣١
(٣) سورة الأحزاب آية: ٣٨
(٤) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٢٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وبعضهم جعلها محكمة وأنها على سبيل الإتمام للنص الأول، سواء كان على سبيل المكافأة لأزواج النبي اللاتي اخترن الله ورسوله، أو على سبيل التقييد بالأصناف المذكورة في الآية الأولى

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: موقع هذه الآية في المصحف عقب التي قبلها يدل على أنها كذلك نزلت وأن الكلام متصل بعضه ببعض ومنتظم هذا النظم البديع على أن حذف ما أضيفت إليه (بعد) ينادي على أنه حذف معلوم دل عليه الكلام السابق فتأخرها في النزول عن الآيات التي قبلها وكونها متصلة بها وتتمة لها مما لا ينبغي أن يتردد فيه فتقدير(؟) المضاف إليه المحذوف لا يخلو: إما أن يؤخذ من ذكر الأصناف قبلَهُ أي من بعد الأصناف المذكورة بقوله: إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الخ.

وإما أن يكون مما يقتضيه الكلام من الزمان أي من بعد هذا الوقت والأول الراجح، و(بعد) يجوز أن يكون بمعنى (غير) كقوله تعالى فمن يهديه من بعد الله وهو استعمال كثير في اللغة وعليه فلا ناسخ لهذه الآية من القرآن ولا هي ناسخة لغيرها

ومما يؤيد هذا المعنى التعبير بلفظ الأزواج في قوله وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ أي غيرهن وعلى هذا المحمل حمل الآية ابن عباس فقد روى الترمذي عنه قال "نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات فقال: لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ فأحل الله الممنوعات المؤمنات (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي). ومثل هذا مروي عن أبي بن كعب وعكرمة والضحاك ويجوز أن يكون (بعد) مراد به الشيء المتأخر عن غيره وذلك حقيقة معنى البعدية فيتعين تقدير لفظ يدل على شيء سابق وبناء (بعد) على الضم يقتضي تقدير مضاف إليه محذوف يدل عليه الكلام السابق على ما درج عليه ابن مالك في الخلاصة وحققه ابن هشام في شرحه على قطر الندى

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فيجوز أن يكون التقدير: من بعد من ذكرن على الوجهين في معنى البعدية فيقدر: من غير من ذكرن أو يقدر من بعد من ذكرن فتنشأ احتمالات أن يكون المراد أصناف من ذكرن أو أعداد من ذكرن (وكن تسعا) أو من اخترتهن(؟) ويجوز أن يقدر المضاف إليه وقتا أي بعد اليوم أو الساعة أي الوقت الذي نزلت فيه الآية فيكون نسخا لقوله: إنا أحللنا لك أزواجك إلى قوله (خالصة لك)

وأما ما رواه الترمذي عن عائشة أنها قالت "ما مات رسول الله حتى أحل له النساء "(١). وقال حديث حسن. "وهو مقتض أن هذه الآية منسوخة" فهو يقتضي أن ناسخها من السنة لا من القرآن لأن قولها: ما مات يؤذن بأن ذلك كان آخر حياته فلا تكون هذه الآية التي نزلت مع سورتها قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بخمس سنين ناسخه للإباحة التي عنتها عائشة فالإباحة إباحة تكريم لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وروى الطحاوي مثل حديث عائشة عن أم سلمة

والنساء: إذ أطلق في مثل هذا المقام غلب في معنى الأزواج أي الحرائر دون الإماء (٢)

ويقول الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلك لا يحل لك النساء من بعدُ بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن إلى قوله (وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ)

وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية لأن قوله لا يحل لك النساء عقيب قوله إنا أحللنا لك أزواجك وغير جائز أن يقول قد أحللت لك هؤلاء ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين قبل الأخرى منهما.

---

(١) سنن الترمذي -كتاب التفسير - باب ومن سورة الأحزاب ٣٥٦/٥ رقم: (٣٢١٦).
(٢) التحرير والتنوير ١١ / ٢٩٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فإذ كان ذلك كذلك ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى ولا تقدم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة لم يجز أن يقال إحداهما ناسخة الأخرى (١)

وهكذا يتبين لنا أن الآية غير منسوخة ولا ناسخة وأن السياق القرآني متحد في نظمه وحكمه.

٩- قوله تعالى: تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٢)

هل هي منسوخة بقوله: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قوله: (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ) عموم يراد به الخصوص لأن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين من أهل الأرض فهي كقوله: وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا وقيل: إن (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) نسخ هذه الآية وهذا باطل لأن النسخ لا يدخل في الأخبار (٤)

آراء العلماء في القول بنسخ الآية وعدمه كما ذكرها الإمام ابن جزي:

الأول: أنها عموم أريد به الخصوص وهو قول الأئمة ابن عباس والسدي وقتادة والضحاك (٥)

الثاني: أنها منسوخة بقوله تعالى "وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا" نقل القول

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ٣٠.

(٢) سورة الشورى آية: (٥)

(٣) سورة غافر آية: (٧)

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٤ / ١٧

(٥) الطبري٢٥ / ٨،السمعاني٥ / ٦٣، الصنعاني ٣ / ١٩٠،الثعالبي ٨ / ٣٠٤، القرطبي١٦/ ٤، زاد المسير ٧ / ٢٧٢،فتح القدير٤ / ٥٢٦،معاني القرآن للنحاس٦ / ٢٩٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

نسخها عن وهب بن منبه(١)، مقاتل بن سليمان (٢)، وعدها الإمام ابن حزم من الآيات المنسوخة في سورة الشورى، قال: سورة الشورى مكية وجميعها محكم غير ثماني آيات أولاهن قوله تعالى يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ (٣) نسخت بالآية التي في سورة المؤمن (يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) (٤)(٥) وكذا الإمام هبة الله بن سلامة المقري (٦) (٧)،

الترجيح في الميزان:

اعتمد الإمام ابن جزي في قوله - إن الآية غير منسوخة على أن النسخ لا يكون في الأخبار، وهي قاعدة معتمدة من قواعد التفسير التي أقرها العلماء (٨)

---

(١) أبو عبد الله وهب بن منبه اليماني الصنعاني صاحب القصص، كان من خيار التابعين، ولد في آخر خلافة عثمان رضي الله عنه، روى عن أبي(؟) هريرة، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله ابن عباس، وعبد الله بن عمر وغيرهم، وروى عنه عمروبن دينار المكي، وأخرج له البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، ولد في خلافة عثمان سنة ٣٤ه تولى قضاء صنعاء ومات بها سنه ١١٠ه وثقة الذهبي وقال: كان كثير النقل من كتب الإسرائيليات - ينظر فجر الإسلام وضحاه ل أحمد أمين ٤٩٨/١، والتفسير والمفسرون ١٩٥/١، وفيات الأعيان ١٨٠/٢، الإسرائيليات والموضوعات للدكتور / محمد أبو شهبه ص ١٠٥.

(٢) نواسخ القرآن ١ / ٢١٨، تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ١٧٢

(٣) سورة الشورى آية: (٥)

(٤) سورة غافر آية: (٧)

(٥) الناسخ والمنسوخ لابن حزم ١ / ٥٣

(٦) الناسخ والمنسوخ هبة الله بن سلامة المقري ١ / ١٥٤

(٧) زاد المسير ٧ / ٢٧٢، تفسير السمرقندي ٣ / ٢٢٤

(٨) القرطبي ٥ / ٣١٢، ١٠ / ١١٣، زاد المسير ٣ / ٣٥٠، البرهان في علوم القرآن ٢ / ٣٣، الناسخ والمنسوخ للكرمي ١ / ٤٢، مصفى الناسخ والمنسوخ ابن الجوزي ١ / ٣٧، الناسخ والمنسوخ للمقري ١ / ٢٦، الناسخ والمنسوخ للنحاس ١ / ٥٣١، نواسخ القرآن ١ / ١٦٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وبذلك قال جمع من أهل التفسير منهم الإمام السمرقندي في تفسيره، وابن الجوزي في زاد المسير، والقرطبي، (١)

وقال الإمام ابن الجوزي في نواسخ القرآن:

قوله تعالى وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ زعم قوم منهم ابن منبه والسدي ومقاتل بن سليمان أنه منسوخة بقوله ويستغفرون للذين آمنوا وهذا قبيح، لأن الآيتين خبر والخبر لا ينسخ؛ ثم ليس بين الآيتين تضاد؛ لأن استغفارهم استغفار خاص لا مدخل فيه إلا لمن اتبع الطريق المستقيم فأولئك طلبوا الغفران والإعاذة من النيران وإدخال الجنان، واستغفارهم لمن في الأرض لا يخلوا من أمرين إما أن يريدوا به الحلم عنهم والرزق لهم والتوفيق ليسلموا، وإما أن يريدوا به ما في الأرض من المؤمنين فيكون اللفظ عاما والمعنى خاصا وقد دل على تخصيص عمومه قوله ويستغفرون للذين آمنوا والدليل الموجب لصرفه عن العموم إلى الخصوص أن الكافر لا يستحق أن يغفر له فعلى هذا البيان لا وجه للنسخ (٢)

وأختم المسألة بما ذكره الإمام أبو جعفر النحاس، قال: هذا لا يقع في ناسخ ولا منسوخ لأنه خبر من الله تعالى ولكن يجوز أن يكون وهب بن منبه أراد هذه الآية على نسخة تلك الآية لأنه لا فرق بينهما وكذا يجب أن يتأول للعلماء ولا يتأول عليهم الخطأ العظيم إذا كان لما قالوه وجه (٣)

---

(١) تفسير السمرقندي ٣ / ٢٢٤، زاد المسير ٧ / ٢٧٢، المصفى من الناسخ والمنسوخ ١ /٥٠، القرطبي ١٦ / ٤، الناسخ والمنسوخ للكرمي ١ / ١٨١.

(٢) نواسخ القرآن لابن الجوزي ٢١٨/١

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس ١ / ٦٥١، نواسخ القرآن لابن الجوزي ١ / ٢١٨، الموافقات للشاطبي ٣ / ١١٤، المحرر الوجيز ٢٦/٥، أبو السعود ٢٢/٨، وابن كثير ١٠٧/٤، البيضاوي ١٢٢/٥، السعدي ٧٥٣/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

١٠- قوله تعالى: مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١)

هل هي منسوخة بآية الأنفال

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى قوله تعالى: مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ِ

اضطرب الناس في تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابا عظيما، فإن ظاهرها أن الأموال التي تؤخذ من الكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يخرج منها خمس ولا تقسم على من حضر الوقيعة وذلك يعارض ما ورد في الأنفال من إخراج الخمس وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الوقيعة فقال بعضهم إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال، وهذا خطأٌ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة وقال بعضهم إن آية الأنفال في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض وأن هذه الآية في أرض الكفار قالوا ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين وهذا التخصيص لا دليل عليه وقيل غير ذلك والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال فإن آية الأنفال في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب فهذا يخرج منه الخمس ويقسم باقيه على الغانمين، وأما هذه الآية ففي حكم الفئ وهو ما يؤخذ من أموال الكفارمن غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفئ وفي الأنفال لفظ الغنيمة وقد تقرر في الفقه الفرق بين الفئ والغنيمة وأن حكمهما مختلف (٢)

---

(١) سورة الحشر آية: (٧)
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٤ / ١٠٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الآراء كما عرضها الإمام ابن جزي:

ذكر الإمام القول بنسخها وهو قول قتادة ويزيد بن رومان(١) (٢)، ولم يذكر رأي المخالف ربما على سبيل الإيحاء للقارئ بأن هذا الرأي يخالف بقية الآراء جميعا

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن الآية ليست منسوخة وعلل ترجيحه بأمرين:

الأول: أن آية الأنفال أسبق نزولا حيث نزلت آية الأنفال بعد وقعة بدر وآية الحشر نزلت في غزوة بني النضير واتفق جمهور العلماء وأهل الأثر على أن حادثة بني النضير كانت بعد وقعة بدر، والمتقدم في النزول لا ينسخ المتأخر.

الثاني: أنه لا تعارض بين الآيتين وإذا انتفى التعارض انتفى القول بالنسخ، وأرى أن القول ما قال ابن جزي حيث إن غاية ما اعتمد عليه القائل بالنسخ أن الفيء والغنيمة شيء واحد وليس هو والقول الصواب

حيث فرق كثير من العلماء بين الفيء والغنيمة فقالوا(٣): الفيء: هو ما يسره الله للمسلمين من أموال الكفار من غير انتزاعه منهم بالقهر كفيء بني النضير الذين نزلوا على حكم النبي - صلى الله عليه وسلم - ومكنوه من أنفسهم وأموالهم يفعل فيها ما يشاء لشدة الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم ورضي لهم - صلى الله عليه وسلم - أن يرتحلوا بما

---

(١) أبو روح يزيد بن رومان القارئ من قراء أهل المدينة مولى آل الزبير بن العوام المدني أخذ القراءة عرضا عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي وسمع ابن عباس وعروة بن الزبير رضي الله عنهم وهو أحد شيوخ نافع بن أبي نعيم في القراءة الذين اسند عنهم، قال يحيى بن معين يزيد بن رومان ثقة، وتوفي يزيد في سنة ثلاثين ومائة رحمه الله تعالى (العبر في خبر من غبر ١ / ١٧١، شذرات الذهب ١ / ١٧٨، بغية الطلب في تاريخ حلب ٤ / ١٨٤٥، الوافي بالوفيات ٢٨ / ٤٢، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٦ / ٢٧٧)

(٢) زاد المسير ٨ / ٢١٠.

(٣) ينظر في تعريف الفيء والغنيمة قواعد الفقه - محمد عميم الإحسان المجددي ج ١ ص ٤١٧، السياسة الشرعية لابن تيمية ١ / ٣٦، تحرير الأحكام في تدبير الإسلام لابن جماعة ١ / ٩٨، عمدة القاري للإمام العيني ١٥ / ٥٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

يحملون على الإبل غير السلاح وأما الغنيمة فهي ما انتزعه المسلمون من الكفار بالغلبة والقهر وهذا التفريق يفهم من قوله: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ (مع قوله) فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ (فإن قوله تعالى) فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ ظاهر في أنه يراد به بيان الفرق بين ما أوجفوا عليه وما لم يوجفوا عليه (١)

قال ابن حزم في الناسخ والمنسوخ: سورة الحشر مدنية ليس فيها منسوخ وفيها ناسخ وهو قوله تعالى "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى" (٢) نسخ الله تعالى بها آية الأنفال (يسألونك عن الأنفال) (٣)

وقال الطبري رحمه الله تعالى: واختلف أهل العلم في الذي عني بهذه الآية من الأموال فقال بعضهم عني بذلك الجزية والخراج

عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إنما الصدقات للفقراء والمساكين حتى بلغ عليم حكيم ثم قال هذه لهؤلاء ثم قال (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى) الآية ثم قال هذه الآية لهؤلاء ثم قرأ (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغ للفقراء والذين تبووا الدار والذين جاؤوا من بعدهم) ثم قال: استوعبت هذه الآية المسلمين عامة فليس أحد إلا له حق ثم قال لئن عشت ليأتين الراعي وهو يسير حمره نصيبه لم يعرق فيها جبينه

عن معمر في قوله: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى حتى بلغني أنها الجزية والخراج خراج أهل القرى

وقال آخرون: عني بذلك الغنيمة التي يصيبها المسلمون من عدوهم من أهل الحرب بالقتال عنوة

---

(١) ينظر أضواء البيان للشنقيطي ٢ / ٥٤
(٢) سورة الحشر آية: ٧
(٣) سورة الأنفال آية: ١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

عن يزيد بن رومان (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قال: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه

وقال آخرون: عني بذلك الغنيمة التي أوجف عليها المسلمون بالخيل والركاب وأخذت بالغلبة وقالوا كانت الغنائم في بدو الإسلام لهؤلاء الذين سماهم الله في هذه الآيات دون الموجفين(؟) عليها ثم نسخ ذلك بالآية التي في سورة الأنفال

عن قتادة في قوله: (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وبن السبيل) قال كان الفيء في هؤلاء ثم نسخ ذلك في سورة الأنفال فقال: (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وبن السبيل) فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الأنفال وجعل الخمس لمن كان له الفيء في سورة الحشر وكانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس فأربعة أخماس لمن قاتل عليها ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس فخمس لله وللرسول وخمس لقرابة رسول الله في حياته وخمس لليتامى وخمس للمساكين وخمس لابن السبيل فلما قضى(؟) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هذين السهمين سهم رسول الله وسهم قرابته فحملا عليه في سبيل الله صدقة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وقال آخرون: عني بذلك ما صالح عليه أهل الحرب المسلمين من أموالهم وقالوا قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول الآيات بيان لقسم المال الذي ذكره الله في الآية التي قبل هذه الآية وذلك قوله ما أفاء الله على رسوله منها فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب وهذا قول كان يقوله بعض المتفقهة من المتأخرين، والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه الآية حكمها

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

غير حكم الآية التي قبلها وذلك أن الآية التي قبلها مال جعله الله عز وجل لرسوله - صلى الله عليه وسلم - خاصة دون غيره لم يجعل فيه لأحد نصيبا (١)

وقال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: وهذا كلام مبتدأ غير الأول لمستحق غير الأول وسمى الآية الثالثة آية الغنيمة ولا شك في أنه في معنى آخر واستحقاق ثان لمستحق آخر بيد أن الآية الأولى والثانية اشتركتا في أن كل واحدة منهما تضمنت شيئا أفاءه الله على رسوله واقتضت الآية الأولى أنه حاصل بغير قتال واقتضت آية الأنفال أنه حاصل بقتال وعريت الآية الثالثة وهي قوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى (عن ذكر حصوله بقتال أو بغير قتال فنشأ الخلاف من هنا فمن طائفة قالت هي ملحقة بالأولى وهو مال الصلح كله ونحوه ومن طائفة قالت هي ملحقة بالثانية وهي آية الأنفال والذين قالوا إنها ملحقة بآية الأنفال اختلفوا هل هي منسوخة كما تقدم أو محكمة وإلحاقها بشهادة الله بالتي قبلها أولى لأن فيه تجديد فائدة ومعنى ومعلوم أن حمل الحرف من الآية فضلا عن الآية على فائدة متجددة أولى من حمله على فائدة معادة وروى بن وهب عن مالك في قوله تعالى (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب (بني النضير لم يكن فيها خمس ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب كانت صافية لرسول الله فقسمها بين المهاجرين وثلاثة من الأنصار حسب ما تقدم وقوله (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى (هي قريظة وكانت قريظة والخندق في يوم واحد.

قال ابن العربي: قول مالك إن الآية الثانية في بني قريظة إشارة إلى أن معناها يعود إلى آية الأنفال ويلحقها النسخ وهذا أقوى من القول بالإحكام ونحن لا نختار إلا ما قسمنا وبينا إن الآية الثانية لها معنى مجدد حسب ما دللنا عليه والله أعلم قلت: ما اختاره حسن وقد قيل إن سورة الحشر نزلت بعد الأنفال فمن المحال أن ينسخ المتقدم المتأخر(٢)

---

(١) تفسير الطبري ٢٨ / ٣٧
(٢) تفسير القرطبي ١٨ / ١٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

مسائل أسباب النزول:

١- من المراد بقوله تعالى " مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا "؟

قال تعالى: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله "من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية" نزلت في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة إذ هم لا يصدقون بها،

وقيل: نزلت في أهل الرياء من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد في الحديث في القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك إنهم أول من تسعر بهم النار والأول أرجح لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن فإنما قصد بهذه الآية أولئك (٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أنها نزلت في الكفار يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة عزاه ابن عطية إلى قتادة والضحاك (٣)

أنها نزلت في أهل الرياء من المسلمين وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٤) سعيد بن جبير (٥) الضحاك(٦) مجاهد(٧)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة أن تكون الآية الكريمة نزلت في الكفار خاصة لدلالة السياق حيث ورد بعدها: "أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَة

---

(١) سورة هود الآية ١٥
(٢) التسهيل ٢ / ١٠١
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١٥٦/٣، الدر المنثور ٤٠٦/٤
(٤) تفسير الطبري ١٢/٢
(٥) تفسير ابن أبي حاتم ٩ / ٢٠١٠
(٦) تفسير الطبري ٢ / ١٢
(٧) تفسير الطبري ٢ / ١٢، الدر المنثور ٤٠٦/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(١)

وقال غيره: إن الآية نزلت في أهل الرياء من المسلمين بدليل الحديث الشريف " عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه قال فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار)(٢)

وقد علق بعض العلماء على ذلك ومنهم:

الإمام البخاري، قال: من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية " هي عامة فيمن لا يؤمن بالآخرة من الكفار. وفيمن يرائي بعمله من المسلمين وبقصد الثناء والسمعة في الدنيا.

وعلق الإمام ابن بطال على قوله رحمه الله فقال: قال أهل التأويل: هذا عام في لفظ خاص في الكفار، بدليل قوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٣)، وإنما ذكرها البخاري في هذا

---

(١) هود: ١٦
(٢) صحيح مسلم - كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار - ٣٢ / ١٣١٥ برقم ١٩٠٥
(٣) هود: ١٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الباب تحذيرا للمؤمنين من مشابهة أفعال الكافرين في بيعهم الآخرة الباقية بزينة الدنيا الفانية، فيدخلوا في معنى قوله تعالى: أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا(١) الآية (٢)

وهذا ما أميل بالرأي إليه؛ أن الآية عامة في كل من عمل عملا أراد به غير وجه الله تعالى.

فإن الإخلاص هو المطلوب الأول من المكلفين قال تعالى "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ "(٣)

وقال الله تعالى عن هذا الأمر بعينه " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا "(٤)، وقال: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا "(٥)

وقال الإمام ابن عطية: وإلى هذا ذهب معاوية حين حدثه سيافه شفي بن ماتع الأصبحي عن أبي هريرة بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الرجل المتصدق والمجاهد المقتول والقائم بالقرآن ليله ونهاره وكل ذلك رياء إنهم أول من تسعر به النار يوم القيامة فلما حدثه شفي بهذا الحديث بكى معاوية وقال صدق الله ورسوله وتلا "من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها " الآية إلى قوله " وباطل ما كانوا يعملون "(٦) (٧).

---

(١) الأحقاف: ٢٠
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠ / ١٦٣
(٣) سورة البينة الآية (٥)
(٤) سورة النساء الآية (٤٨)
(٥) سورة النساء الآية (١١٦)
(٦) سورة هود الآيتان (١٥، ١٦)
(٧) المحرر الوجيز لابن عطية ١٥٦/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والقاعدة أنه" يجب حمل نصوص الوحي على العموم حتى يرد دليل يجب التسليم له بالتخصيص"، والله أعلم.

قال تعالى " كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ "(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: (وهم يكفرون بالرحمن) قيل: إنها نزلت في أبي جهل، وقيل: نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله عام الحديبية فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن وهذا ضعيف لأن الآية نزلت قبل ذلك ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط ومعنى الآية أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم(٢)

الأقوال التي ذكرها الإمام ابن جزي:

أن الآية الكريمة نزلت في أبي جهل وهو قول الضحاك عن ابن عباس(٣)

أن الآية الكريمة نزلت في قريش عن صلح الحديبية قاله قتادة وابن جريج ومقاتل(٤)

الترجيح في الميزان:

ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما قال لكفار قريش اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت هذه الآية وقيل لهم إن الرحمن الذي أنكرتم هو ربي هذا قول الضحاك عن ابن عباس.

---

(١) سورة الرعد الآية ٣٠
(٢) التسهيل ٢ / ١٣٤
(٣) تفسير الثعلبي ٢٩١/٥، زاد المسير لابن الجوزي ٣٢٩/٤
(٤) تفسير الطبري ١٥٠/١٣، تفسير الثعلبي ٢٩١/٥، المحرر الوجيز ٣١٢/٣، زاد المسير لابن الجوزي ٣٢٩/٤ المحرر الوجيز ٣١٢/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والثاني: أنهم لما أرادوا كتاب الصلح يوم الحديبية كتب علي عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة فنزلت هذه الآية قاله قتادة وابن جريج ومقاتل

والثالث: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يوما في الحجر يدعو وأبو جهل يستمع إليه وهو يقول يا رحمن فولى مدبرا إلى المشركين فقال إن محمدا كان ينهانا عن عبادة الآلهة وهو يدعو إلهين فنزلت هذه الآية (١)

وجمع العلماء يعتبر سبب النزول أحد هذه الثلاثة غير أن الإمام ابن جزي هنا ضعف القول بأنها نزلت في صلح الحديبية مستدلا بأن الآية مكية وصلح الحديبية إنما كان بعد هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم -،

ووقت نزول سورة الرعد أمر مختلف فيه.

فقد أخرج النحاس في "الناسخ والمنسوخ" عن ابن عباس، وسعيد بن منصور وابن المنذر عن سعيد بن جبير أن سورة الرعد مكية، وبه قال الحسن وعطاء وقتادة.

وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس، وابن مردويه عن ابن الزبير: أن سورة الرعد نزلت بالمدينة، وبه قال جابر وابن زيد. وروي عن ابن عباس أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة، ورواه ابن المنذر وأبو الشيخ عن قتادة. (٢)

ومكية السورة شديدة الوضوح سواء في طبيعة موضوعها، أو طريقة أدائها، أو في جوها العام الذي لا يخطئ تنسمه من يعيش فترة في ظلال القرآن.

وقال السمعاني: وقوله (وهم يكفرون بالرحمن) فيه قولان: أحدهما: قال ابن جريج: الآية مدنية في قصة الحديبية فإن سهيل بن عمرو لما جاء واتفقوا

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٣٢٩/٤

(٢) الدر المنثور: ٤ / ٥٩٩، الإتقان: ١ / ٤٠-٤٤، زاد المسير: ٤ / ٢٩٩، في ظلال القرآن: ١٣ / ٢٠٣٩.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

على أن يكتبوا كتاب الصلح، كتب علي رضي الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم، فقالوا: لا نعرف الرحمن، اكتب كما نكتب: باسمك اللهم... القصة، فهذا معنى قوله: (وهم يكفرون بالرحمن).

والقول الثاني - وهو المعروف - أن الآية مكية، وسبب نزولها أن أبا جهل سمع النبي وهو في الحجر يدعو ويقول: 'يا الله، يا رحمن'. فرجع إلى المشركين، وقال: إن محمدا يدعو الله، ويدعو آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ وأنزل أيضا قوله تعالى: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن)(١)

وقال الإمام البغوي: والمعروف أن الآية مكية وسبب نزولها أن أبا جهل سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو في الحجر يدعو يا الله يا رحمن فرجع إلى المشركين فقال إن محمدا يدعو إلهين يدعو الله ويدعو إلها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية(٢)

ويتضح من خلال ذلك رجحان ما ذهب إليه الإمام ابن جزي أنه يبعد أن تكون الآية الكريمة نزلت في صلح الحديبية فيكون ذلك ترجيحا لقول من قال بأنها نزلت في أهل مكة سواء كانت في أبي جهل وحده أم في كفار قريش، والله أعلم

---

(١) تفسير السمعاني ٣ / ٩٣
(٢) تفسير البغوي ٣ / ١٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٣- قال الله تعالى: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

يعني الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة؛ لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعدها.

وقيل: نزلت في أبي جندل بن سهيل وخبره مذكور في السير في قصة الحديبية وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك (٢).

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أن الآية الكريمة نزلت في الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة (٣) وهو قول ابن عباس وقتادة (٤) ذكره ابن كثير بلفظ ويحتمل أن يكون سبب نزول هذه الآية الكريمة في مهاجرة الحبشة (٥)

أنها نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو قاله داود بن أبي هند(٦)

الترجيح في الميزان:

ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في ستة من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلال وعمار وصهيب

---

(١) سورة النحل آية (٤١، ٤٢).
(٢) التسهيل ٢ / ١٥٣.
(٣) زاد المسير ٤٤٧/٤
(٤) تفسير الطبري ١٤ / ١٠٧، تفسير البغوي ٣ / ٦٩.
(٥) تفسير ابن كثير ٢ / ٥٧١
(٦) لباب النقول للسيوطي ١٣٣/١، تفسير الطبري ١٤ / ١٠٧، زاد المسير ٤٤٧/٤، تفسير الصنعاني ٣٥٦/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وخباب بن الأرت وعايش وجبر موليان لقريش أخذهم أهل مكة فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الإسلام قاله أبو صالح عن ابن عباس (١)

والثاني: أنها نزلت في أبي جندل بن سهيل بن عمرو قاله داود بن أبي هند(٢)

والثالث: أنهم جميع المهاجرين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاله قتادة

وأرى أن الآية عامة في كل من تنطبق عليه أحكامها والجزاء المترتب فيها لا فرق بين من شملته أحوالها، وإن كان نزولها فيمن ذكروا أو بعضهم فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

٤- قوله تعالى "مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى"

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: قيل: إن النبي قام في الصلاة حتى تورمت قدماه فنزلت الآية تخفيفا عنه، فالشقاء على هذا إفراط التعب في العبادة وقيل: المراد به التأسف على كفر الكفار واللفظ عام في ذلك كله (٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أنها نزلت في حق النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قام في الصلاة حتى تورمت قدماه.

أنها عامة ولم تختص بسبب نزول

الترجيح في الميزان:

أورد الإمام السيوطي في سبب نزول هذه الآية الكريمة روايات عدة وهي:

١- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان أول ما أنزل الله عليه الوحي يقوم على صدور قدميه إذا صلى فأنزل الله "طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"

---

(١) تفسير الكشاف ٥٦٧/٢، زاد المسير ٤٤٧/٤، تفسير النيسابوري
(٢) زاد المسير ٤٤٧/٤، تفسير الصنعاني ٣٥٦/٢
(٣) التسهيل ٣ / ٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يراوح بين قدميه ليقوم على كل رجل حتى نزلت "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"

٣- عن ابن عباس قال قالوا لقد شقي هذا الرجل بربه فأنزل الله "طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى" (١)

وكلها تفيد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان على حال غير حال بقية الناس من المبالغة في التقرب إلى ربه بأنواع التقرب المختلفة والتي على رأسها وفي مقدمتها دعوة الناس إلى ربهم وشدة الإشفاق عليهم من أن يكونوا من أهل النار ومن ثم كان الجواب الرباني له - صلى الله عليه وسلم - بهذه الآية وغيرها من مثل قوله تعالى" فلعلك باخع نفسك على آثارهم"، الآية " (٢)

قال الآلوسي في ذلك: "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى" إستئناف مسوق لتسليته - صلى الله عليه وسلم - عما كان يعتريه من جهد المشركين من التعب فإن الشقاء شاسع(؟) في ذلك المعنى

أي: ما أنزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العناء(؟) ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم به والتحسر على أن يؤمنوا به كقوله تعالى شأنه " فلعلك باخع نفسك على آثارهم. الآية "(٣) بل لتبلغ وتذكر وقد فعلت فلا عليك أن لم يؤمنوا بعد ذلك أو لصرفه عليه الصلاة والسلام عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العباده

ولا يقدح هذا في قاعدة" العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب " فإن الآية أيضا عامة في كل من حمل هم الدعوة وتبليغ الرسالة إلى الخلق فهم ورثة النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما تركه من علم وكذا هم ورثته في مكابدة النفس وحسرتها عند رؤية كل

---

(١) لباب النقول للسيوطي ١ / ١٤٦، وينظر أيضا تفسير الطبري ١٦ / ١٣٥، الدر المنثور ٥ / ٥٤٩، فتح القدير ٣ / ٣٦٠.

(٢) سورة الكهف الآية ٦

(٣) سورة الكهف الآية (٦)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قليل الوقوف أمام منكر قد حل بواقع ديار الإسلام، أو الاطلاع على أي نوع من التحول عند الخلق عن دينهم، ونسأل الله السلامة وأن يجعلنا من العالمين العاملين.

٥- قوله تعالى: هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: "هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ" الإشارة إلى المؤمنين والكفار على العموم ويدل على ذلك ما ذكر قبلها من اختلاف الناس في أديانهم وهو قول ابن عباس

وقيل: نزلت في علي ابن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، والآية على هذا مدنية إلى تمام ست آيات(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أنها نزلت في أهل الإيمان وأهل الكفر

أنها نزلت في علي ابن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث حين برزوا يوم بدر لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة

الترجيح في الميزان:

قال الماوردي: ورد في سبب نزول هذه الآية أربعة أقوال هي:

أحدها: أنهما المسلمون والمشركون حين اقتتلوا في بدر، وهذا قول أبي ذر وقال محمد بن سيرين: نزلت في الثلاثة الذين بارزوا يوم بدر ثلاثة من المشركين فقتلوهم.

(١) سورة الحج الآية (١٩).

(٢) التسهيل ٣ / ٣٧.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والثاني: أنهم أهل الكتاب قالوا: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن خير منكم، فقال المسلمون كتابنا يقضي على كتابكم، ونبينا خاتم الأنبياء، ونحن أولى بالله منكم، وهذا قول قتادة.

والثالث: أنهم أهل الإيمان والشرك في اختلافهم في البعث والجزاء، وهذا قول مجاهد، والحسن، وعطاء.

والرابع: هما الجنة والنار اختصمتا، فقالت النار: خلقني الله لنقمته، وقالت الجنة: خلقني الله لرحمته، وهذا قول عكرمة(١).

وقد رجح الإمام ابن جزي أن الآية في فريقي المؤمنين والكافرين، وأرى أن الترجيح سديد لشموله عموم الكفار ويتضمن ما ذكر من الروايات الواردة في سبب النزول وقد وافق هذا الترجيح قول كثير من المفسرين:

قال الطبري رحمه الله:

وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب وأشبهها بتأويل الآية قول من قال عني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لأنه تعالى ذكره قبل ذلك صنفين من خلقه أحدهما أهل طاعة له بالسجود له والآخر أهل معصية له قد حق عليه العذاب فقال " ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر" ثم قال " وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب " ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما فقال: "فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار " وقال الله " إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار " فكان بينا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما

وأجاب الطبري رحمه عن حجة من قال إنها نزلت في الذين بارزوا يوم بدر وهو القول الثابت في البخاري(٢) فقال:

---

(١) النكت والعيون ٤ / ١٣

(٢) صحيح البخاري - كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل - ٤ / ١٤٥٨ برقم ٣٧٤٧.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فإن قال قائل فما أنت قائل فيما روي عن أبي ذر في قوله إن ذلك نزل في الذين بارزوا يوم بدر قيل ذلك إن شاء الله كما روي عنه ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب.

وهذه من تلك وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم.

فتأويل الكلام: هذان خصمان اختصموا في دين ربهم واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربته إياه على دينه (١)

وقال الإمام الرازي بعد أن ذكر الأوجه الأربعة: والأقرب هو الأول لأن السبب وإن كان خاصاً فالواجب حمل الكلام على ظاهره(٢)

٦- قوله تعالى "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ "(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قيل: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكذلك قوله بعد ذلك وبشر المحسنين، واللفظ فيهما أعم من ذلك (٤)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم

أنها عامة في كل من وصف بالإخبات

(١) تفسير الطبري ١٧ / ١٣١.

(٢) تفسير الرازي (٢٣ / ٢٠)

(٣) سورة الحج الآية (٣٤)

(٤) التسهيل (٣ / ٤٠).

تفريغ صفحات ٦١٣-٦٦٠ — ترجيحات الإمام ابن جزي في كتابه «التسهيل لعلوم التنزيل» دراسة وتقويم

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

أورد الإمام ابن عطية(١) والإمام القرطبي(٢) القول بأن الآية الكريمة نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ورجح الإمام ابن جزي أنها عامة وهو الرأي الأصوب في هذه المسألة فإنما كان الصحابة حول النبي - صلى الله عليه وسلم - يمثلون القدوة لبقية المؤمنين فيأخذ أهل الإيمان عنهم ما علمهم إياه النبي - صلى الله عليه وسلم - فلا تقتصر صفة من صفات الإيمان على أحدهم دون بقية المؤمنين وإن كانوا أصحاب السبق في كل ذلك ويكفيهم شرف الصحبة للمعصوم - صلى الله عليه وسلم - وما ذكره - صلى الله عليه وسلم - من فضائلهم، وعليه فإني أرى أن الآية عامة وليست مقتصرة على السابقين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم

قوله تعالى: "ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون"(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

"ليس على الأعمى حرج" اختلف الذاهبون إلى ذلك،

فقيل: إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس لئلا يتقذرهم الناس فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل مع الناس

---

(١) المحرر الوجيز (١٢٢/٤).
(٢) تفسير القرطبي (٥٩/١٢).
(٣) سورة النور الآية (٦١)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقيل: إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعذار في بيوتهم وكانوا يتجنبون أكل مال الغائب فنزلت الآية في ذلك

وقيل: إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذرًا فنزلت الآية وهذا ضعيف لأنه يرفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم

وقيل: إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم عنه أعذارهم من الجهاد وغيره(١)

الترجيح في الميزان:

ضعف الإمام ابن جزي رحمه الله أن تكون الآية نزلت في أناس كانوا يتجنبون الأكل مع أهل الأعذار تقذرًا منهم،

وأقول إن اختلاف طبائع الناس قد يحمل البعض على التقزز وهو أمر غير مستحب شرعًا أو التورع وهو أمر مطلوب شرعًا وأرى أن نص الآية الكريمة إنما يرفع الحرج عن كل من يتحفظ لحاجة في نفسه أن يخالط أصحاب الأعذار، ويقوي هذا عندي والله أعلم أن الآية ليس آمرة بمخالطتهم والأكل معهم وإنما هي لرفع الحرج الحاصل عند البعض(٢)، والله أعلم.

---

(١) التسهيل ٧١/٣.
(٢) وينظر في هذه المسألة تفسير الطبري ١٦٨/١٨، تفسير البغوي ٣٥٧/٣، زاد المسير لابن الجوزي ٦٣/٦، لباب النقول ١٦٠/١.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدًا إن ذلكم كان عند الله عظيمًا"(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

"لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام" سبب هذه الآية ما رواه أنس أن رسول الله لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها فدعا الناس فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت فثقل ذلك على النبي فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم فانصرف فخرجوا عند ذلك(٢)

وقال ابن عباس: نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولا يخرجون فأمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم وأن ينصرفوا إذا أكلوا قلت والقول الأول أشهر وقول ابن عباس أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم فعلى قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل فإن الآية تضمنت الحكمين(٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أنها نزلت لما تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش وأولم عليها فدعا الناس فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت فثقل ذلك على النبي فخرج ليخرجوا

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٥٣)
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣٩٥/٤، زاد المسير ٤١٣/٦، تفسير القرطبي ٢٢٤/١٤، البحر المحيط ٢٣٦/٧.
(٣) التسهيل (١٤١/٣).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم فانصرف فخرجوا عند ذلك

أنها نزلت في قوم كانوا يتحينون طعام النبي فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون إلى أن يطبخ ثم يأكلون ولا يخرجون فأمروا أن لا يدخلوا حتى يؤذن لهم وأن ينصرفوا إذا أكلوا(١)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي شمول الآية للروايتين الواردتين في سبب النزول فقال القول الأول أشهر وقول ابن عباس أليق بما في الآية من النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم فعلى قول ابن عباس في النهي عن الدخول حتى يؤذن لهم والقول الأول في النهي عن القعود بعد الأكل فإن الآية تضمنت الحكمين وهو ترجيح يتفق مع القاعدة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب... والله أعلم.

قوله تعالى: "والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد"(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى "والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها"، قيل: إنها نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير إذ دعاهم أبو بكر الصديق إلى الإيمان فآمنوا

وقيل: نزلت في أبي ذر وسلمان وهذا ضعيف لأن سلمان إنما أسلم بالمدينة والآية مكية والأظهر أنها عامة(٣)

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣٩٥/٤، زاد المسير ٤١٣/٦، تفسير القرطبي ٢٢٤/١٤، البحر المحيط ٢٣٦/٧.
(٢) سورة الزمر الآية (١٧)
(٣) التسهيل ١٩٢/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن الآية عامة وتلك هي القاعدة المعتمدة في مثل هذه المسائل: أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالآية وإن نزلت فيمن ذكروا أو في غيرهم فإنها على شمولها لجموع المؤمنين

قال الآلوسي: وهي محكمة في الناس إلى يوم القيامة(١).

وقال ابن كثير: والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة(٢)

قوله تعالى: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم"(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" واختلف في سببها:

فقيل: نزلت في وحشي قاتل حمزة لما أراد أن يسلم وخاف أن لا يغفر له ما وقع فيه من قتل حمزة

---

(١) تفسير البحر المحيط ٤٠٤/٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٤٩/٤، وينظر في المسألة أيضًا أحكام القرآن لابن العربي ٧٧/٤، تفسير القرطبي ٦٦/١٤.
(٣) سورة الزمر الآية (٥٣)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقيل: نزلت في قوم آمنوا ولم يهاجروا ففتنوا فافتتنوا ثم ندموا وظنوا أنهم لا توبة لهم وهذا قول عمر بن الخطاب وقد كتب بها إلى هشام بن العاص لما جرى له ذلك

وقيل: نزلت في قوم من أهل الجاهلية قالوا ما ينفعنا الإسلام لأننا قد زنينا وقتلنا النفوس فنزلت الآية فيهم ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله الإسلام يجب ما قبله وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب منه فإن الله غفر له ذنوبه وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه إن شاء غفر له فالمغفرة المذكورة في هذه الآية يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا أو للعصاة إذا تابوا أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة والظاهر أنها نزلت في الكفار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين(١)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة العموم في دلالتها ونزولها في الكفار لدلالة السياق، وبين العلة فيما ذهب إليه بقوله "ومعناها مع ذلك على العموم في جميع الناس إلى يوم القيامة على تفصيل نذكره وذلك أن الذين أسرفوا على أنفسهم إن أراد بهم الكفار فقد اجتمعت الأمة على أنهم إذا أسلموا غفر لهم كفرهم وجميع ذنوبهم لقوله الإسلام يجب ما قبله وأنهم إن ماتوا على الكفر فإن الله لا يغفر لهم بل يخلدهم في النار وإن أراد به العصاة من المسلمين فإن العاصي إذا تاب غفر له ذنوبه وإن لم يتب فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له

---

(١) التسهيل ١٩٦/٣، ١٩٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فالمغفرة المذكورة في هذه الآية يحتمل أن يريد بها المغفرة للكفار إذا أسلموا أو للعصاة إذا تابوا أو للعصاة وإن لم يتوبوا إذا تفضل الله عليهم بالمغفرة والظاهر أنها نزلت في الكفار وأن المغفرة المذكورة هي لهم إذا أسلموا والدليل على أنها في الكفار ما ذكر بعدها إلى قوله قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين"

وأرى أن فيما ذكر كفاية عن التعليق عليه - والله أعلم -

قوله تعالى لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: "يهب لمن يشاء إناثًا" قدم الإناث اعتناء بهن وتأنيسًا لمن وهبهن له قال واثلة بن الأسقع "من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر لأن الله بدأ بالإناث"(٢)

وقال بعضهم: نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور وإبراهيم كان له ذكور دون إناث ومحمد جمع الإناث والذكور ويحيى كان عقيمًا والظاهر أنها على العموم في جميع الناس إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذكر(٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في الآية العموم فقال: والظاهر أنها على العموم في جميع الناس إذ كل واحد منهم لا يخلو عن قسم من هذه الأقسام الأربعة التي ذكر، وهو الأصل في الترجيح في هذا النوع من المسائل، أن تحمل على العموم

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٩
(٢) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ١٤٩/٢
(٣) التسهيل ٢٣/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال البغوي: والآية عامة في حق كافة الناس(١)

وقال الخازن: ويجعل من يشاء عقيمًا يعني يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل وإلا فالآية عامة في جميع الناس(٢)

قوله تعالى: "لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون"(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

"لا تجد قومًا" الآية، معناها: لا تجد مؤمنًا يحب كافرًا ولو كان أقرب الناس إليه وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان ولذلك كان الصحابة رضي الله عنهم يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفارًا فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد وقتل مصعب بن عمير أخاه عزيز بن عمير يوم أحد ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي أن يقعد وقيل: إن الآية نزلت في حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله والأحسن أنها على العموم وقيل نزلت فيمن يصحب السلطان وذلك بعيد(٤)

---

(١) تفسير البغوي ١٣١/٤
(٢) لباب التأويل (١٢٨/٦).
(٣) سورة المجادلة الآية (٢٢)
(٤) التسهيل (١٠٤/٤، ١٠٥)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

ورد في سبب نزول هذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: نزلت في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز فقال يا رسول الله دعني أكون في الرعلة الأولى فقال متعنا بنفسك يا أبا بكر وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن حمنة يوم أحد وفي عمرو قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة قتلا عتبة وشيبة يوم بدر قاله ابن مسعود

والثاني أنها نزلت في أبي بكر الصديق وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصكه أبو بكر الصديق صكة شديدة سقط منها ثم ذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو فعلته قال نعم قال فلا تعد إليه فقال أبو بكر لو كان السيف قريبًا مني لقتلته فنزلت هذه الآية قاله ابن جريج

والثالث نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أبي وذلك أنه كان جالسًا إلى جنب رسول الله فشرب رسول الله ماء فقال عبد الله يا رسول الله أبق فضلة من شرابك قال وما تصنع بها قال أسقيها أبي لعل الله سبحانه يطهر قلبه ففعل فأتى بها أباه فقال ما هذا قال فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك. فقال هلا جئتني ببول أمك فرجع إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله ائذن لي في قتل أبي قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ارفق به وأحسن إليه فنزلت هذه الآية قاله السدي

والرابع أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم أن رسول الله قد عزم على قصدهم قاله مقاتل واختاره الفراء والزجاج(١)

ورجح الإمام ابن جزي في الآية العموم وأرى أنه ترجيح سديد حيث إن الآية أصل من أصول الاعتقاد عند كل مسلم: أن الله ورسوله أحب إليه مما سواهما،

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١٩٨/٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال البغوي: قوله عز وجل "لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم" الآية، أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار وأن من كان مؤمنًا لا يوالي من كفر وإن كان من عشيرته(١). وهذه الأقوال في موطنها من القاعدة "أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"

ولكن الذي يلفت النظر في هذه المسألة أن الإمام ابن جزي ذكر قول من قال إنها فيمن يخالط السلطان(٢)، أو يصاحبه(٣) وأرى أن هذا القول أيضًا ليس على إطلاقه فالمقصود من صاحب السلطان الجائر وأعانه على ظلم الناس، أو اتخذ من قربه منه سبيلًا إلى التعدي على الخلق وأكل أموالهم بالباطل، أو نيل ما لا يستحق لو كان من العوام وإنما أخذه بمقاربته السلطان، بل إني أرى أن الأصل في المسلم أن تكون علاقته بالسلطان إما علاقة نصح وإرشاد وإما علاقة معاونة ومساندة فهو إما سلطان جائر يستوجب النصح وإن أدى ذلك إلى قتل الناصح بين يديه وإنه في ديننا لمن أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، وإما سلطان عادل له من المكانة ما يستحق بها أن يكون في ظل عرش الرحمن يوم القيامة، وينال مثله في الثواب من أعانه على عدله وقسطه، ولعل المواقف في الإسلام على كلا الأمرين كثيرة، والله أعلم.

---

(١) تفسير البغوي ٣١٢/٤

(٢) تفسير ابن كثير ٣٣١/٤، الدر المنثور ٨٧/٨، روح المعاني ٣٥/٢٨

(٣) ينظر تفسير الكشاف ٤٩٦/٤، تفسير القرطبي ٣٠٨/١٧، تفسير النسفي ٢٢٨/٤، اللباب ٥٥٩/١٨.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون"(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: لم تقولون ما لا تفعلون

في سببها ثلاثة أقوال:

أحدها: قول ابن عباس: أن جماعة قالوا: وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فعمله ففرض الله الجهاد فكرهه قوم فنزلت الآية

والآخر: أن قومًا من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم في الغزو بما لم يفعلوا ويقولون فعلنا وصنعنا وذلك كذب فنزلت الآية زجرًا لهم

والثالث: أنها نزلت في المنافقين لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين نحن معكم ومنكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله يا أيها الذين آمنوا إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهرون ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر من يقول ما لا يفعل(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في الآية القول بالعموم في كل من يقول ما لا يفعل وهو الصواب للقاعدة "أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" وهي مؤيدة أيضًا بالقرآن في مثل قوله تعالى "لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم"(٣)

وقد رجح الطبري القول بأنها في المؤمنين طلبوا التعرف على أحب الأعمال إلى الله فلما عرفوها تقاعصوا عنها، فقال: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال عني بها الذين قالوا لو عرفنا أحب الأعمال إلى الله لعملنا به ثم قصروا في العمل بعد ما عرفوا.

---

(١) سورة الصف الآية (٢)
(٢) التسهيل ١١٦/٤
(٣) سورة آل عمران الآية (١٨٨)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وإنما قلنا هذا القول أولى بها لأن الله جل ثناؤه خاطب بها المؤمنين فقال يا أيها الذين آمنوا ولو كانت نزلت في المنافقين لم يسموا ولم يوصفوا بالإيمان ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه كانوا قد تعمدوا قيل الكذب ولم يكن صفة القوم ولكنهم عندي أملوا قولهم لو علمنا أحب الأعمال إلى الله عملناه ثم لو علموا بذلك عملوه فلما علموا ضعفت قوى قوم منهم عن القيام بما أملوا القيام به قبل العلم وقوي آخرون فقاموا به وكان لهم الفضل والشرف(١)

وما ذهب إليه الطبري في ذلك توجيه مهم وتحذير من خطر شديد وقع فيه كثير من الناس وهو ادعاء القدرة على إنجاز أمور ليست لديهم القدرة على إنجازها ولا بعضها في الوقت الذي لا يستنفدون فيه الجهد في محاولة تحصيل ما وعدوا به، فيؤمل الناس بما ينطقون ولا يحصلون منهم ما كانوا يتوقعون، وذلك كمن يدعون اليوم الإصلاح وليسوا بأهل لذلك،

فمنهم من يعالج قضايا جزئية لا تغير من شكل المجتمع إلا في بعض مظاهره الشكلية ولم يكن الدين يومًا ما دين طقوس جوفاء،

ومنهم من يدعي أن الإصلاح ينحصر في محض الانتساب إلى أشخاص هم بأنفسهم بذلوا أقصى ما يمتلكون في محاولة الإصلاح العملي للمجتمع المسلم في كافة صوره وأشكاله.

وإني بذلك أشير إلى أهمية وجود العقلية المسلمة في شكل يتوائم مع التقديس الحق لنصوص الشرع الحنيف، وفي نفس الوقت المسايرة الحسنة للواقع المعيش وسط هذه المتغيرات العصرية المتقلبة، وإن الناظر في القرآن الكريم وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ليرى ذلك واضحًا حيث لم يأمر الله تعالى ولا رسوله - صلى الله عليه وسلم - بالصلاة وفقط ولم يأمروا في نفس الوقت بالعمل فقط، ولم نجد في ذات الوقت علمًا من العلوم يقتصر بأمر الدين على المشركين فقط، بل الشمولية في التفكير وكذا في

---

(١) تفسير الطبري ٨٥/٢٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

التطبيق، وكذا في الرؤية المستقبلية لعالم الإسلام إلى أن تقوم الساعة "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعًا"(١)

قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: وروى أن الآية نزلت في أبي جهل وقيل أن الآثم عتبة بن ربيعة والكفور الوليد بن المغيرة، والأحسن أنها على العموم لأن لفظها عام وإن كان سبب نزولها خاصًا(٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في الآية العموم وهو الأرجح، فالأشقياء أمثال أبي جهل أو عتبة بن ربيعة أو الوليد بن المغيرة لا يزالون يتجددون يومًا بعد يوم ولا تزال جهودهم تسفر عن محاولات لتطويع أهل الإيمان والسيطرة عليهم عقليًا ونفسيًا وبدنيًا، ولا يزال أمر الله "ولا تطع منهم آثمًا أو كفورًا" يتجدد مع كل دعوة حق ودعوة باطل، ونسأل الله الثبات على الطاعة وعلى ما يرضيه(٤).

---

(١) سورة النساء الآية (٧١)
(٢) سورة الإنسان الآية (٢٤)
(٣) التسهيل ١٦٨/٤
(٤) وينظر في المسألة تفسير الطبري ٢٢٤/٢٩، تفسير السمرقندي ٥٠٧/٣، تفسير الثعلبي ١٠٦/١٠، تفسير القرطبي ١٤٩/١٩، لباب النقول ٢٢٦/١، الدر المنثور ٣٧٨/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى"(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: "فأما من أعطى واتقى"

ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق لأنه أنفق ماله في مرضات الله وكان يشتري من أسلم من العبيد فيعتقهم وقيل نزلت في أبي الدحداح وهذا ضعيف لأنها مكية وإنما أسلم أبو الدحداح بالمدينة(٢)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن آية المدح "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى" نزلت في أبي بكر وهو قول جمهور المفسرين، قال ابن الجوزي: قوله تعالى وسيجنبها أي يبعد عنها فيجعل منها على جانب الأتقى يعني أبا بكر الصديق في قول جميع المفسرين(٣)

وقال الإمام ابن كثير: وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك ولا شك أنه داخل فيها وأنه أولى الأمة بعمومها فإن لفظها لفظ العموم(٤)

وذكر الإمام ابن كثير توجيه القول في ذلك فقال رحمه الله: "وما لأحد عنده من نعمة تجزى" ولكنه مقدم الأمة وسابق في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة فإنه كان صديقًا تقيًا كريمًا جوادًا بذالًا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ولكن كان فضله وإحسانه على

---

(١) سورة الليل، الآيات: ٥ - ١٠
(٢) التسهيل ٢٠٢/٤
(٣) زاد المسير ١٥٢/٩
(٤) تفسير ابن كثير ٥٢٢/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك

وقال السيوطي في توجيه أن الآية منصرفة إلى أبي بكر رضي الله عنه وأنها ليست على العموم: قد علمت مما ذكر أن فرض المسألة في لفظ له عموم أما آية نزلت في معين ولا عموم للفظها فإنها تقصر عليه قطعًا كقوله تعالى "وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى" فإنها نزلت في أبي بكر الصديق بالإجماع

وقد استدل بها الإمام فخر الدين الرازي مع قوله "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" على أنه أفضل الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

ووهم من قال إن الآية عامة في كل من عمل عمله إجراء له على القاعدة وهذا غلط فإن هذه الآية ليس فيها صيغة عموم، إذ الألف واللام إنما تفيد العموم إذا كانت موصولة أو معرفة في جمع، زاد قوم أو مفرد بشرط ألا يكون هناك عهد، واللام في الأتقى ليست موصولة لأنها لا توصل بأفعل التفضيل إجماعًا، والأتقى ليس جمعًا بل هو مفرد والعهد موجود خصوصًا مع ما يفيده صيغة أفعل من التمييز وقطع المشاركة فبطل القول بالعموم وتعين القطع بالخصوص والقصر على من نزلت فيه رضي الله عنه(١)، فتبين مما سبق أن الآية في خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - - والله أعلم -.

---

(١) الإتقان ٩١/١، الدر المنثور ٥٣٦/٨، لباب النقول ٢٣٠/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

مسائل العموم والخصوص

قوله تعالى: إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: فالق الحب والنوى أي يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها ويفلق النوى لخروج الشجر منها وقيل أراد الشقين الذين في النواة والحنطة

والأول أرجح لعمومه في أصناف الحبوب(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١ - القول بحمل المعنى على العموم.

٢ - تخصيص الحب بالشقين الذين في النواة والحنطة.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بالعموم في النص الكريم والقول بالعموم أولى حيث أن القاعدة تقول: يجب الحمل على العموم حتى يقوم الدليل على التخصيص

والآية في مدار الحديث عن قدرة الله تعالى وهي مطلقة تشمل ما نعقله وما لا نعقله

تفسير القرطبي: (إن الله فالق الحب والنوى) عد من عجائب صنعه ما يعجز عن أدنى شئ منه آلهتهم.... وقال مجاهد: عني بالفلق الشق الذي في الحب وفي النوى. والنوى جمع نواة. ويجري في كل ما له كالمشمش والخوخ.(٣)

---

(١) سورة الأنعام آية: (٩٥)
(٢) التسهيل ١٥/٢
(٣) تفسير القرطبي ٤٤/٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال ابن عاشور: وهذا استئناف ابتدائي انتقل به من تقرير التوحيد والبعث والرسالة وأفانين المواعظ والبراهين التي تخللت ذلك إلى الاستدلال والاعتبار بخلق الله تعالى وعجائب مصنوعاته المشاهدة، على انفراده تعالى بالإلهية المستلزم لانتفاء الإلهية عما لا يقدر على مثل هذا الصنع العجيب، فلا يحق لها أن تعبد ولا أن تشرك مع الله تعالى في العبادة إذ لا حق لها في الإلهية، فيكون ذلك إبطالًا لشرك المشركين من العرب، وهو مع ذلك إبطال لمعتقد المعطلين من الدهريين منهم بطريق الأولى، وفي ذلك امتنان على المقصودين من الخطاب وهم المشركون بقرينة قوله: فأنى تؤفكون، أي كيف تكفرون النعمة، وفيه علم يقين للمؤمنين من المصدقين واستزادة لمعرفتهم بربهم وشكرهم.

وافتتاح الجملة ب (إنّ) مع أنه لا ينكر أحد أن الله هو فاعل الأفعال المذكورة هنا، ولكن النظر والاعتبار في دلالة الزرع على قدرة الخالق على الإحياء بعد الموت ممن قد قدر على إماتة الحي، لما كان نظرًا دقيقًا قد انصرف عنه المشركون فاجتراوا على إنكار البعث، كان حالهم كحال من أنكر أو شك في أن الله فالق الحب والنوى، فأكد الخبر بحرف (إنّ)، وجيء بالجملة الاسمية للدلالة على ثبات هذا الوصف ودوامه لأنه وصف ذاتي لله تعالى، وهو وصف الفعل أو وصف القدرة وتعلقاتها في مصطلح من لا يثبت صفات الأفعال، ولما كان المقصود الاكتفاء بدلالة فلق الحب والنوى على قدرة الله على إخراج الحي من الميت، والانتقال من ذلك إلى دلالته على إخراج الحي من الميت في البعث، لم يؤت في هذا الخبر بما يقتضي الحصر إذ ليس المقام مقام القصر.(١)

---

(١) التحرير والتنوير ٣٨٧/٧

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال تعالى: قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون(١)

قال الإمام ابن جزي: قوله تعالى: (ما ظهر منها وما بطن) قيل ما ظهر الزنا وما بطن اتخاذ الأخدان والصحيح أن ذلك عموم في جميع الفواحش(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

المراد بقوله تعالى "ما ظهر منها وما بطن": الزنا واتخاذ الأخدان

المراد بقوله تعالى "ما ظهر منها وما بطن": العموم في جميع الفواحش

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة القول بالعموم، وأرى أنه الراجح فيها حيث القاعدة الترجيحية "حمل ألفاظ الوحي على العموم أولى من التخصيص إلا بدليل"، وقد أيده في هذا القول جمع من المفسرين ومنهم

قال الإمام الرازي: اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الذي حرموه ليس بحرام بين في هذه الآية أنواع المحرمات، فحرم أولًا الفواحش وثانيًا الإثم واختلفوا في الفرق بينهما على وجوه:

الأول: أن الفواحش عبارة عن الكبائر، لأنه قد تفاحش قبحها أي تزايد والإثم عبارة عن الصغائر فكان معنى الآية: أنه حرم الكبائر والصغائر، وطعن القاضي فيه، فقال هذا يقتضي أن يقال: الزنا، والسرقة، والكفر ليس بإثم وهو بعيد

القول الثاني: أن الفاحشة اسم لا يجب فيه الحد، والإثم اسم لما يجب فيه الحد، وهذا وإن كان مغايرًا للأول إلا أنه قريب مما تقدم، والسؤال فيه ما تقدم.

---

(١) سورة الأنعام آية: (١٥١)
(٢) التسهيل ٢٥/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والقول الثالث: أن الفاحشة اسم للكبيرة، والإثم: اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرًا أو صغيرًا.

والفائدة فيه: أنه تعالى لما حرم الكبيرة أردفها بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم أن التحريم مقصور على الكبيرة وعلى هذا القول اختيار القاضي

والقول الرابع: أن الفاحشة وإن كانت بحسب أصل اللغة اسمًا لكل ما تفاحش وتزايد في أمر من الأمور، إلا أنه في العرف مخصوص بالزيادة. والدليل عليه أنه تعالى قال في الزنا: إنه كان فاحشة(١) ولأن لفظ الفاحشة إذا أطلق لم يفهم منه إلا ذلك، وإذا قيل فلان فحاش: فهم أنه يشتم الناس بألفاظ الفحش، فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا فقط.

إذا ثبت هذا فنقول: في قوله: ما ظهر منها وما بطن على هذا التقدير وجهان: الأول: يريد سر الزنا، وهو الذي يقع على سبيل العشق والمحبة، وما ظهر منها بأن يقع علانية. والثاني: أن يراد بما ظهر من الزنا الملامسة والمعانقة وما بطن الدخول. وأما الإثم فيجب تخصيصه بالخمر، لأنه تعالى قال في صفة الخمر: وإثمهما أكبر من نفعهما(٢) وبهذا التقدير: فإنه يظهر الفرق بين اللفظين.

الإمام الشوكاني قال: سبب عنها الإثم ما ظهر منها وما بطن أي: ما أعلن منها وما أسر، وقيل: هي خاصة بفواحش الزنا، ولا وجه لذلك؛ والإثم يتناول كل معصية.

---

(١) [الإسراء: ٣٢]
(٢) [البقرة: ٢١٩]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله تعالى:

"قال عذابي أصيب به من أشاء" قيل: الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة، والصحيح أنه عموم(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١ - أن المراد بقوله "قال عذابي أصيب به من أشاء" الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة

٢ - أن المراد "قال عذابي أصيب به من أشاء" العموم

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله حمل قوله تعالى (قال عذابي أصيب من أشاء) على العموم وهو ترجيح سديد حيث تؤيده القاعدة الترجيحية التي تقول (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)

وقد ذهب كثير من المفسرين منهم الإمام البيضاوي قال في قوله تعالى: قال عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه. ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره(٣)

ومنهم الإمام الآلوسي: عذابي أصيب به من أشاء أي شأني أصيب بعذابي من أشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه.(٤)

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٦)
(٢) التسهيل ٤٦/٢
(٣) تفسير البيضاوي ٦٤/٣
(٤) تفسير الآلوسي ٧٦/٩

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال أبو حيان: قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء، الظاهر أنه استئناف إخبار عن عذابه ورحمته ويندرج في قوله: أصيب به من أشاء أصحاب الرجفة.

وقيل: العذاب هنا هو الرجفة ومن أشاء أصحابها والمعنى أنه لا اعتراض عليه في من أشاء عذابه، وقيل: من أشاء أن لا أعفو عنه، وقيل: من أشاء من خلقي كما أصبت به قومك، وقيل: من أشاء من الكفار، وقيل المشيئة راجعة إلى التعجيل والإمهال لا إلى الترك والإهمال(١)

قوله تعالى: وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

أئمة الكفر: أي رؤساء أهله قيل: إنهم أبو جهل لعنه الله وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو وحكى ذلك الطبري وهو ضعيف لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة والأحسن أنها على العموم(٣)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي رحمه الله حمل قوله تعالى (أئمة الكفر) على العموم وهذا كلام سديد حيث استند فيه الإمام ابن جزي على قاعدة الترجيح التي تقول (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، وعلى هذا القول كثير من المفسرين منهم:

---

(١) البحر المحيط ٤٠٠/٤
(٢) سورة التوبة الآية (١٢)
(٣) التسهيل ٧٠/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الإمام النيسابوري قال: إن فقاتلوا أئمة الكفر هي جمع إمام وأصلها "أأممة" كمثال وأمثلة نقلت حركة الميم إلى الهمزة وأدغمت الميم في الميم، وهو من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على أن من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو عريق في الكفر متقدم فيه لا يشق كافر غباره. وقيل: خص سادتهم بالذكر لأن من سواهم يتبعهم لا محالة. ثم أبدى غرض القتال بقوله لعلهم ينتهون ليعلم أن الباعث على قتالهم هو ردهم إلى طاعة معبودهم رحمة عليهم لا أمر نفساني وداع شهواني ووسط بين الأمر بالقتال وبين الحامل عليه(١)

وفي معاني القرآن: فقاتلوا أئمة الكفر أي رؤساءه وقيل هذا يوجب القتل على من طعن في الإسلام وإن كان له عهد لأن ذلك ينقض عهده.

ثم قال جل وعز إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون(٢) روي عن عمار بن ياسر أنه قال أي لا عهد لهم(٣)

وقال ابن عطية: "قاتلوا أئمة الكفر" أي: رؤوسهم وأعيانهم الذين يقودون الناس إليه، وقال قتادة: المراد بهذا أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما.

وهذا إن لم يتأول أنه ذكرهم على جهة المثال ضعيف لأن الآية نزلت بعد بدر بكثير، وروي عن حذيفة أنه قال: لم يجيء هؤلاء بعد(٤)

وقال ابن عاشور: وقوله: فقاتلوا أئمة الكفر أمر للوجوب.

وجملة لعلهم ينتهون يجوز أن تكون تعليلًا للجملة فقاتلوا أئمة الكفر أي قتالهم لرجاء أن ينتهوا، وظاهر أن القتال يفني كثيرًا منهم، فالانتهاء المرجو

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ٤٣٦/٣
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢
(٣) معاني القرآن للنحاس ١٨٨/٣
(٤) المحرر الوجيز ١٢/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

انتهاء الباقين أحياء بعد أن تضع الحرب أوزارها.

ولم يذكر متعلق فعل ينتهون ولا يحتمل أن يكون الانتهاء عن نكث العهد لأن عهدهم قد نكثوه فلا يقبل بعد أن نكثوا لقول الله تعالى: إنهم لا أيمان لهم، ولا أن يكون الانتهاء عن الطعن في الدين، لأنه إن كان طعنهم في ديننا حاصلًا في مدة قتالهم فلا جدوى لرجاء انتهائهم عنه، وإن كان بعد أن تضع الحرب أوزارها فإنه لا يستقيم إذ لا غاية لتنهية القتل بين المسلمين وبينهم، فتعين أن المراد: لعلهم ينتهون عن الكفر.

ويجوز أن تكون الجملة استئنافًا ابتدائيًا لا اتصال لها بجملة وإن نكثوا أيمانهم الآية، بل ناشئة عن قوله: فإن تابوا وأقاموا الصلاة إلى قوله أئمة الكفر

والمعنى: المرجو أنهم ينتهون عن الشرك ويسلمون، وقد تحقق ذلك فإن هذه الآية نزلت بعد فتح مكة، وبعد حنين، ولم يقع نكث بعد ذلك، ودخل المشركون في الإسلام أفواجًا في سنة الوفود(١).(٢)

قوله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون(٣)

قال الإمام ابن الجوزى: قوله تعالى: (وربك يخلق ما يشاء.....) قيل سببها استغراب قريش لاختصاص سيدنا محمد بالنبوة فالمعنى أن الله يخلق ما يشاء ويختار لرسالته من يشاء من عباده ولفظها أعم من ذلك والأحسن حمله على عمومه أي يختار ما يشاء من الأمور على الإطلاق ويفعل ما يريد(٤)

---

(١) وفيه: قدم وفد نجران على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصالحهم على أداء الجزية (ينظر: زاد المعاد لابن قيم الجوزية ١٠١/٢)
(٢) تفسير التحرير والتنوير ١٣١/١٠
(٣) سورة القصص آية: (٦٩)
(٤) التسهيل ١٠٨/٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن الجوزى:

١- نزلت بسبب استغراب قريش لاختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة.

٢- حمل اللفظ على العموم يختار ما يشاء من مطلق الأمور، ويفعل ما يريد.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزى الحمل على العموم، وهذا هو الصواب، ونذكر بعض أقوال أهل التفسير

قال ابن عادل: قوله: وربك يخلق ما يشاء ويختار نزلت هذه الآية جوابًا للمشركين حين قالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم(١)، يعني الوليد بن المغيرة، أو عروة بن مسعود الثقفي، أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم(٢)

وقال الزمخشري: ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار، لأن معناه: ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف، والمعنى أن الخيرة لله في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه(٣)

قال الإمام البيضاوي: وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له.(٤)

قال الإمام أبو السعود: وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من غير إيجاب عليه ولا منع له أصلًا، والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل إليهم وقيل: معناه ويختار الذي كان لهم فيه الخير

---

(١) سورة الزخرف: ٣١
(٢) اللباب في علوم الكتاب ٢٨٢/١٥
(٣) الكشاف ٤٣٢/٣
(٤) تفسير البيضاوي ٣٠١/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

والصلاح سبحان الله أي تنزه بذاته تنزهًا خاصًا به من أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن إشراكهم أو عن مشاركة ما يشركونه به(١).

قوله تعالى ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين(٢)

قال الإمام ابن جزى:

في قوله (مودة ورحمة) قيل: المودة الجماع والرحمة الولد والعموم أحسن وأبلغ(٣)

الأقوال كما ذكرها ابن جزى رحمه الله:

١- المراد بالمودة: الجماع وبالرحمة: الولد.

٢- الحمل على العموم أبلغ.

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزى رحمه الله القول الثاني وهو حمل الآية على العموم وهذا أحسن وأبلغ، والقاعدة الترجيحية تقول: (يجب حمل ألفاظ الوحي على العموم حتى يقوم دليل على التخصيص)(٤)

ومن المفسرين الذين حملوا الآية على العموم الإمام البيضاوي قال: مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظمًا لأمر

---

(١) تفسير أبو السعود ٩٦/٥
(٢) سورة الروم: ٢١، ٢٢
(٣) التسهيل ١٢٠/٣
(٤) قواعد الترجيح ٥٢٧/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

المعاش، أو بأن يعيش الإنسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج إلى التواد والتراحم(١)

وقال النسفي: ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها أي حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال، أو من شكل أنفسكم ومن جنس آخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الإلف والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر. يقال: سكن إليه إذا مال إليه وجعل بينكم مودة ورحمة أي: جعل بينكم التواد والتراحم بسبب الزواج. وعن الحسن: المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد. وقيل: المودة للشابة والرحمة للعجوز. وقيل: المودة والرحمة من الله والفرك من الشيطان أي بغض المرأة زوجها وبغض الزوج المرأة(٢)

وقال الشوكاني: وجعل بينكم مودة ورحمة أي ودادًا وتراحمًا بسبب عصمة النكاح يعطف به بعضكم على بعض من غير أن يكون بينكم قبل ذلك معرفة، فضلًا عن مودة ورحمة.

وقال مجاهد: المودة: الجماع، والرحمة الولد، وبه قال الحسن. وقال السدي: المودة: المحبة، والرحمة: الشفقة. وقيل: المودة حب الرجل امرأته والرحمة رحمته إياها من أن يصيبها بسوء(٣)

---

(١) تفسير البيضاوي ٣٣٢/٤
(٢) تفسير النسفي ٢٧١/٣
(٣) فتح القدير للشوكاني ٢١٩/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير"(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله: "تفسحوا في المجالس فافسحوا" اختلفوا هل هي مقصورة على مجلس النبي أو هي عامة في جميع المجالس فقال قوم إنها مخصوصة ويدل على ذلك قراءة المجلس بالإفراد وذهب الجمهور إلى أنها عامة ويدل على ذلك قراءة المجالس بالجمع وهذا هو الأصح ويكون المجلس بالإفراد على هذا الجنس والتفسيح المأمور به هو التوسع دون القيام ولذلك قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يقم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا(٢).(٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

أن المراد عموم المجالس في قراءة "المجالس" بالجمع وهي قراءة عاصم

أن المراد بالآية مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة على قراءة من قرأ "في المجلس" بالإفراد قرأ بها الباقون غير عاصم(٤)

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة العموم واستدل بما ذهب إليه الجمهور في ذلك وإن خالف قراءة الجماعة، وأرى والله أعلم أن لا يجوز الترجيح بين القراءتين باعتبارهما سبعيتين، ولكن الترجيح هنا بين معنى القراءتين، وأرى أنه

---

(١) سورة المجادلة الآية (١١)
(٢) صحيح البخاري - كتاب الاستئذان - باب لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ٢٣١٣/٥ ونص البخاري (عن ابن عمر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه)
(٣) التسهيل ١٠٣/٤
(٤) السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد البغدادي (٣٢٤ه) ٦٢٨/١، حجة القراءات لابن زنجلة (٤٠٣ه) ٧٠٤/١، العنوان في القراءات السبع لابن خلف (٤٥٥ه) ١٨٧/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قراءة الإفراد فلا يشترط أن يراد بها مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة وإنما يمكن حمل لفظ المجلس على جنسه فيكون المراد من التوجيه الإلهي، التفسح في كل مجلس يمكن للعبد أن يستوعب فيه معه أحد من المسلمين والله أعلم.

قال الطبري رحمه الله: والصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله تعالى ذكر أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس ولم يخصص بذلك مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - دون مجلس القتال وكلا الموضعين يقال له مجلس فذلك على جميع المجالس(١)

---

(١) تفسير الطبري ١٧/٢٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قوله تعالى: ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم(١)

قال الإمام ابن جزى:

قوله تعالى: (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قيل معناه من يؤمن بأن كل شئ بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله وهذا أحسن إلا أن العموم أحسن منه(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزى رحمه الله:

١- يهد قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله.

٢- يهد قلبه في كل شيء، وليس للرضا بالقضاء فقط، لأن الحمل على العموم أولي

الترجيح في الميزان:

ذكر الماوردي الأقوال الواردة في الآية الكريمة فقال:

ومن يؤمن بالله يهد قلبه فيه أربعة تأويلات:

أحدها: معناه يهدي قلبه لله تعالى.

الثاني: أنه يعلم أنه من عند الله ويرضى ويسلم، قاله بشر.

الثالث: أن يسترجع فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

الرابع: هو إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظلم غفر، قاله الكلبي(٣)

ورجح الإمام ابن الجوزى رحمه الله أن المراد بالهداية المترتبة على الإيمان عموم اللفظ مستدلًا بأنه حمل للفظ على العموم، وهذا هو الأولى والقاعدة الترجيحية تقول (يجب حمل ألفاظ الوحى على العموم حتى يقوم دليل على التخصيص)

---

(١) سورة التغابن: ١١
(٢) التسهيل ١٢٣/٤
(٣) تفسير الماوردي ٢٣/٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال النسفي: "ومن يؤمن بالله يهد قلبه" للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. أو يشرحه للازدياد من الطاعة والخير، أو يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعن مجاهد: إن ابتلي صبر وإن أعطى شكر وإن ظلم غفر(١)

وقال الرازى: يهد قلبه أي عند المصيبة أو عند الموت أو المرض أو الفقر أو القحط، ونحو ذلك فيعلم أنها من الله تعالى فيسلم لقضاء الله تعالى ويسترجع، فذلك قوله: يهد قلبه أي للتسليم لأمر الله، ونظيره قوله: الذين إذا أصابتهم مصيبة(٢) إلى قوله: أولئك هم المهتدون، قال أهل المعاني: يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما يهد قلبه إلى ما يحب ويرضى وقرئ نهد قلبه بالنون وعن عكرمة يهد قلبه بفتح الدال وضم الباء، وقرئ يهدأ فقال الزجاج: هدأ قلبه يهدأ إذا سكن(٣)

وقال ابن عطية: وقوله تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال فيه المفسرون المعنى: ومن آمن وعرف أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وعلمه، هانت عليه مصيبته وسلم الأمر لله تعالى..... فتسكن نفسه، ويرشد الله المؤمن به إلى الصواب في الأمور.(٤)

---

(١) تفسير النسفي ٢٥٢/٤، وينظر تفسير الكشاف ٥٥٠/٤، النيسابوري ٣١٠/٦.
(٢) [البقرة: ١٥٦، ١٥٧]
(٣) التفسير الكبير ٢٤/٣٠
(٤) المحرر الوجيز ٣٩/٥

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

مسائل الوقف والابتداء

قال تعالى: وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقًا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (إن كنتم مؤمنين) شرطية بمعنى القدح في إيمانهم وجوابها يدل عليه ما قبل أو نافية فيوقف قبلها والأول أظهر(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

الوقف على قوله "من قبل"

عدم الوقف على قوله "من قبل"

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي أن قوله تعالى "إن كنتم مؤمنين" شرطية وعليه فالأولى إتمام الآية إلى قوله "إن كنتم مؤمنين"، وأيده في ذلك جمع من العلماء

قال الإمام أبو جعفر النحاس: وقال: فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ثم الوقف على رؤوس الآيات إلى قوله جل وعز ولتجدنهم أحرص الناس على حياة من الذين أشركوا قال الأخفش تم الكلام.(٣)

وقال العكبري في التبيان: إن كنتم مؤمنين جوابها محذوف دل عليه ما تقدم(٤)

وقد بين الإمام القرطبي العلة من عدم الوقف على "من قبل" فقال: إن كنتم مؤمنين أي إن كنتم معتقدين الإيمان فلم رضيتم بقتل الأنبياء وقيل: إن بمعنى

---

(١) سورة البقرة آية: (٩١)
(٢) التسهيل ٥٤/١
(٣) القطع والائتناف ٧٠/١
(٤) التبيان في إعراب القرآن ٩٣/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ما وأصل لم لما حذفت الألف فرقًا بين الاستفهام والخبر ولا ينبغي أن يوقف عليه لأنه إن وقف عليه بلا هاء كان لحنًا وإن وقف عليه بالهاء زيد في السواد(١)

قال الله تعالى: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير(٢)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

(حسدًا) مفعول من أجله، أو مصدر في موضع الحال والعامل فيه ما قبله فيجب وصله معه.

وقيل: هو مصدر والعامل فيه محذوف تقديره يحسدونكم حسدًا فعلى هذا يوقف على ما قبله والأول أظهر وأرجح(٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

ترجيح الوصل في قوله تعالى "كفارًا حسدًا"

الوقف على قوله "حسدًا"

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي الوصل في قوله تعالى "كفارًا حسدًا من عند أنفسهم" وعلته كما بينها الإمام أبو جعفر النحاس قال: قوله تعالى: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارً ا قال الأخفش هذا التمام ثم استأنف حسدًا أي يحسدونكم حسدًا.

---

(١) تفسير القرطبي ٣٠/٢
(٢) سورة البقرة الآية ١٠٩.
(٣) التسهيل ٥٧/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال الفراء: لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا، انقطع الكلام وهو قول أحمد بن موسى ومحمد بن عيسى وقال نافع كفارًا، وقال أبو جعفر: هذا قول محمد بن يزيد ليس بتمام ولا وقف كاف لأنه يسأل بعض أصحابه ما معنى حسدًا من عند أنفسهم وهل يكون حسد الإنسان من عند غيره، فسئل الجواب فقال: التقدير: ود كثير من أهل الكتاب من عند أنفسهم لو يردونكم كفارًا حسدًا، أي: هذا الذي يودونه لم يؤمروا به وإنما يتبعون فيه أهواءهم(١).

وقال ابن عادل في اللباب: قوله تعالى: "حسدًا" نصب على المفعول له، وفيه الشروط المجوزة لنصبه، فيه والعامل فيه "ود" أي: الحامل على ودادتهم ردكم كفارًا حسدهم لكم. وجوزوا وجهين آخرين: أحدهما: أنه مصدر في موضع الحال، وإنما لم يجمع لكونه مصدرًا، أي: حاسدين، وهذا ضعيف، لأن مجيء المصدر حالًا لا يطرد. الثاني: أنه منصوب على المصدرية بفعل من لفظه أي يحسدونكم حسدًا [والأول أظهر الثلاثة] (٢).

---

(١) القطع والائتناف ٧٤/١ وينظر أيضًا تفسير الثعلبي ٢٥٨/١، البغوي ١٠٥/١.
(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٣٩١/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال تعالى: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

والمؤمنون عطف على الرسول أو مبتدأ، فعلى الأول يوقف على المؤمنون وعلى الثاني يوقف على من ربه والأول أحسن(٢)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

١- الوقف على قوله " والمؤمنون "

٢- الوقف على قوله " من ربه "

الترجيح في الميزان: رجح الإمام ابن جزي أن الوقف على قوله تعالى "المؤمنون" أحسن، وهو ما قال به أبو عمرو الداني، قال: "والمؤمنون" كاف، وقال الأشموني تام إن رفع المؤمنون بالفاعلية عطفًا على "الرسول" ويدل لصحة هذا قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وآمن المؤمنون) فأظهر الفعل ويكون قوله (كل آمن) مبتدأ وخبر، أو (والمؤمنون) مبتدأ وكل مبتدأ ثان وآمن خبر عن (كل) والجملة خبر المبتدأ الأول والرابط محذوف تقديره منهم وكان الوقف على من ربه حسنًا لاستئناف ما بعده والوجه كونها للعطف ليدخل المؤمنون فيما دخل فيه الرسول من الإيمان بخلاف ما لو جعلت للاستئناف فيكون الوصف للمؤمنين خاصة دون الرسول والأولى أن تصف الرسول والمؤمنين بأنهم آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله(٣)

---

(١) سورة البقرة آية: (٢٨٥)
(٢) التسهيل ٩٨/١
(٣) المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان ص٥٦

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقال ابن الأنباري: قال تعالى: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون وقف حسن(١)

وقال أبو جعفر النحاس: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه قال نافع: تم قال يعقوب: ومن الوقف التام: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون رفع بالابتداء لا بفعلهم.(٢)

قوله تعالى: قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء(٣)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: (كذلك الله يفعل ما يشاء) أي مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل الله ما يشاء، فالكاف لتشبيه أفعال الله العجيبة بهذه الفعلة، والإشارة بذلك إلى هبة الولد لزكريا، واسم الله مرفوع بالابتداء، وكذلك خبره فيجب وصله معه.

وقيل: الخبر يفعل الله ما يشاء.

ويحتمل كذلك على هذا وجهين:

أحدهما: أن يكون في موضع الحال من فاعل يفعل.

والآخر: أن يكون في موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر كذلك أو أنما(؟) كذلك، وعلى هذا يوقف على كذلك والأول أرجح لاتصال الكلام وارتباط قوله: يفعل ما يشاء مع ما قبله، ولأن له نظائر كثيرة في القرآن منها قوله: وكذلك أخذ ربك(٤)

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لابن الأنباري ٥٥٩/١
(٢) القطع والائتناف ١٢١/١
(٣) سورة آل عمران آية: (٤٠)
(٤) التسهيل ١٠٦/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

الوقف على كذلك أو وصلها مع لفظ الجلالة

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي القول بأن الوصل أولى في قوله تعالى "كذلك الله يفعل ما يشاء"، والعلة فيما ذهب إليه اتصال الكلام والقول هنا بناءًا على ذلك راجح حيث القاعدة أن اتصال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنها إلا بدليل يجب التسليم له(١)

ولهذا القول نظائر في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى "وكذلك أخذ ربك"(٢) والفائدة أن "حمل معاني كلام الله على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك"(٣) وكذا القاعدة أن "القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك"(٤)

قوله تعالى: قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين(٥)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

قوله تعالى: قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة الضمير في (قال) لله تعالى، وحرم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض.....والعامل في أربعين: (محرمة) على الأصح، فيجب وصله معه.

---

(١) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١).
(٢) سورة هود الآية ١٠٢
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٧٢).
(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين (٣١٢/١)، وينظر في هذه المسألة أيضًا تفسير البيضاوي ٣٦/٢، تفسير النيسابوري ١٥٥/٢ فتح القدير ٣٣٨/١ تفسير الألوسي ١٥٠/٣
(٥) سورة المائدة آية: (٢٦)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقيل: العامل فيه: يتيهون، فعلى هذا يجوز الوقف على قوله: محرمة عليهم وهذا ضعيف، لأنه لا حامل على تقديم المعمول هذا مع أن القول الأول أكمل معنى لأنه بيان لمدة التحريم والتيه(١)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

العامل في قوله "أربعين سنة" هو "محرمة عليهم"، فيجب وصله معه

العامل في قوله "أربعين سنة" هو "يتيهون" فيجوز الوقف على أربعين سنة

الترجيح في الميزان:

ضعف الإمام ابن جزي القول بجواز الوقف على قوله "أربعين سنة"، مع أنه قلو محتمل لاحتماله في الإعرابي وعدم قدحه في المعنى

قال أبو عمرو الداني: وقوله فإنها محرمة عليهم) في ذلك وجهان من التفسير والإعراب، فمن قال إن التحريم والتيه كان أربعين سنة وهو قول ابن عباس والربيع والسدي نصب (أربعين) ب(محرمة) على تفسير التحريم، فعلى هذا يكون الوقف على (يتيهون في الارض) وهو قول ابن عبد الرزاق وهو اختيار ابن جرير، وقال الوقف على أربعين سنة ثم يستأنف (يتيهون في الارض).

ومن قال إن التحريم كان أبدًا وإن التيه كان أربعين سنة وهو قول عكرمة وقتادة نصب أربعين بيتيهون، فعلى هذا يكون الوقف على محرمة عليهم) وهو قول نافع ويعقوب والأخفش وأبي حاتم وهو اختياري(٢).

---

(١) التسهيل ١٧٢/١

(٢) المكتفى في الوقف والابتداء ص٧٩، ٨٠، وينظر أيضًا معاني القرآن للنحاس ٢٩٠/٢، زاد المسير ٣٢٩/٢، التفسير الكبير ١٥٨/١١، التبيان في إعراب القرآن ٤٣١/١، البحر المحيط ٤٧٢/٣، تفسير ابن كثير ٤١/٢، البرهان للزركشي ٣٤٥/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

قال الله تعالى: إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير(١)

قال الإمام ابن جزي رحمه الله:

ومولاه هنا: يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم، فيوقف على مولاه ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخبر ما عطف عليه.

ويحتمل: أن يكون المولى هنا بمعنى الولي الناصر فيكون جبريل معطوف فيوصل مع ما قبله ويوقف على صالح المؤمنين، ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره(٢).

وهذا أظهر وأرجح لوجهين:

أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبي وتشريفًا له، وأما إذا كان بمعنى السيد فيشترك فيه النبي مع غيره، لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس في ذلك إظهار مزية له الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله فقال: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك فنزلت الآية موافقة لقول عمر فقوله: معك يقتضي النصرة(٣)

الأقوال كما ذكرها الإمام ابن جزي:

الوقف على "مولاه" على أن معناها السيد الأعظم، ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخبر ما عطف عليه

أن جبريل معطوف على ما قبله فيوصل معه

---

(١) سورة التحريم آية: (٤)
(٢) إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل لابن الأنباري ٩٤١/٢ -ط- مطبوعات مجمع اللغة العربية -دمشق -سوريا ١٣٩٠ه- ١٩٧١م.
(٣) التسهيل ١٣٠/٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الترجيح في الميزان:

رجح الإمام ابن جزي الوصل بين قوله تعالى "مولاه"، و"وجبريل" وقال هذا أظهر وأرجح لوجهين:

أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبي وتشريفًا له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي مع غيره لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس في ذلك إظهار مزية له الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله فقال: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك فنزلت الآية موافقة لقول عمر فقوله: معك يقتضي النصرة، وهذا القول تؤيده القاعدة "القول الذي يعظم مقام النبوة، ولا ينسب إليها ما لا يليق بها أولى بتفسير الآية"

قال أبو جعفر النحاس: ومن الوقف قول الله عز وجل: "فإن الله هو مولاه"، فهذا الكافي من الوقف ثم قال: (وجبريل) على الابتداء، وعن نافع: فإن الله هو مولاه"

ثم قال أبو جعفر: وللفراء في هذا قولان: أحدهما هذا القول، والآخر: أن التمام (وصالح المؤمنين) وهذا القول أحب إليه لأن بعده والملائكة بعد ذلك ظهير. والمعنى عنده بعد نصرة هؤلاء وظهير بمعنى الجمع(١).

وقال أبو عمرو الداني: الوقف على ظهير تام، فظهير عنده خبر(٢)

---

(١) القطع والائتناف للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس - ٧٤٨/٢ - تحقيق د/ عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي ١٤١٣ه - ١٩٩٢م.

(٢) المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني عثمان بن سعيد بن عثمان ٢٣٩/١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

البحث الرابع:

تقويم القواعد الترجيحية عند الإمام ابن جزي

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

من خلال ما سبق من استعراض الأقوال الترجيحية للإمام ابن جزي في مسائل التفسير وعلوم القرآن تبين أنه استوعب جل الأبواب العلمية في الفنون التي اختصت بها الدراسة في هذا الفصل.

ولقد أجمل الإمام ابن جزي القول في العلوم التي تتعلق بتفسير القرآن الكريم في مقدمة كتابه فقال:

"في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن، اعلم أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنًا من العلوم وهي التفسير والقراءات والأحكام والنسخ والحديث والقصص والتصوف وأصول الدين وأصول الفقه واللغة والنحو والبيان"(١)

وقد استوفى الإمام ابن جزي كثيرًا من هذه الأبواب في أقواله الترجيحية في تفسيره:

١- فتحدث عن نزول القرآن الكريم ورجح في بعض مسائل ترتيب النزول ومن ذلك ما رجحه من أن أول ما نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - هو صدر سورة العلق مستدلًا بما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حسبما ثبت في صحيح البخاري(٢) وغيره(٣)،

٢- وناقش ترتيب سور القرآن الكريم، هل هو توقيفي أم اجتهادي؟ وضعف القول بأن ترتيب السور على ما هي عليه الآن في المصاحف من فعل النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهي مسألة للعلماء فيها أقوال، وقد رأيت أن الأرجح أن يقال: إن ترتيب القرآن الكريم بصورته التي نراه عليها الآن إنما هو بتوقيف من النبي - صلى الله عليه وسلم - عن رب العزة

---

(١) التسهيل ٦/١.
(٢) صحيح البخاري - بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ٣/١، برقم ٣، صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب بدء الوحي ١٣٩/١، برقم ١٦٠.
(٣) سورة المدثر الآية (١).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

سبحانه، وهو الأوفق مع قوله تعالى "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"، وإن من تمام الحفظ أن يكون على هيئته التي ارتضاها الله تعالى بتوقيف لا اجتهاد فيه لبشر، فإن آفة الكتب السابقة على القرآن إنما كانت في تدخل البشر، ولست أرمي في ذلك إلى(؟) شيء من القدح فيمن جمع القرآن آية وسطره، فهم من حفظ الله بهم الدين، ولكني أستحضر قول الله تعالى "لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه"، وقوله تعالى "سنقرئك فلا تنسى" وفي ذلك إشارة إلى محاولة احتياط النبي - صلى الله عليه وسلم - - وهو المعصوم عليه السلام - من النسيان أو فوت شيء من اللفظ القرآني منه - صلى الله عليه وسلم - فكانت هذه المتابعة التي عالجها رب العالمين بقوله "لا تحرك به لسانك لتعجل به" إلى أن جاء التثبيت من الله تعالى في قوله "سنقرئك فلا تنسى"، فأخبر الله تعالى بأن الحفظ موكول إليه سبحانه، وأن الإقراء للنبي - صلى الله عليه وسلم - موكول إليه أيضًا، وأن المحاولات البشرية ربما لن يسمح لها بالتدخل في هذا الأمر لأنه من اليسير أن ينتقد البشر في عالمهم، أما أن يكون من الله تعالى فلا.

٣- وتعرض كذلك لقضية النسخ، حيث اهتم بها اهتمامًا كبيرًا فتعرض لها في مقدمة كتابه التسهيل وفي أثناء الشرح، ولكنه في المقدمة تناول ما نسخته آية السيف، وهي قوله تعالى: فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم(١) بإيجاز شديد وبعبارة مختصرة

ويظهر للمتتبع لترجيحات الإمام في تفسيره أنه من العلماء القائلين بوقوع النسخ بكثرة في القرآن الكريم، والآيات المنسوخة عنده تبلغ ٢١٤ آية، فآية السيف وحدها نسخت ١١٤ آية، ودعوى النسخ في كثير مما أورده غير مسلمة، وتحتاج إلى دليل، ومن ذلك:

---

(١) سورة التوبة الآية (٥)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ترجيحه أن الوصية للوالدين والأقربين في قوله تعالى: كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًا على المتقين(١): كانت فرضًا قبل الميراث ثم نسختها آية الميراث مع قوله - صلى الله عليه وسلم - "لا وصية لوارث"(٢) وبقيت الوصية مندوبة لمن لا يرث من الأقربين(٣)(٤)، ولم أوافقه الرأي في هذه المسألة حيث رأيت أن الجمع بين النصين أولى،

وقلت في ذلك وبالنظر إلى الواقع فإن الآية تبقى حكمًا لمن وجد بأرض لا يستطيع فيها أن يقيم شرع الله في أمر الميراث، فالقوانين الغربية مثلًا لا تعترف بالإرث كوسيلة لانتقال الأموال بين الأفراد في حين أنها تعترف بالوصية المكتوبة التي ينص فيها صاحبها على توزيع تركته بطريقة ما حتى ولو كانت وصيته لحيوان مثلًا

وأرى: أنه في مثل هذه الحال فإن على من قارب الموت أن يكتب وصيته بتوزيع الأنصبة كما حدد الله تعالى في قرآنه المجيد وكما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام فالقول بالجمع بين الآيتين وإعمال كل منهما في موطنها التي تقتضيه الحاجة أولى من القول بالنسخ، والله أعلم

---

(١) البقرة ١٨٠.

(٢) أخرجه أبو داوود ك/ الوصايا ب/ ما جاء في الوصية للوارث ١١٣/٣ رقم (٢٨٧٠)، الترمذي ك/ الوصايا ب/ ما جاء لا وصية لوارث ٤٣٣/٤ رقم (٢١٢٠، ٢١٢١) وقال حسن صحيح، النسائي ك/ الوصايا ب/ إبطال الوصية للوارث ٢٤٧/٦ رقم (٣٦٤١، ٣٦٤٢، ٣٦٤٣)، ابن ماجة ك/ الوصايا ب/ لا وصية لوارث ٩٠٥/٢ رقم (٢٧١٣)، فتح الباري ٤٣٨/٥ ٠ وممن صحح الحديث الإمام البغوي، حيث ذكر الحديث ولم يشر إليه بضعف، وقد نص في مقدمة كتابه علي أنه ما كان فيه من ضعيف أو غريب أشار إليه. ينظر: مصابيح السنة للإمام الحسين بن مسعود البغوي الشافعي ٢/١، ١٨/٢ ط/ دار العلوم الحديثة ٠

(٣) وهو قول الإمامين الشعبي والنخعي، الناسخ والمنسوخ للنحاس ٨٩/١

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ٧٠/١

© جميع الحقوق محفوظة ٠ drahmedabouseif.com

٤- وفي مسائل أسباب النزول اعتمد دلالة السياق مرجحًا لسبب النزول ومن ذلك: ترجيحه عند تفسير قوله تعالى "من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون"(١)

أنه رجح الإمام ابن جزي في هذه المسألة أن تكون الآية الكريمة نزلت في الكفار خاصة لدلالة السياق حيث ورد بعدها: "أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون"(٢)

وقد اعتمد قواعد أخرى في ذلك ومنها:

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

ومن ذلك ما ورد عنه عند تفسيره قول الله تعالى "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى" حيث قال رحمه الله: قيل: إن النبي قام في الصلاة حتى تورمت قدماه فنزلت الآية تخفيفًا عنه، فالشقاء هنا بمعنى إفراط التعب في العبادة، وقيل: المراد به التأسف على كفر الكفار، واللفظ عام في ذلك كله(٣)

وكذا ما ورد عنه رحمه الله عند تفسيره قول الله تعالى "ولكل أمة جعلنا منسكًا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين"(٤) حيث قال: قيل: نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكذلك قوله بعد ذلك وبشر المحسنين، واللفظ فيهما أعم من ذلك(٥)

وفي مسائل العموم والخصوص اعتبر قاعدة: (يجب الحمل على العموم حتى يقوم الدليل على التخصيص)

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى: (فالق الحب والنوى) أي يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها ويفلق النوى لخروج الشجر منها

---

(١) سورة هود الآية ١٥
(٢) هود: ١٦
(٣) التسهيل ٩/٣
(٤) سورة الحج الآية (٣٤)
(٥) التسهيل (٤٠/٣).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

وقيل أراد الشقين الذين في النواة والحنطة والأول أرجح لعمومه في أصناف الحبوب(١)

وكذا عند تفسيره لقوله تعالى: "ما ظهر منها وما بطن قيل ما ظهر الزنا وما بطن": والصحيح: أن ذلك عموم في جميع الفواحش(٢)

٥- وفي مسائل الوقف والابتداء اعتبر قاعدة اتصال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج عنها إلا بدليل يجب التسليم له(٣)

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره لقول الله تعالى "قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء(٤)

حيث رجح القول بأن الوصل أولى في قوله تعالى "كذلك الله يفعل ما يشاء"، والعلة فيما ذهب إليه اتصال الكلام والقول هنا بناء على ذلك راجح حيث القاعدة أن اتصال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنها إلا بدليل يجب التسليم له(٥)

٦- وفي مسائل القراءات لم يعتبر قاعدة: إذا ثبتت القراءتان لم ترجح إحداهما على الأخرى في العديد من المسائل، وإنما رجح بين قراءتين متواترتين.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: "مالك يوم الدين"(٦)

حيث رجح الإمام ابن جزي قراءة "ملك" مستندًا إلى أنها قراءة الجماعة عدا عاصم والكسائي، وأن الملك أعظم من المالك، ولشواهد القرآن الكريم من مثل قوله: (وله الملك يوم ينفخ في الصور)، وأن قراءة "ملك" لا تقتضي

---

(١) التسهيل ١٥/٢
(٢) التسهيل ٢٥/٢
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١).
(٤) سورة آل عمران آية: (٤٠)
(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين (١٢٥/١).
(٦) سورة الفاتحة آية: ٤

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

هذا والأخرى تقتضيه؛ لأن تقديرها مالك الأمر أو مالك مجيء يوم الدين، والحذف على خلاف الأصل.

وأما إضافة ملك إلى يوم الدين فهي على طريقة الاتساع والمعنى على الظرفية أي الملك في يوم الدين

وأرى أن الترجيح بين قراءتين متواترتين لا يصار إليه، فالقاعدة أنه إذا ثبتت القراءتان لم ترجح إحداهما على الأخرى ترجيحًا يكاد يسقط الأخرى كما لا يقال بأن إحدى القرائتين أجود من الأخرى

وأرى كذلك أن كلا من القرائتين لها من الشواهد ما يؤيد قوتها

ومن ذلك أيضًا ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين(١)

حيث رجح قراءة: "يقضي" بالضاد المعجمة من القضاء وهو أرجح لقوله: "وهو خير الفاصلين"؛ أي: الحاكمين(٢)

واستدل على ذلك بما يلي:

١- دلالة السياق في قوله تعالى "وهو خير الفاصلين" حيث إن الفصل في الحكم لا في القول، ولكن أجيب عنه أيضًا بدلالة السياق حيث صدر الآية "قل إني على بينة من ربي" وبينة النبي - صلى الله عليه وسلم - هي القرآن وهو خير ما يفصل الله به بين الحق والباطل وبين الإيمان والشرك،

وإذا أعملنا القاعدة أن الضمير يعود على أقرب مذكور كان عود الضمير في قوله "وهو خير الفاصلين" إلى الحق ويؤيده المنطق السليم فالحق وحده هو الذي يفصل بين مشاحنات الناس وما يقوم عليه عمار الأرض بمن وما عليها وكما قال تعالى "فاقصص القصص" يريد به القرآن

---

(١) سورة الأنعام آية: ٥٧
(٢) التسهيل ١٠/٢

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٢- قالوا إن حذف الياء في قوله "يقض" لالتقاء الساكنين(١)، كما في قوله تعالى "حجة بالغة فما تغن النذر"(٢)، وقوله "سندع الزبانية"(٣)

خلاصة الترجيح:

كلا القراءتين متواترتين في سندهما، ليس بينهما تضاد في المعنى، لكل منهما دلالة وزيادة في الإعجاز، فلا ترجح إحداهما على الأخرى - والله أعلم -

٧- وأما ترجيحاته في التفسير بالمأثور والرأي فقد اعتمد فيه على العديد من القواعد ومنها:

أ- قاعدة "القول الذي تؤيده قرائن في السياق القرآني مرجح على ما خالفه"

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح ..القدس(٤)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن المراد بروح القدس: جبريل عليه السلام، وهو ترجيح سديد حيث اعتمد على قاعدة: القول الذي تؤيده آية قرآنية مقدم على غيره وقد دلت الآية القرآنية الكريمة على ذلك في قوله تعالى "قل نزله روح القدس"

ب- قاعدة: "إذا ثبت الحديث وكان موافقًا لأحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه"

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين(٥).

---

(١) التفسير الكبير ٧/١٣
(٢) سورة القمر آية: (٥)
(٣) سورة العلق آية: (١٨)
(٤) سورة البقرة آية: (٧٨) ٠
(٥) سورة التوبة الآية ٨٠

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

حيث رجح الإمام ابن جزي القول بأن المراد بقوله سبحانه "استغفر لهم أو لا تستغفر لهم" التخيير استنادًا إلى ما ورد في الحديث الشريف.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار(١)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن تبديل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي، هكذا ورد في الحديث الصحيح.

ج- قاعدة: "القول الذي تؤيده قرائن السياق مرجح على ما خالفه".

وقاعدة: "إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنها إلا بدليل يجب التسليم له"

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون(٢)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن المراد بالفرقان: التوراة التي آتاها الله نبيه موسى عليه السلام وهو القول الذي تؤيده قرينة السياق كما ذكر الطبري والقاعدة أن القول الذي تؤيده قرائن السياق مرجح على ما خالفه.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون (٣)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن المراد بالأميين في الآية الكريمة هم اليهود لدلالة السياق عليه، وهو القول الراجح حيث لم يرد للمجوس في السياق ذكر، والقاعدة أن القول الذي تؤيده قرائن في السياق القرآني مرجح على ما خالفه"، "وإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له".

---

(١) سورة إبراهيم آية: (٤٨)
(٢) سورة البقرة الآية ٥٣
(٣) سورة البقرة الآية ٧٨.
تفريغ صفحات ٦٦١-٦٩٣

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

د- القاعدة التفسيرية التي تنص على أن حمل الكلام على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (١)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن المراد بأهل البيت المطهر هم أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وأقاربه وهو قول راجح لعموم اللفظ فى آل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم -، ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه.

وكذا يتفق هذا الترجيح مع دلالات الألفاظ في اللغة؛ فقد تعارف العرب أن أهل الرجل أسرته وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون (٢).

ويتفق أيضا مع القاعدة التفسيرية التي تنص على أن حمل الكلام على الغالب من أسلوب القرآن ومعهود استعماله أولى من الخروج به عن ذلك.

ه- قاعدة: أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم، وعليه فإن القول عام.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (٣)

حيث رجح الإمام ابن جزي بأن المراد بقوله تعالى "يستمعون القول فيتبعون أحسنه" أنه الرجل يستمع إلى حديث القوم فيأخذ الحسن ويترك القبيح وعلته في ذلك أن القول إنما ورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهو قول معتبر لحبر الأمة وترجمان القرآن في المسألة، بل هو أقواها حيث القاعدة: أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم، وعليه

---

(١) سورة الأحزاب آية: (٣٣).
(٢) لسان العرب ٤ / ٢٠، مختار الصحاح ١ / ٧، المصباح المنير ١ / ١٤.
(٣) سورة الزمر آية: (١٨).

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فإن القول عام، وليس هناك ما يخصصه، وهو ما ذهب إليه أبو حيان بقوله: وهو عام في جميع الأقوال.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (١)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن المراد بقوله تعالى "فالجاريات يسرا" هي السفن تجري في البحر مستدلا في ذلك بأنه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه. والقاعدة: أن تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم، وعلى هذا الترجيح جمهور المفسرين كما سبق.

و- قاعدة: القول الذى يعظم مقام النبوة أولى من القول الذى يقدح فى مقام النبوة.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: عَبَسَ وَتَوَلَّى (٢)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن يكون الخطاب هنا على سبيل الإكرام للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وهو الأنسب بالقاعدة التى نصها (القول الذى يعظم مقام النبوة أولى من القول الذى يقدح فى مقام النبوة).

ومن ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله تعالى: وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٣)

حيث رجح الإمام ابن جزي أن الله وجد النبي لايعرف عن أحكام الشريعة شيئاً فهداه الله إلى هذه الأحكام وتصديق ذلك قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان

والقاعدة تقول: (القول الذى تؤيده آيات قرآنية مقدم على ماعدم ذلك)

وهذا القول تؤيده قاعدة أخرى: (القول الذي يعظم مقام النبوة أولى من غيره)

---

(١) سورة الذاريات آية: (٣)
(٢) سورة عبس: الآية: ١
(٣) سورة الضحى الآية: (٧)

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

ومن خلال مطالعة المسائل واتفاقها مع آراء العلماء نرى أنه لم يخرج عن إجماع أهل العلم في القواعد الترجيحية التي استند إليها، والله تعالى أعلم.

[باقي الصفحة فارغ]

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على الإتمام ونسأله سبحانه حسن الختام.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد البشير النذير والهادي إلى الصراط المستقيم. وعلى آله وصحبه جعلهم الله تعالى هداة مهتدين. وعلى من اهتدى بهديهم وسار على دربهم إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

وبعد

فإني بعد إتمام هذه الدراسة حول:

تفسير الإمام ابن جزي المسمى «التسهيل لعلوم التنزيل»

توصلت إلى بعض النتائج التي كان من أهمها ما يلي:

١- من خلال دراستى لهذا التفسير وجدت أن الإمام ابن جزي قد أحاط بجميع العلوم التي يحتاج إليها المفسر لذلك خرج تفسيره مكتمل الفائدة فريدا في وسط أقرانه.

٣- من خلال تفسير الإمام ابن جزي يدرك الباحثون قدرته العلمية في علم التفسير والقراءات واللغة.

٤- لقد اعتمد الإمام ابن جزي في تفسيره على مصادر أصيلة في فنها لكوكبة من العلماء أصحاب أقدام راسخة من العلم.

٥- لقد كان للإمام ابن جزي شخصيته البارزة في تفسيره خاصة في علم القراءات والإعراب، ولا شك في ذلك فهو علم من أعلام علم القراءات.

٦- وكذا كانت له شخصيته الفقهية المتميزة، ولم لا وقد كان من نتاجه " القوانين الفقهية " ذلك الكتاب المختصر الجامع لأصول الفقه، والمبين لأحكامه في أسهل عبارة وأوضح دلالة.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

٧- رأيت بعد هذه الدراسة أن كتاب التسهيل لم يزل بعد في حاجة إلى مزيد من الاهتمام وأن يحقق تحقيقاً علمياً نافعاً يبرزه للناس عموماً، ولطلبة العلم خصوصاً في ثوب قشيب، بعد الرجوع إلى مخطوطاته الأصلية ومقارنتها ببعض، وذلك لأن الطبعات الموجودة كلها مليئة بأخطاء فاحشة تحيل المعنى، وبعض المواضع منه تلاحظ فيها أن النص مبتور، كما أن بعض المواضع منه تحتاج إلى تعليق وتوضيح أو استدلال أو توجيه أو مقاربة ومقابلة.

- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين -

***

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فهرس أهم المراجع والمصادر

م — اسم المرجع

أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، للإمام محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط: عالم الكتب - بيروت. طبعة. دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت ١٤١٥ه - ١٩٩٥م. تحقيق. مكتب البحوث والدراسات.

الإبانة عن أصول الديانة، للإمام أبى الحسن الأشعرى، ط. دار الأنصار - القاهرة. ١٣٩٧ه. تحقيق د/ فوقية حسين.

الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لعبد الله محمد بن بطة، ط. دار الرية - الرياض، الأولى ١٤٠٩ه، تحقيق. رضا بن نعسان معطى.

الإبانة عن القراءات، لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسي، ط. دار المأمون للتراث - دمشق ١٣٣٩ه. تحقيق. محى الدين رمضان.

إبراز المعاني من حرز الأماني، لعبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة، ط. البابى الحلبى. تحقيق. إبراهيم عطوة عوض.

إبطال التأويلات لأخبار الصفات، لأبى يعلى محمد بن الحسين الفراء، ط. دار الإمام الذهبي الأولى ١٤١٠ه. تحقيق. محمد بن حمد النجدى.

الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن، لمحمد حسين الذهبي، ط. دار الاعتصام، الثانية ١٣٩٨ه.

الإتقان فى علوم القرآن للسيوطي، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

اجتماع الجيوش الإسلامية، للإمام ابن القيم الجوزيه، ط. دار المعارف، الرياض ١٤٠٨ه. تحقيق. عواد عبد الله.

إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لتقى الدين أبى الفتح الشهير بابن دقيق العيد، ط. دار الكتاب العربى - بيروت.

الإحكام فى أصول الأحكام، لعلى بن محمد الآمدى، ط. دار الكتاب العربى - بيروت، الثانية ١٤٠٦ه. تحقيق. سيد الجميلى.

الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم، ط. دار الكتب العلمية. بيروت.

أحكام القرآن للإمام الشافعي، جمعة أحمد بن حسين البيهقى، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠ه.

أحكام القرآن لأبى بكر أحمد بن على الجصاص، ط. دار إحياء التراث العربى - بيروت - ١٤٠٥ه. تحقيق. محمد الصادق قمحاوى.

أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٠٨ه. تحقيق. محمد عبد القادر عطا.

إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبى السعود محمد بن محمد العمادى، ط. دار إحياء التراث العربى.

إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، للإمام الشوكانى، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الأولى ١٤١٢ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل، لمحمد ناصر الدين الألبانى، ط. المكتب الإسلامى، بيروت، الثانية ١٤٠٥ه.

الرحيق المختوم، لصفى الرحمن المباركفورى، الجامعة السلفية، الهند، ط. المكتب الجامعى الحديث.

أساس التقديس، للإمام فخر الدين الرازى، ط. دار الجليل، بيروت، الأولى ١٤١٣ه. تحقيق. أحمد حجازى.

أسباب النزول، للواحدى، ط. دار الإصلاح، الدمام، الأولى ١٤١١ه، تحقيق. عصام بن عبد المحسن.

الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، لمحمد أبو شهبة، ط. مكتبة السنة، القاهرة، الرابعة ١٤٠٨ه.

الأسماء والصفات، لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى، ط: دار الكتاب العربى، بيروت، الأولى ١٤٠٥ه. تحقيق. عماد الدين أحمد.

الأشباه والنظائر فى فروع الشافعية، لعبد الوهاب بن على بن السبكى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١ه.

الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعية، لجلال الدين السيوطى، ط: مصطفى البابى الحلبى، ١٣٧٨ه.

الأشباه والنظائر فى النحو، لجلال الدين السيوطى، ط: دار الكتاب العربى، بيروت، الأولى ١٤٠٤ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الإصابة فى تمييز الصحابة، للحافظ بن حجر العسقلانى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

أصول التفسير وقواعده، لخالد عبد الرحمن، ط: دار النفائس، بيروت، الثانية ١٤٠٦ه.

أصول السرخس، لأبى بكر محمد بن أحمد السرخس، ط: دار الكتاب العربى، القاهرة، ١٣٧٢ه، تحقيق. أبو الوفاء الأفغانى.

أصول فى التفسير، لابن العثيمين، ط: دار ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٠ه.

الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار، لأبى بكر محمد بن موسى الحازمى، ط: جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان، الثانية ١٤١٠ه، تحقيق. عبد المعطى أمين قلعجى.

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للفخر الرازى، ط: دار الكتاب العربى، بيروت، الأولى ١٤٠٧ه، ضبط: محمد المعتصم بالله البغدادى.

إعراب القرآن، لأبى جعفر أحمد بن محمد النحاس، ط: عالم الكتب، الأولى ١٤٠٥ه، تحقيق. زهير زاهد.

الأعلام لخير الدين الزركلى، ط: دار العلم للملايين، بيروت، السابعة ١٩٨٦م.

أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، ط: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧ه، تحقيق. محمد محى الدين عبد الحميد.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن قيم الجوزية، ط: دار الحديث، القاهرة، تحقيق. مجدى السيد.

الإكسير فى علم التفسير، لسليمان عبد القوى الطوفى، ط: مكتبة الآداب، تحقيق. عبد القادر حسين.

الإكليل فى استنباط التنزيل، لجلال الدين السيوطى، ط: دار الكتب العلمية، تحقيق. سيف الدين عبد القادر الكاتب.

الأم للإمام الشافعى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٣ه. تحقيق: محمود مطرجى.

إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن، لأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٣٩٩ه.

إنباه الرواة على أنباء النحاة، لأبى الحسن على بن يوسف القفطى، ط: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦ه. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم.

أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبى سعيد عبد الله بن عمر البيضاوى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٨ه.

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصارى، ط: المكتب العصرى، بيروت.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

إيثار الحق على الخلق فى رد الخلاف إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، لمحمد بن المرتضى اليمانى المشهور بابن الوزير، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤٠٧ه.

الإيضاح فى علوم البلاغة والمعانى والبديع، لمحمد بن سعد القزوينى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٥ه.

الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه، لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيس، ط: دار المنار، جدة، الأولى، ١٤٠٦ه.، تحقيق. أحمد حسن فرحات.

الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط: المكتب الإسلامى، بيروت، الثالثة، ١٤٠٨ه.، إشراف. زهير الشاويش.

الباعث الحثيث فى شرح اختصار علوم الحديث، للحافظ ابن كثير، لأحمد محمد شاكر، ط: دار الفكر، بيروت، الأولى، ١٤٠٣ه.

البحر المحيط فى أصول الفقه، لبدر الدين الزركشى، ط: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، الثانية، ١٤١٣ه.، تحقيق. عبد الله العانى وأخرون.

البحر المحيط فى التفسير، لأبى حيان الأندلسى، محمد بن يوسف، ط: دار الفكر، الأولى، ١٤١٢ه.، صدقى محمود خليل.

البدور الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة، لعبد الفتاح القاضى، ويليه القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب له، ط: دار الكتاب العربى، بيروت، الأولى، ١٤٠١ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

بحوث فى أصول التفسير، لمحمد بن لطفى الصباغ، ط: المكتب الإسلامى، بيروت، الأولى، ١٤٠٨ه.

بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزيه، ط: دار الكتاب العربى، بيروت.

البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، ط: دار أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، الأولى، ١٤٠٨ه.

البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، للإمام الشوكانى، ط: دار المعرفة، بيروت.

بدع التفاسير، عبد الله صديق الغمارى، ط: مكتبة القاهرة، الأولى ١٣٨٥ه.

البرهان فى أصول الفقه، للإمام الجوينى، ط: دار الوفاء، الثالثة، ١٤١٢ه.

البرهان فى علوم القرآن، لبدر الدين الزركشى، ط: دار المعرفة، بيروت الثانية، ١٣٩١ه.

البغوى الفراء وتفسير القرآن الكريم، لمحمد شريف، ط: مطبعة المدينة، الأولى، ١٤٠٦ه.

البلغة فى أصول اللغة، لمحمد صديق خان، ط: البشائر الإسلامية، الأولى، ١٤٠٨ه، تحقيق: نذير محمد.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، ط: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٠٦ه، للإمام الأصفهانى محمود بن عبد الرحمن.

البيان فى غريب إعراب القرآن، لأبى البركات ابن الأنبارى، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠ه. تحقيق. طه عبد الحميد طه.

تأويل مختلف الحديث، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ط: مكتبة الكليات الأزهرية، تصحيح. محمد النجار.

تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة أيضا، ط: دار التراث، القاهرة، الثانية ١٣٩٣ه، عناية: السيد أحمد صقر.

تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردى، ط: مكتبة المعارف، الطائف، الأولى، ١٣٦٥ه.

التبيان فى أقسام القرآن، للعلامة ابن قيم الجوزية، ط: دار إحياء العلوم، الأولى ١٤٠٢ه، تحقيق: محمد شريف.

التحبير فى علم التفسير، لجلال الدين السيوطى، ط: دار العلوم الأولى ١٤٠٢ه. تحقيق: فتحى عبد القادر فريد.

التحصيل من المحصول، لسراج الدين محمود بن أبى بكر الأرموى، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى ١٤٠٨ه.

تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، لأبى العلى محمد عبد الرحمن المباركفورى، ط: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الثانية، ١٣٨٤ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى، لجلال الدين السيوطى، ط: دار الكتاب العربى، بيروت، الأولى، ١٤٠٥ه، تحقيق: د/ أحمد عمر هاشم.

التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط: شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، الأولى ١٤٠٥ه.

تذكرة الحفاظ، للحافظ شمس الدين الذهبي، ط: دار الفكر العربى، بيروت، عن: دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٧٤ه.

الترادف فى اللغة، لحاكم مالك الزيادى، ط: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.

التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزى الكلبى، ط: دار الكتاب العربى، بيروت، الرابعة، ١٤٠٣ه.

التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية، لعبد اللطيف البذرنجى(؟)، ط: مطبعة العانى، العراق، الأولى، ١٤٠٨ه.

التعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما فى الفقه الإسلامى، لمحمد الحفناوى، ط: دار الوفاء، مصر، الثانية ١٤٠٨ه.

التعريفات، للسيد الشريف الجرجانى، ط: عالم الكتب، بيروت، الأولى ١٤٠٧ه، تحقيق: عبد الرحمن عميرة.

تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، ط: الدار التونسية، ليبيا.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين، للحافظ ابن أبى حاتم، ط: هجر للطباعة والنشر، مصر، الأولى، ١٤٠٨ه، تحقيق: أحمد الزهرانى.

تفسير القرآن العظيم، للحافظ إسماعيل بن كثير، ط: دار الشعب، القاهرة، تحقيق: عبد العزيز غنيم وآخرين.

تفسير القرآن العظيم، لسهل بن عبد الله التسترى، ط: دار الكتب العربية الكبرى، البابى الحلبى، مصر.

تفسير القرآن الكريم، لمحيى الدين بن عربى، ط: دار الأندلس، بيروت، الثالثة، ١٤٠١ه، تحقيق: مصطفى غالب.

التفسير القيم، لابن القيم، جمعه: محمد إدريس الندوى، ط: دار العلوم الحديثة، بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقى.

تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ه، تحقيق: السيد أحمد صقر.

التفسير والمفسرون، لمحمد حسين الذهبي، ط: دار الكتب الحديثة، الثانية ١٣٩٦ه.

تقريب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلانى، ط: دار الرشيد، سوريا، الثالثة، ١٤١١ه.

تلخيص البيان فى مجازات القرآن، للشريف الرضى، ط: عالم الكتب، بيروت، الأولى، ١٤٠٦ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

التمهيد فى أصول الفقه، لأبى الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذانى، ط: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٠٦ه، تحقيق: مفيد محمد أبو عمشة.

التمهيد فى تخريج الفروع على الأصول، لأبى محمد جمال الدين الأسنوى، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الثالثة، ١٤٠٤ه، تحقيق: محمد حسن هيتو.

التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد، لابن عبد البر، ط: مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، تحقيق: مصطفى العلوى وآخرون.

تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلانى، ط: دار الفكر، بيروت، الأولى ١٤٠٤ه.

تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبى الحجاج يوسف المزى، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤١٣ه، تحقيق بشار عواد معروف.

تهذيب اللغة، لأبى منصور محمد أحمد الأزهرى، ط: الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٣٨٤ه، تحقيق: عبد السلام هارون.

التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوى، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت، الأولى، ١٤١٠ه، تحقيق: محمد رضوان الداية.

تيسير الكريم الرحمن فى تفسير الكلام المنان، للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدى، ط: مركز صالح بن صالح الثقافى، بعنيزة، ١٤٠٧ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

التيسير فى قواعد علم التفسير، لمحيى الدين محمد بن سليمان الكافيجى، ط: دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤١٠ه، تحقيق ناصر الدين محمد المطرودى.

الثقات، لأبى حاتم محمد بن حبان البستى، ط: دائرة المعارف العثمانية، الهند، الأولى، ١٣٩٣ه.

ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، للرمانى، والخطابى والجرجانى، ط: دار المعارف، القاهرة، ١٩٩١م.

جامع البيان عن تأويل آى القرآن، للإمام الطبرى، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥ه، وطبعة دار المعارف، مصر، الثانية، تحقيق: محمد شاكر.

جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله، لأبى عمر يوسف بن عبد البر، ط: دار الفكر.

الجامع لأحكام القرآن، للإمام القرطبى، ط: دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٦٥م.

جزء فى تفسير الباقيات الصالحات، لأبى سعيد خليل بن كيكلدى العلائى، ط: مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الأولى، ١٤٠٧ه، تحقيق: بدر الزمان محمد شفيع النيبالى.

ابن جزي ومنهجه فى التفسير، لعلى محمد الزبيرى، ط: دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤٠٧ه.

جلاء الأفهام فى فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، لابن قيم الجوزية، ط: مكتبة دار التراث للنشر، الثانية، ١٤١٣ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

الجنى الدانى فى حروف المعانى، لحسن بن قاسم المرادى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٣ه، تحقيق: فخر الدين قباوة.

جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع، للسيد أحمد الهاشمى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، السادسة.

الجواهر فى تفسير القرآن، لطنطاوى جوهرى، ط: دار إحياء التراث العربى، بيروت، الرابعة، ١٤١٢ه.

الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية، لمحيى الدين عبد القادر بن محمد القرش الحنفى، ط: عيسى البابى الحلبى، ١٣٩٩ه.

حاشية الصاوى على الجلالين، لأحمد الصاوى المالكى، ط: دار إحياء التراث العربى، بيروت.

حاشية زاده على البيضاوى، لمحى الدين شيخ زاده، ط: المكتبة الإسلامية، تركيا.

الحجة للقراء السبعة، لأبى على الحسن بن عبد الغفار الفارسى، ط: دار المأمون للتراث، دمشق، الأولى، ١٤٠٤ه.

الخصائص، لأبى الفتح عثمان بن جنى، ط: دار الكتاب العربى، بيروت.

درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الأولى، ١٣٩٩ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى، ط: دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤٠٦ه، تحقيق: أحمد محمد الخراط.

الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطى، ط: دار الفكر، بيروت، الأولى، ١٤٠٣ه.

دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، ط: دار الحديث، القاهرة.

الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، للإمام ابن حجر، ط: دار الكتب الحديثة، مصر، الثانية، ١٣٨٥ه، تحقيق: محمد سيد جاد الحق.

الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، لأبى إسحاق إبراهيم بن على بن فرحون، ط: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، تحقيق: محمد الأحمدى أبو النور.

الرد على الجهمية والزنادقة، للإمام أحمد بن حنبل، ط: دار اللواء، الرياض، الثانية، ١٤٠٢ه، تحقيق: عبد الرحمن عميرة.

الرد على الجهمية، للإمام عثمان بن سعيد الدارمى، ط: الدار السلفية، الأولى، ١٤٠٥ه.

الرسالة، للإمام محمد بن إدريس الشافعي، ط: مكتبة دار التراث، القاهرة، الثانية، ١٣٩٩ه، تحقيق أحمد محمد شاكر.

رسالة إلى أهل الثغر، لأبى الحسن الأشعرى، ط: مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الأولى، ١٤٠٩ه، تحقيق: عبد الله شاكر.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، لمحمود شكرى الألوسى، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ه.

روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية، ط: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الأولى، ١٤٠٢ه.

روضة الناظر وجنة المناظر، لموفق الدين أحمد بن قدامة، ط: مكتبة المعارف، الرياض.

زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى، ط: المكتب الإسلامى، بيروت، الثالثة، ١٤٠٤ه.

الزهد، للإمام أحمد بن حنبل، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى ١٤٠٣ه.

سنن أبى داود، لأبى سليمان بن الأشعث السجستانى، ط: دار الفكر، مراجعة: محمد محيى الدين عبد الحميد.

سنن ابن ماجة، لأبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى، ط: دار إحياء الكتب العربي "البابى الحلبى"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى.

سنن الترمذى "الجامع الصحيح"، لأبى عيسى محمد بن سورة، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٨ه، تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقى.

سنن الدارقطنى، للإمام أبى الحسن على بن عمر الدارقطنى، ط: فالكن، لاهور، باكستان.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

سنن الدارمى، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى، ط: دار الكتاب العربى، بيروت، الأولى، ١٤٠٧ه، تحقيق: فواز زمرلى.

السنن الكبرى، لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١ه، تحقيق: عبد الغفار البندارى.

السنن الكبرى، للبيهقى، ط: دار المعرفة، بيروت.

سنن النسائى، لأحمد بن شعيب النسائى، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت، الثالثة، ١٤٠٩ه.

سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبى، حققه: جماعة بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الثالثة، ١٤٠٥ه.

السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، لمحمد بن على الشوكانى، ط: وزارة الأوقاف بمصر، الثانية، ١٤٠٣ه، تحقيق قاسم غالب أحمد وآخرون.

شذا العرف فى فن الصرف، لأحمد الحملاوى، ط: البابى الحلبى بمصر، الثانية، ١٤٨٤ه(؟).

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، لعبد الحى بن العماد الحنبلى، ط: دار المسيرة، بيروت، الثانية، ١٣٩٩ه.

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لهبة الله بن الحسن اللالكائى، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

شرح التسهيل، لمحمد بن عبد الله الطائى (ابن مالك)، ط: دار الهجر، الأولى، ١٤١٠ه، تحقيق: عبد الرحمن السيد.

شرح تنقيح الفصول فى اختصار المحصول فى الأصول، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافى، ط: دار الفكر، بيروت، الأولى، ١٣٩٣ه.

شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبى العز الحنفى، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية، ١٤١١ه.

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط: مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، الثانية.

شرح اللمع فى أصول الفقه للشيرازى، ط: دار البخارى، القصيم، بريدة، ١٤٠٧ه.

شرح صحيح مسلم، لأبى زكريا يحيى بن شرف النووى، ط: دار القلم، بيروت، الأولى، ١٤٠٧ه.

الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضى عياض، ط: البابى الحلبى، ١٩٧٧م، تحقيق: على محمد البجاوى.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهرى، ط: دار العلم للملايين، بيروت، الرابعة، ١٩٩٠م.

صحيح سنن أبى داود، لمحمد ناصر الدين الألبانى، ط: المكتب الإسلامى.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

صحيح سنن ابن ماجة، الثالثة(؟) لمحمد ناصر الدين الألبانى، ط: المكتب الإسلامى.

صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيابورى، ط: المكتبة الإسلامية، استنابول، تركيا، الأولى، ١٣٧٤ه، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقى.

الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، ط: دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤٠٨ه.

ضعيف سنن الترمذى، لمحمد ناصر الدين الألبانى، ط: المكتب الإسلامى.

طبقات الشافعية، لتاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن على السبكى، ط: دار إحياء الكتب العربية، تحقيق: محمود الطناحى.

طبقات المفسرين، للحافظ جلال الدين السيوطى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

طبقات المفسرين، لمحمد بن على الداوودى، ط: دار الكتب العلمية.

الطرق الحكيمة فى السياسة الشرعية، لابن القيم، ط: مكتبة المدنى.

عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، ط: دار الكتاب العربى، بيروت، الرابعة، ١٤١٠ه، تحقيق محمد عثمان الخشت.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

العدة فى الفقه، للقاضى أبى يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلى، تحقيق: أحمد سير المباركى، ط: الثانية، ١٤١٠ه.

العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية، لعبد الله بن يوسف الجديع، ط: ١٤٠٨ه.

عمدة التفسير، لأحمد محمد شاكر، ط: دار المعارف، مصر.

غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة الكرمانى، ط: مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الأولى، ١٤٠٨ه.

غريب الحديث، لأبى عبيد القاسم بن سلام الهروى، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، الأولى، ١٣٨٤ه.

غريب القرآن وتفسيره، ط: عالم الكتب، بيروت، الأولى، ١٤٠٥ه.

فتاوى ابن الصلاح فى التفسير والحديث والأصول والفقه، ط: دار الوعى، حلب، القاهرة، الأولى، ١٤٠٣ه.

فتح البيان فى مقاصد القرآن، لمحمد صديق القنوجى، ط: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٢ه، عنى بطبعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصارى.

فتح القدير، لمحمد بن على الشوكانى، ط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، لسليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل، ط: البابى الحلبى.

الفرق بين الفرق، لعبد القاهر بن طاهر البغدادى، ط: دار الآفاق الجديدة، بيروت، الخامسة، ١٤٠٢ه.

الفروق، لأبى العباس أحمد بن إدريس القرافى، ط: عالم الكتب.

الفصل فى الملل والأهواء والنحل، لعلى بن أحمد المعروف بابن حزم، ط: دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥ه، تحقيق: محمد نصر.

فصول فى أصول التفسير، لمساعد بن سليمان الطيار، ط: دار النشر الدولى، الرياض، الأولى، ١٤١٣ه.

فقه اللغة، لصبحى الصالح، ط: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.

الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، لأبى بكر بن قيم الجوزية، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٢ه.

الفوز الكبير فى أصول التفسير، لولى الله الدهلوى، ط: دار الصحوة، القاهرة، الثانية ١٤٠٧ه، عرّبه عن الفارسية: سليمان الحسنى الندوى.

القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، لخادم حسين إلهى بخش، ط: مطبعة الصديق، الطائف، الأولى، ١٤٠٩ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

القواعد، لعبد الرحمن بن رجب الحنبلى، ط: دار المعرفة، بيروت.

قواعد التدبير الأمثل لكتاب الله عز وجل، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى، ط: دار القلم، دمشق، الثانية، ١٤٠٩ه.

القواعد الحسان لتفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى، ط: مركز صالح بن صالح الثقافى، ١٤٠٨ه.

القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط: دار طيبة، الرياض.

الكاف الشاف بتخريج أحاديث الكشاف، ط: دار المعرفة، بيروت، مطبوع مع الكشاف.

الكافى فى فقه أهل المدينة المالكى، لأبى عمر يوسف بن عبد البر الأندلسى، ط: مكتبة الرياض الحديثة، الثالثة، ١٤٠٦ه.

الكشاف، لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى، ط: مطبعة البابى الحلبى، بمصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٢ه.

الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيس، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الرابعة، ١٤٠٧ه، تحقيق: محيى الدين رمضان.

الكليات، معجم فى المصطلحات والفروق اللغوية، لأبى البقاء أيوب بن موسى الكفوى، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤١٢ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الكوكب الدرى فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية، لجمال الدين الأسنوى، ط: دار الوفاء للنشر، عمان، الأردن، ١٤٠٥ه.

لسان الميزان، لابن حجر العسقلانى، ط: مؤسسة الأعلمى، الثانية، ١٣٩٠ه.

لطائف الإشارات، لأبى القاسم القشيرى، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، للعلامة محمد السفارينى الحنبلى، ط: المكتب الإسلامى، بيروت، ١٤١١ه.

متشابه القرآن، للقاضى عبد الجبار أحمد الهمدانى، ط: دار التراث، ١٤١٥ه، تحقيق: عدنان زرزور.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى، ط: دار الكتاب العربى، بيروت، الثالثة ١٤٠٢ه.

مجموع فتاوى شيخ الإسلام بن تيمية، ط: المصرية(؟).

محاسن التأويل، ط: دار إحياء الكتب العربية، البابى، الحلبى، صححه: محمد فؤاد عبد الباقى.

المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات، لأبى الفتح عثمان بن جنى، ط: دار سزكين للطباعة والنشر، الثانية، ١٤٠٦ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، ط: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب.

المحصول فى علم أصول الفقه، لفخر الدين الرازى، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الأولى ١٣٩٩ه، تحقيق: طه جابر فياض.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ط: دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٩٢ه، تحقيق: محمد حامد الفقى.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد النسيفى، ط: دار القلم، بيروت، الأولى، ١٤٠٨ه، ضبط: إبراهيم محمد رمضان.

مذكرة فى أصول الفقه، لمحمد بن محمد المختار الشنقيطى، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الأولى، ١٤٠٩ه.

المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطى، ط: مكتبة دار التراث، القاهرة، الثالثة، تصحيح: محمد بك، وعلى البجاوى.

المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابورى، ط: دار المعرفة، بيروت.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط: الميمنة، القاهرة، ١٤١٣ه.

مشكل إعراب القرآن، لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيس، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية، ١٤٠٥ه.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد الحكمى، ط: دار ابن القيم، الدمام، الأولى، ١٤١٠ه، ضبط: عمر بن محمود أبو عمر.

معالم التنزيل، لمحيى السنة الحسين بن مسعود البغوى، ط: دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩ه، تحقيق: محمد عبد الله النمر.

معانى القرآن، لأبى الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، ط: مكتبة الخانجى، القاهرة، الأولى، ١٤١١ه.

معانى القرآن الكريم، لأبى جعفر النحاس، ط: جامعة أم القرى، الأولى، ١٤٠٨ه، تحقيق: محمد على الصابونى.

معانى القرآن، لأبى زكريا يحيى بن زياد الفراء، ط: عالم الكتب، بيروت، الثالثة ١٤٠٣ه.

معترك الأقران فى إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٨ه.

معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الحموى، ط: دار بيروت، بيروت، ١٤٠٠ه.

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، السادسة، ١٤٠٣ه.

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى، ط: مكتبة بريل فى مدينة ليدن، ١٩٣٦م.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ط: المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، ١٩٨٢م، صنعه: محمد فؤاد عبد الباقى.

معجم مقاييس اللغة، لأبى الحسين أحمد بن فارس، ط: دار الفكر، ١٣٩٩ه، تحقيق: محمد عبد السلام هارون.

المغنى، لابن قدامة، ط: دار هجر، الأولى ١٤٠٦ه، تحقيق: عبد الله التركى.

المفردات، للراغب الأصفهانى، ط: دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤١٢ه، تحقيق: صفوان عدنان داودى.

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبى الحسن الأشعرى، ط: المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١١ه، تحقيق: محمد محيى الدين.

مقدمة فى أصول التفسير، لابن تيمية، ط: دار القرآن الكريم، بيروت.

الملل والنحل، لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى، ط: دار المعرفة، بيروت، الثانية، ١٤١٣ه، تحقيق: أمير على مهنا.

الموافقات فى أصول الشريعة، لأبى إسحاق الشاطبى، ط: دار المعرفة، بيروت، تعليق: عبد الله دراز.

الموطأ، للإمام مالك بن أنس، ط: دار إحياء الكتب العربية، "البابى الحلبى"، صححه: محمد عبد الباقى.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

م — اسم المرجع

الناسخ والمنسوخ فى كتاب الله عز وجل، لأبى جعفر أحمد بن محمد النحاس، ط: مؤسسة الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤١٢ه.

النحو الوافى، لعباس حسن، ط: دار المعارف، مصر، الخامسة.

النشر فى القراءات العشر، لأبى الخير محمد بن محمد بن الجزرى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى، دار المعارف العثمانية، الهند، الأولى، ١٣٩٦ه.

النكت والعيون، لأبى الحسن على بن محمد الماوردى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٢ه.

النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ط: المكتبة العلمية، بيروت، تحقيق: طه الزاوى.

الواضح فى أصول الفقه، لمحمد سليمان الأشقر، ط: دار النفائس، الأردن، الرابعة، ١٤١٢ه.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبى العباس أحمد بن محمد بن خلكان، ط: دار صادر بيروت، تحقيق: إحسان عباس.

اليواقيت والدرر، لمحمد عبد الرؤوف المناوى، ط: مكتبة الرشد، الرياض، الأولى، ١٤١١ه، تحقيق: ربيع بن محمد السعودى.

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

المقدمة — ١

أسباب اختيار الموضوع — ٣

أهمية الموضوع — ٤

خطة البحث — ٦

التمهيد في التعريف بابن جزي — ٩

منهجه في التفسير — ٢٠

مصادره — ٢٢

الفصل الأول: قواعد الترجيح عند الإمام ابن جزي — ٢٥

البحث الأول: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني — ٣١

البحث الثاني: قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة النبوية — ٤٢

البحث الثالث: قواعد الترجيح المتعلقة بالآثار — ٤٥

البحث الرابع: قواعد الترجيح المتعلقة باستعمال العرب للألفاظ والمباني — ٥٠

البحث الخامس: تقويم قواعد الترجيح عند الإمام ابن جزي — ٥٥

الفصل الثاني: ترجيحات الإمام ابن جزي في المسائل العقدية والفقهية واللغوية — ٥٧

البحث الأول: ترجيحات الإمام ابن جزي في المسائل العقدية — ٥٨

البحث الثاني: ترجيحات الإمام ابن جزي في المسائل الفقهية — ١٢٩

البحث الثالث: ترجيحات الإمام ابن جزي في المسائل اللغوية — ٢٢١

الفصل الثالث: ترجيحات الإمام ابن جزي في التفسير بالمأثور وعلوم القرآن — ٢٨٦

البحث الأول: ترجيحاته في الأقوال التفسيرية — ٢٩١

المطلب الأول: التفسير بالمأثور — ٢٩١

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com

الموضوع — الصفحة

ترجيحاته في تفسير القرآن بالقرآن — ٢٩٢

ترجيحاته في تفسير القرآن بالحديث والأثر — ٣١٠

المطلب الثاني: التفسير بالرأي — ٤٦٣

البحث الثاني: ترجيحاته في القراءات القرآنية — ٥٣٩

البحث الثالث: ترجيحاته في مسائل علوم القرآن — ٥٦٠

ترجيحاته في أول ما نزل من القرآن — ٥٦١

ترجيحاته في النسخ — ٥٦٧

ترجيحاته في أسباب النزول — ٦٠١

ترجيحاته في العموم والخصوص — ٦٢٨

ترجيحاته في مسائل الوقف والابتداء — ٦٤٣

البحث الرابع: تقويم القواعد الترجيحية عند الإمام ابن جزي — ٦٥٢

الخاتمة — ٦٥٢

فهرس المراجع — ٦٥٣

فهرس الموضوعات — ٦٧٨

© جميع الحقوق محفوظة · drahmedabouseif.com